أسباب نزول القرآن

دراسة وتحليل

الطبعة الثالثة

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٥م

الطبعة الثانية- مزيدة ومنقحة

١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ- ١٩٩٣م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٧٣٩/ ٧/ ١٩٩٣م)

٢١٢

عبد الرحيم فارس أبو علبة

أسباب نزول القرآن: دراسة وتحليل.

عبد الرحيم فارس أبو علبة- عمان:٢٠٠٨ (٥٥٧)ص ر.أ (٧٣٩/٧/١٩٩٣)

١-القرآن الكريم- تفسير أ-العنوان

(تمت الفهرسة من قبل المكتبة الوطنية)

حقوق الطبع غير محفوظة بشرط الالتزام بما ورد في الكتاب حرفياً

المؤلف

د. عبد الرحيم فارس أبو علبة

الأردن- عمان- بيادر وادي السير

ت ٠٧٩٥٠٢٠٨٨٦

Mudawaneh.web.app

أسباب نزول القرآن

دراسة وتحليل

الدكتور

عبد الرحيم فارس أبو علبه

الطبعة الثالثة محققة

١٤٤٦هـ -٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى المتخصصين في التفسير وإلى مَنْ هم على طريق التخصص فيه .

إلى الدارسين لعلوم القرآن الباحثين عن الحقيقة .

إلى دعاة الإسلام الذين ترنو أبصارهم للتغيير .

إلى الخطباء والوعاظ الذين يعتلون المنابر .

إلى المنتسبين إلى الإسلام الراغبين بمعرفته .

إلى الذين تتوق أنفسهم لعودة الخلافة على منهاج النبوة .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على المصطفى سيدنا محمد- وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين أمّا بعد:

فلقد عدّ الباحثون والخبراء في هذا العلم هذا الكتاب تجديداً في موضوعه، فقال الأستاذ الدكتور المشرف على هذا البحث كرسالة ماجستير في الجامعة الأردنيّة.

(هذه أفكار ومعلومات جديدة عليّ، وأنا أقرؤها لأول مرة، ولم يمر عليّ ما يشبهها طيلة حياتي العلمية، وإنّها أفضل بحث قُدِّم لكليّة الشريعة بالجامعة الأردنيّة منذ تأسيسها. وإنّ الكليّة لم تعط البحث حقه).

وقدّمت الطالبة همس محمد عبد الله السيد، مصريّة الجنسيّة، بحثاً في جامعة بنها بجمهورية مصر، كلية الآداب، قسم اللغة العربيّة شعبة الدراسات الإسلامية. في رسالتها للحصول على درجة الماجستير عام ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٦م. وعدّت هذا الكتاب رؤية تجديدية لعلم أسباب النزول ضمن علوم القرآن ورسالتها كانت بعنوان: (مناهج التصنيف في علوم القرآن واتجاهاته في العصر الحديث، دراسة وصفيّة) وجعلته نموذجاً من الكتب التي جمعت الدراسة الحديثية والتفسيريّة؟ (من ص٩٣- ١٠٨)، وهي رسالة مخطوطة كما وصفت الكتاب (بأنه نموذج من الكتب التي جمعت في دراستها أسباب النزول بين النظريّة والتطبيق). وحكمت عليه بأنّه محاولة جيدة لتدبر قضايا علم أسباب النزول.

ولهذا فإنّ العلم ينشر نفسه، وإنّ الباحثين عن الحقيقة يجدونها ولو بعد حين والعلم رَحمٌ بين أهله، وفضل الأوائل محفوظ دائماً لأنهم السابقون، ولولاهم لما أبدع اللاحقون وهم عالة على من سبقهم. وأسأل الله أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتي، وليكون علماً أنتفع به بعد موتي. والحمد لله رب العالمين.

د.عبد الرحيم فارس أبو علبه

ت: ٠٧٩٥٠٢٠٨٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه، وعلى من سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد نفدت الطبعة الأولى بحمد الله تعالى ومنّه منذ زمن، ولا فخر، فإن العلم ينشر نفسه. وطالب العلم لا يزال شادياً ينشد العلم حيثما وجده. ونفاد الطبعة يدل على تقبل الموضوع، وأسلوب العرض. وفيه تقدير للقيمة العلمية للبحث. واهتمام بالجديد الذي أتى به. فأسأل الله أن يكون هذا العلم في ميزان حسناتي، وأن يكون علماً أنتفع به بعد الموت.

ولا يفوتني في الطبعة الثانية أن أنشد أيّ ملاحظة من أقراني، وأساتذتي، ومن زملائي وتلامذتي، ومن كل مسلم، بل من كل إنسان لأن الكمال لله وحده. ولأن الأبحاث لا تنمو ولا تنضج إلا بالملاحظات البناءة، والانتقادات الجادة الهادفة. وإن صدري ليتسع لكل نقد بناء يثري البحث، ويعمق الدراسة فتزداد المعرفة نوراً، والعلم جمالاً. وإني شاكر لمن أهدى إليّ عيوبي. والمؤمن مرآة أخيه. والنصيحة واجبة لكل مسلم لا سيما إذا كانت تساهم في بلورة العلوم الشرعية، وأسأل الله أن يجزي من يقدم لي أية ملاحظة علمية على البحث خيراً.

وأما إذا كانت الانتقادات شخصية وكيدية، وتخرج عن أدب العلم والعلماء، فإني أسأل الله لأصحابها الهداية والمغفرة، ولي السداد والرشاد. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

د. عبد الرحيم فارس أبو علبة

الأردن- عمان- بيادر وادي السير

ت ٠٧٩٥٠٢٠٨٨٦

مقدمة الطبعة الأولى

الثقافة الإسلامية هي المعرفة المستنبطة من الوحي، أو المبنية عليه، وهو المتمثل بالكتاب والسُّنَّة. ولكي تبقى هذه الثقافة جديرة بإضافتها إلى الإسلام لا بد من الاستمرار في عرضها على ما استنبطت منه. لأن الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان للإسلام. وهما من الله تبارك وتعالى. وهما يشكلان قاعدة فكرية وقيادة فكرية في الوقت نفسه. قاعدة تقاس عليها الأعمال، وترتكز عليها الأحكام في جميع شؤون الحياة. وقيادة ينطلق منها الفرد والجماعة والمجتمع والدولة. فالكتاب والسنة مرجعية وحيدة للمسلمين جميعاً.

والمسلم الواعي، حريص على هدى ربه، يلتزم الإسلام منهجاً للحياة، لا يُعمي بصره ولا بصيرته بريق الإعلام المُوَجَّه. ولا يضيره ولا يبهره قوة سطوع الدعاية. ومن نافلة القول إننا نعيش في عصر تلعب الدعاية والإعلان دوراً كبيراً في صناعة الرجال والأفكار والكتب شأن ذلك شأن العمل على ترويج السلع والبضائع المزجاة. فنجم عن ذلك وعي حقيقي، ووعي زائف.

الوعي الحقيقي هو الذي يدرك الواقع ويجعل الكتاب والسنة المصدر الذي يعالج الواقع.

أما الوعي الزائف فهو الذي لا يدرك الواقع ويصدر حكماً لمعالجته، أو أنه يدرك الواقع ويعالجه بفكر خاطئ، أو يعالجه بطريقة من غير جنس الفكرة التي يعتقدها، أو يجعل الواقع مصدراً للتفكير.

وقد طَبَّقْتُ قاعدة الوعي الحقيقي في بحث موضوع أسباب النزول، فدرست الواقع وعرضته على الكتاب والسنة، وعالجته بفكر مستند إليهما، وبطريقة من جنس الفكرة، فلم أركن إلى أحكام السابقين وأجعلها من المسلَّمات.

كما لم أجعلها موضع شك. بل ركزت على دراسة واقع الموضوع وأنزلت الحكم على الواقع الذي أدركته، ثم أعدت الدراسة ونقحتها، وزدت

عليها، واستدركت ما فاتني، وصححت ما وقع بها من أخطاء فجاء البحث على هذا الحال:

إنه أول دراسة جمعت أطراً خمسة لاعتماد رواية أسباب النزول.

وهو أول دراسة بحثت في الإشكالات الواردة على أسباب النزول وعالجتها.

وهو أول دراسة حددت أسباب دخول الدخيل إلى أسباب النزول.

وهو أول بحث ناقش ما زُعم أنها فوائد لأسباب النزول.

وهو أول بحث تناول تحقيق المتن والسند معاً في روايات أسباب النزول ودرست ما يقارب مائة رواية.

وفوق هذا كله فقد تطرق البحث إلى أهم جهود القدماء والمعاصرين في الموضوع، وبلور معنى سبب النزول عند الصحابة والتابعين والمفسرين. ولذلك جاء في تقرير كلية دارة العلوم بجامعة القاهرة عند معادلة هذا البحث بدرجة الماجستير في الجامعات المصرية ما نصه:

"أحسن الباحث تناول موضوعه، وقدم فيه جديداً- رغم كثرة ما كتب قبله- وخاصة في مجال نقد المتن، وطبق على هذه الروايات أطراً خمسة أحسن جمعها فنفى روايات كثيرة وأثبت أخرى، وقد بدت شخصية الباحث في طول الرسالة، وقدم ترجيحات تدل على جدارته العلمية".

الدكتور

عبد الرحيم فارس أبو علبة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فلقد أدرك المسلمون (أن حياتهم إنما هي من أجل الإسلام، وأن وجودهم إنما هو من أجل حمل الدعوة الإسلامية وأن الإسلام وحده هو أساس وحدتهم وسبب نهضتهم، وأنه هو وحده عزهم ومجدهم ورجاؤُهم، لذلك ملك عليهم نفوسهم وعقولهم فأخلصوا له، وأقبلوا عليه يدرسونه ويتفهمونه)[1]. وعكفوا على القرآن- المصدر الأول للتشريع- يفهمونه ويفسرونه ويُنَقِّبون عن علومه، ويدرسونها بشغف واهتمام. ويحررونها مما علق بها عبر العصور لتبقى صافية كما نزل بها الوحي على سيدنا محمد، ﷺ، فنالت علوم القرآن حظاً كبيراً من اهتمام المسلمين، وتوسعوا في بحثها، وتعمقوا في دراستها ضمن قواعد محددة حتى لا تخرج عن دائرة ما يهدف إليه الوحي من تشريع. وأسباب التنزيل من أهم هذه الموضوعات فهي تؤدي خدمة جليلة لفهم القرآن الكريم. وبحثها شاق وشائك لقلة المصادر في القرون الثلاثة الأولى الهجرية إن لم نقل بانعدامها. ولأنها تتأرجح بين التاريخ وبين الوحي. فهل هي تاريخ لا يستحق هذا الاهتمام البالغ؟ أو هي وحي يجب أن يدرس كما يدرس علم الحديث؟! أو هي شيء آخر؟ كل ذلك يجعل المرء حائراً في دراسة هذا الموضوع لا سيما أنه لم تشتهر دراسة واحدة تبحث في سند ومتن روايات أسباب التنزيل. فنجد الروايات مبعثرة في كتب التفسير، وكتب الحديث، وكتب السيرة، حتى في بعض كتب الفقه[2]. ولا تجد صيغة قطعية تدل على سبب التنزيل مما يزيد في تعقيد

---

(١) الشخصيةج١-تقي الدين النبهاني، ط٢، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.

(٢) انظر كتاب: المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائل المشكلات لأبي الوليد محمد بن أحمد بن يوسف بن رشد قاضي الجماعة بقرطبة، متوفى سنة ٥٢٠هـ. ج١، ص١٥٣، ١٥٤ فقد ذكر=

الأمر[1]. وقد اختلف المتقدمون والمتأخرون حول تعدد روايات أسباب التنزيل لآية واحدة فزاد الطين بِلَّةً. قال الشيخ أحمد حسن الباقوري: "إن معرفة أسباب النزول من المواضيع الصعبة، ووجه الصعوبة فيها اختلاف المتقدمين والمتأخرين حولها"[2]. وقد لجأ آخرون للقول بتكرار نزول بعض الآيات أو السور من القرآن تبعاً لاختلاف هذه الروايات. قال الشيخ الباقوري: (إن تعدد أسباب نزول هذه الآية فيما رواه الرواة عن السلف جعل بعض العلماء يذهبون إلى القول بأن الآية نزلت عدة مرات ولا مانع عند بعضهم من نزول الآية مرة أو مرتين، أو مرات حسب مقتضى الأحوال، وهذا المذهب فيما يبدو لا يسهل الأخذ به، والانقياد إليه ولا بدّ للنفس أن تتلفت إلى مذهب أيسر قبولاً، وأقوى حجة وأوضح محجة وهو ما ذكره الإمام الدهلوي)[3].
قال ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري: (والأصل عدم تكرر النزول)[4].

=سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ثم انقطع الوحي فصلّى رسول الله ﷺ، الظهر ثم تآمر المشركون على المسلمين فأنزل الله بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ إلى آخر الآية فنزلت آية الخوف. وفي ص٤٤٦-ص٤٧٧، ساق سبب نزول آية الظهار طبعة دار صادر بالأفست. وانظر كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر ابن مسعود الكاساني، المتوفى ٥٨٧هـ، ج١، ص٤٤، ذكر سبب نزول آية التيمم في غزوة ذات الرقاع عندما فقدت عائشة رضي الله عنها قلادة لأسماء، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(١) انظر المبحث الثالث من الفصل الأول- بحث الألفاظ التي قيل عنها إنها تدل على سبب التنزيل.

(٢) معاني القرآن بين الرواية والدراية، للشيخ أحمد حسن الباقوري، ص٧٦، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م مطبعة مركز الأهرام للترجمة والنشر.

(٣) المصدر السابق ص٧٦، أو مع القرآن، للمؤلف نفسه، ص١٥٦، المطبعة النموذجية، ١٩٧٠م.

(٤) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، م٨، ص٥٠٨، شرح الحديث ٤٧٧٢.

هذا، وقد نهجت في بحث هذا الموضوع منهج الباحثين، فقد مزجت في منهجي بين منهج الدراسة التاريخية والدراسة المنهجية. فعمدت إلى دراسة الكتب التي جمعت روايات أسباب التنزيل في مكان واحد، ومنها كتابا أسباب نزول القرآن للواحدي، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. ثم أخذت أنظر في روايات أسباب نزول الآية الواحدة في كتب التفسير المختلفة وعلى رأسها تفسير الطبري. وكتب شرّاح الحديث وعلى رأسها كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري. وكتب السيرة. وكان سبر غور الروايات هو طريقي للوصول إلى النتائج التي توصلت إليها. وكان جل اهتمامي منصباً على البحث في إشكالات أسباب التنزيل، وإزالة هذه الإشكالات. محاولاً إبراز سمات وقسمات أسباب التنزيل لعلّي أستطيع تكوين حس وذوق معينين عند القارئ أو السامع يميز بهما روايات أسباب التنزيل عن غيرها، ولم أهدف في هذا البحث جمع جميع روايات أسباب التنزيل والحكم عليها فهذا أمر يحتاج إلى جهد كبير، ولكني تناولت قدراً أطمئن إليه من الروايات حررتها ونخَّلتها ووجهتها توجيهاً يزيل الإشكال الذي يَردُ عليها؛ وبلورت القواعد الأساسية في أسباب التنزيل لتكون منطلقاً لمن يريد أن يتم تنخيل رواياتها.

هذا، وقد جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة. أما المقدمة فقد اشتملت على مسألتين:

الأولى: المسوغات لاختيار الموضوع.

الثانية: بيان أهمية أسباب التنزيل. وقد ضمنته ثلاث قضايا:

الأولى: أقوال بعض العلماء في أهمية أسباب التنزيل.

الثانية: فوائد معرفة أسباب التنزيل.

الثالثة: مناقشة بعض الفوائد المنسوبة لأسباب التنزيل.

وأما التمهيد فقد أدرجت تحته مبحثين هما:

الأول: بعض جهود القدماء في هذا الفن.

الثاني: بعض جهود المعاصرين في هذه المسألة.

ثم جاء الفصل الأول وهو بيان معنى سبب التنزيل وتحديد طريقة معرفته فجعلته في خمسة مباحث:

المبحث الأول: في أسباب دخول الدخيل إلى أسباب التنزيل. والمبحث الثاني: عن معنى سبب التنزيل لغة واصطلاحاً، وعن معناه عند الصحابة، والتابعين والمفسرين. وقد حددت في المبحث الثالث طريقة معرفة أسباب التنزيل وضمنته:

أ. بحث الألفاظ التي قيل إنها تدل على سبب التنزيل.

ب. أطر لا بدّ منها لاعتماد رواية سبب التنزيل، وهي:

١. تزامن نزول الآية مع زمن حدوث الواقعة أو السؤال.

٢. ضرورة تناسب الرواية مع منطوق ومفهوم النص.

٣. ضرورة تناسق الرواية مع سياق الآية أو الآيات في السورة.

٤. أن لا تناقض الرواية نصاً آخر أقوى منها، قرآناً، سنة، أو رواية.

٥. تحقيق صحة سند الرواية.

ج. عموم لفظ الآية وخصوص سبب نزولها وعلاقته ببحثنا.

وجاء المبحث الرابع لندرس فيه أسباب ورود الحديث وصلته بأسباب تنزيل القرآن. فعرضت إلى معنى سبب ورود الحديث، وإلى أهم الإشكالات الواردة عليه. وعقدت موازنة سريعة بين أسباب نزول القرآن وبين أسباب ورود الحديث. وفي المبحث الخامس أشرت إلى الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات والعلاقة بينهما.

وقد خصصت الفصل الثاني لدراسة تطبيقية لبعض مرويات أسباب التنزيل التي وردت في بعض آي القرآن في سور متعددة في ضوء الدراسة السابقة مبرزاً دراسة المتن والسند.

ثم أتى دور الإشكالات الواردة على روايات أسباب التنزيل فأفردتها في الفصل الثالث وحصرتها فيما يأتي:

١. عدم مزامنة الرواية لنزول الآية أو الآيات.

٢. القول بتكرار نزول الآية أو الآيات أو السورة، أو تجزئة نزول الآية الواحدة.

٣. تعدد روايات أسباب التنزيل.
٤. عدم ارتباط سبب التنزيل بالآية أو الآيات.
٥. أسباب نزول الآيات المصدرة بـ(يسألونك ويستفتونك ويقولون). هل لا بدّ لها من سبب نزول أو لا؟
٦. عدم مزامنة الآية للحكم المستنبط منه (تقدم الحكم أو تأخره عن نزول الآية).

وفي الفصل الرابع والأخير كانت نتائج الدراسة فاعتمدت أصولاً وقواعد مستخلصة من دراسة أسباب التنزيل. وسجلت كثيراً من روايات أسباب التنزيل ممّا صحّ عندي. وفي نهاية المطاف جاءت الخاتمة لتسدل الستار على البحث، **وقد اشتملت على ثوابت في أسباب النزول**. وقد أثبتّ المصادر والمراجع في نهاية البحث مع فهرس الموضوعات.

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بالعرفان وحفظ الجميل **للدكتور أحمد فريد** الذي قدّم لي جهداً كبيراً في إسداء النصح والتوجيه لتجنب التكرار وعدم الاستطراد. وقد كان متعاوناً إلى حد كبير دون أن يفرض عليّ أيّ رأي علمي، بل كان يقرّ الرأي في الرسالة وهو يرى خلافه محترماً بذلك رأيي، ومحافظاً على شخصيتي العلمية فبارك الله له في جهده، وجزاه الله عني خيراً. وأدعو الله أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، فإنه سبب كل توفيق، كما أسأله أن يحميني من الزلل والعثار. وعذري أنني قدمت قصارى جهدي. وما كان من حق فمن الله. وما كان من باطل فمنيَّ ومن الشيطان. وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

اللهم اجعلني من التوابين والحمد لله رب العالمين.

الدكتور

عبد الرحيم أبو علبة

المسوغات لاختيار الموضوع

يمكن أن تجمل الدوافع التي حفزتني لاختيار هذا الموضوع فيما يلي:

إن أسباب التنزيل لبعض آي القرآن يتعدى كونها علماً من علوم القرآن، إلى أنها تعد بحق أصلا من أصول التفسير، التي لا يستغني عنها مفسر مهما أوتي من سعة في العلم. إلى جانب ذلك، فإن قضية أسباب التنزيل تشكل قضية خطيرة على فهم بعض آي القرآن. ففهم بعضها يتوقف على معرفة سبب التنزيل؛ فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾. [البقرة]. فإن معنى ﴿رَٰعِنَا﴾ و﴿ٱنظُرۡنَا﴾ واحد، فلماذا جاء النهي عن استعمال لفظ دون آخر. وأمرهم بالتنفيذ ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ وجعل عاقبة الكافرين العذاب الأليم؟ ليدل ذلك كله على النهي الجازم عن استعمال الفعل ﴿رَٰعِنَا﴾ والأمر باستعمال الفعل ﴿ٱنظُرۡنَا﴾، فإن العقول تتحير وترتبك في تفسير هذا الأمر. ولكن الأمر سرعان ما ينجلي، ويزول الإشكال بمعرفة سبب التنزيل. روى القرطبي (قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي، ﷺ: راعنا على جهة الطلب والرغبة - من المراعاة- أي التفت إلينا. وكان هذا بلسان اليهود سباً، أي اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنّا نسبه سراً فالآن نسبّه جهراً. فكانوا يخاطبون بها النبي، ﷺ، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن عبادة[1] وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله! لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي، ﷺ، لأضربّنّ عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت الآية[2]. وهكذا فإن سبب التنزيل يؤكد ما استنبط من الآية

---

(١) سعد بن معاذ وكذلك وردت في لباب النقول للسيوطي والصواب ابن عباده كما صححها ابن حجر في مخطوطة العجاب في الأسباب، ورقة ٣٦ب، وذلك حسبما رواه ابن ظفر ومقاتل.

(٢) تفسير القرطبي، ص٥٧، م٢، طبعة دار الفكر. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣١، تحقيق سيد أحمد صقر. ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص١٥. تفسير الطبري، =

من حكم شرعي وهو: تحريم استعمال مصطلحات الكفار التي تتعلق بوجهة النظر في الحياة. فلا يجوز أن نقول إن رئيس الدولة في الإسلام هو رئيس الجمهورية أو الملك بدل الخليفة. ولا يجوز أن نقول: بإطلاق الحريات العامة لأن الأصل هو التقيد بالحكم الشرعي. ولا يجوز أن ننادي بالديمقراطية لأنها مصطلح للكفار له مدلول خاص، وهكذا.

ومثال آخر قد كثر الاستشهاد به من الجهلة والجبناء والمضللين والمتخاذلين فيقولون: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾. **[البقرة: ١٩٥]**. يستشهدون بهذا الجزء من الآية في معرض الدفاع عن أنفسهم حينما يُطالَبون أن ينكروا على الحكام الظالمين. وأن يتصدوا لأفعال المسؤولين الفسقة وذلك ببيان زيف أعمالهم، وكشف تصرفاتهم للأمة، وإبداء حكم الإسلام في تلك الأفعال والتصرفات قائلين بأن المطلب فيه هلاك وتهلكة وقد نُهينا عن ذلك. وليتهم وقفوا عند هذا الحد واكتفوا بإثم السكوت، وفساد هذا الاستشهاد الذي في غير محلّه، بل توغل بعضهم في هذا الإثم فلاموا وأنكروا على من يقوم بمهمته الشرعية، وواجبه الشرعي نحو هؤلاء الحكام. وإذا تعرض حامل الدعوة للأذى من حماة الكفر وأهله قالوا: آذى نفسه وعرضها للتهلكة.

واستشهدوا بجزء الآية الكريمة ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾. ولكن سبب التنزيل يبدد هذا الظلام في فهم الآية. وسبب التنزيل كما ذكره الترمذي عن أسلم أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلُهُم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فَضَالَةُ بنُ عُبَيْد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنّكم لَتُأَوِّلون هذه الآية هذا التأويل؛ وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله

=م٢، ص٤٦٠، طبعة شاكر، الأثر ١٧٢٨، ١٧٢٩، ١٧٣٠ وغيرها من الآثار. وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر، ورقة ٣٥ أ. والرواية عن عطاء وعن قتادة بالمعنى نفسه.

الإسلام وكثر ناصروه. فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله،ﷺ، إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه، ﷺ، يَرُدُّ علينا ما قلنا (الآية).

فكانت التهلُكة الإقامةَ على الأموال وإصلاحَها وترْكَنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم: هذا حديث حسن غريب صحيح[1]. وهكذا فإن سبب التنزيل يقربنا إلى معرفة ما تتضمنه الآيات من هدايات، ويبعدنا عن عبادة الله على جهل.

والدارس لمرويات أسباب التنزيل يجد إشكالات كثيرة، فقد نقرأ سبب نزول وقع بمكة لآية مدنية أو العكس، وربما تجد سبب نزول آية وقع قبل نزول القرآن. وأكثر من ذلك تجد من يقول بتكرار نزول الآية، أو السورة لتعدد الروايات، وإن كانت غير ثابتة، أو ربما يقال بتكرار النزول توفيقاً بين هذه الروايات دون أن يذكر سنداً لهذا القول.

والموضوع فضلاً عن تعلقه بمصادر التشريع، الكتاب والسنة، فإنه يكشف النقاب عن زيف كثير من الروايات التي تمسّ صحابة رسول الله،ﷺ، كالرواية الواردة في أسباب نزول آية الحجر ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾. **[الحجر]**. فهي تصور فريقاً من الصحابة يشهدون صلاة الجماعة جريا وراء غريزتهم الجنسية ليسترقوا النظر إلى حسناء أثناء ركوعهم وسجودهم وهي تصلي في الصف

---

(١) سنن الترمذي، الأثر ٤٠٥٣، أبواب التفسير، ج٤، طبعة دار الفكر. وانظر لباب النقول للسيوطي، قال وأخرج أبو داود والترمذي وصححه، وابن حبان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري ص٢٩. وانظر أسباب النزول للواحدي، ص٥٠-٥٢. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، الأثر ٤٥١٦،م٨، كتاب التفسير. وقال ابن حجر: وحديث أبي أيوب أخرجه مسلم، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم من طريق أسلم بن عمران، ص١٨٥.

الخلفي. ومثل ما اشتهر عن الصحابي الجليل، زوراً وبهتاناً، ثعلبة بن حاطب حتى أدخلوه في زمرة المنافقين والعياذ بالله، فجعلوا آية التوبة قد نزلت فيه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.[التوبة]. إلى غير ذلك من الأكاذيب التي لا تليق بمن نزل فيهم قرآن يمدحهم[1]، وبمن نقلوا إلينا ما جاء به الوحي بأمانة وإخلاص لم يشهد التاريخ له مثيلاً. هذا ولم ينج رسول الله،ﷺ، من هذا الافتراء فجعلوه زير نساء في قصة زواجه من زينب بنت جحش، رضي الله عنها، وما نسج حولها من حكايات ملفقة[2].

إلى جانب ذلك كله، فإن دراسة أسباب التنزيل تلقي ضوءاً في الحياة والبيئة التي نزل فيها قرآن وجاء الوحي ليصحح المعوّج منها، ويرسم معالم صورة واضحة للحياة التي يريدها الإسلام للناس، كما تساعد على فهم صور الصراع بين دعوة الإسلام وأعدائها كتلاً ودولاً، أفراداً وجماعات. فترسم حدود السياسة الخارجية لدولة الإسلام. مثال ذلك ما ورد في سبب نزول آية الحشر ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.[الحشر]. فقد نزلت

---

(١) انظر ما لفقه بعض الشيعة على سيدنا علي، رضي الله عنه، من تَصَدُّقِهِ بخاتمه وهو في الصلاة جاعلين ذلك سبباً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾.[المائدة]. وانظر ما زور على الصحابي الجليل الوليد بن عقبة بن أبي معيط حيث جعلوه فاسقاً وسبباً لنزول قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾.[الحجرات:٦].

(٢) انظر كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ص ٣٢٣-٣٢٨، مكتبة السنة، ط٢، ١٤٠٨هـ وفحوى الأكذوبة عن عبد الرحمن بن زيد أن الرسول،ﷺ، ذهب إلى بيت زيد أثناء غيبته فرأى زينب في زينتها فأعجبته..إلخ. رواها الطبري والزمخشري والنسفي وغيرهم.

عندما قطع المسلمون نخيل المدينة وشجرها الخاص بيهود بني النضير، وحرّقوا بعضه عندما اعترض سبيل المسلمين في اقتحام حصن اليهود الذين رفضوا الخضوع لأمر رسول الله،ﷺ، في بداية الأمر، وتحصنوا في بيوتهم، وقد حاولوا أن يوجدوا رأياً عاماً ضد المسلمين على هذا الفعل. فهدم الله تعالى بهذه الآية العرف الدولي الذي كان سائداً يومئذ[١]، وكشف حقيقتهم، وعلّم المسلمين درساً مهماً في التعامل مع المحاربين وهو نبذ الأعراف الدولية التي تحول دون تحقيق مصلحة الدعوة الإسلامية، ومصلحة دولتهم[٢].

بالإضافة إلى ذلك كله فإن أسباب التنزيل قد شابتها الشوائب واختلطت بواقع الحال الذي يفهم من الآية الكريمة. وقد رأيت عزوف العلماء القدامى والمحدثين عن بحث الإشكالات الواردة في أسباب التنزيل، ولم يقم أحد بتصنيفها في بحث مستقل مع أهميتها وحاجتنا إليها، ولم أعثر على دراسة واحدة في نقد متن الروايات. ووجدت في نفسي الرغبة الملحة لخوض عباب هذا البحر لعلّي أخرج بما يروي الغليل ويشفي العليل، والموضوع صعب وشائك، ولكنه شائق ورائق أسأل الله أن يعينني على نوال شرف خدمة هذا الموضوع.

---

(١) يقر الإسلام هذا العُرف وكذلك السلم في الأشهر الحرم ومع ذلك فقد خرقها لأنها تعارضت مع مصلحة حمل الدعوة.

(٢) انظر صحيح مسلم، ص٥٠-ص٥١، ج١١، شرح النووي. وقد عقد عنواناً (جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها). وانظر أسباب النزول للواحدي، ص ٤٤٢-٤٤٥. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، م٨، ص٤٤٥. وانظر اللباب للسيوطي ص٢١٤ وغيرها. وانظر ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [**البقرة:٢١٧**].

أهمية أسباب التنزيل

إن واقع سبب التنزيل يعرب عن موقعه من التفسير. فقد درسه كثير من العلماء كمقدمة لتفسير الآية فعده أصلاً من أصول التفسير، وقد ذكره آخرون في العلوم الواجب معرفتها قبل الخوض في التفسير فأدرجوه في علوم القرآن، وأفرده بعضهم في مؤلف مستقل، وهذا يدل على مدى اهتمام العلماء بهذا الفن، وعلى مدى تقديرهم لموقعه من التفسير، ولكن الأمر لم يخل من نعيق الغربان، ولكل قاعدة شواذ، فقد نقل إلينا صاحب البرهان في علوم القرآن[(١)] العبارة التالية: (وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ) دون أن ينقل إلينا من هو صاحب هذه المقولة. ولإلقاء مزيد من الضوء على أهمية أسباب التنزيل فإننا نناقش القضايا التالية:

القضية الأولى

أقوال بعض العلماء القدامى والمحدثين في بيان أهمية هذا العلم.

فمن الأقدمين:

قال الواحدي ت٤٦٨هـ: (فآل الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين بعلوم الكتاب، إبانة ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[(٢)].

قال الشيخ أبو الفتح القشيري، المشهور بمحمد بن دقيق العيد،ت ٧٠٢هـ:

---

(١) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن، توفي سنة ٧٩٤هـ. وكتابه يُعَدُّ إمام كتب علوم القرآن.

(٢) هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، صاحب كتاب أسباب نزول القرآن ت ٤٦٨هـ وكتابه يعد أساساً في هذا العلم. ومن تبعه عالة عليه وقد ذكر هذه المقولة في ص٥، طبعة دار القبلة، وقد حققها سيد أحمد صقر.

(بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز؛ وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا)(١).

وقال ابن تيمية: ت٧٢٨هـ: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)(٢).

قال الشاطبي: (ت٧٩٠هـ): معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المُخاطَب، أو المخاطِب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبيْن، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظه واحد ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك. وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجية، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب ولا بد. ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عنه هذا الوجه.

---

(١) نقل هذه العبارة بدر الدّين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٢. وانظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي،ت٩١١هـ، ج١، ص٣٨. وكذلك لباب النقول، ص٣، للسيوطي كذلك.

(٢) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية، ص٣٣٩، ج١٣، مقدمة التفسير تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، وانظر المقدمة بتحقيق د. عدنان زرزور، طبعة دار القرآن الكريم، الكويت، ص٤٧. وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ص٣٨، ج١. وابن تيمية هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم من دمشق.

الوجه الثاني: هو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مَظَنَّةُ وقوع النزاع، ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيّها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزجره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه فقال: أعد عليّ ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه.

وما قاله صحيح في الاعتبار، ويتبين بما هو أقرب، فقد روى ابن وهب عن بكير، أنه سأل نافعاً: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين، فهذا معنى الرأي الذي نبه ابن عباس عليه، وهو الناشيء عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن)[1].

هذا وقد جعل الزركشي[2] والسيوطي[3] أسباب التنزيل من الأمور التي لا بد منها للمفسر.

ومن المحدثين الشيخ محمد حسين الذهبي حيث قال في معرض حديثه عن

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي، ج٣، ص٢٢٥، ص٢٢٦، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة. والشاطبي هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي ت٧٩٠هـ

(٢) بدر الدين الزركشي ت٧٩٤هـ، قال في البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: "واستمداده (أي التفسير) ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ".

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت٩١١هـ ، وقد سار على درب الزركشي وتبعه في ذلك. انظر الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٣٢، ط٤، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، طبعة دار المعرفة.

أدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة: (ومعرفة أسباب النزول، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية)[1].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه لأنه فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيراً)[2].

القضية الثانية: فوائد معرفة أسباب التنزيل

مما تقدم من أقوال العلماء ندرك أن لأسباب التنزيل فوائد جمة، وأن لها مكانة مميزة في التفسير، ومن واقع أسباب التنزيل ندرك أن الظروف والملابسات والمكان والزمان والناس والأسئلة التي جاءت الآية أو الآيات أو السورة لتعطي حكمها عليها هي التي تساعدنا على فهم النص القرآني بكل أبعاده فهماً صحيحاً. فهي أوضح سبيل وأقصرها لفهم معاني بعض الآيات، ومن فوائدها أنها تعين على معرفة الزمان والمكان الذي نزلت فيه الآية فنميّز المكي من المدني، ويفصل الخطاب في دعوى النسخ حيث يعرف المتقدم من المتأخر.

وإلى جانب هذا كله فإنها تعطي صورة واضحة عن السياسة الخارجية في الإسلام فتبيّن كيف كان رسول الله، ﷺ، يعامل الكيانات الأخرى التي كانت في عهده، كاليهود وقريش والقبائل الأخرى. وكيف تعامل مع الدول الكبرى آنذاك-الفرس والروم- وما هو موقفه منها. فأسباب التنزيل لسورة الفتح وما جرى في صلح الحديبيّة، وفي غزوة تبوك وما صاحبها من أحداث، وإجلاء بني النضير والحكم الذي نزل في بني قريظة كل ذلك يوضح السياسة الخارجية لدولة الخلافة. كما بيّنت لنا أسباب التنزيل كيف تعامل الرسول،ﷺ، بصفته رئيس دولة مع الأعراف الدولية فحطم منها ما تعارض مع مصلحة

---

(1) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي، ج1، ص58، مطبعة دار الكتب الحديثة، بالقاهرة، ط1، 1381هـ- 1961م.

(2) توفي الشيخ ابن عاشور سنة 1393هـ، وهذا القول أثبته في تفسيره التحرير والتنوير في المقدمة الخامسة من الجزء الأول، ص41، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1384هـ-1964م.

حمل الدعوة الإسلامية. وداس على ما وقف حاجزاً أمام الدولة الإسلامية في نشر الإسلام. وقد ظهر هذا جلياً فيما نزل بشأن سرية عبد الله بن جحش، وفي قطع الرسول ﷺ، لنخيل وشجر يهود بني النضير المحيط بديارهم.

ونظرة فاحصة وشاملة لأسباب التنزيل يزيدنا يقيناً أن عقيدتنا الإسلامية عقيدة روحية سياسية[1]، وأن عقيدة فصل الدين عن الحياة، والدين عن الدولة عقيدة كفر يبنى عليها نظام كفر فيجب محاربتها بكل طاقات المسلمين. وإنها أخطر عقيدة على الإسلام لأنه يمكن أن يدخل منها على المسلمين. فهي عقيدة المنافقين من أبناء جلدتنا فسمحوا للناس أن يؤدوا الصلاة، وزينوا لهم الربا والميسر والزنا والخنوع للكافر المستعمر تحت شعارات شتّى، وبألفاظ قد تنطلي على السذّج الذين أُفرغوا من ثقافتهم الإسلامية، وأبقوا على عقيدة روحية منفصلة كل الانفصال عن الحياة. فأسباب التنزيل ترينا أن الإسلام عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام لجميع نواحي الحياة. فهو ينظم علاقة الإنسان بربه كالعقائد والعبادات، وعلاقة الإنسان بنفسه كالمطعومات والملبوسات والأخلاق، وعلاقة

---

(١) النصرانية عقيدة روحية، والاشتراكية ومنها الشيوعية عقيدة سياسية، والرأسمالية عقيدة سياسية. والإسلام وحده عقيدة روحية سياسية.

والعقيدة الروحية هي أساس البحث عن رعاية شؤون الآخرة. ولا تشكل وجهة النظر في الحياة لأنها تتعلق بما قبل الحياة وما بعدها ولا علاقة لها بالحياة ولا يضيرها أن تطبق عليها أي عقيدة سياسية.

والعقيدة السياسية هي أساس البحث عن رعاية شؤون الدنيا. والإسلام وحده الذي يجمع بين العقيدتين الروحية والسياسية. ومقياسه في الحياة هو الحلال والحرام، وليس النفعية ولا التطور أو ما يسمى بالتقدمية. والمشكلة عند المسلمين تكمن في كون العقيدة عندهم لم تعد عقيدة سياسية، ولكنها ظلت عقيدة روحية. ووجهة النظر في الحياة وهي الحلال والحرام لم تعد موجودة في واقع الحياة. وإن كانت موجودة فردياً. وطريقة العلاج لا بد أن تبدأ بالعقيدة ببيان أنها عقيدة سياسية والتركيز على ذلك بشكل مؤثر. وأما الناحية الروحية التي فيها فهي معروفة عند الجميع، وكذلك بربط الناحية الروحية بالأفكار عن الحياة وبرعاية شؤون الدنيا متخذين مقياس الحلال والحرام أساساً في تصور الحياة وليست النفعية ولا التطور.

الإنسان بغيره كالعقوبات والمعاملات وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها كالسياسة الخارجية والمعاهدات. فقد جاء الوحي يعالج كل هذا وإلى يوم القيامة على نفس المستوى ومن مشكاة واحدة.

وهناك فوائد أخرى لأسباب التنزيل منها: أنها تيسر الحفظ وتساعد على تثبيت الآيات في ذهن القارئ أو السامع، إذا عرف سبب نزولها، لأن ربط الأسباب بالمسببات من شأنه أن يمكن العلم في القلوب. ويعين الأذهان على استظهار العلم، فضلاً عن ذلك فهي تدل على إعجاز القرآن من زاويتين:

الأولى: نزول بعض آي القرآن على حوادث، ووقائع معينة يقطع دعوى أن القرآن أساطير الأولين[1]، أو أنه من عند غير الله تعالى.

الثانية: أن مدار علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن[2] هو مقتضيات الأحوال وهي أسباب التنزيل نفسها.

القضية الثالثة: مناقشة بعض الفوائد المنسوبة لأسباب التنزيل

وفي هذا المقام يحسن بنا أن نقف عند بعض الفوائد التي ذكرها بعض العلماء ونناقشها من حيث كونها فوائد لأسباب التنزيل أم لا. وإليكها مع نقدها:

الفائدة الأولى: إن أسباب النزول تفيد وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم[3].

ولم يمثلوا لها بأي مثال. ومن المعروف أن تعبير "الحكمة" و"الباعث على تشريع الحكم" من مصطلحات علم أصول الفقه. ولها معان محددة، والأخير يعني العلّة. ولا

---

(1) أشار إلى هذه الأهمية ابن عاشور في تفسيره، ج١، ص٥٠، المقدمة الخامسة.

(2) ذكر هذه الفائدة الشاطبي في الموافقات، ج٣، ص٢٢٥.

(3) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج١، ص٢٢. و الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص٣٨. ومناهل العرفان للزرقاني، ج١، ص١٠٢. ومباحث في علوم القرآن لمناع القطّان، ص٧٩. وقد طبع ما يربو على عشرين مرة. مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده، ج٢، ص٣٤٩، وغيرها كثير.

تؤخذ العلّة إلاّ من نص شرعي، أي من وحي، وأسباب التنزيل هي حوادث وأسئلة من البشر وليست نصوصاً شرعية، وليست وحياً من عند الله. فكيف تؤخذ منها العلّة؟! أما الحكمة فهي مقصد الشارع ولا تؤخذ كذلك إلاّ من وحي. وهناك مقاصد عامة للقرآن الكريم، وأخرى خاصة ببعض الأحكام وردت نصوص بها. وبدون النصوص فإن البشر أعجز من أن يدركوا مقصد الله تعالى من تشريع حكم معيّن، فضلاً عن معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. وبمعنى آخر: لماذا شرّع الله هذا الحكم؟ أو ما هو الدافع للشارع من تشريع هذا الحكم؟

والمقصد العام من تنزيل القرآن يظهره قول الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾. **[الإسراء:٨٢]**.

والمقصد العام من بعثة سيدنا محمد، ﷺ، يوضحه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾. **[الأنبياء:١٠٧]**.

فهذه الآيات تدل على أن الشريعة جاءت رحمة للعباد. أي أن الحكمة من الشريعة هي رحمة الله لعباده. وهذا لا يعني أنها الباعث على تشريعها فلم تكن الرحمة هي الباعث على تنزيل الإسلام، وكون الشريعة رحمة هو غاية الشارع التي يهدف إليها من تشريع الشريعة، وليست السبب الذي من أجله شرّعت. وهذه النصوص لا تفيد العليّة وهي مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾. **[القصص: ٨]**. ولا يوجد أي نص من النصوص يدل على علّة تشريع الشريعة. والآيات دلّت على الغاية التي يمكن أن تنتج من إنزال الشريعة ولكنها لم تدل على الباعث على تشريع الحكم؟ ومثال آخر قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾. **[الذاريات]**. فهذا مقصد الشارع من خلق الجن والإنس، والمشاهد المحسوس أن كثيراً من الإنس لا يعبدون الله. وقال تعالى في شأن الحج: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾. **[الحج:٢٨]**. والمشاهد المحسوس أن أكثر الحجاج لا ينتفعون بشيء. وقال تعالى في شأن الخمر والميسر: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾. [المائدة: ٩١]. والمشاهد المحسوس أن كثيراً ممن يعاقرون الخمر متآلفون متحابون. وعليه فلا يصلح أن يجعل مقصد الشارع هذا باعثاً على تشريع الحكم. فلا يكون علّة له ولو جاز أن يكون مقصد الشارع في هذه الآيات باعثاً على تشريع الحكم، أي علّة لكان إيقاع العداوة والبغضاء علّة في تحريم الخمر والميسر، فإذا وجدت حُرِّما وإلاّ فلا. ولكان شهود المنافع هو علّة الحج، فإذا وجدت وجد الحج وإلاّ فلا وهكذا... وهذا غير صحيح.وعليه فالحكمة غير العلّة، والحكمة أي مقصد الشارع من الشريعة ككل، ومن الأحكام الجزئية قد يتحقق في الواقع وقد لا يتحقق، فهي من قبيل الإخبار من الله تعالى بأشياء لا بأحكام فتأخذ في النصوص الشرعية حكم القصص والأخبار والمواعظ والإرشاد، ولا يصح أن تكون غير ذلك. فلا تدخل في التشريع ولا في استنباط الأحكام ولا بوجه من الوجوه، نقول هذا في نصوص القرآن. فماذا نقول إذن في غير الوحي مما يصدر عن البشر من أقوال وأفعال كأسباب التنزيل، فهل تدل على حكمة الشارع أو على العلّة الباعثة على تشريع الحكم؟!! اللهم إني أبرأ إليك من هذا الزعم. وأسباب التنزيل تعد مناط الحكم أي الواقع الذي جاءت الآيات تعالجه. فلا تَرِدُ أن تكون حكمة ولا علّة. وبذلك تسقط دعوى هذه الفائدة المنسوبة لأسباب التنزيل.

الفائدة الثانية: (دفع توهم الحصر عمّا يفيد بظاهره الحصر)(١).

وقد مثلوا كلهم لهذه الفائدة بنفس المثال، وهو قول الشافعي كما رواه صاحب البرهان: (قال الشافعيّ ما معناه في معنى قوله تعالى:﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا

(١) انظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص٢٣. والاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج١، ص٣٩. مباحث في علوم القرآن، د. قصبي زلط، ص٦١، طبعة دار القلم، دولة الإمارات العربية، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م. أسباب النزول عند الصحابة والمفسرين، لعبد الفتاح القاضي، ص٨، طبعة دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م. وغيرها.

عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾. **[الأنعام]**. إن الكفار لما حرَّموا ما أحلّ الله، وأحلوا ما حرّم الله، وكانوا على المضادّة والمحادّةِ جاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلاّ ما حرّمتموه، ولا حرامَ إلاّ ما أَحلَلْتموه، نازلاً منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فيقول: لا آكل اليوم إلاّ الحلاوة، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال: لا حرام إلاّ ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، ولم يقصد ما وراءه، إذ القصد بإثبات التحريم لا إثبات الحلال.

وقال إمام الحرمين: (وهذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعيّ إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية. وهذا قد يكون من الشافعيّ أجراه مجرى التأويل)(١).

هذه هي عبارة الزركشي، ونظرة فاحصة في العبارة تجد أن الشافعيّ لم يذكر قوله هذا على أنه سبب نزول للآية؛ وإنما هو تفسير (قال الشافعيّ ما معناه في معنى قوله تعالى) وقال إمام الحرمين: (وهذا قد يكون من الشافعيّ أجراه مجرى التأويل). وموضوع البحث هو في فوائد أسباب التنزيل. وعليه فالتمثيل لهذه الفائدة لا يعتد به لعدم صحة المثال، ولعدم وجود مثال آخر عليه. وقد اطلعت على ما يربو على عشرين تفسيراً من أمهات كتب التفسير فلم أعثر على سبب نزول لهذه الآية؛ هذا عدا عن الكتب المتخصصة في أسباب التنزيل(٢). فضلاً عن كتب للشافعيّ نفسه

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص٢٣، والاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج١، ص٣٩.

(٢) كتاب أسباب نزول القرآن، للواحدي. لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي. ومخطوط إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن، لعطية الله بن البرهان الأجهوري، ت١١٩٠هـ، ١٧٧٦م، ومخطوط العُجاب في الأسباب، لابن حجر العسقلاني، وغيرها.

كالرسالة والأم وما جمع عنه في التفسير وهو كتاب أحكام القرآن، وهذه الكتب مظنّة وجود رأي الشافعيّ فيها فلم أعثر على مثال آخر أو سبب نزول لهذه الآية. ولما كان هذا هو المثال الوحيد الذي ساقه من كَتَبَ في هذه المسألة فبالتالي تسقط دعوى القول بأن هذه من فوائد أسباب التنزيل.

وقال ابن العربي في أحكام القرآن رداً على أصحاب الشافعيّ: (الجواب الثاني: دعوى ورود الآية على سؤال لا يُقْبَلُ من غير نقل يعوّل عليه)[1]. وقال القرطبي: (وقيل إن الآية جواب لمن سأل عن شيء بعينه فوقع الجواب مخصوصاً. وهذا مذهب الشافعيّ. وقد روى الشافعيّ عن سعيد بن جبير أنه قال: في هذه الآية أشياء سألوا عنها رسول الله، ﷺ، فأجابهم عن المحرمات من تلك الأشياء).[2] ثم عقب بعد المناقشة فقال: (والحصر فيها ظاهر فالأخذ به أولى).[3] ونفيد من مناقشة ابن العربي والقرطبي أن الآية لم تنزل جواباً عن سؤال معين. أي أنه ليس لها سبب نزول خاص بها. وقد تعقبْت الرواية المنسوبة للشافعيّ عن سعيد بن جبير (كما روى القرطبي) في ما جُمعَ من تفسير سعيد بن جبير فلم أعثر لسعيد بن جبير على قول في هذه الآية. وإذا أنعمنا النظر في الآية وما قبلها وما بعدها نجد أن الآيات١٤٢-١٤٧ تبحث في موضوع واحد، فهي تهدم التشريعات الجاهلية بشأن المأكولات من الذبائح وتبيّن فساد الحكم وفساد المعتقد، وتوضح تشريع الإسلام الذي يجب أن يحل محل ذلك التشريع الفاسد المبني على الأهواء، قال الفخر الرازي: (اعلم أنه تعالى لما بيّن فساد طريقة أهل الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطعومات أتبعه بالبيان الصحيح في

---

(١) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ج٢، ص٧٥٨، تحقيق علي محمد البجاوي، ط٢، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، م٧، ص١١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، م٧، ص١١٧، مصورة عن طبعة ١٩٥٢، مصحح الطبعة أحمد عبد العليم البردوني.

هذا الباب فقال الآية...)[1] وعليه تكون الآية قد وصفت ما عليه مجتمع قريش بشأن الذبائح ولا يوجد سبب خاص نزلت بشأنه.

وإذا علمنا أن الآيات مكية وقد نزلت جملة واحدة في السنة الخامسة للبعثة، ولم تثبت رواية تسند لها سبب نزول تأكدنا من صحة قولنا أنها جاءت ابتداء لتهدم مفاهيم الجاهلية وتحطمها وتبيّن عوارها بشأن المطعومات من الذبائح.

وأما قول الشافعي، رحمه الله، إن صحّ عنه (فهي سبيل المضادّة والمحادّة) فهو فهم لمعنى الآية خاص به ولا يعدّ حجة في موضوعنا، وهو قول يقال عن البشر، وقياساً على العقل البشري، أما عن الخالق فلا يقبل إلاّ بدليل من الله تعالى. وأكثر العلماء على غير رأيه كما هو مثبت في كتب التفسير المختلفة. عدا عن أن هذه المقولة تُخرج اللغة العربية عمّا وضعت له. فهذا أسلوب من أساليب القصر بالنفي والاستثناء فهو يفيد الحصر، ولا يجوز أن يخرج عن معناه إلاّ بقرينة ترد في النص. وقد ورد القصر في سورة البقرة بإنما وهي مدنية متأخرة في النزول قال تعالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾. **[البقرة:١٧٣]**.

وخلاصة القول إن هذه الفائدة المنسوبة إلى أسباب التنزيل دعوى ينقصها الدليل فلا يؤخذ بها.

الفائدة الثالثة: "تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ"[2].

إن أهم كتب علوم القرآن التي هي بين أيدينا هي البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومناهل العرفان لعبد العظيم

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ج١٣، ص٢١٩، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص٢٢، الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج١، ص٣٨. مناهل العرفان للزرقاني، ج١، ص١٠٥. أسباب نزول القرآن، د. حمّاد عبد الخالق حلوة، ج١، ص١.

الزرقاني. وكلها ترى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتُخَطِّئُ من يقول بأن العبرة بخصوص السبب ولا يتعداه إلاّ بقرينة القياس، أو بالحديث الشريف "حكمي على الواحد حكمي على الجماعة"[1]. ومع ذلك تجدهم يتصيّدون فوائد لأسباب التنزيل من أجل آراء المخالفين لرأيهم مبالغين في الرد على من قال إنه لا فائدة في أسباب النزول لجريانها مجرى التاريخ. فَذِكْرُ هذه الفائدة مع قناعتهم بعدم صحة أساسها أمر غير مقبول. فضلاً عن أن بحث هذه المسألة في مكانها المناسب (وهو أصول الفقه) أولى. وقد كانوا بغنى عن ذكر هذه الفائدة في هذا المقام. وعليه فلا وجه لذكر هذه الفائدة لأسباب التنزيل لأنها قاعدة أصولية من جهة، ولأن القائلين بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب يُخَطِّئون القول بأن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ[2].

الفائدة الربعة: (معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إلاّ إذا ورد مخصصاً لها)[3].

وهذه الفائدة من القواعد التي يجمع عليها مَنْ يعتد برأيهم في أصول الفقه، وهي متفق عليها عند الجمهور. وقد ذكر الإجماع علماء علوم القرآن الثلاثة. وهي صحيحة ولا كلام عليها. وقد أوردها علماء الأصول في كتبهم كالآمدي والشاطبي

(١) الحديث هذا لا أصل له كما قال نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالمُلاّ علي القاري، المتوفي ١٠١٤هـ، في كتاب الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، ص١١٤، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول وقال: (لا أصل له كما قال العراقي، وأنكره المزيّ والذهبي أيضاً، وقال الزركشي: لا يعرف) قول الزركشي هذا في كتاب الدرر كما قال العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٣٦٤. وإن كان هذا الحديث موضوعاً إلاّ أن معناه قد صحت فيه أحاديث أخرى ليس هنا مجال بحثها.

(٢) انظر في هذه الرسالة عموم لفظ الآية وخصوص سببها.

(٣) انظر البرهان للزركشي، ص٢٢، ج١. الاتقان للسيوطي، ص٣٨، ج١. مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده، ج٢، ص٣٥٠.

وغيرهم كثير. غير أن هذه الفائدة محلها قواعد أصول الفقه وليست في أسباب التنزيل. فهي قاعدة أصولية تتعلق بروايات أسباب التنزيل. لذلك لا أرى أن تدرج هذه القاعدة هنا كفائدة، ويكتفى بموضوعها في علم أصول الفقه. فهي صحيحة من حيث كونها قاعدة أصولية، وتتعلق بأصول الفقه، ولا يعدّ وجودها في فوائد أسباب التنزيل صحيحاً.

تنبيه: إن القواعد الأصولية تلزم للمجتهد الذي يريد استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الشرعية. والمفسر يحتاج إلى روايات أسباب التنزيل ليوضح معاني الألفاظ في القرآن الكريم. وإن كان ليس كل مفسر مجتهداً إلا أن المفسر يحتاج كذلك إلى القواعد الأصولية لفهم معنى النص القرآني وخاصة موضوع الدلالات.

التمهيد

وفيه مبحثان:

الأول: بعض جهود القدماء في هذا الفن.

الثاني: بعض جهود المعاصرين في هذه المسألة.

المبحث الأول

بعض جهود القدماء في هذا الفن

يُعدُّ علي بن المديني شيخ البخاري المتوفى سنة ٢٣٤هـ [(١)] أول من دون كتاباً في هذا العلم. ولم يعثر على مؤلفه حتى الآن. ومن أشهر المصنفات التي وصلتنا كتاب الواحدي[(٢)] المتوفى سنة ٤٦٨هـ: أسباب نزول القرآن. ثم جاء برهان الدين الجعبري[(٣)] فاختصره وحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً. وممن أفرده بالتصنيف كذلك أبو الفرج- ابن الجوزي[(٤)]- المتوفى سنة ٥٩٧هـ. وسماه (أسباب نزول القرآن). ثم جاء ابن حجر العسقلاني[(٥)]، المتوفى ٨٥٣هـ، فشرع في تأليف كتاب سمّاه (العُجاب

---

(١) هو علي بن عبد الله بن جعفر السعدي، شيخ البخاري، ولد سنة ١٦١هـ ٧٧٨م وتوفي سنة ٢٣٤هـ ٨٤٨م، بصري، معروف بأبي الحسن بن المديني. محدث حافظ. انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ج٧ ص١٣٢.

(٢) أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ت٤٦٨هـ ١٠٧٦م، من نيسابور، لغوي، اخباري، مفسر، صاحب كتاب أسباب نزول القرآن. استاذه الثعلبي صاحب الكشف والبيان. انظر معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ج٧، ص٢٦.

(٣) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، من مدينة الخليل المعروفة بفلسطين، ويقال له ابن السراج. واشتهر بالجعبري (تقي الدين، برهان الدين، أبو العباس) ولد سنة ٦٤٠هـ ١٢٤٢م وتوفي ٧٣٢هـ ١٣٣٢م صاحب مختصر أسباب النزول للواحدي، انظر معجم المؤلفين، ج١، ص٦٩. وكتابه مخطوط بدار الكتب القومية بالقاهرة.

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد، معروف بابن الجوزي، (جمال الدين، أبو الفرج)، ولد ببغداد، سنة ٥١٠هـ- ١١١٤م، وتوفي ٥٩٧هـ ١٢٠١م، محدث، حافظ، مفسر، انظر معجم المؤلفين ج٥، ص١٥٧.

(٥) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني. مصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، ولد ٧٧٣هـ١٣٧٢م. وتوفى سنة ٨٥٢هـ ١٤٤٩م، ومشهور بابن حجر (شهاب الدين، أبو =

في بيان الأسباب). وقد مات عنه مسودة ولم يكمله فقد بلغ لنهاية قوله تعالى:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾.**[النساء:٧٨]**.

ثم جاء جلال الدين عبد الرحمن السيوطي[١] المتوفى سنة ٩١١هـ. وجمع كتابه (لباب النقول في أسباب النزول). وكذلك ابن عطية الأجهوري[٢] المتوفى سنة ١١٩٠هـ. خط مخطوطة في ذلك سماها (إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن). والكل عالة على كتاب الواحدي بلا ريب. وسأتحدث عن بعض هذه المصنفات المطبوعة والمخطوطة.

١. كتاب الواحدي: أسباب نزول القرآن.

وهو أهم كتاب متخصص بروايات أسباب التنزيل، وأقدمها تاريخاً مما وصل إلينا. ويمتاز أنه يذكر أسانيد روايات لأسباب التنزيل. ويمكن تسجيل الملحوظات الآتية عليه:

١. ذكر الواحدي أنه جمع روايات أسباب النزول في كتابه فقال بعد الديباجة: (ثم نفرغ للقول مفصلاً في سبب نزول كل آية روي لها سبب مقول، مروي منقول)[٣]. وهذا أوقعه في جمع الغث والسمين. وقد يفهم من عبارته (روي لها سبب مقول): إنه ذكر الروايات التي أوردها القصصيون والإخباريون دون إسناد وهذا يتجلى في

=الفضل)، محدث، مؤرخ، أشهر كتبه، فتح الباري شرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة. انظر معجم المؤلفين، رضا كحالة، ج٢، ص٢٠.

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، مصري، مشهور (بجلال الدين أبو الفضل) ولد ٨٤٩هـ ١٤٤٥م، وتوفي سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م، نافت مؤلفاته عن الخمسمئة، انظر معجم المؤلفين.

(٢) هو عطية بن الأجهوري الشافعي البرهاني الضرير، ت١١٩٠هـ ١٧٧٦م، مشارك في الحديث والأصول، والتفسير، انظر معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ج٦، ص٢٨٧. وقد قرأت مخطوطه كاملاً من دار الكتب القومية بالقاهرة.

(٣) أسباب النزول، للواحدي، ص٦، طبعة دار القبلة، تحقيق سيّد أحمد صقر.

قوله: قال الضحاك، قال الكلبي، قال مقاتل، قال السدي... إلخ[1]. وقد يفهم من قوله (مروي منقول): ما ذكره من الروايات مشفوعة بالسند- وإن لم يكن السند صحيحاً- لا سيما أن الواحدي قليل البضاعة في الحديث كأستاذه الثعلبي، وهو غني بالقصص والتاريخ. وبتحقيق الأسانيد يمكن تمييز الصحيح من السقيم، والخبيث من الطيب.

٢. الكتاب يعج بالأخطاء في النقل والطبع فجاء الأستاذ سيّد صقر- جزاه الله خيراً- وحققه، وخرّج بعض أحاديثه ولكنه لم يحكم على الروايات. فالكمال لله وحده، ومن الأمثلة على الأخطاء ص٣ في المقدمة بعد الحمد لله (ومرسل الهباب)، والصواب (ومرسي الهضاب)، وفي الصفحة نفسها (يزيد بن أبي كثير)، والصواب: (يزيد بن أبي بكير). وفي ص٤٢ (عمرو بن الحسين) والصواب: (عمرو بن حُبْشي). وفي ص١٧٦ (وأخبرني الساهر... عن القاسم بن نجيد)، والصواب: (وأخبرني الشريف... عن القاسم بن مخيمرة). وفي ص٢٥٠ (فقال نبي الله اجلسوا على الركب)، والصواب: (احبسوا عليّ الرُّكب)[2].

٣. إن حقيقة تأثر الواحدي بأستاذه الثعلبي، ونقله عنه الروايات غير المسندة تحتاج إلى إثبات، ولبيان الحقيقة أقول: لقد ورد في أسباب نزول الآية التاسعة عشرة من سورة الأنفال ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ ما نصه: (وقال السدّي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ، من مكة أخذوا بأستار الكعبة

---

(١) انظر على سبيل المثال: ص١٩، ما قاله في آية ٦ من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾. وفي آية ٢٦ من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾، وفي الآية ٧٥ من سورة البقرة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ وهذا تجده بكثرة في كتابه من أوله إلى آخر.

(٢) انظر ما جمعه د. سيد أحمد صقر من أخطاء مصححة ذكرها على سبيل المثال من ص٣٤-٣٧، وليست على سبيل الحصر.

وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين، فأنزل الله هذه الآية.

وقال عكرمة: قال المشركون: اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ﴾ الآية، وردت الروايتان بالترتيب عند الواحدي[1]. وبالرجوع إلى تفسير الطبري- حيث كان سابقاً للواحدي وجدنا النص الآتي: (حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن الفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي قال: كان المشركون حيث خرجوا إلى النبي،ﷺ، من مكة، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله، وقالوا: اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين، فقال الله ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ﴾ يقول: نصرت ما قلتم وهو محمد،ﷺ، [2]، وبالموازنة بين النصين نجد أن الواحدي لم يأخذ من الطبري، وإن كان التشابه موجوداً بين النصين؛ وذلك لاختلاف النصين: (أعلى الجندين، وأعز الجندين)، و(أكرم الحزبين، وأكرم الفئتين) و(وأهدى الحزبين، وحذفها من الثاني) و(أفضل الدينيْن، وخير القبلتيْن) و(فأنزل الله، وقال الله). وأخيراً ذكر الواحدي الرواية عن السدّي والكلبي دون أن يذكر السند، وقام الطبري كعادته بذكر السند إلى السدّي فقط.

وقد قام سيد صقر بتخريج الروايتين فذكر موقعهما في تفسيري البغوي والخازن.

---

(١) أسباب نزول القرآن للوحدي. انظر طبعة مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٩٦٨م، ص١٥٧، وطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٨م، ط٢، ص١٣٤. وطبعة عالم الكتب وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة، ص١٧٥، توزيع مكتبة المثنى، بالقاهرة، ومكتبة سعد الدين بدمشق. بالإضافة إلى طبعة دار القبلة بالرياض، تحقيق سيّد صقر، ص٢٣١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج٩، ص٢٠٨، م٦، طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

وقوله صحيح فقد وَجدْت الروايتين تامتين وبنفس النص[١]. كما قال الواحدي غير أن الخازن قدّم الثانية وأخّر الأولى في الذكر. وهذا التخريج من سيّد صقر تنقصه الدقة لأن البغوي والخازن كلاهما متأخر عن الواحدي، فلا يعقل أن يكون المتقدم أخذ عن المتأخر والعكس هو الصحيح. وعند الرجوع إلى مخطوط الكشف والبيان للثعلبي[٢]، وجدنا نفس النص ونفس الترتيب ونفس الرواة وبدون إسناد. وهذا يعزز الحقيقة القائلة بتأثر الواحدي بأستاذه الثعلبي.

والواحدي ينقل عن أستاذه الثعلبي كثيراً[٣]. وكذلك نقل عنه في سبب نزول آية الحجر ٨٧ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ رواية حدثت بالمدينة مع أن السورة والآية قطعاً نزلتا بمكة. وحاول الثعلبي التدليل على صحتها بنص الآية التي وردت بعدها، مع أن الاستدلال يبقى ضعيفاً لنزول النص قبل وقوع ما زعم

---

(١) تفسير البغوي المسمى: (معالم التنزيل، طبعة دار المعرفة، بيروت، تحقيق خالد العك ومروان سوار ج٢، ص٢٣٩، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م. وتفسير الخازن المسمى: (لباب التأويل في معاني التنزيل)، لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن ص١٨٦، ج٢، وبهامشه تفسير النسفي، طبعة دار الكتب العربية.

(٢) مخطوط بدار الكتب القومية بالقاهرة، تحت رقم ٢٥٦ تفسير. وتوجد نسخة أخرى بمكتبة الأسد بدمشق، ص١٦٨، ج٣، برقم ٧٨٨١. وقد حصلت على نسخة من هذا المخطوط بمكتبتي الخاصة.

(٣) ومثال آخر ما ذكره الواحدي في سبب نزول آية ٣٣ من سورة النور ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾. وقال مقاتل: نزلت في ست جوار لعبد الله بن أبي كان يكرههن على الزنا ويأخذن أجورهن.. الواحدي، ص٣٣٩، وعن الزهري أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر، وكان عند عبد الله بن أبي أسيراً، و كان لعبد الله جارية يقال لها معاذه، وكان القرشي الأسير يراودها عن نفسها، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي..ص٣٤٠. وهي الروايات نفسها التي وردت في الكشف والبيان للثعلبي ص١٣٧، ص١٣٨، ج٣، نسخة مكتبة الأسد برقم ٧٨٨١.

أنه سبب بسنوات كثيرة، والقصة هي: (قال الحسين بن الفضل: إن سبع قوافل وافت بصرى، واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البز وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها في سبيل الله. فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل. ويدل على صحة هذا قوله تعالى على إثرها[1] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾.[**الحجر: ٨٨**].

٤. ذكر الواحدي في ديباجته أنه لا يحل القول في أسباب النزول إلاّ بالرواية والسماع، وقد حوى كتابه روايات دون إسناد. فيكون قد وقع في المحظور الذي حذّر منه. وانظر على سبيل المثال ص١٩٣، قال ابن عباس، قال الكلبي، قال السدّي وقال آخرون... في أسباب نزول الآيات ٥٧، ٥٨ من سورة المائدة. ولا تكاد تخلو صفحة من هذه النقول غير المسندة. وربما يكون الواحدي يرى أن ما نقله عن أستاذه الثعلبي (وهو يثق به كثيراً) من الروايات صحيحة، فهذا العذر إن قُبل منه فإنه يدرأ عنه الإثم ولكن لا يعفيه من الجهل في هذه الجزئية.

٥. حوى الكتاب روايات تفسيرية وليست أسباباً للتنزيل ويمكن تمييزها بسهولة فمثلاً ذكر في سبب نزول آية٤٥: البقرة: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: (عند أكثر أهل العلم: إن هذه الآية خطاب لأهل مكة، وهو مع ذلك أدب لجميع العباد، وقال بعضهم: رجع بهذا الخطاب إلى خطاب المسلمين، والقول الأول أظهر[2]. ومثله ما ذكره في سبب نزول سورة الفيل في أنها نزلت في قصة أصحاب الفيل[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٨٢. ومخطوط الكشف والبيان، للثعلبي، ج٣، ص٢٢١ب، مكتبة دار الكتب القومية، بالقاهرة، تفسير ٧٩٧.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٢، طبعة دار القبلة، تحقيق سيد صقر.

(٣) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥٠٠، طبعة دار القبلة، تحقيق سيد صقر.

٦. اشتمل الكتاب على روايات إسرائيلية تفوح منها ظاهرة الوضع وتجد ذلك في مواطن متعددة، منها ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾. **[البقرة: ١٠٢]**[(١)]

وخلاصة الخرافة: أن سيدنا سليمان دفن تحت كرسيه كذب الشياطين، وبعد موته عليه السلام دلّ الشيطان الناس على مكان هذا السحر. وكذلك الحوار الذي جرى بين سيدنا سليمان وبين شجرة الخرنوبة إلى غير ذلك من الخرافات الإسرائيلية[(٢)].

وانظر إلى ما أورده في سبب نزول قوله تعالى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾. **[الأعراف:١٧٥]**. وفحوى القصة: أن رجلاً من مدينة الجبارين أُعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها، وكانت له امرأة جميلة طلبت من زوجها الدعوات المستجابة الثلاثة وهي: أن تكون المرأة أجمل نساء بني إسرائيل، ثم مسخت كلبة لأنها نقضت العهد، ثم أعادها. وهي المرأة التي يضرب بها المثل "أشأم من البسوس".

٧. ترى سند سلسلة الكذب في روايات الواحدي وهو محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. قال ابن حجر: (ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس التفسير المنسوب لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي، إنه يرويه عن أبي صالح مولى أم هانيء، عن ابن عباس. والكلبي اتهموه بالكذب، وقد مرض فقال

---

(١) وانظر القصة ص٢٩- ص٣١، من أسباب نزول القرآن للواحدي.

(٢) انظر القصة الواردة في ص٢٢٢- ص٢٢٤، من أسباب نزول القرآن للواحدي بشأن قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾. **[الأعراف:١٧٥]**. وانظر ما قيل في سبب نزول آية ٢٦٠ من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ص٧٩ وما بعدها.

لأصحابه في مرضه كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب. ومع ضعف الكلبي فقد روى عن تفسيره مثله أو أشدّ ضعفاً وهو محمد بن مروان السدّي الصغير، ورواه عن محمد بن مروان مثله أو أشد ضعفاً وهو صالح بن محمد الترمذي)[(١)].

كما أورد الواحدي أسانيد منقطعة منها: رواية عطاء عن ابن عباس والمقصود بعطاء في سوى الزهراوين عطاء الخراساني. وهو لم يسمع من ابن عباس. قال ابن حجر: (ومن طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس) لكن بما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وما عدا ذلك يكون عطاء هو: الخراساني وهو لم يسمع من ابن عباس، فيكون منقطعاً)[(٢)]. ومن أمثلة هذا الانقطاع ما ذكره الواحدي في سبب نزول الآية ٥٨ من سورة الأحزاب ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ ص٣٨٢، وانظر ص٣٤٧ السند الذي ذكره في سبب نزول الآية ٢٧ من سورة الفرقان ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[(٣)].

ومن الأسانيد الواهية التي استعملها الواحدي كذلك: (جويبر بن سعيد الضحاك عن ابن عباس. قال ابن حجر؛ ومنهم (أي الضعفاء) جويبر بن سعيد. وهو

---

(١) انظر مقدمة مخطوط العجاب في الأسباب، لابن حجر، ص٤. وانظر مقدمة أسباب نزول القرآن للواحدي، من تقديم سيد صقر، ص٢٥. ومن هذه الأمثلة ما ذكره الواحدي ص٢٠ في سبب نزول آية ١٤ من سورة البقرة، والآية ٤٤ من السورة نفسها، ص٢٢، والآية ٧٩ من نفس السورة، ص٢٤، ص٢٧٦، والآية ١٣ من سورة الرعد. وغيرها كثير.

(٢) انظر مقدمة مخطوط العجاب في الأسباب، لابن حجر، ص٤، وانظر مقدمة أسباب نزول القرآن للواحدي، من تقديم سيد صقر، ص٢٥.

(٣) وانظر ص٢٩٧، من أسباب نزول القرآن للواحدي، في الآية ٧٣ من سورة الإسراء: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾. وانظر ص٢٤٤، في سبب نزول الآية ٣٤ من سورة التوبة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾. وانظر رواية سبب نزول الآيات ٦٨-٧٠ من سورة الفرقان، ص٣٤٩، ففي إحدى الروايات عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس...الخ.

واهٍ. روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم وهو صدوق عن ابن عباس، ولم يسمع منه شيئاً) [١].

ومن أمثلة ذلك عنده: سند رواية سبب نزول الآية ٢٨ من سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾: عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس[٢]. ومنه سند سبب نزول الآية ١٠ من سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾الآية: حدثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس[٣]: ومختصر الخرافة العجيبة أن جبريل عليه السلام ذاب حتى صار مثل الهُرَدَة[٤] أي العدسة. وذلك لأنه فتح باب من السماء لأول مرة خشي جبريل من ذلك أن ينزل العذاب بقوم محمد، ﷺ،...الخ.

ومن الأسانيد المشهورة ما نقله عن مقاتل بن سليمان الذي قال فيه الشافعي: مقاتل قاتله الله لأنه كان يقول بالتجسيم بالإضافة إلى نقله الإسرائيليات[٥].

وأكتفي بذكر هذا القدر من الأسانيد التي لا يعتد بها، وقد أكثر منها الواحدي، وبقية الأسانيد ذكرها مفصلة ابن حجر في مخطوطه العجاب في الأسباب، كما أشرنا

---

(١) مخطوط العُجاب في الأسباب، ص٥.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٠٧، طبعة دار القبلة.

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٤٥، ٣٤٦، طبعة دار القبلة.

(٤) الهُرَدَة: هَرَتَ وهَرَدَ الثوب هَرْداً وهَرَتَهُ هَرْتاً: شقّة، وهَرَدَ اللحم: انشوى. انظر ص١٦٧، ج١، كتاب الأفعال للمعافري السرقسطي، تحقيق د. حسين شرف، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٥م.

العدسة: داء بثرة تخرج بالإنسان وربما قتلته، ص٢٣٧، ج١، ديوان الأدب للفارابي، تحقيق د. أحمد مختار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٧م.

(٥) ومما نقله عن مقاتل، انظر ص٢٥، سبب نزول الآية ٧٥ من سورة البقرة﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ الآية، وانظر ص٢٨، ص١٠٤، وص ١١٣، وص ١٢٨، وص١٤٤.. إلخ. ومن الجدير بالذكر أنه ينقل عن مقاتل دون ذكر أي سند ويكتفي بالقول قال مقاتل وكأنه أمر مسلم.

سابقاً، ونقلها سيد صقر في مقدمة كتابه تحقيق أسباب النزول للواحدي، فليرجع إليه من شاء المزيد.

هذه أهم الملحوظات التي تظهر لدى المدقق في قراءة هذا الكتاب. وقد أعذر سيد صقر، محقق الكتاب، كلاً من الواحدي وأستاذه الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ، رواية الأحاديث الغريبة المريبة لمشاركة جمهرة المفسرين بنقلها. وقال: إن المشكلة أقوى من الجميع، وشبه الأحاديث المدخولة لكثرتها بالغابة الكثيفة التي لا يقوى على الضرب بها إلاّ أولو العزم من العلماء وقليل ما هم[١]. وخلاصة القول إن كتاب الواحدي هذا يعد أحسن كتاب في أسباب التنزيل، على الرغم من أن جل رواياته لا تصلح أن تكون سبباً للتنزيل، ويمكن الاستفادة بِقِسْمٍ منها في باب التفسير[٢].

٢. مخطوط العجاب في بيان الأسباب[٣] لأحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

وهو مخطوط كبير يقع في صفحتين وأربعمائة صفحة. موجود في خزانة ابن يوسف العمومية بمراكش رقم ٢٥٨، وهي نسخة قديمة ناقصة البسملة وجزء من الديباجة من أولها. والخط جزء منه بيد المؤلف، والباقي بخط عالم اسمه كمال الدين، ولم يوضح بقية الاسم. وقال الناسخ: (وكان الفراغ من كتابة ذلك في الليلة المسفر صباحها عن السادس من شهر شوال المبارك سنة تسع وثمانين وثمانمائة). أي بعد وفاة المؤلف بسبع وثلاثين سنة. والكتاب ذكر فيه الروايات التي ذكرها الواحدي أولاً

---

(١) انظر ص٣٢، من مقدمة كتاب أسباب نزول القرآن للواحدي، وهي لسيد صقر.

(٢) هذه النتيجة توصلت إليها بعد الدراسة والبحث والمقارنة، وبعد قياس رواياته على الأطر التي لا بد منها لاعتماد صحة الرواية. وقد أثبتها في المبحث الثالث من الفصل الأول في هذا البحث.

(٣) انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ص٣٤٩ ج٢. وانظر هدية العارفين ص١٢٨، ص١٢٩.

ثم يعلق عليها المؤلف. هذا وقد جعل المؤلف فصلاً جامعاً في مقدمة المخطوط بيَّن فيه حال من نقل عنه التفسير من التابعين، ومن بعدهم ليغني عن التكرار، ثم بدأ بالفاتحة، وسورة البقرة وآل عمران والنساء وقد توفي ولم يكملها. وقد بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾.[الآية:٧٨]. وكان الرجل ينوي إكماله بدليل أنه في أثناء المخطوط تجده يقول سيأتي الأثر أتم منه في سورة سبحان، وقال سيأتي في سورة القمر... إلخ. ولمزيد من الفائدة اقتطع جزءاً من مقدمته مما له علاقة بإعطاء صورة عن المخطوط فقال عن كتاب أسباب النزول للواحدي:

(فوجدته رحمه الله قد وقع في ما عاب من إيراد كثير من ذلك بغير إسناد مع تصريحه بالمنع إلاّ فيما كان بالرواية والسماع. وفيما أورده بالرواية والسماع ما لا يثبت لوهاء بعض رواته، ثم ما اقتضاه كلامه أن الممنوع أن يساق الخبر من غير رواته دون استيثاق برواية أو سماع لا يكون فيه ذلك ليس بمسلم طرداً ولا عكساً، بل المحذور أن يكون الخبر من رواته من لا يوثق به سواء ساق المصنف سنده أم لم يسقه. فكم من سند موصول من رواية كذاب أو متروك، أو فاحش الغلط، وكم من خبر يذكر بغير إسناد وينبه على أنه من مصنف فلان مثلاً سند قوي. أفيرتاب من له معرفة أن الاعتماد على الثاني هو الذي يتعين قبوله. أوشك عالم أن الاعتماد على الأول هو الذي يتعين اجتنابه. ثم إن ظاهر كلامه أنه استوعب ما تصدى له وقد فاته منه شيء كثير. ولما رأيت الناس قد عكفوا على كتابه، وسلموا له الاستبداد بهذا الفن من فحوى خطابه تتبعته مع تلخيص كلامه ما فاته محذوف الأسانيد غالباً، لكن مع بيان حال ذلك الحديث من الصحة والحسن والضعف والوهاء، وقصد النصح للمسلمين وذباً عن حديث سيد المرسلين ولا سيما فيما يتعلق بالكتاب المبين فأبدأ غالباً بكلام الواحدي، ثم بما استفدته من كلام الجعبري، ثم بما التقطته من كتب غيرهما من

أرباب التفاسير، وكتب المغازي، وكتب المسانيد والسنن وغير ذلك من الأجزاء[1]. ناسباً كل رواية لراويها، وكل مقالة لمخرجها. ثم لا أذكر من الزيادات إلا ما هو سبب نزول بادي الرأي لا ما يكون من هذا القبيل بضرب من التأويل. وقد أورد الواحدي من ذلك أشياء ليست بكثيرة فلم أحذف منها شيئاً بل جعلت علامة ما أزيده (ز) تكتب على أول القول. وأما ما أزيده في أثناء كلامه فهو بغير علامة، لكن ربما عرف إذا كان في صورة الاعتراض مثلاً، وقبل الخوض في المقصود أقدم فصلاً جامعاً لبيان حال من نقلت عنه التفسير من التابعين ومن بعدهم يغني عن التكرار)[2].

والمخطوط لو قدر له أن يتم لجاء سفراً ضخماً، فقد أكثر من ذكر روايات في أسباب التنزيل لم يذكرها الواحدي. ففي سورة البقرة مثلاً ذكر الواحدي تسعاً وعشرين آية لها سبب نزول، لغاية آية ١٥٣، في حين ذكر ابن حجر أربعاً وستين آية.

---

(١) **المسانيد:** هي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها بأن جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة مثل مسند أحمد بن حنبل: **السنن:** هي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها مرتبة على الأبواب الفقهية وتشتمل على الأحاديث المرفوعة فقط. وليس فيها شيئاً من الموقوف أو المقطوع لأن هذا لا يسمى سنة في اصطلاحهم ويسمى حديثاً مثل سنن الترمذي والنسائي والشافعي وغيرها. **الأجزاء:** جمع جزء، وهو الجزء الحديثي في اصطلاح المحدثين يعني كتاباً صغيراً يشتمل على أحد أمرين: إما جمع الأحاديث المروية عن و احد من الصحابة، أو من بعدهم، وإما جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد على سبيل البسط والاستقصاء مثل جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري، وجزء القراءة خلف الإمام له أيضاً. انظر هذه التعريفات **في الرسالة المستطرفة للكتاني. وكتاب أصول التخريج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان الصفحات** ص٤٠، ص١٣٢، ص١٣٧ على التوالي.

(٢) مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر، ص٣ ب، ص٤أ من مقدمة المخطوط. وتوجد صورة عن المخطوط في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وقد حصلت على صورة عنها واقتنيها في مكتبتي الخاصة. وأما الفصل الجامع لبيان حال من نقل عنهم فقد سجله الدكتور صقر في مقدمته لكتاب الواحدي.

أي بزيادة ما يربو على الضعفين مما ذكره الواحدي. ومن هذا النموذج الإحصائي نرى أن ابن حجر قد خالف ما وعد به وهو أن لا يذكر من الروايات إلا ما هو سبب نزول لا ما يكون من هذا القبيل بضرب من التأويل. وقد كانت المخالفة منذ البداية ففي سورة البقرة في فاتحة السورة قال: ﴿الٓمٓ ١﴾ (قال شيخ شيوخنا أبو حيان في البحر، قال قوم:إن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن نزلت ليستغربوا ذلك فيفتحون لها أسماعهم يستمعون القرآن لتجب عليهم الحجة. قلت وقد حكى نحو ذلك أبو جعفر الطبري وتبعه ابن عطية حيث جمع الاختلاف في المراد بالحروف المقطعة أول السور.. قال مقاتل بن سليمان لما دعا النبي،ﷺ، كعب بن الأشرف وكعب بن أسد إلى الإسلام فقالا: ما أنزل الله تعالى من بعد موسى كتاباً أنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يعني هذا الكتاب الذي جحدتم نزوله لا ريب فيه أنه أنزل من عند الله تعالى على محمد. وقال الطبري يحتمل أن تكون الإشارة لما أنزله من قبل سورة البقرة، وقيل الإشارة إلى التوراة والإنجيل. وحكى ابن ظفر في تفسيره المسمى ينبوع الحياة ما نصه: قيل ذُكِرَ في كتب الله السالفة أن علامة القرآن الموعود بإنزاله أن في أوائل سور منه حروفاً غير منظومة فنزل القرآن كما قيل لهم وأشار بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ إلى ما وعدهم. وقال أبو جعفر بن الزبير: (يحتمل أنهم لما أمروا في الفاتحة أن يقولوا إهدنا الصراط المستقيم، سألوا ما السراط المستقيم؟ فقيل لهم ذلك: الصراط هو الكتاب لا ريب فيه) (١).

ولا يخفى ما نقله ابن حجر عن سبب نزول فاتحة سورة البقرة أنه ليس سبباً، وإنما هو من باب التفسير. وأدخل فيه علم مناسبة النزول أي الربط بين سورتي الفاتحة والبقرة على الرأي القائل إنَّ ترتيب سور القرآن توقيفي. وهذا جلي في قول شيخ شيوخه أبو حيان(لأن إعراض المشركين كان في مكة أكثر وضوحاً، وفاتحة سورة

---

(١) انظر مخطوط العُجاب في بيان الأسباب، لابن حجر، ص٧ أ، ب.

البقرة نزلت في المدينة). وفي قول أبي جعفر بن الزبير، وفي قول ابن ظفر. وأما رواية الطبري ومن تبعه كابن عطية فواضح أنها تفسير حيث جمع المراد بالحروف المقطعة. وكلمة (يحتمل) تدل قطعاً على أنها ليست سبباً في النزول. وإنما هو اجتهاده في علم المناسبة في ربط السور مع بعضها[1]. ومن الملحوظات التي يمكن تسجيلها على المخطوط بالإضافة إلى ما سبق:

---

(١) ملحوظة: لقد عاب على الواحدي لذكره روايات تفسيرية، ولكنه وقع فيما عاب به على الرجل. ومن الأمثلة على ذلك انظر ما قاله في سبب نزول الآية ١١ من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ الآية قال: قال الجمهور: (نزلت في الكفار وفسادهم بالكفر، وفي المنافقين وفسادهم بالمعصية، وأخرج الطبري عن سلمان قولاً آخر أنها لم يأت أصحابها بعد وفي سنده مقال) ص٨. مخطوط العجاب في الأسباب. وقال في سبب نزول آية٢١ من السورة نفسها﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ قال: (ساق الواحدي سنداً صحيحاً إلى الأعمش عن إبراهيم، هو النخعي عن علقمة هو ابن قيس أحد كبار التابعين، قال: كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي. وكل شيء نزل فيه يا أيها الذين آمنوا فهو مدني. قلت: وقد وصله بذكر ابن مسعود عن البزار والحاكم وابن مردويه، قال الواحدي: أراد أن يا أيها الناس خطاب لأهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة فقوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾خطاب لمشركي أهل مكة إلى قوله:﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾انتهى. وقال القرطبي: قال علقمة ومجاهد: كل آية أولها يا أيها الناس نزلت بمكة. وكل آية أولها يا أيها الذين آمنوا نزلت بالمدينة. وقال أبو حيان روي عن ابن عباس وعلقمة ومجاهد أنهم قالوا: كل شيء نزل فيه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهو مكي، وكل شيء نزل فيه﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ مدني. وحكى الماوردي في المراد بالناس هنا قولين: أحدهما أنه على العموم في أهل الكفر. قال وبه جزم مقاتل. والثاني: أنه على أعم من ذلك ويتناول المؤمنين أيضاً، والمطلوب منهم الدوام على ذلك انتهى. وما نقله عن مقاتل وجد في تفسيره رواية الهديل بن حكيم عنه ما يخالفه..). ص٩، ١٠، من مخطوط العجاب في الأسباب. وهكذا أضاف صفحة زيادة على هذه النقول في الموضوع نفسه. وما ساقه يغني عن التعليق. إن هذا كله ليس من أسباب النزول في شيء وإنما هو من باب التفسير. انظرص٩ب، ص١٠أ،ب من المخطوط.

١. أكثر نقول ابن حجر دون إسناد واكتفى بذكر الراوي، ويذكر مخرج الحديث ويعطي الحكم عليه، غير أن الملاحظ أنه يكثر من النقول عن مقاتل بن سليمان وما ورد في تفسيره، رغم أنه نقل في مقدمة المخطوط أنه من الضعفاء[1]. ولكن التفسير لهذه الظاهرة هو أن ابن حجر خلط كمن سبقه التفسير بأسباب التنزيل. ولا يخفى أن التفسير يجوز أن يؤخذ عن أمثال مقاتل فإنه له آراء جيدة في التفسير. ومثاله قوله في تفسير فاتحة سورة البقرة الوارد في الصفحة السابقة. أما أسباب التنزيل فلا يعتد إلا بما كان مرفوعاً أو في حكم المرفوع.

٢. لم يَسْلَمْ ابن حجر في مخطوطه من نقل الإسرائيليات التي لا ينبغي أن تخفى على أمثاله وعلى من دونه، بل ربما دافع عن صحة هذه الروايات كما فعل فيما نقل عن سبب نزول الآية ١٠٢ من سورة البقرة ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ فقد استمر ابن حجر بنفسه الطويل المعروف يذكر الروايات من ورقة ٢٥ حتى ورقة ٣٦ أي ما يقرب من اثنتين وعشرين صفحة، وذكر من أنكر هذه الروايات من العلماء ومنهم القاضي أبو بكر بي العربي في أحكام القرآن، وأبو محمد بن عطية في تفسيره. وأبو محمد بن حزم، والقاضي عياض في الشفا[2]، ورد على كل واحد منهم، بل تعجب من إنكارهم لهذه القصص مع أنهم ينتسبون للحديث ويسمى بعضهم بالحافظ. وملخص القصة: أن امرأة مسخت كوكباً في السماء، وهو المعروف بالزهرة، حيث أرسل الله ملكين هما: هاروت وماروت ليريا ما يفعل بنو آدم بعد أن احتجت الملائكة على الله لخلق آدم واستخلافه في الأرض بعد المعصية، ومثلت لهما الزهرة امرأة من

---

(١) ورغم تنبيه ابن حجر عن مقاتل إلا أنه أكثر من النقول عنه انظر الصفحات ٧ب، ٩ب، ١٠أ، ١١أ، ١٢أ، ١٣أ، وقد كثرت النقول حتى آخر المخطوط ص٤٠٢أ. ولم يسق روايات مقاتل ليفندها بل كان أحياناً يجزم بها انظر ص٧٩ لدرجة أنه روى أضعاف أضعاف ما روى الواحدي عنه.

(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، فصل في القول في عصمة الملائكة. ص٨٥١-٨٥٩،ج٢، تحقيق علي محمد البجاوي.

أحسن البشر، فجاء هاروت وماروت فسألاها نفسها فاشترطت عليهما الكفر فأبيا. ثم قتل صبي، فأبيا، ثم الخمر، فأبيا، وفي النهاية استجابا لطلبها فشربا الخمر فقتلا وزنيا بها....إلخ[1]. هذا ملخص هذه الخرافة التي نافح عن صحتها ابن حجر. وأقول لكل عالم هفوة وهذه هفوة من ابن حجر، فكونها سبب نزول لا يعقل أن يكون لأن ما قيل في القصة كان في بداية خلق الله للبشر أي قبل نزول القرآن بآلاف السنين التي لا يعلمها إلا الله تعالى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القصة ترد دراية لأنها تخالف القطعي في الثبوت والدلالة حيث قال الله تعالى عن الملائكة﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾. **[التحريم: ٦]**. هذا ناهيك عن سقوط الأسانيد التي ذكرت القصة مما جعل ابن العربي وابن الجوزي وابن عطية والقاضي عياض وغيرهم ينكرونها. ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾. **[البقرة:٤٨]**. قال: تقدم قوله تعالى:﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾.**[الحج:٢٦]**. قال عبد الرزاق: أنا معمر بلغني أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً فلما أغرق الله قوم نوح رفع البيت وبقي أساسه فبوأه الله تعالى لإبراهيم عليه

(١) وقصة هاروت وماروت وما حدث مع الزهرة أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند، ٢/ ١٣٤. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر حديث ٣٢٨ص١٤٨، من كتاب الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة، لأبي الحسن نور الدين السمهودي، تحقيق وتخريج محمد إسحاق محمد إبراهيم السلفي، طبعة دار اللواء بالرياض، ١٤٠١هـ-١٩٨١م. قال المحقق: راجع المقاصد ٤٥٥، التمييز ١٨٥، أسنى المطالب ٢٤١، اللؤلؤ٩٨، الكشف٢/ ٣٢٩. درجته: في سنده عند أحمد وابن حبان موسى بن جبير قال فيه ابن القطان: لا يعرف حاله. والصحيح كما قال الحافظ ابن كثير في البداية ١/ ٣٧، ٣٨ أنه من قصص كعب الأحبار الإسرائيلية وخرافاتهم التي لا يعول عليها، وأنه ليس مرفوعاً إلى النبيﷺ. ومن رفعه فقد أخطأ ووهم. وقد خرّج الحديث أحمد شاكر ج٩ الحديث رقم ٦١٧٨، ص٢٩-٣٣. وخلاصة قوله فيه هو رأي ابن كثير. وقال: أخرجه البزار والهيثمي، في مجمع الزوائد،م٥، ص٦٨ وم٦، ص٣١٣، ص٣١٤.

السلام بعد ذلك. فذلك قوله الآية في تفسير سورة الحج.. وأخرج الطبري من طريق أبي قلالة عن عبد الله بن عمر قال: لما أهبط الله آدم من الجنة قال: إني منزل معك بيتاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي. فلما كان زمن الطوفان رفع فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لإبراهيم وأعلمه مكانه فبناه من خمسة أجبل حراً ولبنان وثبير وجبل الحمر والطور)[1]. فحقاً إنه من العجائب التي ذكرها لنا ابن حجر في روايات أسباب التنزيل. ولا تخفى أمثال هذه الحكايات أنها لا تمت إلى أسباب التنزيل بصلة. فقد كانت قبل نزول القرآن بدهر لا يعلمه إلا الله تعالى. وهي من أساطير الأولين.

٣. في هذه الملحوظة نسجل له ما قام به من تخريج للروايات وإعطائه الحكم عليها. وما ذكره من فصل جامع في المقدمة عمن أخذ التفسير فبين الطرق الضعيفة. وما قدمه كذلك من نقد المتن في روايات متعددة. ومن ذلك ما ساقه الواحدي في سبب نزول الآية الكريمة﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾.**[البقرة:١٤]**. قال ابن حجر: (أسند الواحدي من طريق محمد بن مروان السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله،ﷺ، فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحباً بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار والباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد علي فقال مرحباً بابن عم رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا. فقال عبد الله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت: فأثنوا عليه خيراً. فرجع المسلمون إلى رسول الله،ﷺ،

(١) انتهى ما نقله من ص٤٤، من مخطوط ابن حجر، العُجاب في بيان الأسباب.

وأخبروه بذلك. فأنزل الله هذه الآية.. قلت: (والقول لابن حجر) الكلبي والراوي عنه تقدم وصف حالهما، وآثارُ الوضع لائحة على هذا الكلام. وسورة البقرة نزلت في أوائل مقدم رسول الله،ﷺ، إلى المدينة، كما ذكره ابن إسحق وغيره، وعلي إنما تزوج فاطمة، رضي الله عنها، في السنة الثانية من الهجرة)[1]. والنقد لمتن أو سند الروايات تجده كثيراً[2]. مما يعد منقبة للرجل يفيد منها كل من أراد تحرير روايات أسباب التنزيل.

وبعد فهذا مجمل القول في مخطوط ابن حجر. وهو أقرب إلى التفسير منه إلى أسباب التنزيل. ويبدو أنه يريد استيعاب ما تصدى له الواحدي وما فاته، فيستقطب القراء ويأتي بالعجب الذي قصر عنه الواحدي. غير أنه وقع فيما وقع به غيره من المزج في الروايات التفسيرية وروايات أسباب التنزيل. والفائدة من المخطوط تكمن في جمعه لنقد السند والمتن معاً.

٤. **كتاب لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي** المتوفى سنة ٩١١هـ. والكتاب مطبوع عدة طبعات، وقد نقد الكتاب الدكتور سيد أحمد صقر في مقدمة تخريجه لكتاب الواحدي[3]. وأعطى صورة موجزة، واضحة صادقة عن الكتاب، فجزاه الله عنا خيراً. ومع ذلك لا يمنع الأمر أن ندلي بدلونا ونناقش السيوطي في المميزات التي ذكرها لكتابه عن كتاب الواحدي في مستهل كتابه تحت عنوان تنبيهات[4].

---

(١) مخطوط العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر، ص٨ب، ص٩أ.

(٢) وانظر على سبيل المثال الروايات الواردة في أسباب نزول الآية ٧٥ من سورة البقرة ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ ص١٢أ و ب. وانظر ص١٤ أ و ب من المخطوط ذاته.

(٣) انظر ص٢٨-ص٣١ في مقدمة سيد صقر لتخريج كتاب أسباب نزول القرآن للواحدي.

(٤) انظر ص٦ من لباب النقول في أسباب النزول. وانظر الاتقان في علوم القرآن للمؤلف نفسه، النوع التاسع، ج١، ص٣٨، حين زعم أنه لم يحرر مثله.

وبعد دراسة الكتابين يمكن القول أن اللباب مصنوع من الأسباب[1]. فجل روايات اللباب مأخوذة من كتاب الواحدي. وقد اعترف السيوطي ضمنياً بذلك في الميزة الثانية التي ميز كتابه بها عن كتاب الواحدي بحرف ك. ونظرة إحصائية في سورة البقرة مثلاً تجد أن الواحدي ذكر أسباب نزول إحدى وثمانين آية، أخذ السيوطي منها ستة وخمسين سبباً أي بنسبة ٧٥٪ تقريباً. **أما عن المميزات:**

فالأولى: الاختصار:

ويقصد به اختصار الأسانيد. فقال: (وأما الواحدي فتارة يورد الحديث بإسناده، وفيه من التطويل عدم العلم بمخرج الحديث)[2]. ومن نظر في حجم الكتابين لا يجد اختصاراً في عدد الروايات ولكن يجد اختصاراً في الأسانيد[3]. وهذه ليست ميزة حميدة، وكما قال سيد صقر: (فذكر الإسناد منقبة وتركه مثلبة لا شك فيها ولا سيما في مثل هذا الموضوع الذي كثرت فيه الروايات المدخولة، ولن يستطيع قارئ الكتاب أن يميّز الصحيح من غيره إلاّ إذا كان السند أمامه وذلك في غير الأحاديث المخرجة من الصحاح)[4].

وأما الميزة الثانية: وهي الزيادات فعليها ملحوظات كثيرة منها:

١. قد لا تكون زيادة، وإن زعم أنها كذلك. فمثلاً أسباب نزول المعوذتين جاء برواية الواحدي نفسها، وهي قصة سحر الرسول، ﷺ، على يد لبيد بن الأعصم. ولكنه جاء بسند سلسلة الكذب، وهي طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن

---

(١) لباب النقول للسيوطي. وأسباب نزول القرآن للواحدي. وقد علق د. صقر ص٣٠، ص٣١ في مقدمة تحقيقه لكتاب الواحدي: أن من عادة السيوطي الإغارة على كتب السابقين، ثم يدّعي في كل كتاب يستلبه أنه أحسن من كتاب من سبقه. وضرب الأمثلة فليرجع إليه من شاء.

(٢) لباب النقول، ص٤.

(٣) انظر جميع الأسانيد بلا استثناء.

(٤) ص٢٨، من مقدمة صقر في تحقيق كتاب الواحدي.

عباس، في حين أن رواية الواحدي كانت عن الصحيحين. والغريب العجيب أن السيوطي نقد رواية ساقها الواحدي في آية ١٤ من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ قال: (هذا إسناد واهٍ جداً فإن السدي الصغير كذاب، وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف)[(١)]. وقد عقب السيوطي على روايته عن سحر الرسول، ﷺ، بهذا الإسناد فقال: (لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما) [(٢)]. وهذا الشاهد هو رواية الواحدي نفسها.

وقد يذكر نفس سند رواية الواحدي، ومن نفس المصدر، ويعدها زيادة له. فمثلاً ذكر في سورة المائدة[(٣)]: ك روى البخاري عن أنس بن مالك، قال: خطب النبي، ﷺ، خطبة فقال رجل من أبي؟ قال: فلان فنزلت الآية، وروى أيضاً عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله، ﷺ، استهزاء فيقول الرجل من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية.. حتى فرغ من الآية كلها)[(٤)].

٢. أكثر أسانيد الزيادات ضعيف، أو منقطع، أو واهٍ جداً، أو تفوح منها رائحة الإسرائيليات التي تزكم الأنوف. ففي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾. **[البقرة: ١٩].** قال السيوطي: (ك: أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير، عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وناس من الصحابة قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هرباً من رسول الله إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله، فيه رعد شديد

---

(١) انظر لباب النقول للسيوطي، ص٧.

(٢) لباب النقول للسيوطي، ص٢٤٦.

(٣) سورة المائدة آية ١٠١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾

(٤) الرواية من لباب النقول ص٩٦. وفي أسباب النزول للواحدي ص٢٠٥. طبعة دار القبلة، تحقيق سيد صقر، وهي رواية ابن عباس نفسها بسندها في صحيح البخاري.

وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشياً إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده، فأتياه فسلّما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما. فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة.. إلى آخر القصة)[1]. والغريب في الأمر أن الطبري نفسه قال عن هذه الرواية. (فإن كان ذلك صحيحاً ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً)[2] وإذا كان راوي الأثر وهو الطبري مرتاباً في صحته فتركه أولى من قبل السيوطي الذي نقله لا سيما أننا في موضوع كثر فيه الخلط والدس. ويستحق تعليق أحمد شاكر على هذا الأثر أن يسجل، مع أنه طويل، فقال:

(وحق لأبي جعفر، رحمه الله، أن يرتاب في إسناده، فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير- من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة في سياق واحد، تجمعه هذه الأسانيد كما بينا آنفاً[3]. فإذا كان الأمر في تفسير معنى الآية، وما في ذلك بأس. أما إذا ارتفع الخبر إلى درجة الحديث، بالإخبار عن واقعة معينة، أو وقائع كانت على عهد رسول الله،ﷺ، من أسباب لنزول بعض الآيات، أو نحو ذلك، مما يلحق بالحديث المرفوع لفظاً، أو حكماً -كان قبول هذا الإسناد- إسناد تفسير السدي- محل نظر وارتياب. إذ هو رواية غير معروفة مصدرها معرفة محددة. أيُّ هؤلاء الذي قال هذا؟ وأيهم الذي عبر عنه باللفظ الذي جاء به؟ نعم إن ظاهره أنه عن الصحابة: إما ابن عباس، وإما ابن مسعود، وإما ناس من أصحاب النبي،ﷺ،. فقد يقول قائل، إن مرجع الرواية فيه إلى الصحابة، وسواء أعرف الصحابي الراوي أم أبهم اسمه، فإن ذلك لا يخرجه عن

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص٨.

(٢) الأثر رقم ٤٥٢، تفسير الطبري، ج١، ص٣٧٤، ط٢، دار المعارف بمصر، بتحقيق محمود وأحمد شاكر.

(٣) يريد شاكر الإشارة إلى ص١٥٦، ١٥٧. وتعليقه على الأثر ١٦٨، ج١.

رواية الصحابة، وجهالة الصحابي لا تضر. ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة في التفسير، وفي الحوادث المتعلقة بأسباب النزول، مثل الرواية التي هنا في هذا الموضع مع إعراض أئمة الحديث الذين خرّجوا الروايات الصحيحة، والروايات المقبولة مما هو دون الصحيح عن إخراج هذه الرواية ونحوها، وإعراض مؤرخي السيرة عن روايتها أيضاً، كل أولئك يوجب الريبة في اتصال مثل هذه الرواية، وفي الجزم بنسبتها إلى الصحابة، إذ لعلها مما أدرج في الرواية أثناء الحديث بها، والاحتياط في نسبة الحديث المرفوع وما في حكمه واجب)[1].

ومن الزيادات التي جاءت رائحة الوضع والإسرائيليات تزكم الأنوف ما نقله في سورة الجن حيث ضرب الواحدي صفحاً عن ذكر روايات أسباب نزول هذه السورة. ولكن السيوطي أكثر من الروايات فيها. فقد أخرج عن سهل بن عبد الله كما أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة كما قال السيوطي: (كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة تأويه الجن، فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام، وقال يا سهل: إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب، ومطاعم السحت، وأن هذه الجبة عليّ منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمداً، عليهما الصلاة والسلام فآمنت بهما، فقلت له: من أنت؟ قال: من الذي نزل فيهم ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ

---

(١) تفسير الطبري، ج١، ص٣٤٨، تعليق شاكر في الحاشية، وانظر ص٣٥٤. وانظر تعليق شاكر على روايات الآية ٢٦ من سورة البقرة، الأثر ٥٥٤، ص٣٩٨، النسخة المحققة. وانظر ما قاله السيوطي في الآية ٦٢ من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾. وانظر هامش تفسير الطبري، ج٢، ص١٥٤، ص١٥٥. حيث يقول الحديثان منقطعان. وبذلك تكون قد تكررت غفلة السيوطي هذه.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾. [الجن][1].

٣. قد توجد زيادة ولا يتقدمها حرف ك، مثال ذلك ما أورده في سورة الانفطار أنها نزلت في أبي بن خلف[2].

أما عن الميزة الثالثة:

وهي أن يعزو كل حديث إلى من خرجه، فهي منقبة حميدة وليته أتبعها بتعيين مكان وروده. وأما حذفه الأسانيد خشية التطويل فليس بميزة له بل شرف فاته تحصيله. ومن أمثلة ذلك ما أورده في الآية ١٥٣ من سورة النساء قال: أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي، والآية ١٦٣ من السورة نفسها قال: روى ابن اسحق عن ابن عباس، والآية ١٧٦ كذلك قال: روى النسائي من طريق الزبير عن جابر قال: ... وتجد هذا في كل الكتاب بلا استثناء[3].

وأما الميزة الرابعة:

وهي تمييزه الصحيح من غيره، والمقبول من المردود فهي حسنة لم يداوم عليها إلا قليلاً. ونادراً ما تجدها في الزيادات التي اختص نفسه بها. فلو نظرت مثلاً إلى صفحة عشرين تجد أنه ذكر في روايات أسباب نزول الآيات ١٣٠، ١٣٥، ١٤٢ من سورة البقرة ويميز الصحيح من غيره. وانظر ص١٩٥ في سورة الجاثية وهي من الزيادات عنده فلم يميّز المقبول من المردود.

وأما الميزة الخامسة:

وهي الجمع بين الروايات المتعددة، فلم يفعله إلاّ نادراً كما فعل في روايات آية اللعان فجمع بين الرواية التي تقول إنها في هلال بن أمية والرواية التي تقول إنها في

---

(١) انظر ما نقله السيوطي عن الخرائطي في كتاب هواتف الجن تجده أكثر عجباً. وانظر لباب النقول، ص٢٢٦- ص٢٢٨.

(٢) انظر لباب النقول، ص٢٣٤.

(٣) انظر لباب النقول، ص٨٢.

عويمر العجلاني. وقد ساق رأي الحافظ ابن حجر في الجمع بين الروايات[1].

وأما الميزة السادسة والأخيرة:

وهي تنحية ما ليس من أسباب النزول- فلو عمل بها لحذف السيوطي جل كتابه ولم يعد يسمى كتاباً لأنه سوف لا يبقى إلاّ القليل. ولو حذف على الأقل ما نبه إليه سواء من طريق سلسلة الكذب، أو ما قال عنه إن فلاناً وأباه مجهولان أو قال عنه منقطع أو واهٍ جداً.. إلخ[2] لكان الأمر محموداً.

ومهما يكن من أمر فإن كتاب السيوطي إذا ضم إلى كتابي الواحدي وابن حجر فإنها تعين من يريد تحرير روايات أسباب النزول وتسهل له الطريق حيث أشار السيوطي إلى مخرج الرواية.

٤. مخطوط إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن[3] **لصاحبه عطية بن عطية الأجهوري متوفى سنة١١٩٠هـ.** وقد قرأته كاملاً، وهو منقول حرفياً عن الواحدي وعن السيوطي، وقد حذف الأسانيد كلياً، ولم يذكر مخرج الحديث، فترك أحسن منقبة في كل كتاب، وفاته شرفها، واكتفى بذكر الراوي. والكتاب يخلو من أي فائدة جديدة عما ورد في كتابي الواحدي والسيوطي، وهو دونهما. وعدم الاطلاع عليه لا ينقص من علم الإنسان شيئاً في علم أسباب التنزيل. ومن أمثلة ما نقله ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾. **[الأعراف:١٧٥].** فذكر في الصفحات ١٥٥، ١٥٦ ما ذكره الواحدي ص٢٢٢، ص٢٢٤ طبعة دار القبلة، دون زيادة أو نقصان. وهي

---

(١) انظر لباب النقول، ص ١٥٦.

(٢) انظر ص٤٢، لباب النقول، في الآية ٢٧٤ من سورة البقرة. وانظر ص١٣ في الآية ٩٧ من سورة البقرة﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ ﴾ قال: وهما أيضاً منقطعان.

(٣) مخطوط موجود بدار الكتب القومية بالقاهرة، تفسير٤٢، رقم الميكروفيلم ٢٠٩٠، وتوجد منه نسخة أخرى برقم تفسير تيمور ٤٠٨ ، ورقم الميكروفيلم٢٤٤٨٤.

روايات إسرائيلية واضحة لا تخفى على ذي لب. (قال ابن مسعود: نزلت في بلعم بن إبرة- رجل من بني إسرائيل- وقال ابن عباس وغيره من المفسرين: هو بلعم بن باعورا. وقال الوالبي: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم، وكان يعلم اسم الله الأعظم، فلما نزل بهم موسى عليه السلام، أتاه بنو عمه وقومه وقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه مما كان عليه. فذلك قوله: فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا. وقال عبد الله عمرو بن العاص وزيد بن أسلم: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت، ورجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل محمداً، ﷺ، حسده وكفر به.

وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو رجل أُعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها، وكانت له امرأة يقال لها: البَسُوس، وكان له منها ولد، وكانت له محبة، فقالت: اجعل لي منها دعوة واحد، قال: لك واحدة، فماذا تأمرين؟

قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل. فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه، وأرادت شيئاً آخر، فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نبّاحة، فذهبت فيها دعوتان، وجاء بنوها فقالوا: ليس لنا على هذا قرار، قد صارت أمنا كلبة نبّاحة يعيرنا بها الناس، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا الله، فعادت كما كانت، وذهبت الدعوات الثلاث، وهي البسوس، وبها يضرب المثل في الشؤم فيقال: "أشأم من البسوس".

وقد ذكر قصة الفيل(١) على أنها سبب تنزيل سورة الفيل مع أنه نقل قول السيوطي الذي من شأنه أن يخرج مثل هذه الرواية ليتفادى ما وقع به الواحدي. ومع يقين الرجل أن تفاصيل الروايات كانت قبل نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ،.

---

(١) انظر ص٣٩٠، سطر ١٣، من مخطوط إرشاد الرحمن لعطية بن عطية الأجهوري.

وأنها لا تصلح أن تكون سبب نزول. ومع ذلك ذكرها لتسهيل الفائدة فقال: (فما هنا من ذلك ففي ذكره تساهل سهلة زيادة الفائدة)[1]. والله يعلم ما هي الفائدة التي يقصدها عطية الله. مع أن أمثال هذه الروايات إن لم تضر فلا تنفع. ونظراً لعدم فائدة المقدمة سأقتطع منها العبارات التي تؤيد ما تحدثت عنه فقط. قال: (وقد سألني من تجب علي إجابته ولا تسعني مخالفته، حفظه الله ووقاه، وزاد في مجده وعلاه أن أجمع في كتاب مراعياً مقاصد ما ذكره الأئمة الثلاثة[2]، مراعياً في ذلك الاختصار بحذف الأسانيد وترك التكرار ويقول: (وأعلم أنا نتكلم بعون الله تعالى عن أسباب نزول كل سورة بمفردها)[3].

(١) مخطوط إرشاد الرحمن، ص١٥٥ وص١٥٦، ويقصد خرافة الرواية الواردة كسبب نزول آية الأعراف آية ١٧٥.

(٢) الثلاثة هم: الواحدي، والجعبري، والسيوطي.

(٣) مخطوط إرشاد الرحمن، ص٢.

المبحث الثاني

بعض جهود المعاصرين

١. كتاب مقبل بن هادي الوادعي: "**الصحيح المسند مِنْ أسباب النزول**". وقد طُبع الكتاب عدة طبعات ولكنه لم يذكر تاريخ الطبع(١). ويقع الكتاب في مائة وست وسبعين صفحة، ويحوي مائة وسبعاً وثمانين رواية تقريباً لمثلها من الآيات. وقد اهتم بأسانيد الروايات فقط دون نقد المتن. ولذلك تجد فيه رواية وقعت بالمدينة كسبب نزول لآية مكية، كما فعل في سورة المطففين وهي مكية فجعل رواية ابن عباس سبباً لنزولها فقال: (لما قدم النبي ﷺ، المدينة كانوا مِنْ أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك(٢). ومثل ذلك سورة الكوثر فقد ذكر رواية البزار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير مِنَّا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾. رواه البزار، وهو إسناد صحيح. الحديث أخرجه ابن جرير، ج٣، ص٣٣٠، مِنْ طريق شيخه محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدي به، وزاد فيه وأنزلت عليه ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿نَصِيرًا﴾ وقد تقدم في سورة النساء ذكر بعض

---

(١) ذكر ذلك في مقدمة الطبعة الثالثة، طبعة دار الأرقم بالكويت. ويغلب على الظن أنه كان قبل عام ١٩٨٣م، وذلك لأن السيد علي شواخ إسحاق ذكره في مصنفات القرآن الكريم في قسم كتب أسباب النزول. وقد طبع الأخير سنة ١٩٨٣م.

(٢) ص١٧٠، وقد ذكر سند الرواية عن ابن ماجة الأثر رقم ٢٢٢٣، وقد خرج سند الحديث.

مخرجيه)[1]. وهكذا جعل رواية واحدة سبباً لنزول آية مدنية وأخرى مكية. فالكتاب يعوزه نقد المتن ليتحقق معرفة سبب التنزيل، وليتحقق صحة تطبيق الروايات المعتمدة على التعريف الذي أورده الوادعي تحت عنوان قواعد أصولية[2].

٢. **كتاب أسباب نزول القرآن مصادرها ومناهجها للدكتور حمّاد عبد الخالق** حلوة.

وقد نال بها درجة الدكتوراه، وقد طُبع في جزئين[3]. وقد خصص المؤلف الجزء الأول لبحث مصادر روايات أسباب التنزيل من كتب الحديث، وبحث عنها في الموطأ والصحيحين، وكتب التفسير، وتعرض إلى تفسير الطبري والطبرسي والقرطبي وابن كثير، بالإضافة إلى كتب السيرة والمغازي والتاريخ، وأشار إلى سيرة ابن هشام، والطبقات الكبرى لابن سعد، وإلى تاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير، وختم بحث المصادر بما ورد في علوم القرآن فتحدث عن البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، كما درس ما صنف في أسباب النزول للواحدي ولباب النقول للسيوطي.

وهكذا فالكتاب لم يخصص في جمع روايات أسباب التنزيل في مكان واحد. ولكن درس المصادر التي يمكن أن تتواجد فيها روايات أسباب التنزيل. وأغفل الإشارة إلى كتب الفقه مع أن بعضها ذكر أسباب النزول كبدائع الصنائع للكاساني،

---

(١) ص١٧٥، وانظر ص٤٧، ص٤٨، حيث سبق أن ذكر الرواية نفسها سبباً لنزول الآيات ٥١، ٥٢ من سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾. الصنبور: الرجل الفرد الضعيف بلا أهل وعقب وناصر واللئيم- القاموس المحيط للفيروز أبادي.

(٢) انظر الصحيح المسند مِنْ أسباب النزول، ص٨.

(٣) الكتاب كرسالة كانت قبل عام ١٩٨٠م، وإيداع الجزء الأول في الطباعة تم سنة ١٩٨٠م. والجزء الثاني سنة ١٩٨٢. وتم طبع الكتاب سنة ١٩٨٧. نظراً للظروف المادية حسب قول المؤلف. وقد زرته في بلده مدينة المنيا في جنوب مصر قبل كتابة هذا البحث.

وكتاب ابن رشد، وكتاب المحلّى لابن حزم، وقد سبقت الإشارة إليها في المقدمة. وخصص المؤلف الجزء الثاني من الكتاب لبحث مناهج العلماء في دراسة أسباب التنزيل فتحدث عن مناهج المحدثين والمفسرين والمؤرخين والمصنفين في أسباب التنزيل، كما بحث أثر الوضع والنزعات المذهبية في أسباب التنزيل وأثرها على بناء المجتمع الإسلامي. فهذا هو واقع الكتاب. ويمكن الاستفادة مِنْه مِنْ هذه الزاوية ليس غير.

٣. **كتاب أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين[١] للشيخ عبد الفتاح القاضي**، يقع الكتاب فيما ينيف على مائتين وخمسين صفحة. وقد سرد روايات أسباب التنزيل على غرار ما فعله الواحدي والسيوطي. وقد يذكر مكان ورود الرواية، وقد لا يذكر ويكتفي بذكر الراوي، وقد لا يذكر الراوي. وقد حذف الأسانيد في كل الكتاب. وإليك أمثلة توضح ذلك ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ . **[البقرة:١٥٤]**. قال: (نزلت في قتلى بدر مِن المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً، ثمانية مِنَ الأنصار وستة مِنَ المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها- فأنزل الله الآية[٢]. فهنا ذكر الرواية ولم يذكر الراوي ولا مخرج الرواية. وفي قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾. **[الحج]**. قال: (عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت الحرام بلحوم الإبل ودمائها فقال أصحاب النبي، ﷺ، فنحن أحق أن نضمخ فأنزل الله الآية.. أخرجه

---

(١) لا أدري متى ألف الكتاب، ولكنه طبع بمطابع دار الندوة الجديدة بيروت، سنة ١٩٨٧م، وحقوق الطبع محفوظة للناشر.

(٢) ص٢٣.

ابن أبي حاتم[1]. فهنا ذكر الراوي وذكر مخرج الرواية. ونظرة شاملة للروايات التي سردها المؤلف تجد أنه لا يوجد له جهد فيها سوى النقل الحرفي عمن سبقه. مع أنه قطع على نفسه في المقدمة أن لا يذكر إلا الصحيح مِنَ الروايات، فقال: (وسوف لا أذكر من أسباب النزول إلا ما كان صحيح السند، محقق الثبوت، ملائماً لروح الروايات وهدفها)[2].

ومن أمثلة هذه المخالفة ما نقله في سبب نزول آيات من سورة الجن. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(٦)﴾.

قال القاضي: (عن ابن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله،ﷺ، بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي أنا جارك، فنادى مُنَادٍ لا نراه يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم يصبه شيء وأنزل الله على رسوله بمكة: (الآية أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم)[3].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾. **[الجن]**. عن ابن عباس قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وقالت الجن: يا رسول الله أئذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله الآية- أخرجه ابن أبي حاتم[4] فهل هذه الروايات صحيحة السند، محققة الثبوت؟! وهل تخفى هذه الخرافات الإسرائيلية على أمثال الشيخ عبد الفتاح القاضي؟! والخلاصة أن جهد الشيخ في الكتاب لا يكاد يبين.

٤. كتاب جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها لعليوي خليفة عليوي. طُبع

---

(١) ص١٤٩.

(٢) انظر ص١٠.

(٣) ص٢٣٦.

(٤) ص٢٣٧.

الطبعة الأولى في سنة ١٤٠٤هـ، الموافق سنة ١٩٨٤م. وقد وقع الكتاب في جزئين كبيرين الأول ناف على الستمائة وعشرين صفحة، والثاني ثلاثمائة وخمس وخمسين صفحة. استعرض المؤلف فيه الأقوال الواردة في سبب نزول آيات القرآن. ولاسم الكتاب من واقعه نصيب فهو جامع للنقول التي قيلت دون أن يحققها. وزاد بأن عمد إلى تفسير هذه الآيات فجاء عمله كبيراً. والقارئ للكتاب لا يجد جهداً للمؤلف في النظر في الروايات فقد جمع الغث والسمين، فعلى سبيل المثال انظر ما قاله في قوله تعالى:﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾. **[البقرة:١٠٢]**. وانظر ما قاله في قوله تعالى:﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾. **[البقرة:٧٥]**. فالآية الأولى ذكر رواية الواحدي فقال: (جاء في أسباب النزول للواحدي (ص٢٠) عن عمران بن الحارث قال: بينما نحن عند ابن عباس إذ قال: إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق فإذا جُرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين، فيشربها قلوب الناس، فاطلع على ذلك سليمان، فأخذها فدفنها تحت الكرسي. فلما مات سليمان، قام شيطان في الطريق، فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله؟ قالوا: نعم، قال: تحت الكرسي، فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر سليمان سحر به الأمم فأنزل الله الآية[1]. وفي الآية الثانية سلك المسلك نفسه، فقال: (ذكر الواحدي في أسباب النزول ص١٦، عن ابن عباس ومقاتل قالا: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الله تعالى.. إلخ)[2]. وهكذا فهو جامع للنقول دون أن يحاول أن يتحقق من صحتها. فضلاً عن أن القصتين على فرض صحتهما فقد وقعتا قبل نزول القرآن فلا تعد أسباباً للنزول.

٥. **كتاب أسباب النزول القرآني للدكتور غازي عناية** طبع في الجزائر سنة سبع

---

(١) انظر ص١١١، ج١، وقد ساق روايات أخر عن الكلبي والسيوطي.

(٢) انظر ص٤١٦، ص٤١٧.

وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد. ويقع الكتاب في أربعمائة وخمس وعشرين صفحة بالخط الكبير. ووضع الكتاب ليس بأحسن من وضع كتابي عليوي والقاضي. وقد خصص في أول تسعين صفحة قواعد أسباب النزول وهي مأخوذة من كتابي البرهان والإتقان. ورواياته كلها تجدها في كتابي الواحدي والسيوطي ولم يخرج عنهما. وجهد المؤلف في الكتاب هو النقل فقط. ولبيان ذلك أذكر على سبيل المثال ما ذكره في سورة التكاثر قال: (أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار: في بني حارثة، وبني الحارث، تفاخروا، وتكاثروا. فقالت إحداهما: فيكم مثل: فلان، وفلان: وقال الآخرون: تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل: فلان ومثل فلان- ويشيرون إلى القبر وتقول الأخرى مثل ذلك فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾. وأخرج الواحدي عن مقاتل، والكلبي: قال: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم؛ كان بينهما لحاً فتعاند السادة، والأشراف أيهم أكثر. فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيداً، وأعز وعزيزاً، وأعظم نفراً. وقال بنو سهم: مثل ذلك؛ فكثر بنو عبد مناف ثم قالوا: نعد موتانا حتى زاروا القبور، فعدوا موتاهم فكثر بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية. الآيات١-٤.

وأخرج ابن جرير عن علي قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الآيات.. في عذاب القبر)[١].

فالمؤلف ساق الرواية الأولى والثالثة من كتاب السيوطي لباب النقول[٢]،

(١) ص٤١٦-٤١٧.

(٢) انظر لباب النقول للسيوطي، ص٢٤١.

والرواية الثانية من كتاب الواحدي[1]. ومع أن الروايات منها ما كان في المدينة ومنها ما كان في أهل قريش ومنها ما هو في الشك في عذاب القبر. وكان الأحرى أن يعلق على هذا الاختلاف في الروايات التي سبقت لسورة مكية. ولكنه لم يفعل مما يؤكد صحة ما قلناه عن الكتاب.

٦. **ما قام به الدكتور سيد صقر من تحقيق كتاب أسباب النزول للواحدي** وهو عمل جليل ومهم لمن يريد أن يسير في درب تحقيق روايات أسباب التنزيل، ويعد خطوة على طريق تحريرها. ولكن المؤلف لم يحكم على الروايات، وكان جل تخريجه للروايات من الكتب التي ألفت بعد الواحدي كتفسير القرطبي والبغوي وابن كثير والخازن والدر المنثور وغيرها. والصواب في التخريج أن يكون عمن تقدم الواحدي لأن مظنة أخذ الواحدي عمن سبقه لا عمن لحقه. فتفسير الطبري وأبي الليث السمرقندي، والكشف والبيان للثعلبي، وتفسير ابن أبي حاتم، وغيرها مما سبق الواحدي هي مظنة أخذ الواحدي عنهم. وقد وازن المحقق في المقدمة بين كتابي الواحدي والسيوطي. وكانت موازنة رائعة. كما ضمَّن فصلاً جامعاً لحال من أخذ عنه التفسير من التابعين نقله من مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر العسقلاني وكان أميناً في النقل. ولم يتطرق المؤلف إلى تعريف أسباب النزول وقواعده لأن كتاب الواحدي لم يتعرض لذلك. واقتصر عمله في تحقيق النصوص من النسخ الأخرى، وتخريج الروايات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٧. **ما قام به السيد عصام بن عبد المحسن الحميدان، من الدمام بالجزيرة العربية.** وهو تخريج روايات الواحدي، وهو أتم وأكمل من تخريج سيد صقر. ولا عجب فقد جاء بعده في التخريج فأفاد منه، وزاد عليه، واستدرك ما فاته. وهو جهد يشكر عليه بحق في تخريج السند والروايات. ولكن ينقصه تحقيق الروايات هل

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ص٤٩٩. (وعزاً وعزيزاً خطأ في طبعة الواحدي ونقل د. غازي عناية الخطأ نفسه مما يؤكد إغارته على كتب الغير ونسبها لنفسه).

تصلح أن تكون أسباب نزول للآيات أم لا؟ وهل هي تفسير أو أسباب نزول؟ أي يحتاج إلى تطبيق الأُطر لروايات أسباب النزول على هذه الروايات. وقد طُبع الكتاب بعد مناقشة رسالتي بأكثر من سنة حيث كانت الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م- ١٤١١هـ بمطبعة مؤسسة الريان بلبنان.

٨. **جهدي في الموضوع**[1]: لقد نظرت في كثير من كتب الأقدمين والمعاصرين، المطبوع منها والمخطوط. وسافرت إلى القاهرة ودمشق وأنقرة لأطلع على مخطوطات لم تتوافر لدينا في الأردن، وراسلت من أعرف للحصول على ما يمكن الحصول عليه من جامعات المدينة ومكة والرياض. وعشت مع كتب التفسير والحديث، والسيرة، وعلوم القرآن، وأسباب التنزيل. ودرست الروايات دراسة ناقد يريد أن يتبصر بالأمور لأنه تكونت عندي قناعات أن النتائج التي يمكن أن نحققها في هذا البحث تستحق دونها خرط القتاد[2]. فبت أطمح أن ينضم جهدي إلى دراسات السابقين لتكوين مفهوم واضح مبلور لصورة أسباب التنزيل لدى الباحثين ليتذوقوا أهميته، ويميزوه عن غيره بمعرفة سماته وقسماته. فاعترضتني إشكالات على الروايات منها ما يتعلق بتعريف سبب التنزيل، ومدى انطباق التعريف على هذه الروايات. فعقدت فصلاً لها شمل تعريف سبب التنزيل ونماذج من تفاسير الصحابة والتابعين والمفسرين، ثم حددت أطراً لضبط الرواية ولتكون مقياساً في قبول الرواية أو إخراجها من دائرة أسباب التنزيل. ودرست واقع الألفاظ التي قيل عنها أنها تدل على سبب التنزيل. فلم أجد صيغة قطعية واحدة تدل على سبب التنزيل، ثم قمت بعقد فصل لتطبيق هذه الدراسة على مجموعة من الروايات في سور شتى من القرآن الكريم. أي أنني طبقت في الفصل الثاني ما

---

(١) وضعت هذه الفقرة هنا بناء على إرشاد فضيلة الدكتور أحمد فريد المشرف على الرسالة.

(٢) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر- وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ للأعمال الصعبة، والأمور الجسام. انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي.

نظّرته في الفصل الأول. وفي الفصل الثالث استخلصت الإشكالات التي بدت لي وأفردتها في بحث مستقل. ثم لخصت الموضوع في الفصل الرابع ووضعت مجموعة من الآيات التي صحت فيها روايات أسباب التنزيل، فجاءت الفصول الأربعة تبحث مسألة واحدة. وكلي أمل أن أكون قد وُفِّقْتُ في توضيح معالم أسباب التنزيل وإجلاء صورتها لتتحقق النتيجة التي أصبوا إليها وهي تكوين ذوق وحس معينين لدى القارئ أو السامع ليميز بهما رواية سبب التنزيل عن غيرها في كثير من الأحيان. ولتكون قاعدة يُسار عليها لمن يريد أن يتم دراسة جميع الروايات في أسباب التنزيل.

الفصل الأول

معنى سبب النزول وتحديد طريقة معرفته

وفيه مباحث

المبحث الأول: أسباب دخول الدخيل إلى أسباب التنزيل.

١. الاختلاف في دلالة قول الصحابي: "نزلت الآية في كذا".

٢. حذف الأسانيد.

٣. دخول الإسرائيليات.

٤. الثقة المفرطة بالعلماء السابقين وعجز همم اللاحقين أدت إلى عدم تحري الدقة في النقل والركون إلى ترديد أقوالهم دون تمحيص.

٥. عدم تقيد فرسان هذا الميدان بحد أسباب التنزيل.

المبحث الثاني: معنى سبب التنزيل لغة واصطلاحاً ومعناه عند الصحابة والتابعين والمفسرين.

المبحث الثالث: تحديد طريق معرفة أسباب التنزيل ويتضمن:

أ. بحث الألفاظ التي قيل عنها أنها تدل على سبب التنزيل.

ب. أطر لا بد منها لاعتماد رواية سبب التنزيل وهي:

١. تزامن نزول الآية مع وقوع الحدث أو السؤال.

٢. ضرورة تناسب رواية سبب التنزيل مع منطوق ومفهوم الآية.

٣. ضرورة تناسب رواية سبب التنزيل مع سياق الآية أو الآيات.

٤. أن لا تناقض الرواية نصاً آخر أقوى منها- قرآناً، أو سنة، أو رواية أخرى.

٥. تحقيق صحة سند الرواية.

ج. عموم لفظ الآية وخصوص سبب التنزيل وعلاقته ببحثنا.

المبحث الرابع: أسباب ورود الحديث وصلته بأسباب تنزيل القرآن.

المبحث الخامس: الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات والعلاقة بينهما.

المبحث الأول

أسباب دخول الدخيل إلى أسباب التنزيل

تتابع نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد،ﷺ، ثلاثة وعشرين عاماً، يعالج المشاكل التي تقع، والقضايا التي تطرح، ويجيب عن الأسئلة التي تلقى، يؤسس بذلك قواعد ثابتة لمجتمع جديد متميز، ويهدم الأفكار والمفاهيم والقناعات الخاطئة التي بُنيت على أساسها المجتمعات الكافرة آنذاك، فكانت الآيات تهدف إلى تغيير جذري في المجتمع الإنساني بقلب الأوضاع رأساً على عقب، ويشمل جميع نواحي الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية، والبُنية الداخلية للمجتمع، والعلاقات الدولية الخارجية، ويؤسس أفكاراً ومفاهيم وقناعات جديدة، جاء بها الوحي في آيات قرآنية تتلى وتدرس، وتحفظ وتطبق، والرسول،ﷺ، يبيّن هذه الآيات، وأسباب التنزيل تلقي ضوءاً ساطعاً في فهم بعض الآيات القرآنية، فكان بيان الرسول، ﷺ، ومعرفة أسباب التنزيل أساساً في علم التفسير. وقد حرص عليهما المسلمون، وتناقلوهما عبر الأجيال جنباً إلى جنب من غير تمييز بينهما، وترى كتب الحديث كلها جاءت تزخر بالآثار التي تحمل التفسير وأسباب التنزيل عن الصحابة والتابعين. وقد عدّ علماء أصول الفقه وعلماء مصطلح الحديث ما ذكره الصحابي من أسباب التنزيل بمنزلة المرفوع. وجاءت كتب التفسير تنقل أسباب التنزيل كجزء من التفسير. وقد اعترى الحديث، وروايات التفسير، وروايات أسباب التنزيل آفة الوضع والتحريف وسوء النقل والفهم على حد سواء منذ القرن الأول لهذه العلوم. فالواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ للهجرة يقول: (وأما اليوم فكل أحد يخترع شيئاً، ويختلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب نزول الآية)[١]. فما بالك بالأمر بعد ألف سنة من هذا التاريخ لا سيما أنه لم يعمد لتحقيق

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥.

وتنخيل هذه الروايات أحد من العلماء حتى هذه الساعة؟!. ويحسن بنا في هذا المقام أن نستقصي أسباب خلط روايات أسباب التنزيل بغيرها، ويمكن أن تُجْمَل أسباب الخلط ودخول الدخيل بما يأتي:

أولاً: الاختلاف في فهم دلالة قول الصحابي: "نزلت الآية في كذا". قال ابن تيمية: "نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب لنزول، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية، وإن لم يكن السبب كما نقول: عنى بهذه الآية كذا"[1]. وقال الزركشي: (وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه القضية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها)[2].

فاختلاف العلماء في فهم قول الصحابي أدى إلى إدخال كثير من الروايات على أنها سبب نزول وهي ليست كذلك، وإنما هي من جنس الاستدلال على الحكم، أو تتضمن هذا الحكم، أو داخلة في الآية. قال الشيخ أحمد حسن الباقوري: (إن معرفة أسباب النزول من المواضع الصعبة، ووجه الصعوبة فيها اختلاف المتقدمين والمتأخرين حولها والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين، أنهم لا يستعملون كلمة "نزلت الآية في كذا" لمحض قصة كانت في زمنه ﷺ، بل ربما ذكروا بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه أو بعد زمنه عليه الصلاة والسلام وهم يقولون: نزلت في كذا، ولا يلزم هناك انطباق جميع القيود بل يكفي انطباق الحكم فقط)[3].

ويندرج تحت هذه المسألة: أ- الخطأ في نقل الراوي فيقول: فنزلت الآية بدل

---

(١) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية، تحقيق د. عدنان زرزور، ص٤٨، ط١، الكويت.

(٢) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ص٣١، ص٣٢،ج١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١.

(٣) معاني القرآن بين الرواية والدراية، لأحمد حسن الباقوري، ص٧٦، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

القول: فتلا الآية، أو فقرأ الآية، أو فقال. وهذا يوهم أن القصة هي سبب التنزيل مع أنه واضح فيه الاستشهاد بالآية لا أنه سبب التنزيل. ومثال ذلك ما نقله السيوطي بعنوان: (تنبيه) قد يكون في إحدى القصتين: فتلا فيهم الراوي فيقول: فنزل. مثاله: ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: مرّ يهودي بالنبي،ﷺ، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه، والأرضين على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية. والحديث في الصحيح بلفظ: "فتلا رسول الله،ﷺ،" وهو الصواب فإن الآية مكية)[1].

وتنبيه السيوطي هذا صحيح، وهو في غاية الأهمية، فجزاه الله خيراً، غير أن السيوطي لم يكن دقيقاً في نقله لا في نص الحديث، ولا في موطن الاستشهاد. فرواية الترمذي وجدتها تحت رقم ٣٢٩٣ في تفسير سورة الزمر. ونقل السيوطي لموطن الاستشهاد صحيح وهو: (فأنزل الله عز وجل). أما موطن الاستشهاد في رواية البخاري فلم يكن دقيقاً وإنما هو بالمعنى والروايات في صحيح البخاري هي: ثم قرأ[2]. رسول الله،ﷺ، وقال[3]، ثم قال[4] النبي،ﷺ،.

وهكذا حديث الباب في كتاب التفسير في صحيح البخاري، وأطراف الحديث في كتاب التوحيد لم تذكر لفظ: (فتلا رسول الله،ﷺ،). كما قال السيوطي وذكرت ثم قرأ، وقال، ثم قال.. فيكون استشهاد السيوطي بالمعنى صحيحاً وليس بالنص. فاقتضى التنويه على التنبيه.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج١، ص٤٥، طبعة دار المعرفة، بيروت، وبذيله إعجاز القرآن للباقلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، ط٤، ١٣٩٨هـ.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب التفسير، ٦٥، م٨، الحديث ٤٨١١، باب ٢، وفي كتاب التوحيد، ٩٧م ١٣ الأحاديث ٧٤١٤، ٧٤١٥، ص٣٩٣.

(٣) المصدر السابق، الحديث، ٧٤٥١ ص ٤٣٨م، ١٣.

(٤) المصدر السابق، الحديث، ٧٥١٣ ص٤٧٤، م١٣، المطبعة السلفية.

ب. الخطأ في فهم عبارة السابقين. فإذا قال ابن جرير الطبري مثلاً: عنى بقوله. الآية كذا.. تنقل عنه أنها سبب نزول، مثاله ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.[البقرة].

قال الطبري: (فإن قال قائل: ومن الذي عنى بقوله: "الآية" وأي المساجد هي؟

قيل: إن أهل التأويل في ذلك مختلفون، فقال بعضهم: الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى، والمسجد، بيت المقدس (وذكر الروايات في ذلك).

وقال آخرون: هو بختنصر وجنده، ومن أعانهم من النصارى، والمسجد: مسجد بيت المقدس. (وذكر الروايات في ذلك).

وقال آخرون: بل عنى الله عز وجل بهذه الآية مشركي قريش، إذ منعوا رسول الله، ﷺ، من المسجد الحرام (وذكر الروايات في ذلك وأشار إلى ما حدث في الحديبيّة) إ.هـ. فالطبري كان قد بحث تأويل الآية، ولم يورد كلمة سبب نزول، ولا يفهم من كلامه أنها سبب نزول لأن لفظ "عنى" لا يدل على أنها سبب نزول. فمن نقل عن ابن جرير[1] أنه ذكر سبب نزول الآية يكون مخطئاً، والذي جعله ينزلق في هذا الخطأ هو عدم الدقة في فهم عبارة ابن جرير مما ساهم في زيادة عدد الروايات التي عدت أسباباً للتنزيل وهي ليست كذلك.

ج. كما يدخل في هذا السبب التشابه الكبير، والعلاقة الوطيدة بين التفسير وأسباب التنزيل. وهذا ما عبر عنه الزركشي بقوله: (وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين

---

(١) ومنهم السيوطي قال في لباب النقول ص١٦: وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: نزلت في المشركين حين صدّوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية. وقال الخازن في تفسيره: (قلت: رجّح الطبري القول الأول)، ص٨٢، م١، وبهامشه تفسير النسفي، مكتبة المثنى ببغداد. وتجد أن كلاً من الخازن والبغوي ذكر الروايات التي قالها الطبري وكأنها حقائق لأسباب نزول الآية دون أن يشيروا إلى أنهم أخذوها عن الطبري.

أن أحدهم إذا قال نزلت الآية في كذا..)[1]. وقال الشيخ الباقوري من المعاصرين: (وقد تحقق عند الفقير أن الصحابة والتابعين كثيراً ما كانوا يقولون: نزلت الآية في كذا وكذا، وغرضهم من ذلك تصوير ما تصدق عليه الآية، وذكر بعض الحوادث التي تشملها بعمومها، سواء تقدمت القصة أو تأخرت، وسواء كان ذلك إسرائيلياً، أو جاهلياً، أو إسلامياً، وسواء استوعبت جميع قيود الآية أو بعضها. وبهذا يعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً وأن للقصص المتعددة هناك سعة)[2].

ومن هذا الباب يمكن النظر في الروايات التي حدثت بالمدينة وذكرت كسبب نزول لآيات مكية أو بالعكس. ومن هذا الباب دخلت جل روايات التفسير وتسربت إلى أسباب التنزيل.

ثانياً: حذف الأسانيد في فترة من الفترات، ودخول الوضع بأسبابه المختلفة كما شاع الأمر في الحديث، فذكر السند منقبة حميدة توصلنا إلى التحقق من صحة الرواية. كما تعفي صاحبها من شرور النقل وآثامه. وحذفه مثلبة تؤدي إلى الإضلال، وتعمية الحقائق، وتوفر الظرف الجيد للخفافيش التي لا تستطيع العيش إلاّ في الظلام، فيكثر الدس، ويعم الوضع لتأييد كل فريق لما يذهب إليه. فتصيّر الروايات الكاذبة أحاديث نبوية، وبذلك اختلط الحابل بالنابل. قال السيوطي: (ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال تترى، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل. ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده. ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلا غير متلفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير، حتى

---

(١) قد ذكر في بداية هذا السبب قبل قليل.

(٢) معاني القرآن بين الرواية والدراية، أحمد حسن الباقوري، ص٧٧، ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. **[الفاتحة]**. نحو عشرة أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ، وجميع الصحابة وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين)[(١)]. فغياب السند ساهم في دخول الدخيل إلى روايات أسباب التنزيل. وإذا نظرت في كتاب أسباب النزول للواحدي تجد الروايات التي خلت من السند قد نقلها عن الكلبي ومقاتل والسُدّي وغيرهم. وهو قد نقلها عن أستاذه صاحب كتاب الكشف والبيان (الثعلبي). ولا يستطيع المرء تحقيق صحتها لعدم وجود السند. غير أن علماء الجرح والتعديل قد أعطوا رأيهم في الكلبي ومقاتل والسدي وغيرهم ممن روى عنهم بأنهم غير عدول وغير ثقات قال ابن حجر: سلسلة أبي صالح عن الكلبي عن السدّي سلسلة الكذب[(٢)].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج٢، ص٢٤٣، النوع الثمانون، في طبقات المفسرين، طبعة دار المعرفة، بيروت، وبهامشه تفسير النسفي.

(٢) انظر مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر العسقلاني ص٥ وقال: (ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس التفسير المنسوب لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي فإنه يرويه عن أبي صالح وهو مولى أم هانيء عن ابن عباس، والكلبي اتهموه بالكذب. وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد ضعفاً وهو صالح بن محمد الترمذي) وفي ص٧ قال: (ومنها تفسير مقاتل بن سليمان، وقد نسبوه إلى الكذب، مقاتل قاتله الله، وإنما قال الشافعي فيه ذلك لأنه اشتهر عنه القول بالتجسيم). وبإمكان القارئ النظر إلى هذه المقدمة في مقدمة تحقيق كتاب أسباب النزول للواحدي ص٢٤، ص٢٨. وقد نقلها كاملة من مخطوط العُجاب في الأسباب قال الذهبي في الكاشف، ج٣، ص٤٠، ترجمة ٤٩٤١، ت: محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي، عن الشعبي وأبي صالح، وعنه ابنه هشام وأبو معاوية ويزيد ويعلى. قال خ: تركه القطان وابن مهدي، مات ١٤٦هـ(وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به، وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه. روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس. وقال ابن حجر في التقريب: متهم بالكذب ورمي بالرفض، ترجمة٢٤٠، ص ١٦٣، ج٢.=

ثالثا: دخول الإسرائيليات في أسباب التنزيل كجزء من دخولها في التفسير. وكان لغلاة الشيعة وبعض اليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام دور كبير في ذلك، لأن بعضهم لم يكن صادقاً في إسلامه، وتسرب من بعض علمائهم إلى المسلمين كثير من الأخبار الإسرائيلية، دخلت في تفسير القرآن ليستكملوا بها شرح الآيات. ذلك أن شغف العقول وميلها للاستقصاء دعاها عند سماع كثير من آيات القرآن أن تتساءل عما حولها. وقد تلقف الحاقدون على الإسلام ممن جاءوا بعدهم هذه الروايات وأشغلوا علماء المسلمين بالرد عليها منها: قصة الغرانيق وهي ملفقة لا أصل لها. فقد قيل إنها سبب نزول آية الحج ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)﴾ .**[الحج]**. فزعموا أن الشيطان ألقى في روع الرسول ﷺ، في سورة النجم ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠)﴾ **[النجم]**.[1] فزاد: (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى). فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا[2]، فنزلت: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية.

=**وقال** البخاري في التاريخ الكبير، ص١٠١، ج١، قال: تركه يحيى بن سعيد وابن مهدي. وعن سفيان أنه قال له الكلبي: قال أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب. ترجمة ٢٨٣.

وانظر ما قاله الرازي في كتاب الجرح والتعديل، م٧ ، ص٢٧٠-ص٢٧١، ترجمة ١٤٧٨، وهو أوفى من البخاري وابن حجر في بيان كذبه. ونقل القول: (الناس مجتمعون على ترك حديثه لا يشتغل به هو ذاهب الحديث).

(١) قال محمد أبو زهرة في مجلة لواء الإسلام، عدد ٨، سنة ٥٠، ص٥٠٢، إن هذه القصة من وضع يوحنا الدمشقي في العهد الأموي. ثم راجت هذه الفرية بين تابعي التابعين أنفسهم حتى جاءت على لسان قتادة منسوبة إليه. الإسرائيليات لمحمد الذهبي ص٢٢.

(٢) انظر لباب النقول للسيوطي، ص١٥١، ص١٥٢، قال: أخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المُنذر من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال..، وذكر الرواية وذكر طرقاً غيرها، =

والمرويات الدخيلة هذه منها ما يعرف بسهولة ويسر لظهور بطلانه عقلاً ونقلاً كقصة الغرانيق، وكشهود بعض الصحابة رضوان الله عليهم صلاة الجماعة في مكة ليسترقوا النظر إلى حسناء تصلي في الصفوف الخلفية. ومنه ما يحتاج إلى علم ونقد وبصر وهو ما يتعلق بالأسانيد والدراية. ومن أمثلة ما رواه بعض غلاة الشيعة: ما رواه الطبرسي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة] قال: (النزول: حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسني القايني، قال: حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني (ر.ة) قال: حدثني أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشعراني، قال: حدثنا أبو علي أحمد بن علي بن رزين البياشاني، قال: حدثني المظفر بن الحسين الأنصاري، قال: حدثنا السدي بن علي الوراق قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية بن ربعي، قال: بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله، ﷺ، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله، ﷺ، إلا قال الرجل: قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهة وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا جندب بن جنادة

=وقال: وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى، والصواب في ذلك عندي ما نفاه ابن حجر وهو ما قاله ابن العربي وعياض أن هذه الروايات باطلة لا أصل لها انتهى. وانظر أحكام القرآن لابن العربي، في الرد على هذه الروايات من ص١٢٨٧- ص١٢٩٢، ج٣، ط٢، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م. وانظر تفسير الطبري حيث صدر هذه الروايات بقوله: قيل إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية. ص١٨٦، ص١٨٩ ج١٨، م١٠، طبعة دار الفكر. ولا يخفى أن هذه الروايات ترد دراية لأنها تدل على الكفر. وقال القرطبي: فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة، وإنما أولع بمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. ص٨٢، ج١٢، تفسير القرطبي.

البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله، ﷺ، بهاتين، وإلا فصمتا، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره، مخذول من خذله، أما أني صليت مع رسول الله، ﷺ، يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً. وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره اليُمْنَى إليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله، ﷺ، فلما فرغ النبي، ﷺ، من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: (اللهم إن أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري. فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴿٣٥﴾﴾.**[القصص]**. اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري). قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال يا محمد إقرأ. قال: وما أقرأ: قال: إقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1].

وهذه الرواية مصنوعة سنداً ومتناً. فرجال السند ظاهر كل الظهور أنهم ليسوا من رجال أسانيد الكتب الستة. وفيهم قيس بن الربيع[2] الأسدي أبو محمد الكوفي متروك الحديث. سئل أحمد بن حنبل لم ترك الناس حديثه فقال: كان يتشيع ويخطئ في

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن. الفضل بن الحسن الطبرسي، ج٣، ص٣٢٤-ص٣٢٦، طبعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار المعرفة، بيروت، توزيع عباس أحمد الباز- مكة المكرمة.

(٢) انظر كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي، ترجمة ٥٢٤، ص٢٠٢، التقريب لابن حجر ص١٢٨، م٢، ترجمة ١٣٩، وتهذيب التهذيب م٨، ترجمة ٦٩٨، الصفحات ٣٥٠-٣٥٣، التاريخ الكبير للبخاري، ترجمة ٧٠٤، ص١٥٦، م٧. والكاشف للذهبي ترجمة ٤٦٧٠، ج٢، ص٣٤٧، والجرح والتعديل للرازي، م٧، ترجمة ٥٣٣، ص٩٦-ص٩٨.

الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء، وضعفه وكيع. وقال أبو زرعة: فيه لين. وقال عبد الله بن علي بن المديني: سألت أبي عنه فضعفه جداً وقال: إنما أهلكه ابن له قلب عليه أشياء من حديثه. وقد ذكره النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين.

وفي السند كذلك يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن أبو زكريا الحماني(١). قال البخاري: يتكلمون فيه، رماه أحمد وابن نمير. وقال أحمد: كان يكذّب جهاراً، وكان يسرق الحديث. وقال إبراهيم الجوزجاني: يحيى الحماني ساقط متلون ترك حديثه فلا ينبعث. وقال محمد بن عبد الرحيم البزار: كنا إذا قعدنا إلى الحماني تبين لنا منه بلايا. وقد ذكره النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين.

وقال الطبرسي: وقد رواه لنا السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبي صالح(٢). ولم يعد يخفى أبو صالح وسلسلته على أحد. فقد سبق

---

(١) انظر كتاب الضعفاء والمتروكين، للنسائي، ترجمة ٦٥٦، ص٢٤٨. وتقريب التهذيب ترجمة ١١٦، ص٣٥٢. وتهذيب التهذيب، ترجمة ٣٩٩، م١١، ص٢١٣. والتاريخ الكبير للبخاري، ترجمة ٣٠٣٧، م٨، ص٢٩١. والجرح والتعديل للرازي، ترجمة ٦٩٥، ص١٦٨-١٧٠.

(٢) أبو صالح هو باذام أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب. قال أحمد: كان ابن مهدي ترك حديثه. وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبي فليس بشئ. وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير وما أقل ما له من المسند. وقال: ولم أعلم أحداً من المتقدمين رضيه. وقال ابن المديني عن القطان عن الثوري قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كل ما حدثتك كذب. وقال الجوزقاني: إنه متروك، وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه. انظر تهذيب التهذيب ترجمة ٧٧٠، ص٣٦٤، ص٣٦٥، م١، وقد روى له الأربعة. وانظر التاريخ الكبير للبخاري، م٢، ترجمة ١٩٨٨، ص١٤٤، والجرح والتعديل للرازي، م٢، ترجمة ١٧١٦، ص٤٣١، وانظر الكاشف للذهبي، م١، ص٩٦، ترجمة ٥٤١، وتقريب التهذيب م١، ص٩٣، ترجمة ٢، وقال عنه: ضعيف مدلس. وقد ذكره النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين، ص٦١، ترجمة ٧٤، وسلسلة الكذب وردت في مخطوط العجاب في الأسباب ص٥، ونقلها سيد صقر في مقدمة كتابه ص٢٥.

فيهـا القـول[١]. ونـص الروايـة في التصـنع واضـح لإقنـاع القـارئ بصـحتها، والشـيعة يستنبطون من هذه الآية وجوب إمامة علي، رضي الله عنـه، مـع أن الـنص لا يسـعفهم. وإذا نظرنا إلى الروايات التي قيلت في سبب نزول هذه الآية نجد أنها وردت في عبـادة بـن الصامت في تبرئته من ولاية يهود بني قينقاع، وحلفهـم إلى رسـول الله،ﷺ، والمـؤمنين[٢]. ونقل أنها نزلت في أبي بكر الصديق، رضي الله عنه،[٣]. كما ورد أنها نزلـت في عبـد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود[٤]. كل ذلك بالإضافة إلى القول أنها نزلـت في علـي ابن أبي طالب، رضي الله عنه. فهذا التعدد فيمن نزلت فيهم الآية يـؤذن بأنـه لم تنـزل في أحد منهم، ولكن المذكورين ممن ينضوون تحت لواء الآية.

وهنا شهادة من أبي جعفر بن محمد بن علي الباقر بن الحسين بن علي بن أبـي طالب تعترض على الروايات التي تقول إنها في حق علي، رضـي الله عنـه، قـال ابـن جرير الطبري: حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا عبده، عن عبد الملك، عن أبي جعفر، قال: سألته عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ...وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ قلنا: من الذين آمنوا؟ قـال: الذين آمنوا، قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب؟ قال: علي من الذين آمنوا. وذكر نحو حديث هناد عن عبده بن وكيع قال: ثنا المحاربي عن عبد الملك، قال: سألت أبا جعفر[٥]... وقد رجح ابن جرير أنها في عبادة بن الصـامت، ولم ينقـل سـبباً آخـر

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر تفسير الطبري، م٤، ج٦، ص٢٨٧، طبعة دار الفكـر، ١٤٠٥هـ١٩٨٤م. وتفسـير الخـازن، م١، ص٥٠٦. والبحر المحيط، ج٣، ص٥١٤. تفسير ابن كثير، ج٢، ص٧١. الدر المنثور، م٣، ص١٠٤.

(٣) انظـر التفسـير الكـبير، للفخـر الـرازي،ص٢٦، ج١٢، ط٢، طهـران. وتفسـير القـرطبي، م٦، ص٢٢١. تفسير البحر المحيط، ج٣، ص٥١٤، وغيرها.

(٤) انظـر تفسـير القـرطبي، م٦، ص٢٢١. تفسـير الخـازن، م١، ص٥٠٦. والبحـر المحـيط، م٣، ص٥١٤. مجمع البيان، ج٣، ص٣٢٥.

(٥) انظر تفسير الطبري، ج٦، م٤، ص٢٨٨. وذكر القرطبي الروايـة نفسـها، وزاد: قـال النحـاس: وهذا قول بين لأن (الذين) للجماعة. وانظر تفسـير الخـازن، م١، ص٥٠٦. والبحـر المحـيط، =

غيره، والخلاف كان في المعني من الآية وليس في سبب النزول. وكذلك ابن كثير رجح أنها في عبادة وليس في علي، ولا سيما أن شيخ الشيعة لم يعترف أن الآية نزلت في علي، رضي الله عنه.

وإذا نظرنا إلى معنى الآية نجد أن الرواية التي تدعي أنها في علي، وأنه تصدق بخاتمه وهو في الصلاة منتفية بنص الآية. فأقول: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ معناه وهم خاشعون، خاضعون لأمر الله تعالى. أي يصلون ويزكون وهم منقادون لأمر الله تعالى[(١)]. وليس معنى الركوع هنا ما هو معروف أنه أحد أركان الصلاة[(٢)]. قال ابن كثير: (فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله:﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي في حال ركوعهم. ولو كان هذا لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى) [(٣)].

بالإضافة إلى ما سبق فإن معنى الزكاة في الآية لا يرد أن يكون بمعنى المندوب لأن اللفظ لا يحتمله وهو خلاف الأصل[(٤)]. وسيدنا علي لم يكن غنياً حتى يخرج زكاة. والجدير به وبأمثاله أن يكون خاشع القلب وهو واقف بين يدي الله، لا لاهياً فيما يدور خارج الصلاة. وعليه فتكون الرواية من الوضاعين.

=ج٣، ص٥١٣. وابن كثير، م٢، ص٧١. والدر المنثور، م٣، ص١٠٦. هذا وقد اعتمد الحافظ ابن كثير هذه الرواية في رد الروايات التي أسندت سبب النزول لعلي رضي الله عنه.

(١) انظر تفسير الخازن، م١، ص٥٠٦.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط، ج٣، ص٥١٤. وانظر تفسير الألوسي، ج٦، ص١٦٧.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، م٢، ص٧١، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي، ج١٢، ص٣٠-ص٣١، ط٢، دار الكتب العلمية طهران. وانظر تفسير القرطبي، م٦، ص٢٢٢، حيث يقول: (وحمل لفظ الزكاة على التصدق بالخاتم فيه بعد، لأن الزكاة لا تأتي إلا بلفظها المختص بها وهو الزكاة المفروضة).

وهكذا فإن للإسـرائيليات[1] أثرهـا في مضـاعفة دخـول الـدخيل إلى روايـات أسباب التنزيل.

رابعاً: الثقة المفرطة بالعلماء السابقين وعجز همم اللاحقين أدت إلى عـدم تحـري الدقة في النقل والركون إلى ترديد أقوالهم دون تمحيص: فمثلاً: ورد في سبب نزول قوله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾.**[الحجرات].**

قال الطبري: (ت٣١١هـ)

(حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جعفر بن عون، عن موسى بن عبيـدة، عـن ثابـت مولى أم سلمة، عن أم سـلمة، قالـت: بعـث رسـول الله، ﷺ، رجـلاً في صـدقات بـني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم، فتلقوه يعظمون أمر رسـول الله، ﷺ،، قـال: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالـت: فرجـع إلى رسـول الله، ﷺ، فقـال: إن بـني المصطلق قد منعوا صدقاتهم، فغضب رسول الله، ﷺ، والمسـلمون. قـال: فبلـغ القـوم رجوعه، فأتوا رسول الله، ﷺ، فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلاً مصدقاً، فسررنا بذلك، وقرت به أعيننا، ثم إنـه رجع من بعض الطريق، فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن رسوله. فلم يزالوا

(١) الإسرائيليات: جمع مفرده إسرائيلية، وهـي قصـة أو حادثـة تـروى عـن مصـدر إسـرائيلي. أي يهودي حيث ينتسـب اليهـود إلى إسـرائيل. فنقـول بنـو إسـرائيل كمـا ورد في القـرآن الكـريم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾.[المائدة]. وقد توسع المفسرون في هذا الاصطلاح فأطلقوه على كل مـا تطـرق إلى التفسير أو الحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي، أو نصراني، أو غيرهما. ومنه ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهـم مـن المستشـرقين علـى التفسـير في العصر الحديث، من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم صنعها أعداء الإسلام بخبث نية.

يكلمونه حتى جاء بلال، وأذن لصلاة العصر: قال: ونزلت الآية[١].

وقال بإسناد آخر:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال وذكر القصة، وذكر أن الرسول،ﷺ، بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢].

وفي رواية ثالثة: عن مجاهد: وذكر اسم الوليد[٣].

وفي رواية رابعة وخامسة: عن قتادة[٤].

وفي رواية سادسة وسابعة: عن ابن أبي ليلى[٥].

وفي رواية ثامنة: عن يزيد بن رومان[٦].

وذكر رواية تاسعة ولم يذكر فيها اسم الرجل كالرواية الأولى[٧].

وأما الواحدي (ت٤٦٨هـ) فلم يذكر سنداً. وقال: نزلت في الوليد، وفي رواية عن الحارث بن ضرار قال: (قدمت على رسول الله،ﷺ، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت في الإسلام وأقررت، فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فترسل لإبان كذا وكذا، لآتيك بما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث بن ضرار (ممن استجاب له) وبلغ الإبان الذي أراد أن يبعث إليه رسول الله،ﷺ، احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخط من الله ورسوله فدعا سروات قومه فقال لهم: إن رسول الله،ﷺ، قد كان وقت لي وقتاً ليرسل إليّ ليقبض ما كان

---

(١) انظر تفسير الطبري، ص ١٢٣، م١٣، ج٢٦، وانظر تفسير ابن كثير، م٤، ص٣٠٩.

(٢) انظر تفسير الطبري، ص ١٢٤، م٣ ، ج٢٦.

(٣) انظر تفسير الطبري، ص ١٢٤، م١٣، ج٢٦.

(٤) انظر تفسير الطبري، ص ١٢٤، م١٣، ج٢٦.

(٥) انظر تفسير الطبري، ص ١٢٤، م١٣، ج٢٦.

(٦) انظر تفسير الطبري، ص ١٢٥، م١٣، ج٢٦.

(٧) انظر تفسير الطبري، ص ١٢٥، م١٣، ج٢٦.

عندي من الزكاة، وليس من رسول الله،ﷺ، الخُلْفُ ولا أدري حَبْسَ رسوله إلا من سخطه، فانطلقوا نأتي رسول الله، ﷺ، وبعث رسول الله،ﷺ، الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده.. إلى آخر القصة[1].

وأما الزمخشري (ت٥٣٨هـ) فقال: (بعث رسول الله،ﷺ، الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه (وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً، ثم قال: هل أزيدكم؟ فعزله عثمان عنهم) مصدقاً إلى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم إحنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله،ﷺ، قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله،ﷺ، وهمّ أن يغزوهم فبلغ القوم فردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلاً هو، عندي كنفسي يقاتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه، وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع)[2].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤١٣، ٤١٤. وانظر تفسير البغوي، ولم يذكر السند، م٤، ص٢١٢. مجمع البيان للطبرسي، م٩، ص١٩٨. وانظر تفسير الخازن، م٤، ص١٧٨، وعقب عليها بقوله: (وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على الفاسق، وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه لأن الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك إلاّ أنه ظن وتوهم فأخطأ). وانظر تفسير البحر المحيط، لأبي حيان م٨، ص١٠٩. وانظر تفسير الألوسي (روح المعاني)، ج٢٦، ص١٤٤. وانظر تفسير ابن كثير ج٤، ص٢٠٩، ص٢١٠. وقال: ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة. وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية الحارث بن ضرار وذكر هذه الرواية... وبعد أن سرد كثيراً من الروايات قال: (والله أعلم). وانظر السيوطي في لباب النقول، ص٢٠١، ٢٠٢: (أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي وذكر هذه الرواية... وعقب عليه رجال إسناده ثقات). وانظر تفسير أبي السعود، م٨، ص١١٨. وتفسير أضواء البيان للشنقيطي، م٧، ص٦٢٦، طبعة عالم الكتب- بيروت.

(٢) تفسير الزمخشري، م ٧، ص٨. وانظر القرطبي، ج١٦، ص٣١١. وقد ذكر القصة بصيغة التضعيف.

دراسة الروايات

١) حديث أم سلمة الذي رواه الطبري فيه موسى بن عبيدة بن نشيط أبو عبد العزيز الربّذي: ضعيف منكر الحديث لا تحل الرواية عنه عند أحمد(١).

٢) وأما رواية ابن عباس يقول الطبري في السند: حدثني محمد بن سعد وهو أبو جعفر العوفي وكان ليناً في الحديث(٢).

---

(١) قال البخاري في تاريخه، م٢، ص٢٩١، ترجمة ١٢٤٢: (موسى منكر الحديث قاله أحمد بن حنبل، وقال علي بن المديني عن القطان قال: كنا نتقيه تلك الأيام).

وقال النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين، ص٢٢٤، ترجمة ٥٨١: ضعيف.

- وقال الرازي في كتاب الجرح والتعديل، م٨، ص١٥١، ص١٥٢، ترجمة ٦٨٦: (قال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: موسى بن عبيدة لا يشتغل به وذلك أنه يروي عن عبد الله بن دينار شيئاً لا يرويه الناس. وقال أحمد: لا تحل الرواية عندي عن موسى بن عبيدة. وقال الدوري: عن يحيى بن معين أنه قال: موسى بن عبيدة لا يحتج بحديثه. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة أنه سمع يحيى بن معين يقول: موسى بن عبيدة ضعيف. وإنما ضعف حديث موسى لأنه روى عن عبد الله بن دينار أحاديث مناكير.

- وقال الذهبي في الكاشف، ج٣، ص١٦٤، ترجمة ٥٨١٥: ضعفوه توفي ١٥٢هـ.

- وقال ابن حجر في التهذيب، ص٣١٨-ص٣٢١، ج١٠، ترجمة ٦٣٦. وقال ابن عدي: وهذه الأحاديث التي ذكرتها لموسى عامتها غير محفوظة، والضعف على رواياته بين، وذلك قاله الرازي زيادة في تضعيفه.

- وقال ابن حجر في التقريب، م٢، ص٢٨٦، ترجمة ١٤٨٣: ضعيف.

- وقال في الكافي الشاف في تخريج الكشاف، ص١٥٦، في نهاية م٤: حديث أم سلمة فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وقوله: بعث لهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين في الصلاة لم أره.

(٢) انظر تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، م٥، ترجمة ٢٨٤٥، ص٣٢٢، ٣٢٣ وهو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة أبو جعفر العوفي. حدث عن يزيد بن هارون وروح بن عبادة- وكان ليناً في الحديث.

٣) وأما الروايات من ٣-٩ فكلها مرسلة[١]. قال محقق العواصم من القواصم:

(فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد أو قتادة، أو ابن أبي ليلى، أو يزيد بن رومان، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار في مدة مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن الحادث. وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة وأن الذين لهم هوى في تسويء سمعة مثل الوليد، ومن هم أعظم مقاماً من الوليد قد ملأوا الدنيا أخباراً مريبة ليس لها قيمة علمية. وما دام رواة تلك الأخبار في سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التي لا نسب لها...

وهناك خبران موصولان أحدهما عن أم سلمة زعم موسى بن عبيدة أنه سمع من ثابت مولى أم سلمة، وموسى بن عبيدة ضعفه النسائي وابن المديني وابن عدي وجماعة. وثابت المزعوم أنه مولى أم سلمة ليس له ذكر في كل ما رجعت إليه من كتب العلم، فلم يذكر في تهذيب التهذيب، ولا في تقريب التهذيب، ولا في خلاصة تهذيب الكمال بل لم أجده ولا في قفصي الاتهام أعني (ميزان الاعتدال) و (لسان الميزان). وذهبت إلى مجموعة أحاديث أم سلمة في مسند الإمام أحمد فقرأتها واحداً واحداً فلم أجد فيها هذا الخبر. بل لم أجد لأم سلمة أي خبر ذكر فيه اسم مولى لها يدعى ثابت. زد على كل هذا أن أم سلمة لم تقل في هذا الخبر- إن صح عنها- (ولا سبيل إلى أن يصح عنها) أن الآية نزلت في الوليد، بل قالت: (أي قيل على لسانها) بعث رسول الله، ﷺ، (رجلاً) في صدقات بني المصطلق.. إلخ)[٢].

أما رواية الواحدي، وهي التي ذكرها أحمد في مسنده، والتي قال ابن كثير عنها

---

(١) الشاهد هنا أن الروايات لم تأخذ حكم المرفوع فضلاً عن ضعف السند كما مر في رقم (١).

(٢) العواصم من القواصم، لابن العربي، حاشية ص١٠٢-ص١٠٣.

إنها أحسن الطرق[1]، فالمدقق فيها يجد أن الاتفاق جرى بين الرسول، ﷺ، وبين الحارث عند إسلامه، وقد كان في شعبان من السنة الخامسة[2] للهجرة، في غزوة المريسيع (بني المصطلق). والموعد الذي حدد في جمع الزكاة يكون بعد حول من إسلامهم أي في السنة السادسة للهجرة، والوليد بن عقبة بن أبي معيط قد أسلم في عام الفتح مع أخيه الكبير عمارة في نهاية السنة الثامنة للهجرة. وعليه فلا يرد أن يكون الرسول، ﷺ، قد أرسله جابياً لصدقات بني المصطلق وهو كافر ولم يكن وقتئذ بالمدينة. بل كان في مكة كافراً يقيم في دار الكفر. وعليه فترد جميع الروايات التي تذكر أنها نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

والقصة في الحديث تقول: أن الحارث بن ضرار[3] قدم على الرسول، ﷺ، ودعاه الرسول إلى الإسلام وإلى الزكاة. والأمر الذي لا ريب فيه عند أهل المغازي والسير وعلماء الحديث أن الرسول، ﷺ، قتل من بني المصطلق من قتل، وسبى مَنْ سبى حتى أن جويرية بنت الحارث، رضي الله عنها، كانت سبية، وافتداها الرسول، ﷺ، وتزوجها. فكانت غزوة المريسيع أو بني المصطلق بهجوم من الرسول، ﷺ، بغتة على بني المصطلق، ولم يكن كما قالت الرواية أن الحارث بن ضرار هو الذي قدم إلى الرسول، ﷺ. وعليه فترد هذه الرواية لمخالفتها لما هو أصح منها. فقد أورد البخاري في كتاب العتق عن ابن عمر قال: (إن النبي أغار على بني المصطلق وهم غارّون، وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية، وكان ابن عمر محدث الحديث في الجيش الذي أغار على بني المصطلق[4].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٠٩.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، م٧، ص٤٣٠. حيث حققت السنة الخامسة هناك. وانظر مختصر سيرة الرسول، ﷺ، لمحمد بن عبد الوهاب، ص٢٦٦.

(٣) أو ابن ضرار، وهو والد جويرية أم المؤمنين. وقد أكد ذلك ابن حجر في الإصابة تحت ترجمتين ٢٠٤١، ٢٠٤٢، م٢، ص١٩٥، وقال: والصواب أنهما شخص واحد.

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، م٥، ص١٧٠، ترجمة ٢٥٤١، كتاب العتق.

وأمر آخر فقد روى أحمد بن حنبل[1] في مسنده في باب ما جاء في بيعه أهل مكة رجالاً ونساء عن الوليد بن عقبة، رضي الله عنه. قال: (لما فتح رسول الله، ﷺ، مكة جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعولهم فجيء بي إليه وإني مطيب بالخلوق ولم يمسح على رأسي، ولم يمنعه ذلك إلاّ من أمي خلقتني بالخلوق، فلم يمسّني من أجل الخلوق). وسند الحديث هو: حدثنا فياض بن محمد الرّقّي، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن حجاج الكلابي، عن عبد الله الهمداني، عن الوليد بن عقبة. قال ابن العربي في العواصم من القواصم: فمن يكون في مثل هذا السن يرسل مصدقاً؟[2].

قال مخرج أحاديث العواصم من القواصم. (هذا الحديث عن سن الوليد بن عقبة يوم فتح مكة رواه الإمام أحمد في مسنده (٤: ٣٢ الطبعة الأولى) عن شيخ له هو فياض ابن محمد الرقي.. والظاهر أن الوليد بن عقبة تحدث بهذا الحديث عندما اعتزل الناس في السنين الأخيرة من حياته، واختار الإقامة في قرية له من أعمال الرقة، فتسلسلت رواية الخبر في الرواة الرقيّين وأخذه الإمام أحمد عن شيخ له منهم. وعبد الله الهمداني ثقة، لكن التبس اسمه في غير هذه الرواية بهمداني آخر يكنى أبا موسى، واسمه مالك بن الحارث (أي على اسم والد عبد الله الهمداني)، وهو مجهول عند أهل الجرح والتعديل. أما عبد الله الهمداني الذي ينتهي إليه الخبر في رواية الإمام أحمد فمعروف وموثوق به. وعلى روايته وأمثالها اعتمد القاضي ابن العربي في الحكم على سن الوليد بن عقبة بأنه كان صبياً عند فتح مكة وأن الذي نزلت فيه آية ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾. [**الحُجُرات:٦**]. هو شخص آخر[3].

---

(١) انظر الفتح الرباني، لأحمد بن عبد الرحمن البنا، ص١٦٣، ج٢١.

(٢) انظر العواصم من القواصم، لابن العربي، ص١٠٣، ط٥ ، مكتبة دار السنة، بالقاهرة، ١٤٠٨هـ.

(٣) انظر العواصم من القواصم، لابن العربي، ص١٠٤، ط٥، مكتبة دار السنة، بالقاهرة، ١٤٠٨هـ.

وقد وردت رواية مفادها أن الوليد وأخاه عمارة قد ذهبا إلى المدينة في السنة السابعة ليردا اختهما أم كلثوم التي هاجرت مسلمة ومن هذا شأنه لا يكون صغيراً. ويجاب عن هذا أن الرواية تقدم عمارة على الوليد، وكان من عادة العرب أن يصطحبوا الصغار معهم، فالرسول،ﷺ، كان مع عمه وهو صغير إلى تجارة الشام. فيكون الأصل هو عمارة والوليد تابعاً حسب رواية أحمد ولا منافاة بينهما(١).

وأما الزمخشري فقد ذكر في الرواية عن الوليد أمراً آخر حتى يقنع القارئ بصحة سبب التنزيل الذي ساقه فقال في جملة معترضة: (وهو الذي ولاّه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلّى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: هل أزيدكم؟ فعزله عثمان عنهم)(٢). وهذا يدل على عدم التحقق من كثير من المفسرين في مسألة أسباب النزول. وأما ابن العربي في العواصم من القواصم، والفخر الرازي في التفسير الكبير، والخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل فجزاهم الله خيراً فقد شككوا في الروايات التي تطعن بهذا الصحابي الجليل. وكذلك محققو زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، وعلى رأسهم زهير الشاويش(٣).

من هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط؟؟

إنه صحابي جليل أخو عثمان بن عفان لأمه وقد عاش في كنفه، وأُمهما أروى بنت كريز. وأُمها البيضاء بنت عبد المطلب(٤)، أسلم مع أخيه عمارة عام الفتح. وتوفي في خلافة معاوية(٥). كان موضع ثقة أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم،

---

(١) انظر العواصم من القواصم، لابن العربي، ص١٠٤، ط٥، مكتبة دار السنة، بالقاهرة، ١٤٠٨هـ.

(٢) الكشاف للزمخشري، ج٤، ص٨.

(٣) انظر العواصم من القواصم، لابن العربي، ص٩٨- ص١١١. وتفسير الخازن، م٤، ص١٧٨. وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي،ج٧، ص ٤٩١، مطبعة المكتب الإسلامي.

(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج٦، ص٦١٤، ٦١٦ ترجمة ٩١٥٣.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص٦١٥.

جميعاً. فلو كان هو الفاسق المذكور في الآية لما كان بهذه المنزلة عند خير البشر بعد الأنبياء. فقد كان أمين سر الرسائل الحربية بين الخليفة أبي بكر وقائده خالد بن الوليد في معركة عين تمر سنة ١٢هـ، وكان نصيراً لخالد بن الوليد في وقعة المذار في السنة نفسها[١]. كتب أبو بكر للوليد وقد عينه أميراً يخيّره بين أن يبقى والياً وبين أن يرسله إلى الحرب فآثر الوليد الجهاد[٢].

وقد ولاّه أبو بكر على صدقات بني قضاعة. وولاّه على ضاحية قضاعة مما يلي دُومة امْرُؤ القيس. وقد ولاّه إمارة الأردن[٣]. واشترك في حرب الروم، وسمي جيشه ومن أمدهم أبو بكر بجيش البدال الذي كان ينضوي تحت قيادة القائد العام للمعركة خالد بن الوليد[٤]. وقد كان له دور في تحقيق النصر في معركة قنّسرين، وفرّ هرقل نحو القسطنطينية، حيث كان يحمي ظهور المجاهدين في شمال الشام[٥]. وقد جعله الصِّديق نداً لعمرو بن العاص في قيادة الجيوش لفتح الشام، وغزا أذربيجان وهو أمير القوم في سنة ٢٨هـ[٦]. وكان والياً على الكوفة مدة خمس سنوات من سنة ٢٥هـ- سنة سنة ٣٠هـ. وكان يجمع بين الإمارة وقيادة فيالق الجهاد والدعوة إلى الله. وقد أسلم

(١) تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، م٣، ص٣٧٧، طبعة ذخائر العرب دار المعارف بمصر. قال الطبري وذكر السند: (ولما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد على أبي بكر رحمه الله بما بعث به إليه من الأخماس وجهه إلى عياض، وأمده به، فقدم عليه الوليد، وعياض محاصرهم وهم محاصروه، وقد أخذوا عليه بالطريق فقال له: الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف ابعث إلى خالد فاستمده... ففعل).

(٢) انظر تاريخ الطبري، ص٣٨٩، ج٣، والمعروف بتاريخ الأمم والملوك أو الرسل والملوك.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ص٣٩٠، ج٣.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ص٣٩١، ج٣.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ص٦٠٢، ج٣.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج٦، ص٦١٨.

على يديه كثير من نصارى تغلب[١]. وفي خلافة عمر أبقاه على قيادة الجيوش وعلى إمارة بني تغلب، ثم أعفاه من منصبه خشية من شدة الوليد عليهم بعد أن سمع عن شدته[٢]. ويكفي الوليد شهادة الإمام الشعبي، رضي الله عنه، عندما سمع حفيد الوليد (محمد بن عمرو بن الوليد) يتحدث عن بطولة مسلمة بن عبد الملك في الجهاد، فقال: (كيف لو أدركتم الوليد، غزوه وإمارته! إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما قصّر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل عن عمله، وعلى الباب يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي)[٣] وهو أحد قادته. ولما قتل عثمان تحول إلى الرقة فنزلها واعتزل علياً ومعاوية حتى مات بها[٤]. فهل من كان هذا حاله من صحابة رسول الله، ﷺ، يجوز أن يطلق عليه لقب فاسق؟! اللهم إني أبرأ إليك من هذا القول.

وأما التهمة الأخرى: وهي شربه الخمر، وصلاته للصبح أربعاً، وقوله: هل أزيدكم، كما ذكر الزمخشري وغيره فهي فرية، كتب الله له الأجر على صبره عليها، ومثلها كذلك في المؤامرة التي دبّرت له، وشهد زوراً ضدّه بأنه شرب الخمر وتقيأها. والفضل يعود للطبري[٥] في لفت النظر وتوضيح هذه المكيدة له من قبل أعدائه، ونحن هنا لا بدّ من إبرازها وتوضيحها لأمرين، الأول: للذب

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ص٢٧٣، ج٣.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ص٥٦، ج٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ص٢٧٤، ج٤.

(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦ ص٦١٧. وتهذيب التهذيب م١١، ص١٢٦.

(٥) انظر تاريخ الطبري، م٢، ص٦٤٠.

م٣، ص٣٥١، ص٣٧٧، ٣٨٩-٣٩١، ص٤٣٥، ٦٠٢.

م٤، ص٥١، ٥٤-٥٦، ٢٤٦-٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧١، ٢٧٣-٢٧٩، ٣٢٢، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٥٠، ٥٦٤، ٥٧٢.

م٥، ص١٣، ص١٨، ص٤٥، ص٧١.

م٦، ص٨٩، ص٢٨٢.

عن حمى صحابي من صحابة رسول الله،ﷺ، (عرف بالتقوى والجهاد والدعوة إلى الله منذ أن أسلم حتى توفي. وكفاه فخراً اعتزاله الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية، رضي ا لله عنهما،) رمي بالفسق وشرب الخمر.

الثاني: ليعلم المجرمون في هذا الزمان، وفي كل زمان، أن الجريمة لا بد أن تكتشف ولو طال عليها الزمن. فإن نجوا من عقاب الدنيا فلن ينجوا من عقاب رب العالمين. وإن من عنده قدرة على تزوير التاريخ فسينكشف أمره بعد حين.

وَلْيُفْتَح ملف هذه القضية فأقول:

١. روى مسلم في صحيحه: (حدثنا حُضَيْنُ بن المنذر أبو ساسان قال: شهدت عثمان ابن عفان، وأُتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حُمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها. فقال: يا علي: قم فاجلده. فقال علي: قم يا حسن فاجلده. فقال الحسن: وَلِّ حارّها من تولى قارّها "فكأنه وجد عليه" فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده. وعليٌّ يَعُدُّ حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك. ثم قال: جلد النبي،ﷺ، أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين وكل سنة، وهذا أَحَبُّ إليّ)[١].

وقد روى أبو داود[٢] هذه الرواية بالسند نفسه، ولم يذكر الصلاة ولا القول أزيدكم. وكذلك روى ابن ماجة[٣]هذه الرواية بالسند نفسه، ولم يذكر الصلاة قط. وقد ذكر أحمد بن حنبل[٤] الرواية في ثلاثة مواضع، اثنان منها لم يأت على ذكر الصلاة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، م٦، ج١١، ص٢١٦.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم أبادي، م١٢، ص١٨٠، الحديث ٤٤٥٦. كتاب الحدود.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الحدود، ص٨٥٨، م٢، الحديث ٢٥٧١، باب حد السكران.

(٤) الموضعان الأول والثاني: ج١، ص٨٢، ١٤٠، ط١، ج٢، رقم ٢٦٤، ١١٨٤، ط٢، ليس فيهما ذكر للصلاة عن لسان حضين فضلاً عن غيره. والموضوع الثالث من مسند أحمد، ج١، ص١٤٤- ١٤٥، ط١، ج٢، رقم ١٢٢٩، وفيه أن الوليد صلى الصبح أربعاً وهذا يعارض روايته في صحيح مسلم ركعتين ففي إحدى الروايتين تحريف الله أعلم بسببه.

فيها بشيء، وذكرها في الموطن الثالث.

وهذا يدل على أن الزيادة في الصلاة، وأزيدكم، هي من قول الراوي حُضَين في الكوفة حتى تقبل هذه الزيادة منه، فكيف بما قاله الزمخشري أنه صلّى الصبح أربعاً. وعليه فترد هذه الزيادة من الراوي وتعد فرية لعدم ثبوتها في نص صحيح.

٢. أما تهمة شرب الوليد للخمر، فهي مكيدة دُبّرت له وهو بريء منها ومظلوم فيها كذلك. وقد أقام الخليفة عثمان، رضي الله عنه، حدّ الشرب عليه أربعين، كما ورد في صحيح مسلم، قبل قليل. وأعداء الوليد هم الذين شهدوا زوراً عليه. وحُمْرَان[1] هذا الذي ورد في رواية مسلم هو عبد من عبيد عثمان بن عفان طرده

(١) حُمَران بن أبان مولى عثمان بن عفان، اشتراه في زمن أبي بكر الصديق، وقد سبي بعين التمر سنة ١٢هـ من المسيب بن نجبة فأعتقه، قال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين حمران من تابعي أهل المدينة ومحدثيهم. وكان كثير الحديث ولم أرهم يحتجون بحديثه. وحكى قتادة أنه كان يصلي مع عثمان فإذا أخطأ فتح عليه. وحكى الليث بن سعد أن عثمان أَسَرَّ إليه سراً فأخبر به عبد الرحمن بن عوف فاستأمن له عبد الرحمن عثمان وأخبره بما أخبره به فغضب عليه عثمان ونفاه. وقد نزل البصرة، وقال بن حجر عن المسور: أن عثمان مرض فكتب العهد لعبد الرحمن بن عوف ولم يطلع على ذلك إلا حمران ثم أفاق عثمان فأطلع حمران عبد الرحمن على ذلك فبلغ عثمان فغضب عليه ونفاه، ت٧٦هـ، وقيل سنة ٧١هـ. وقد روى له الستة، صـ٢١، م٣، تهذيب التهذيب. وقال ابن سعد في الطبقات: وكان كثير الحديث ولم أرهم يحتجون بحديثه، تحول إلى البصرة فنزلها وادّعى ابنه أنهم من النمر بن قاسط من ربيعة، الطبقات الكبرى لابن سعد، م٥، ص٢٨٣. وانظر الإصابة القسم الثاني، ص١٨٠، ترجمة ٢٠٠٠. ولم يعلق البخاري وابن أبي حاتم الرازي والذهبي على هذا القول، ولم يعطوا فيه رأياً. وذكره يدل على أنه ثقة فقد روى له الستة. وبالرجوع إلى تاريخ الطبري وجدت أن حمران هذا كان ممن سبي في عين التمر كما ذكر الذهبي، وابن حجر، ولكن الرجل كان نصرانياً وقصة سبيه كانت مُروّعة، فقد قتل خالد بن الوليد جميع من في حصن عين التمر، وخلع بابا على غلمان كانوا يتعلمون الإنجيل فسباهم وكان هو منهم. فهذا مؤشر ربما كان الرجل قد أعلن إسلامه خوفاً بعدما أعتقه عثمان. وكان=

من المدينة لارتكابه معاصي فرحل إلى البصرة. وقد ذكر الطبري المؤامرة مفصلة في تاريخه المعروف بتاريخ الأمم والملوك في أحداث سنة ثلاثين تحت عنوان عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولى سعيد بن العاص. ومختصر القصة كما ذكرها الطبري: (قدم الوليد الكوفة، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين، وليس على داره باب. وحدث أن تآمر شباب أهل الكوفة على ابن الحيسمان الخزاعي وقتلوه. وشهد عليهم صحابي جليل اسمه أبو

=حاقداً على المسلمين لا سيما بعدما رآه من ضرب أعناق من كانوا معه من أهل ملته. انظر تاريخ الطبري، م٣، ص٧٧، ص٤١٥.

وقد ذكر الطبري قصة كانت من ضمن الأسباب التي جعلت عثمان يطرده من المدينة فقد تزوج حمران من امرأة في عدتها فنكل به عثمان، وفرق بينهما، وطرده من المدينة. انظر تاريخ الطبري، م٤، ص٣٢٧. وقد ذكر الطبري كذلك أنه وشى بالعابد الصالح عامر بن عبد القيس عند رجال الدولة وقال: إنه لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً ولكن حمران رُدَّ فتتبعه وشهد له أقوام زوراً، أن عامراً لا يرى التزويج، ولا يأكل اللحم، ولا يشهد الجمعة، فسيره الخليفة إلى الشام وأُلِحْقَ بمعاوية. انظر تاريخ الطبري، م٤، ص٣٢٧، ص٣٢٨. وكان قد تنازع مع عبيد الله بن أبي بكر على رئاسة البصرة سنة ٧١ هـ بعد موت عاملها، فاستعان بعبد الله بن الأهتم وعينه على شرطها فغلب بذلك عبيد الله. انظر تاريخ الطبري، م٦، ص١٦٥. من هذه المعلومات فإنني أرجح أن حمران هذا ممن أعلنوا إسلامهم وفي أنفسهم شيء. فطرد عثمان له سواء أكان لإفشائه سراً ائتمنه عليه، أم لمخالفته حكماً شرعياً، وهو زواج امرأة في عدتها، أم للأمرين معاً، يدل على أن الرجل لا يزال متأثراً بماضيه وبقصة أسره. وإذا أضفنا لذلك قصة وشايته بالعابد الصالح وكيف تمت، وكيف استعمل حيلته للتغلب على ولاية البصرة، يجعلنا لا نستغرب شهادته زوراً على الصحابي الجليل الوليد بن عقبة بن أبي معيط مما جعل عثمان يقيم عليه حد الشرب، ويعزي الوليد ويسري عنه قائلاً: **(لا يضرك ذلك فمن ظلم فالله ولي انتقامه، ومن ظُلِمْ فالله ولي جزائه)**. وفي رواية **(نقيم الحدود ويبؤ الشاهد بالنار فاصبر يا أخي)**. تاريخ الطبري، ص٢٧٥، ص٢٧٦، ج٤. وإذا أضفنا أنه كان كثير الحديث ومع ذلك فإن رجال الحديث لا يحتجون بحديثه، أدركنا تماماً أن الرجل عليه علامة استفهام.

شريح، وابنه كان جاراً لابن الحيسمان، فكتب الوليد بن عقبة لعثمان في ذلك. فأمر عثمان بقتلهم على باب القصر في الرحبة. وكان أبو زينب الأزدي، وأبو مورع الأزدي، وجندب يحقدون على الوليد منذ أن قتل أبناءهم ويضعون له العيون. وكان أبو زينب نصرانياً من نصارى بني تغلب قد أسلم على يدي الوليد في نهاية حكمه سنة ٣٠هـ وكان ممن يدخل على الوليد[١]، فقال الثلاثة لوجوه من أهل الكوفة: إن أميركم يشرب الخمر مع أبي زينب النصراني. فقاموا معهم فاقتحموا من المسجد بابه، (ولم يكن لبيته باب) فَفُجِئ الوليد بهم، فنحى شيئاً تحت السرير، فأدخل بعضهم يده فأخرجوه من تحت السرير، فإذا هو طبق عليه تفاريق عنب، (وقد نحاه استحياء أن يروا طبق أميرهم ليس عليه إلا تفاريق عنب)، فخرجوا على الناس وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون[٢]. وسمع الناس بذلك، فأقبل الناس عليهم يسبونهم ويلعنونهم، فستر الوليد ذلك وطواه عن عثمان وصبر عليه. وقد جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود فقالوا إن الوليد يعكف على الخمر. وأذاعوا ذلك فقال ابن مسعود: من استتر عنا بشيء لم نتتبع عورته، ولم نهتك ستره، فعلم الوليد بذلك، فاستدعى ابن مسعود وقال له: أيُرضى من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجيب عليّ! أي شيء أستتر به! إنما يقال هذا للمريب، فتلاحيا وافترقا على تغاضب لم يكن بينهما أكثر من ذلك. ثم تغفل أبو زينب وأبو مورع الوليد، سمروا في منزله، وكان هو ينام مع زوجته، وأختين لهما ترقبانهم، فسلا خاتمه[٣]، وخرجا به لعثمان ومعهم نفر ممن يعرف من أعوانهم، ودبّرا مكيدة الشهادة على شرب الخمر. فاستدعى الخليفة عثمان واليه الوليد، فعرف الوليد أنها مؤامرة دبرت له فسأله فقال الوليد: يا أمير المؤمنين،

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ص٢٧٣، ج٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ص٢٧٥، ج٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري ص٢٧٤ ج٤.

أنشدك الله! فوالله إنهما لخصمان موتوران فقال عثمان: (**لا يضرك ذلك، إنما نعمل بما ينتهي إلينا، فمن ظَلَمَ فالله ولي انتقامه، ومن ظُلِمَ فالله ولي جزائه**). وفي رواية أخرى قال عثمان: (**نقيم الحدود ويبوء الشاهد بالنار فاصبر يا أخي**)[1].

وهذا الذي يفسر به تلكؤ علي في إقامة الحد عليه، وامتناع ابنه الحسن كذلك، حتى أُمر عبد الله بن جعفر، فهذه قصة شرب الخمر، فرية اختلقها أعداء الله الذين يعيثون في الأرض فساداً، وهم موجودون في كل زمان، واتهم ظلماً هذا الصحابي الجليل، الشاب المجاهد الذي نشأ- بعد إسلامه- في طاعة الله ومجاهدة الكافرين.

وهكذا نعيد فتح ملف هذه القضية بعد ألف وثلثمائة وثمانين سنة، لنفضح المجرمين الفعليين، أبو زينب الأزدي، وأبو مورع الأزدي، وجندب وحمران، ولنبرئ المتهم وننصفه من أعدائه، أعداء الله، ليعلم الذين ظلموا في هذه الأيام، أن طلاب الحق لا ينقطعون، فسيتحدث عنهم التاريخ والأجيال القادمة عما اقترفته أيديهم بالإضافة إلى عذاب الله الذين ينتظرهم ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾. [ق].

وعليه فلا نقول إن الوليد، رضي الله عنه، قد أخطأ وتاب[2]. بل نقول إنها فرية دبّرت له ولا يملك الخليفة إلاّ أن يفعل ما فعله عثمان رضي الله عنه، فله الظاهر والله يتولى السرائر.

ومن أمثلة الثقة المفرطة بالعلماء السابقين، والتي أدت إلى ترديد أقوالهم دون تمحيص ما نقله الزركشي في البرهان (فحكى عن عثمان بن مظعون، وعمرو بن معدي كرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة، ويحتجان بهذه الآية وخفي عليهما سببُ

---

(١) انظر تاريخ الطبري ص٢٧٥، ٢٧٦ ج٤.

(٢) كما كان من حاطب بن أبي بلعته وقد أرسله،ﷺ، بعدها إلى المقوقس ملك الاسكندرية. أو قدامة بن مظعون حيث قال الصحابة لعمر صالحه.

نزولهـــــا﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾. **[المائدة]**.

وهذه الحكاية عن هذين الصحابيين خطأ، والركون إلى العلماء الماضين أدى إلى تناقل هذه الحكاية دون تمحيص، فرددها علماء كثر، بعد الزركشي، وعلى رأسهم السيوطي[1]، دون أن يعنوا أنفسهم بالتثبت والتحقق، وبعد البحث **والتدقيق تبين أن عثمان بن مظعون**، رضي الله عنه، توفي بعد عودته من غزوة بدر. وكان أول من مات بالمدينة من المهاجرين. وكان أول من دفن بالبقيع[2]. أي أن وفاته كانت قبل تحريم الخمر. وقد حرمت الخمر في سورة المائدة بعد الأحزاب كما نقل ذلك الطبري[3]. وأما عمرو بن معدي كرب الزبيدي، فقد أسلم بالمدينة على رأس وفد في عام الوفود (السنة التاسعة) وأقام أياماً، ثم أجازه رسول الله،ﷺ، ورجع إلى بلاده مذحج باليمن[4]. وعليه فلم يتم لقاء بينه وبين عثمان بن مظعون ليكونا أبطال هذه الحكاية. والصواب في المسألة هو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقام حد شرب الخمر على **قدامة بن مظعون واليه على البحرين** بعد أن شكاه الجارود، وشهد عليه أبو

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج١، ص٢٨، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص٣٨. مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، ص١٣١. والقرآن ونصوصه للدكتور عدنان زرزور ص١٢٠، وكذلك علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، للمؤلف نفسه ص١٣٢. وغيرهم.

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، القسم الرابع، ترجمة ٥٤٥٧، ص٤٦١، ص٤٦٢. وانظر الطبقات الكبرى، لابن سعد، م٣، ص٣٩٣- ص٤٠٠.

(٣) انظر تفسير الطبري، ص٣٨، ج٧.

(٤) انظر الطبقات الكبرى، لابن سعد، م٥، ص٥٢٥ -٥٢٦. والتاريخ الكبير للبخاري، م٦، ص٣١٢، ترجمة ٢٤٩٦. والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ج١، ص٢٦٠. وانظر الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر، م٤، ص٦٨٦، ٦٩٣، ترجمة ٥٩٧٤.

هريرة، وزوجة قدامة[1]، فعدم التثبت أدى إلى اتهام البريء وتبرئة المتهم. ومن هذا الباب دخل عدد لا بأس به من الروايات إلى دائرة أسباب التنزيل.

خامساً: عدم تقيد فرسان هذا الميدان بحدّ أسباب التنزيل، وبما اختطوه لأنفسهم في هذا السبيل، فيخرجون عند التطبيق عن هذا الحد مما زاد في عملية الخلط بين أسباب التنزيل وبين غيره والأمثلة كثيرة أذكر منها:

قال السيوطي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾. **[البقرة]**. قال: (كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به، فلما بعث محمد،ﷺ، آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى فأنزل الله هذه الآية)[2]. فالرواية تقصر عمر الزمن بين عيسى عليه السلام، وبين محمد،ﷺ. وكأنه أقل من جيل، فكفى ذلك دلالة على عدم صحة الرواية. فضلاً عن كونها سبباً لنزولها. والتاريخ المحشو بالخرافات لم يحدثنا عن أناس عاشوا كامل فترة ما بين الرسالتين، فكيف نصدق مثل هذه الرواية أنها سبب في تنزيل قرآن؟! ولو تقيد السيوطي بمقولته المشهورة: **(والذي يتحرر في أسباب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه)**[3]، لخفف من شدّة الوطأة، ولقل حجم الدخيل في لبابه، ولكفانا شر الموضوعات والإسرائيليات من الروايات. وفي نفس هذه الزلّة وقع عطية الأجهوري في مخطوطه إرشاد الرحمن لأسباب النزول، حيث يقول: **(ويشترط في**

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، م٥، ص٥٥٩-ص٥٦١. الإصابة في تمييز الصحابة، القسم الخامس، ص٤٢٣-٤٢٦، ترجمة ٧٠٩٣.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص٤١، وانظر ما نقله السيوطي من أسباب تنزيل في سورة الجن ص٢٢٦-٢٢٨. حيث لم يتقيد بحدّ أسباب النزول.

(٣) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص٤٢. وانظر لباب النقول كذلك، ص٤.

السبب أن تنزل الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الإمام الواحدي في سورة الفيل)[(١)].

والغريب العجيب أن المؤلف في نهاية المخطوط حين سرد سبب نزول سورة الفيل أورد ما أورده الواحدي نفسه فقال: (سورة الفيل مكيّة خمس آيات الفصل الأول: في أسباب نزولها، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ نزلت في قصة الفيل وقصدهم تخريب الكعبة، وما فعل الله بهم من إهلاكهم، وصرفهم عن البيت وهي معروفة).[(٢)] وذكر في آية البقرة: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾. قال: (قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه سمعوا كلام الله..)[(٣)] وأتبع ذلك بقوله: **(وأنكره الترمذي لأنه من خصائص موسى)**[(٤)]. فغفر الله لعطية الله في هذه الرواية خاصة، فواضح كل الوضوح أنها لا تصلح أن تكون سبب

---

(١) انظر ص٣، من المخطوط، سطر ١٢. وهذه العبارة مأخوذة بنصها عن السيوطي، انظر لباب النقول في أسباب النزول ص٤، والاتقان، ج١، ص٤٢. والمخطوط بدار الكتب القومية، بالقاهرة، برقم ٤٢ تفسير، وعدد أوراقه ٤٢٠، رقم التصوير ٥٢٣، ورقم الميكروفيلم ٢٠٩٠.

(٢) مخطوط إرشاد الرحمن للأجهوري، ص٣٩٠، سطر ١٣، مكتبة دار الكتب القومية، بالقاهرة، برقم ٤٢ تفسير.

(٣) مخطوط إرشاد الرحمن للأجهوري، ص٢٢، ٢٣. مكتبة دار الكتب القومية، بالقاهرة، برقم ٤٢ تفسير.

(٤) وكذلك وقع المعاصرون ممن خاضوا في هذا الموضوع كالشيخ عبد الفتاح القاضي، وعليوي خليفة عليوي، وغازي عناية، فقد نقلوا أن سبب نزول المعوذتين، وهما مكيتان، قصة حدثت بالمدينة في السنة السابعة للهجرة، وهي سحر الرسول ﷺ. انظر القاضي ص٢٥٢، عليوي ج٢، ص٣٤٠. عناية ص٤٢٣. وقد نقلوا سبب نزول الآية: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾. **[البقرة: ١٠٢]**. وهي كذب الشياطين والخرافات المتعلقة بها، القاضي ص١٧. عليوي ج١، ص١١١، وما بعدها. غازي عناية ص٩٨، ص٩٩.

نزول، لأن القصة من قبيل الإخبار عن الماضي كما قال سـابقاً. ولا ننسـى أنـه نقـل إنكار الترمذي للرواية لأن سماع الوحي مـن خصـائص الأنبيـاء لا للسـبعين الـذين ساروا مع موسى عليه السلام. فضلاً عن أن هذه الروايـة لم تقـع أيـام نـزول القـرآن حتى يشتبه عليه أنها سبب تنزيل. وهكذا زاد فرسان هذا الميدان الطـين بلّـة وجعلـوا عمل تحرير هذه الروايـات شـاقاً بسـبب عـدم تقيـدهم بحـد أسـباب التنزيـل. فهـذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة ساهمت في دخول الدخيل لروايات أسباب التنزيل. أسأل الله أن يقيض لها من ينهض لتحريرها.

المبحث الثاني

معنى سبب النزول لغة واصطلاحاً

ينحصر المعنى اللغوي في معرفة كل من المضاف والمضاف إليه. **السبب في اللغة** له معنيان:

الأول: الحبل وما يتوصل به إلى غيره، وجمعه أسباب[1]. فالسبب بمعنى الرابط سواء أكان الرابط مادياً أو معنوياً.

الثاني: القطع، واشتق منه الشتم[2].

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ "سبب" وجمعه أسباب بالمعنى الأول. قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾.**[الكهف]**. قال الزمخشري في الكشاف: (من كل شيء) أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه. [سبباً]: طريقاً موصلاً إليه. والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة)[3]. وقال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾.**[البقرة]**. قال الزمخشري[4]: ٱلۡأَسۡبَابُ : الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الأنساب والمحاب والأتباع والاستتباع كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾. **[الأنعام:٩٤]**.

---

(١) ذهب إلى هذا المعنى كل من الفيروز أبادي في القاموس المحيط، والزبيدي في تاج العروس، وابن منظور في لسان العرب، والزمخشري في أساس البلاغة، والراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن. انظر في هذه الكتب مادة سبّ.

(٢) ذهب إلى المعنى الثاني ابن دريد في جمهرة اللغة، وأحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري، ج٢، ص٤٠٠، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري، م١، ص١٠٦.

أما النزول: فهو هبوط الشـيء ووقوعـه[1]، والحلـول[2]، ونـزل مـن علـو إلى سُفْل[3].

والنُزُل: ما يُعد للنـازل مـن الـزاد أو المكـان. قـال تعـالى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾. [السجدة:١٩]. ويُعبَّر بالنازلة عن الشِّدَّة[4]. والنزول في هذا المركب الإضافي محلّى بالألف واللام فيفيد العهد أي القرآن المعهود نزوله.

وعليه يكون معنى المركب الإضافي هو ما يتوصل به إلى معرفة نزول القرآن.

أسباب التنزيل في الاصطلاح

الناظر في تعريفات أسباب التنزيل القدامى والمعاصرين[5] يجدها متقاربة وتجمع على أمرين:

الأول: وقوع حادثة أو سـؤال. وعناصـر الحـدث هـي، زمـان ومكـان وأشـخاص وموضوع.

الثاني: نزول شيء من القرآن بشأن تلك الحادثة أو السؤال متزامناً مع وقوع الحدث أو السؤال.

قال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ت١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م: (أسباب النزول ما

(١) معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس.

(٢) القاموس المحيط للفيروز أبادي.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

(٥) انظر البرهـان للزركشـي، ج١، ص٣١. الاتقـان للسـيوطي، ج١، ص٤٢. مناهـل العرفـان للزرقـاني، ج١، ص٩٩-١٠١. الصـحيح المسـند مـن أسـباب النـزول لمقبـل الـوادعي، ص٨. مباحث في علوم القرآن لقصبي زلط، ص٥٦. مباحـث في علـوم القـرآن لمنـاع القطـان، ص٧٨. أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين لعبد الفتـاح القاضـي، ص٥. مباحـث في علـوم القـرآن للدكتورة وسيلة بلعيد، ص٢٤.

هي إلاّ مناسبات، لا أسباب حقيقية، وإن سميت أسباباً على طريقة التسامح والتجاوز)[1].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م: (أسباب نزول آي القرآن هي حوادث، يروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها، كبيان حكمها، أو لحكايتها، أو إنكارها أو نحو ذلك)[2].

وبعد فيكون المعنى المختار (عندي) لأسباب التنزيل هو: الأحداث المعينة التي وقعت، والأسئلة والاستفتاءات المحددة التي وجهت لرسول الله، ﷺ، ونزل بشأنها قرآن متزامناً مع جريان الحدث أو السؤال، فيخرج بذلك ما يأتي:

١. الأوضاع العامة التي نزل القرآن ابتداء ليعالجها.
٢. الوقائع التي سبقت نزول القرآن كقصص السابقين، وأخبار الماضين، وأحوال الرسل في أقوامهم.
٣. الروايات التفسيرية التي لم تتقيد بزمن نزول الآية أو الآيات.
٤. الروايات التي جاءت لم ينطبق عليها النص ولا يحتملها.
٥. الروايات التي قيلت في آيات مشابهة للآية التي جاءت لتعالج حادثة معينة.
٦. الروايات التي حدثت بمكة وأسندت لآيات نزلت بالمدينة أو العكس.
٧. الإسرائيليات التي لا تمت لعهد النبوة بصلة[3].

(١) مباحث في علوم القرآن. د. وسيلة بلعيد بن حمدة. ص١١، دار الجويني للنشر، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، تونس.

(٢) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، م١، ص٤٦.

(٣) موقفي من الإسرائيليات أنها علم لا ينفع وجهل لا يضر. وهي وإن كانت مسألة خلافية بين العلماء إلا أنني أرى أن الإسلام لا ينقص بحذفها ولا يزداد بياناً بوجودها. وكفاها سوءاً أنها شوهت كثيراً من القضايا في الإسلام، وأبعدتنا عن الفهم الدقيق لما جاء به الوحي، وعمقت جذور الخرافات والأساطير في نفوس القائلين بها، وكانت الباب الذي ولج منه أعداء الإسلام في الماضي والحاضر للدس عليه، والتحريف وإشغال المسلمين بما لا طائل وراءه.

٨. الأحداث التي تتحدث عن المستقبل والتي تدل على إعجاز القرآن، وعلى معجزة الرسول،ﷺ، والتي تدل في حقيقتها على إحاطة علم الله بكل شيء.

هذا، ومن الجدير بالذكر أن القرآن كان يتنزل على سيدنا محمد دون أن يكون له،ﷺ، دور في تنزله لا في اختيار المكان ولا الزمان ولا في الموضوع. وتنزله مقتصر على الله تعالى، ولذلك نزل القرآن ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، في الغار وهو مع الناس، نزل عليه وهو نائم، وهو قائم، وهو راكب، وهو ماش، وهو مسافر، وهو مقيم. وقد يطلب سيدنا محمد،ﷺ، نزول الوحي ويتأخر عنه كما حدث على أثر أسئلة قريش الثلاثة التي كانت بدافع من اليهود وهي: السؤال عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، وقد تنزل القرآن بمواضيع في مكة أضيف لها مواضيع أخرى في المدينة. ومن الجدير بالذكر كذلك أنه لم يرد عن الرسول،ﷺ، أنه لفت الأنظار إلى علم أسباب النزول، ولا طلبه، ولم توجد آيات أو أحاديث بهذا الخصوص. وجل القرآن تنزل بدون أن يكون بشأن حدث محدد أو إجابة عن سؤال أو استفتاء. ولو نص على هذا العلم لنقله الصحابة والتابعون، رضوان الله عليهم.

معنى سبب التنزيل عند الصحابة، رضوان الله عليهم،

لم أعثر على حد لأسباب التنزيل عند الصحابة، رضوان الله عليهم، ولكنهم كانوا يدركونها بحكم أن أوضاعهم وحياتهم هي مناط إنزال الآيات، وكانوا يرون أن كل واقع تنطبق عليه الآية يكون القرآن نزل فيه، ولذلك تراهم يقولون نزلت الآية في كذا وهم يقصدون أن هذه الآية متعلقة في كذا. فتراهم يجمعون في تفاسيرهم بين تفسير الآيات وبين أسباب التنزيل. ولم يكن هذا العلم مبلوراً عندهم لأنهم ليسوا بحاجة إليه فكانوا يدركونه بالقرائن. قال الشيخ أبو الفتح القشيري، المشهور بابن دقيق العيد: (وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا)[1]. وقد وصلتنا

(١) انظر البرهان، في علوم القرآن، ج١، ص٢٢. وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص٤١، النوع التاسع.

تصريحات عن بعض الصحابة تدل على تفوقهم في هذا الأمر. قال عبد الله بن مسعود: (والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أُنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله منّي تبلغه الإبل لركبت إليه)[١].

وكان علي كرم الله وجهة يقول: (سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله تعالى، فو الله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار) [٢] .كما روي عنه أنه كان يقول: (ما في قريش أحد إلاّ وقد نزلت فيه آية)[٣]. لقد عاش بعض الصحابة في أكناف بيت النبوة، وتيسرت لهم ظروف الانتهال من معين الوحي ما لم يتيسر لغيرهم، ولذلك سأختار نماذج من تفاسير كل من عائشة، رضي الله عنها، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، رضوان الله عليهم، وهم من أشهر من عاش في أكناف بيت النبوة ووصلنا بعض تفاسيرهم لكي أطبق معنى سبب التنزيل عليها فنعرف بالتالي معنى سبب التنزيل عندهم.

نماذج مختارة من تفسير عائشة، "أم المؤمنين" رضي الله عنهما.

١. قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾. **[البقرة]**.

قال البخاري: (حدثنا علي بن سلمة، حدثنا مالك بن سعير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: أُنزلت هذه الآية في قول الرجل: "لا والله

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي- فضائل عبد الله بن مسعود، م٨، ج١٦، ص١٧، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨١م.

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، القسم الرابع، ص٥٦٨، ترجمة علي بن أبي طالب، رقم ٥٦٩٢.

(٣) انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لطاش كبرى زاده، ج٢، ص٥١١.

وبلى والله")[1].

وقال عبد الرزاق: (أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني عطاء أنه جاء عائشة أم المؤمنين مع عبيد بن عمير، وكانت مجاورة في جوف ثبير[2] في نحو منى، فقال عبيد: أي هنتاه ما قول الله عز وجل: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾؟ قالت؟ هو الرجل يقول: لا والله. وبلى والله)[3].

وقال ابن أبي حاتم: (قرئ على يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني الثقة، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أنها كانت تتأول هذه الآية وتقول: "هو الشيء يحلف عليه أحدكم، لا يريد منه إلا الصدق، فيكون على غير ما حلف عليه")[4].

هذه روايات ثلاث عن أم المؤمنين، رضي الله عنها، الأولى قد يفهم منها أنها سبب نزول للنص (أنزلت هذه الآية في قول الرجل). والثانية جواب عن سؤال، وهو موقوف عليها.

والثالثة: أنها تفسير (كانت تتأول هذه الآية). وحال هذه الروايات واحد، فالرواية الأولى تفسير شأن الروايتين الأخريين، فهي لم تنزل في حدث معين ولا في إنسان مخصوص، فهي معالجة لأمر من أمور الحياة العامة وهو الإكثار من الحلف أثناء حديث الرجل. وهذا ينطبق على الاستقراء الذي قال به الزركشي أنه من عادة

---

(١) فتح الباري، م٨، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٦١٣، ص٢٧٥، المطبعة السلفية. وطرف الحديث في رقم ٦٦٦٣، باب١٤، من كتاب الأيمان والنذور. انظر تفسير عائشة، رضي الله عنها، جمع وتحقيق د. عبد الله أبو السعود بدر، ص٢٠ طباعة ستانسل، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٢) مجاورة: معتكفة، ثبير: جبل في أنحاء منى.

(٣) تفسير عائشة، عبد الله أبو السعود بدر، ص٢٠، وانظر تفسير الطبري، ج٢، ص٤٠٥، ٤٠٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ج١، ص٢٦٧، طبعة دار المعرفة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م- تفسير الطبري، ج٢، ص٤٠٧، طبعة دار الفكر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م- تفسير عائشة، عبد الله أبو السعود بدر، ص٢٠.

الصحابة، رضي الله عنهم، أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه القضية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها.

٢. قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾. [النساء:٣].

قال البخاري: (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري الأويسي، حدثنا إبراهيم ابن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب، أخبرني عروة أنه سأل عائشة، رضي الله عنها، وقال الليث: حدثني يونس، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة، رضي الله عنها، عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ إلى ﴿وَرُبَاعَ﴾ فقالت: يا ابن أختي، هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليّها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلاّ أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهنّ من الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن)(١).

وفي رواية أخرى عنده: (حدثنا محمد، أخبرنا عبده، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: الآية. قال: (عروة راوياً عن عائشة) اليتيمة تكون عند الرجل وهو وليها، فيتزوجها على مالها، ويسيء صحبتها، ولا يعدل في مالها، فليتزوج ما طاب له من النساء سواها مثنى وثلاث ورباع) (٢).

وقال مسلم: (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا: حدثنا أبو أسامة، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة في قوله: (الآية) قالت: أنزلت في الرجل تكون له اليتيمة، وهو

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٥٧٦، ص٢٣٩، ج٨، كتاب التفسير. وانظر العجاب في الأسباب لابن حجر، ورقة ١٦٧أ. وانظر صحيح مسلم شرح النووي، ج١٨، ص١٤٥، ١٥٥.

(٢) تفسير عائشة، ص٢٠، وقد ساق الرواية عن صحيح البخاري، ٧/ ١١، طبعة الشعب.

وليها ووارثها، ولها مال، وليس لها أحد يخاصم دونها، فلا ينكحها لمالها، فيضرُّ بها، ويسيء صحبتها، فقال الآية يقول: ما أحللت لكم، ودع هذه التي تضرُّ بها)[1].

فروايات البخاري واضح أنها تفسيرية من قبل عائشة، رضي الله عنها. ورواية مسلم قد توحي بأنها سبب تنزيل لقولها: (أنزلت في الرجل). ولكن صيغة الرواية لا تدل على أنها في شخص معين، أو في واقعة محددة، فتحمل على أنها تفسير شأن روايات البخاري عن الصحابية نفسها، رضي الله عنها. ويؤيد هذا ما رواه البخاري ومسلم في آية بعدها: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾. **[النساء: ١٢٧]**. حيث وردت الروايات بعين المعنى عن الراوي نفسه وهي عائشة، رضي الله عنها[2]. وقد ورد عند البخاري كذلك قال: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام عن ابن جريج قال: أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، رضي الله عنها، أن رجلاً كانت له يتيمةٌ فنكحها، وكان لها عَذْقٌ، وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه الآية أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله[3] قال بن حجر:

(إن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها) هكذا قال هشام عن ابن جريج، فأوهم أنها نزلت في شخص معين، والمعروف عن هشام بن عروة التعميم، وكذلك أخرجه الإسماعيلي من طريق حجّاج بن محمد، عن ابن جريج ولفظه: (أنزلت في الرجل يكون عنده اليتيمة..إلخ). وفيه شيء آخر نبه عليه الإسماعيلي وهو قوله: (فكان لها

---

(١) تفسير عائشة، ص٣١، ص٣٨، ص٣٩. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨/ ١٥٥-١٥٦. وانظر تفسير الطبري، ٤/ ٢٣٢.

(٢) انظر فتح الباري، م٨، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٥٧٦، ص٢٣٩.

(٣) الحديث رقم ٤٥٧٣، فتح الباري، ص٢٣٨، كتاب التفسير، ج٨. وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب، ص١٧٦أ.

عَذْق فكان يمسكها عليه). فإن هذا نزل في التي يرغب عن نكاحها، وأما التي يرغب في نكاحها فهي التي يعجبه مالها وجمالها فلا يزوجها لغيره، ويريد أن يتزوجها بدون صداق مثلها ورواية حجّاج بن محمد سالمة من هذا الاعتراض فإنه قال فيها: (أنزلت في الرجل يكون عنده اليتيمة وهي ذات مال..إلخ).

قوله: (أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق) هو شك من هشام بن يوسف. ووقع مبيناً مجزوماً به في رواية أبي أمامة، ولفظه: (هو الرجل يكون عنده اليتيمة هو وليها وشريكته في ماله حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في ماله فيعضلها، فنهوا عن ذلك)[1]. وقال في مخطوط العجاب أن رواية: (أن رجلاً كانت له...) وهكذا أورده مختصراً من هذا الوجه وأورده هو ومسلم وغيرهما من طريق أبي أُمامة عن هشام بلفظ أنزلت هذه الآية: (في الرجل تكون له اليتيمة... فقال الله تعالى﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾الآية[2] وهكذا يبقى القول إن الآية لا يوجد لها سبب تنزيل وإن هذه الروايات تفسيرية).

٣. قال تعالى:﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾. **[الإسراء]**.

قال البخاري: (حدثنا علي، حدثنا مالك بن سعيد، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: الآية نزلت في الدعاء[3].

وقال الطبري: (حدثني أبو السائب، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت هذه الآية في التشهد)[4].

---

(١) المصدر السابق، فتح الباري، ص٢٣٩، ص٢٤٠. وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب، ص١٧٦أ.

(٢) العُجاب في الأسباب، ص١٧٦أ.

(٣) فتح الباري، م٨، ص٤٠٥، كتاب التفسير، الحديث رقم ٤٧٢٣. وطرفاه في ٦٣٢٧، ٧٥٢٦، تفسير، عائشة، ص٨٩.

(٤) تفسير عائشة، ص٨٩.

الروايتان عن عائشة، رضي الله عنها، الأولى تقول إنها في الـدعاء، والثانيـة في التشهد. وروى الطبري عن عطاء يقول قوم إنها: في الصلاة. ولا تعـارض بـين هـذه الأقوال أي في الصـلاة، وإن كـان لفـظ الـدعاء عـام في الصـلاة وخارجهـا، ولكـن الروايات الأخرى تنص على أنها في الصلاة، فيحمل الدعاء على الصـلاة جمعـاً بـين الروايات. ولو كانت الروايات في سبب التنزيل لما اختلفت وتعددت. والآيـة مكيّـة، وهي تتعلق بأدب الصوت فيما يقال في الصـلاة مـن قـراءة قـرآن، ودعـاء، وتشـهد، وغيره. ولم تنزل الآية في العهد السري من الدعوة، بل نزلت والصراع على أشده مع كفار قريش، وقد كان يتأذى بعض كفار قريش. من صوت القرآن وربما سبوا القرآن، وكان فريق منهم يسترق السمع خشية أن لا يـراه أمثالـه[1]. وعليـه فهـذه الروايـات تفسيرية وليست سبباً في نزول الآية.

٤. قـــــال تعـــــالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾. [النور].

قال البخاري: (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبـراهيم بـن سـعد، عـن صالح، عن ابن شهاب، قال: حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب وعلقمة بـن وقاص، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة، رضـي الله عنهـا، زوج النبي،ﷺ، قالت: قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح بن أثاثـه لقرابتـه منـه ولفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قـال: فـأنزل الله الآية، قال أبو بكر الصديق: (بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسـطح

---

(١) انظر فتح الباري، حديث ابن عباس، رقم ٤٧٢٢، كتاب التفسير. وأطرافه في كتاب التوحيد في ٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧، المطبعة السلفية.

النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً)[1].

هذه الرواية تعد سبب نزول لأنها وإن وقعت في خضم أحداث الإفك، فأشخاص الرواية معينون وهم أبو بكر الصديق ومسطح ابن خالته. قال الرازي: (كل من طالع كتب التفسير والأحاديث علم أن اختصاص هذه الآية بأبي بكر بالغ إلى حد التواتر)[2]. والآية مدنية، وقصة الإفك كذلك. وهناك تناسق بين نص الآية والأحداث في الزمان، والمكان، والأشخاص، والموضوع. ولهذا تُعَدُّ سبب نزول. وتعيين أنها سبب نزول لم يكن من اللفظ (فأنزل الله الآية)، وإنما من القرائن والأحوال التي حفت بالقضية. واللفظ (فأنزل الله) عام يشمل سبب النزول والتفسير. والواقع أن قصة الإفك هي السبب الرئيس في نزول الآيات ١٠-٢٦ من سورة النور، وتبرئة أم المؤمنين مما افتري عليها هو السبب الرئيس الذي من أجله تنزلت الآيات. وشملت ما جرى من أحداث صاحب الإفك، وقد ترتب عليها امتناع أبي بكر عن الانفاق على مسطح لاشتراكه مع من خاضوا، وقد عالجت الآيات ما ينبغي أن يكون عليه أبو بكر وأمثاله من الإحسان، فتراجع أبو بكر عن موقفه وانصاع للأمر الإلهي. فهي سبب نزول بلا شك. هذا فضلاً عن تناسق الرواية مع نص الآية، وسياق الآيات في السورة.

٥. قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.[النساء:١٢٨].

عن عائشة في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾. قالت: هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر[3] منها، فيريد طلاقها ويتزوّج غيرها. تقول له:

---

(١) تفسير عائشة، ص١٠٨، عبد الله أبو السعود بدر- والرواية جزء من الحديث رقم ٤٧٥٠ من حديث الإفك. فتح الباري، م٨، ص٤٥٥، المطبعة السلفية- التفسير الكبير للرازي، ج٢٣، ص١٨٦.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٢٣، ص١٨٧.

(٣) تقصد من الجماع وذلك لكبر سنها.

أمسكني ولا تطلقني، ثم تزوّج غيري، وأنت حل من النفقة عليّ والقسم لـي، فـذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ متفق عليه[١].

وقال الحاكم: حدثنا أبو بكر بن إسحق الفقيه، أنبأنا الحسن بن علي ابن زيادة، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد[٢]. عن هشام بن عـروة، عـن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: يا ابـن (أخـتي، كـان رسـول الله،ﷺ، لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا، وكان كل يوم إلاّ وهو يطـوف علينـا فيـدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عنـدها. ولقـد قالـت سودة بنت زمعة حين أسنّت وفَرِقَتْ[٣] أن يفارقها رسول الله،ﷺ، قالت عائشة، رضي الله عنها: في ذاك أنزل الله عـز وجـل فيهـا وفي أشـباهها[٤]﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾الآية.

والروايات في هذا الموضوع لا تـدل علـى أنهـا سـبب نـزول، فالروايـة الأولى واضح فيها التفسير، وهي متفق على صحتها عند البخاري ومسلم. والثانية قد توحي أنها سبب نزول لقول عائشة: (في ذلـك أنـزل الله عـز وجـل فيهـا وفي أشـباهها)[٥].

---

(١) نيل الأوطـار للشـوكاني، م٦، ص٢٤٥. أسـباب نـزول القـرآن للواحـدي، ص١٧٨. تفسـير ص٤٠. وانظر الروايات في أبواب التفسير من سورة النساء، وفي كتب النكـاح- بـاب النشـوز. هبة المرأة ليلتها لضرتها.. إلخ. وعند مسلم كتاب التفسير، ص١٥٧، م٩، ج١٨.

(٢) قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود، قال المنذري: في إسناده عبد الـرحمن بـن أبـي الزنـاد، وقد تكلم فيه غير واحد، ووثقه الإمام مالك بن أنس، واستشهد به البخاري.

(٣) خَشِيَتْ.

(٤) تفسير عائشة، ص٤٠، عن أحمد ٦/ ١٨٨. ورواه أبو داود، برقم ٢١٢١، ص١٧٢، ١٧٣، م٦، عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي.

(٥) ورد في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمـذي، لمحمـد بـن عبـد الـرحمن المبـارك، م٨، ص٤٠٤. رواية أخرجها ابن سعد عن ابن أبي بزّة مرسلاً أن النبي،ﷺ، طلق سودة فقعدت في طريقـه، ﷺ، وقالت له: والذي بعثك بالحق ما لي في الرجال حاجة. ولكن أحب أن أُبعث مع نسـائك يـوم=

فالرسول،ﷺ، لا يرد في حقه أنه أراد طلاق سودة، رضي الله عنها، لكبرها، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، ﷺ، "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[1]. وهل الخيرية في الرسول،ﷺ، أن يفارق زوجته لأنها كبرت سناً؟ والرسول،ﷺ، يقول: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق"[2]. رواه ابن عمر. فهل يقوم بالطلاق لهذا الأمر؟! لا سيما أنه لم يرد قط أن الرسول،ﷺ، قد فعل مكروهاً. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن رواية الحاكم تدل على أنها لضرب المثال، ففي هذا وفي أشباهها ولا تدل على أنها سبب نزول، وهذه الصيغة تحتمل التفسير وتحتمل سبب التنزيل، فترجح رواية المتفق عليه لكونها أقوى منها بأنها تفسير وليست سبب تنزيل. وبقية الآية هو: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾.**[النساء]**.

فالأنفس الشح وصف للنفوس البشرية من الزوجين، وهل الرسول،ﷺ، يتصرف من وحي طبيعته البشرية أم بما يوحي الله إليه؟ والجواب: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، ثم إن أي رواية تنص على أن رسول الله،ﷺ، كان يريد أن يفارقها لا تقبل وترد اللهم إلاّ إذا وجد تصريح من الرسول،ﷺ، بذلك، فلا يعلم ما في نفس

=القيامة.. وراجعها وجعلت يومها لعائشة.. وهذه الرواية تتعارض مع الروايات الأقوى منها من خشيتها الطلاق، ولم تصرح بالطلاق فترد هذه الرواية المرسلة.

(١) الحديث رواه الدارمي في سننه، كتاب النكاح، باب في حسن معاشرة النساء، م٢، ص١٥٩، طبعة دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه أبو داود، برقم ٢١٦٤، كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق، ص٢٢٧، ج٦، من عون المعبود شرح سنن أبي داود. وقال صاحب كتاب سبل السلام: (محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني) رواه أبو داود، وابن ماجة، وصححه الحاكم، وفي الهامش قال محمد عبد العزيز الخولي: وأقره الذهبي، وقال إنه على شرط مسلم، ولكن متنه متضارب إذ بغض الله له مناف حله، ص١٦٨، ج٣. سبل السلام، ط٤، ١٣٧٩هـ،١٩٦٠م.

الرسول،ﷺ، إلاّ إذا صرّح هو به. أو جاء القرآن ليخبر عنه. فالقول إن الآية نزلت في سودة بنت زمعة، رضي الله عنها، وفي الرسول،ﷺ، زعم لا يرقى لدرجة الحقيقة.

وإذا نظرنا في كتب التفسير نجد أن روايات أسباب التنزيل تنص على غيرها فقيل نزلت في ابن أبي السائب وزوجته[1]. وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: فكانت لابن أبي السائب زوجة وله منها أولاد، وكانت شيخة فهمَّ بطلاقها... إلخ. وروى الحاكم عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار عن رافع بن خديج أنه كانت تحته امرأة[2] قد خلا من سنها فتزوّج عليها شابة، فآثر البكر عليها، فأبت امرأته الأولى أن تقر على ذلك فطلقها تطليقة حتى إذا بقي من أجلها يسير، قال: إن شئت راجعتك وصبرت على الأثرة وإنْ شئت تركتك حتى يخلو أجلك؟ قالت: بل راجعني، أصبر على الأثرة، فراجعها. ثم آثر عليها فلم تصبر على الأثرة فطلقها الأخرى. وآثر عليها الشابة قال فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله قد أنزل فيه الآية. قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ولم يخرجاه[3]. ولم يعقب الذهبي على قول الحاكم واكتفى بالإشارة (خ م).

ومن الجدير بالذكر أن الواحدي ذكر في سبب نزول هذه الآية رواية عائشة التي تدل على أنها تفسير، وأخرج الرواية عن الشيخين. والثانية روى ابن سعيد بن المسيب في أنها بنت محمد بن مسلمة زوجة رافع بن خديج واسمها خولة، ولم يذكر رواية سودة بنت زمعة. وهذا الذي تطمئن إليه النفس، ويرتاح إليه الباحث فيما يتوصل إليه في هذا الموضوع. وإذا نظرنا إلى حياة رافع بن خديج نجد أنه عرض على

---

(١) روح المعاني للآلوسي، ص١٦١، ج٥. عن ابن جرير الطبري- انظر التفسير الكبير للرازي، ص٦٥، ج١١.

(٢) ابنه محمد بن مسلم، كما صرح بذلك الشافعي في رواية ابن المسيِّب، وهي أُم عبد الحميد. انظر الإصابة، قسم ٨، ترجمة ١٢١٤٩، ص٢٥٤. انظر تفسير الألوسي، ص١٦١، ج٥، تفسير الآية في سورة النساء. وانظر تفسير القرطبي، ص٤٠٤، م٥، وتفسير ابن كثير، ص٥٦٣.

(٣) المستدرك للحاكم ص٣٠٩، ج٢، كتاب التفسير. وانظر تفسير الطبري، ص٣٠٩، ج٥.

النبي ﷺ، يوم بدر فاستصغره، وأجازه يوم أُحد[1]، فمن كان هذا شأنه، لا يعقل أنه كان عند نزول سورة النساء متزوجاً امرأة وقد كبر سنّها، ثم آثر بكراً عليها. فكل هذا يكون قد حدث بعد نزول الآية. وقد توفي الرجل في خلافة معاوية، كما ذكر ذلك البخاري، واعتمدها ابن حجر في الإصابة[2]. وعليه يبقى القول الصحيح في المسألة وهو أن الآية لم يثبت لها رواية في سبب النزول. وكل ما قيل فيها من روايات، تفسير لنص الآية ليس غير.

مما سبق ندرك أن مرويات أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها تجمع التفسير مع أسباب التنزيل، ولم يرد عنها صيغ خاصة تميّز بين الأمرين. وهذا أمر طبيعي لأن علم أسباب التنزيل لم يكن مبلوراً، ولم تكن قواعده قد أسست بعد. فهم يدركونه كما أدركوا الرفع في الفاعل، والنصب في المفعول به، والجر في المجرور. فالمثال في قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ له سبب نزول. وما عداه من الأمثلة يعد تفسيراً.

نماذج مختارة من تفسير ابن عباس، رضي الله عنه.

١. قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾. [البقرة].

قال الإمام البخاري: (حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز[3] أسواقاً في الجاهلية،

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ترجمة ٢٥٢٨، ص٤٣٦، القسم الثاني- تحقيق علي محمد البيجاوي.

(٢) المصدر السابق، ص٤٣٧. وانظر القسم الثامن، ترجمة أُم عبد الحميد امرأة رافع بن خديج، ١٢١٤٩، ص٢٥٤.

(٣) **عكاظ:** نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال (حاشية القرطبي، ج٢، ص٤١٣).=

فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج قرأها ابن عباس).

وفي رواية أخرى للإمام البخاري: فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس هكذا[1]. (وروى مجاهد عن ابن عباس قال: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الحج: يقولون أيام ذكر الله عز وجل، فأنزل الله تعالى (الآية فاتجروا)[2].

هذا، وقد ذكر ابن حجر هذه الرواية في مخطوط العجاب في الأسباب ورقة ١٧٩أ. والمدقق في هذه الروايات وأمثالها، سواء وردت عن ابن عباس أم عن غيره يجد أنها تدل على الأوضاع العامّة، وليس على سبب معين. فسورة البقرة من أوائل ما نزل بالمدينة واستمرت في النزول حتى وفاة الرسول،ﷺ، والحج طبّقة المسلمون عملياً في السنة التاسعة حيث أرسل الرسول،ﷺ، أبا بكر أميراً على الحج، ثم أتبعه بعلي ليبلغ الناس أول سورة براءة يوم عرفة. وما زعم أنه قراءة لابن عباس (في مواسم

=**ذو المجاز**: خلف عرفة.

مِجَنَّةَ: بمرّ الظهران قرب جبل يُقال له الأصفر، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها.

وكان أهل الجاهلية يصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة، ثم يذهبون منه إلى مجنة بعد مضي عشرين يوماً من ذي القعدة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة ذهبوا من مجنة إلى ذي المجاز فلبثوا فيه ثمان ليال. ثم يذهبون إلى عرفة.

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، الباب الأول، حديث رقم ٢٠٥٠، ص٢٨٨، وباب رقم ٣٥، حديث رقم ٢٠٩٨، ص٣٢١. وأخرجه أبو داود، كتاب الحج، باب رقم٥- ٧، حديث رقم ١٧٣١، ١٧٣٤. وسنن البيهقي، كتاب الحج، باب التجارة في الحج، ٤/ ٣٣٣. تفسير ابن كثير م١، ص٢٣٩. القرطبي ص٤١٣، ج٢. تفسير البغوي ١/ ١٧٤. أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥٦.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥٦. تفسير الدر المنثور، ١/ ٥٣٤. الطبري ٢/ ٢٨٢. تفسير ابن كثير، م١، ص٢٣٩.

الحج) هو تفسير. ولا يجوز أن يُقال عنه قراءة لأنه ليس متواتراً، ويخالف المتواتر. وهذا يزيد في تأكيد أن ما ورد عن ابن عباس هو تفسير ليس غير.

وابن حجر جعلها قراءة شاذة كما قال في فتح الباري[1]. ورفع الجناح تكرر كثيراً في القرآن في المسائل التي تحرّج فيها المسلمون لتشابه ما كان يقوم به المسلمون قبل إسلامهم مع أعمال الجاهلية. فالطواف مثلاً ورد فيه ذلك﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.[**البقرة:١٥٨**].

ومن الحرج ما ورد في القصر في الصلاة كذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾. [**النساء:١٠١**].وقد تكررت خمساً وعشرين مرة، منها رفع الحرج عن المسلمين في التجارة والانتفاع في موسم الحج، فعن أبي أمامة التيمي قال: سألت ابن عمر فقلت: إنا قوم نُكْرى في هذا الوجه[2]، وإن قوماً يزعمون أنه لا حج لنا. قال: ألستم تلبون؟ ألستم تطوفون؟ ألستم تسعون بين الصفا والمروة؟ ألستم..ألستم؟ قال: (قلت): بلى، قال: إن رجلاً سأل النبي،ﷺ، عمّا سألت عنه فلم (يدر ما يرد عليه حتى نزلت:﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾. فدعاه فتلا عليه حين نزلت فقال: أنتم الحجاج)[3]. فجواب ابن عمر، رضي الله عنه، يدل على أن مثل هذا السؤال قد سبق وأن سئل لرسول الله،ﷺ، وأجابه عليه. فهي من الأحوال العامة ولا يوجد فيها سبب نزول خاص. وسياق الآيات ١٩٦-٢٠٠ يدور حول أحكام الحج ومن جملتها رفع الحرج عن الانتفاع وابتغاء الفضل في موسم الحج. وهذا

(١) فتح الباري، م٣، ص٥٩٥.

(٢) يؤجرون رواحلهم في الحج.

(٣) أسباب النزول للواحدي، ص٥٥. وقد وردت هذه الرواية في صحيح البخاري، وتفسير الدر المنثور، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، في الموطن نفسه التي ذكرت فيه رواية سبب نزول هذه الآية كما سبق قبل قليل في الحاشية.

يشبه ما ورد في سورة الحج ٢٧-٣٠ ومنها ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ ورواية ابن عباس دلت على عموم الحدث "تأثموا من التجارة فيها"، وذكر أسواق الجاهلية كل ذلك يدل على عموم الواقع وليس حدثاً معيناً، وسبباً محدداً حتى يقال عنه إنه سبب نزول الآية. فضلاً عن أن الأماكن الواردة في الرواية (عُكاظ ومجنة وذو المجاز) ليست من الأمكنة التي يحج المسلمون إليها. وابتغاء الفضل ورد في آيات مكية، ومثلها مدنية، فلا يدل على التحديد. والألفاظ لا تدل في الرواية على سبب النزول كما هو معهود عند الصحابة، رضوان الله عليهم. وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية.

٢. قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾. [آل عمران].

قال الإمام النسائي: (أخبرنا محمد بن عبد الله بن بزيغ قال: حدثنا يزيد وهو ابن زريع قال: انبأنا داود عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم تندم فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله، ﷺ، هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله، ﷺ، فقالوا: إن فلاناً قد ندم وأنه أمرنا أن نسألك هل له من توبة؟ فنزلت (الآية) فأرسل إليه فأسلم)(١).

وقد روى الطبري عن ابن عباس أنها نزلت في أهل الكتاب عرفوا محمداً، ﷺ، ثم كفرو به.

---

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من الكتب الستة، ج١، ص١٧٥. سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد، ٧/ ١٠٧ أسباب النزول للواحدي، ص١٠٨-١١٠ لباب النقول للسيوطي، ص٤٨، العُجاب في الأسباب لابن حجر، ورقة ١٤٠أ، ب. تفسير الطبري، ٣/ ٣٤٠. تفسير الرازي، ج٨، ص١٢٦-١٢٧.

وعن عكرمة أنها نزلت في اثني عشر رجلاً رجعوا عن الإسلام ولحقوا بقريش، وذكر منهم أبو عامر الراهب، والحارث بن سويد الصامت الأنصاري، وطعمه بن أبيرق، وحجوج بن الأسلت. وذكر الرازي عن ابن عباس أنها نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي، ﷺ.

الناظر في الروايات المتعددة يدرك أن ما قيل عنه إنه سبب نزول هو تفسير ليس غير. وليس سبباً في نزولها. ولو ورد سبب نزول لما وجد هذا الاختلاف في رجل معين وهو الحارث بن سويد الأنصاري، وفي أهل الكتاب اليهود والنصارى، وفي قريظة والنضير من اليهود في اثني عشر رجلاً، وفي رواية عشرة رجال.. ثم إن السياق القرآني يدل على أنها في أهل الكتاب. ولكن كما هو معروف العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والموضوع عام وليس في حدث معين له عناصر الحدث، زمان ومكان وأشخاص وموضوع. وإذا نظرت في الأشخاص الذين ذكروا أنها نزلت فيهم تجد أن الحارث[1] فعل فعلته في غزوة أحد. وأن طعمة بن أبيرق[2] دبر مكيدته في غزوة تبوك. وقد نزلت السورة بين الحدثين. فكيف تقبل أمثال

---

(١) قال ابن إسحق: وكان الحارث بن سويد بن صامت منافقاً، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس عدا على المُجذَّر بن زياد البلوي، وقيس بن زيد، أحد بني ضبيعة فقتلهما، ثم لحق بمكة بقريش. وكان رسول الله،ﷺ، فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه الجُلاس بن سويد يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني عن ابن عباس الآيات، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، ج٣، ص٨٩، ط٢، سنة ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م

(٢) ذكره الخازن في تفسيره م١ ص٢٧٠، وذكره ابن هشام في أبيات شعرية على إثر اجتماع أُناس من المنافقين منهم ابن أبيرق في بيت سويلم اليهودي، يثبطون الناس عن رسول الله،ﷺ، في غزوة تبوك، ص٥١٧، م٢. وأقول: إن هذه الأسماء بحاجة إلى تحقيق. فمثلاً ذكر ابن حجر في الإصابة، ص ٥١٨، القسم الثاني، ترجمة ٤٢٤٩، طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري ذكره أبو إسحق المستملي في الصحابة وقال: شهد المشاهد كلها إلاّ بدراً، فلا يجوز أن يُعَدَّ مع المنافقين وهكذا...

هذه الروايات أن تكون سبب نزول؟! والمخرج من هذا المأزق هو أن يقال إن هذه الروايات تفسير للآية الكريمة. فضلاً عن أن الرواية تناقض مفهوم الآية، فقد أسلم المرتد في الرواية بعد توبته. والآية تنكر هداية الله لهذا الفريق من الناس﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾.

٣. قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾. [الإسراء].

قال الإمام الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع، أخبرنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه، عن ابن عباس، قال: (كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه الآية).

هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الإسراء، رقم الحديث ٣١٣٩. وقال: الحديث ضعيف لأن فيه قابوس(١). وقال المؤلف: وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٢) إلاّ أن فيه ضعفاً لضعف قابوس ابن أبي ظبيان، ولكنه صالح للاعتبار. ولم أجد له شاهداً يقويه).

فالرواية من حيث السند ضعيفة، ومن حيث المتن لا يستقيم أمرها لأن السورة والآية مكية، وقد هاجر رسول الله ﷺ بعد حادثة الإسراء بسنة ونصف تقريباً. بالإضافة إلى سياق الآيات فهي تعليم رسول الله ﷺ الدعاء بعد أمره بإقامة الصلوات المفروضة وصلاة التهجد. فلا يوجد أي دلالة على أن ما قيل هو سبب نزول الآية أو يصلح لأن يكون كذلك.

---

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنّة، طبعة جامعة أم القرى، ج٢، ص٥٦٧، عبد العزيز الحميدي، قال الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: قابوس بن أبي ظبيان الجنبي، فيه لين، وذكره الإمام الذهبي مع الضعفاء، وهو من الطبقة السادسة، أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة/ عن التقريب ٢/ ١١٥، رقم١. والمغني في الضعفاء للذهبي، رقم ٤٩٧٥، ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي رقم ٣٤٠٢.

(٢) انظر تهذيب التهذيب، ١/ ٨٤، رقم ١٢٤، ٨/ ٣٠٥، رقم ٥٥٣، ٢/ ٣٧٩ رقم ٦٥٤.

٤. قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾. [الحج].

قال الإمام أحمد: (حدثنا إسحق، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (لما خرج النبي ﷺ، من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنّا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن فنزلت الآية قال: فعرف أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال)[1].

كان الراوي عندما نزلت هذه الآية عمره ثلاث سنوات، والرواية لا يظهر منها أنها تصلح لأن تكون سبب نزول لهذه الآية، والمسلمون في مكة طالما نشدوا السماح لهم بالقتال ليدفعوا عنهم غوائل الكفار، فقبل بيعة العقبة لم يؤذن للصحابة باستخدام السلاح وكان الرسول ﷺ، يجيب عن طلبهم بقوله: "لم نُؤمر بذلك"[2]. وفي هذا اللفظ دلالة على أنهم سيؤمرون فيما بعد. وأثناء هجرة الرسول ﷺ، من مكة إلى المدينة نزلت هذه الآية وهي أول آية تسمح للمؤمنين باستخدام قوة السلاح لأنهم انتقلوا من مرحلة إلى أخرى. من مرحلة الدعوة بالفكر والصراع الفكري، إلى مرحلة الصراع المادي حيث أصبحت لهم دولة لها صولجانها، ولها كيانها المُتميِّز. ولا يعقل أن تكون دولة بلا سلاح. دولة بلا حرب، فالدعوة في الدولة يصاحبها السيف بلا شك.

قال الرازي: وهي أول آية أُذن فيها بالقتال بعدما نُهِيَ عنه في نيف وسبعين

---

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، ج٢، ص٦٤٨- ٦٥٠، عن مسند أحمد، ١/ ٢١٦. أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣١٩. لباب النقول، للسيوطي، ص١٥١. تفسير القرطبي، ص٦٨، ج١٢، الطبري ص١٧٢. ج١٧. أحكام القرآن لابن العربي، ص١٢٨٤، م٣.

(٢) انظر سيرة ابن هشام، ص٤٤٨، القسم الأول، تحقيق السقا وزميليه، ط٢ ، طبعة مصطفى الحلبي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

آية[1]. فالآية نزلت ابتداء تهيئة للوضع الجديد في الدعوة. وقد ورد في روايات أسباب النزول عند الرازي أنها في أُناس مخصوصين.

وقيل عن الظرف العام هو استئذان المسلمين للرسول،ﷺ، ليدافعوا عن أنفسهم برد أذى المشركين. ولكن الرسول،ﷺ، كان يأمرهم بالتحلي بالصبر حتى يأذن الله. ولذلك قال القرطبي: هذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعراض وترك صفح. وهي أول آية نزلت في القتال[2]. وقال البغوي: قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله،ﷺ، فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج. ويشكون ذلك إلى رسول الله،ﷺ، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أُؤْمَر بالقتال حتى هاجر رسول الله،ﷺ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وهي أول آية أَذِنَ الله فيها بالقتال. فنزلت هذه الآية بالمدينة[3].

وعليه فلا سبب لنزول هذه الآية. أي لم ترد رواية تصلح أن تكون سبب نزول لهذه الآية.

٥. قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾. [الأحزاب].

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زهير، عن قابوس بن أبي ظبيان، أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ ما عنى بذلك؟ قال: فقام نبي الله،ﷺ، يوماً فصلى فخطر خطرة، قال المنافقون الذين يصلون معه. ألا ترون أن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم فأنزل الله

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٢٣، ص٣٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، م١٢، ص٦٨.

(٣) معالم التنزيل للبغوي، م٣، ص٢٨٩.

الآية[١]. وقال الطبري: حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ قال: كان رجل من قريش يسمى دهية ذا القلبين فأنزل الله هذا في شأنه[٢].

وفي رواية عن غير ابن عباس: (أنها نزلت في أبي معمر الفهري[٣]، وهو جميل بن أسيد، سماه الفراء في معاني القرآن. فأهل مكة كانوا يقولون: له قلبان وعقلان في صدره لقوة حفظه. وأما ابن دريد فقال اسمه عبد الله بن وهب. وقيل: إن ذا القلبين هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي، قال أبو العباس المبرد في الكامل: له صحبة. وكان خاصاً بعمر بن الخطاب. وهو الذي أخبر قريشاً بإسلام عمر كما في السيرة لابن إسحق)[٤].

وذكر البغوي في معالم التنزيل سبباً آخر فقال: (نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور، وعمرو بن سفيان السلمي) وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين. بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي ﷺ، الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد ابن أبي السرح، وطعمة بن أُبيرق، فقالوا للنبي ﷺ، وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها ونَدعُك وربك.. فأمر النبي ﷺ،

---

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، ج٢، ص٧٢٧، عن مسند الإمام أحمد ١/ ٦٢٨. لباب النقول للسيوطي، ص١٧٥، أخرجه الترمذي وحسنه. تفسير الطبري، ص١١٨، ج٢١. أحكام القرآن لابن العربي، ج٣، ص١٤٩١.

(٢) تفسير الطبري، م١١، ج٢١، ص١١٨،.

(٣) انظر تفسير الآلوسي، ص١٤٤، ج٢١، مجمع البيان للطبرسي، ج٧، ص٥٢٦، تفسير الخازن ص٤٨١، ج٣.

(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ص٤٩٩، ص٥٠٠، القسم الأول.

عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله الآيات[1]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾. [الأحزاب:١].

وقال آخرون: بل عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله، ﷺ، كان تبناه فضرب الله بذلك مثلاً[2].

وذكر صاحب الكشاف أنه ابن خطل كانوا يدَّعون أن له قلبين[3]. وقيل هو مثل ضربه الله تعالى للمُظَاهر من امرأته، وللمتبني وله غيره، فكما لا يكون لرجل قلبان، فكذلك لا تكون امرأةُ المظاهر أُمَّهُ حتى يكون له أُمّان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين[4].

وجاءت الروايات لتثبت أنه أبو معمر الفهري. وأنه عندما هزمت قريش في بدر جاء يحمل نعلاً في يده والآخر في رجله من شدة الذهول لما أصاب قريشاً. وعندما سألوه عن ذلك قال: إنه كان يظن أنه في رجله، وهذا مثبت في التفاسير السابقة. فلو كانت هناك رواية صحيحة تعد أنها سبب نزول لما وصل الحال في التعدد إلى ما وصل إليه في هذه الآية، حيث بلغت خمسة أقوال تقريباً. والذي يحتاج إليه في التفسير هنا هو علم مناسبة النزول وليس أسباب النزول. وقد قال ابن كثير: (يقول تعالى موطئاً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسياً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها، بقوله: أنت عليّ كظهر أُمّي، أُماً له، كذلك لا يصير الدعيّ ولداً للرجل إذا تبناه فدعاه ابناً له فقال الآية)[5].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي، ص٥٠٥، ج٣، طبعة دار المعرفة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م. تفسير الخازن، ص٤٨١، ج٣، وانظر مجمع البيان للطبرسي، ج٧، ص٥٢٦.

(٢) تفسير الطبري، م١١،ج٢١، ص١١٩. تفسير أحكام القرآن لابن العربي، ج٣، ص١٤٩١.

(٣) الكشاف للزمخشري، ص٢٢٦، ج٣.

(٤) تفسير الخازن، ص٤٨١، ج٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ص٤٦٥، م٣.

ولرد هذه الروايات نقول: إن سهو الرسول،ﷺ، في الصلاة، وتلفظه بكلام سمعه المنافقون رداً عليهم وقولهم إن الرسول،ﷺ، له قلبان أحدهما مع المنافقين يرد عليهم، والآخر مع المسلمين يصلي به فهذا الأمر لا يرد في حق الرسول،ﷺ، فهو لا يتكلم داخل الصلاة قط، فهي رواية ملفقة من أصلها، ولا تصلح أن تكون تفسيراً لهذه الآية. هذا بالإضافة إلى ضعف السند ففيه قابوس بن أبي ظبيان وهو ضعيف ولم يرد شاهد يقوي هذا الضعف. ورواية الطبري عن محمد بن سعد سندها ضعيف لا يحتج به، أما قصة جميل بن أسيد الفهري (أبي معمر) فالرواية تقول في خاتمتها أنه شوهد في بدر وهو يحمل أحد نعليه في يده، والآخر في رجله لشدة الذهول. فهذه القصة حدثت قبل نزول الآية بثلاث سنوات، حيث نزلت السورة في غزوة الأحزاب في السنة الخامسة، فلا علاقة زمنية بينهما تصلح لأن تكون سبب نزول.

وأما الرواية التي تقول إنها مثل، فالأمثال لا تحتاج إلى أسباب تنزيل على فرض صحة هذا القول.

وأما القصة التي تقول في أبي سفيان، ومن معه بعد أُحد، فلا يعقل أن يكون تم مثل هذا اللقاء فقد خرجت قريش منتصرة من المعركة، وهي متفائلة في القضاء على الرسول، ﷺ، ومن معه في جولات قادمة في سنوات قادمة، فتأتي للتفاوض مع الرسول أمر غير محتمل في العقلية الجاهلية التي كانت تمتاز بالعصبية لا بالتعقل.

وإذا نظرت في الروايات تجد أنها تتعلق بجزء من آية فقط، كل رواية تختص بجزء والذي يجمع شتاتها، أن يُقال عنها إنها تفسير ليس غير. ولا يشترط في الرواية التفسيرية أن تكون صحيحة السند. ولا يشترط تحقق التزامن بين النزول وبين الروايات. وكما قال طاش كبرى زاده: (كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة وقد تقدم أن قولهم: نزلت الآية في كذا يراد به التفسير فلا منافاة بين التفسيرين إذا كان اللفظ يتناولهما[1]).

---

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده،ج٢، ص٣٥٠.

من هذه النماذج نرى أن ابن عباس يروي التفسير وأسباب النزول بنفس الصيغة. ولم ترد عنه صِيَغٌ خاصة تميّز بين الأمرين. ولذلك لا بدّ من ملاحظة سياق الآيات وصيغة النصوص للاستعانة بها على معرفة سبب النزول من التفسير.

نماذج مختارة من تفسير ابن مسعود، رضي الله عنه،

١. قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ [1] قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾. **[الإسراء]**.

الأثر ٧٨١ ابن حنبل: حدثنا وكيع: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: (كنت أمشي مع النبي، ﷺ، في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب. قال: فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح، قال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه عن الروح، فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فقام، فتوكأ على العسيب. فظننت أنه يوحى إليه فقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال: فقال بعضهم: قد قلنا لكم لا تسألوه).[2] وقد قام الدكتور العيسوي بتقصي أماكن وجود الحديث ولا داعي لذكرها هنا.

---

(١) الروح: لفظ مشترك فقد وردت في القرآن الكريم بمعان متعددة منها سر الحياة كما في هذه الآية. ومنها جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾. **[الشعراء]**. ومنها الشريعة كما في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾. **[الشورى: ٥٢]**. وأما القول بالناحية الروحية عند الإنسان فهو تعبير يدل على كون الإنسان مخلوق لخالق. أي إدراك الصلة بالله تعالى. وهو بحث في واقع المعنى وليس في ألفاظ لها معان لغوية أو اصطلاحات يصطلح عليها الناس كيف يشاؤون. وهي بهذا المعنى غير موجودة عند الكافر المنكر لوجود الله تعالى فهي متعلقة بالإيمان بالله تعالى.

(٢) تفسير ابن مسعود، جمع وتحقيق ودراسة محمد أحمد عيسوي، القسم الثاني، ص٤٠٤، ٤٠٥. أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٩٩. لباب النقول للسيوطي، ص١٤١، وقال السيوطي=

إن هذا الأثر ورد عند البخاري في كتاب التفسير، برقم٤٧٢١، وقد تكرر في باب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، برقم ٧٢٩٧، وفي كتاب التوحيد برقم ٧٤٥٦ وقد اختلفت الألفاظ في الروايات الثلاث) التي تدل على أن الرواية سبب نزول. ففي كتاب التفسير ورد قوله: (فعلمت أنه يوحى إليه، فلما نزل الوحي قال). وفي رواية كتاب الاعتصام (فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال). وفي رواية كتاب التوحيد (فظننت أنه يوحى إليه). قال ابن حجر وإطلاق العلم على الظن مشهور[1].

ورواية أحمد هذه هي رواية البخاري نفسها وردت في كتاب التوحيد. وقد وردت رواية عن الترمذي، عن طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح؟ فسألوه فأنزل الله تعالى الآية. قال ابن حجر ورجاله رجال مسلم.[2] وقال وهو عند ابن إسحق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه. ولا يخفى التعارض في الروايتين إحداهما تدل على أنها نزلت في المدينة والأخرى في مكة. وقال ابن حجر ليجمع بينهما (ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وإن ساغ هذا وإلاّ فما في الصحيح أصح).[3] وقال ابن كثير: (وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادئ الرأي أن هذه الآية مدنية. وأنها نزلت حيث سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها مكية. وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون

=في رواية أخرج البخاري عن ابن مسعود: "فمر بنفر من قريش". وهذا خطأ. والصواب بقوم من اليهود كما ذكر تفسير الطبري، ص١٥٥، م٩.

(١) فتح الباري، لابن حجر، ص٤٠٣، م٨.

(٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص٤٠١، في الأثر ٤٧٢١. وذكر ابن كثير أن هذه الرواية لأحمد، تفسير ابن كثير، م٣، ص٦٠.

(٣) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص٤٠١، في الأثر ٤٧٢١ لباب النقول للسيوطي، ص١٤١.

نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية. كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك. أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عمّا سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه(١). وقال السيوطي: (قلت: ويرجح ما في الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس)(٢). قلت: ولا يخفى أن رواية ابن مسعود هي تفسير للآية وليست سبباً لنزولها لأن السورة قطعاً مكية. وقد نقل الآلوسي الإجماع على مكيّتها. فلا يجوز أن يُقال إنَّ الآية مكية وسبب نزولها وقع متأخراً بالمدينة. ورواية ابن عباس التي رواها الترمذي، وأحمد، والحاكم، صحيحة السند. ورواتها كلهم ثقات، وقد سمع بعضهم من بعض(٣). وقد سبق أن نقلنا رأي ابن حجر بأن رجاله رجال مسلم. والقول بتكرر النزول، دعوى ينقصها الدليل، ولا تقوم به حجة ولذلك وضع الحافظ ابن كثير احتمالاً آخر وهو أنه أُوحي للرسول ﷺ، بأن يجيبهم بنفس الجواب السابق. أي بالآية. ويعمل بالدليلين في هذه الحالة. فتكون رواية عبد الله بن مسعود تفسيراً وليست سبب نزول. أما الألفاظ المختلفة: فعلمت، فعرفت، فظننت أنه يوحى إليه فهذا من الراوي يدل على أنه تقدير وليس علماً فسكون الرسول ﷺ، برهة، وعدم إجابتهم، تخيل الراوي أنه يوحى للرسول ﷺ، فجاءت الألفاظ مختلفة. وكلها عن الراوي نفسه. وهي في صحيح البخاري ولو كان الأمر يقينا لما اختلفت هذه الألفاظ لا سيما أنها من السند نفسه في الروايات الثلاث، في كتب التفسير، والاعتصام، والتوحيد، عند البخاري. وهذا يؤكد قول أبي الفتح القشيري الشهير بابن دقيق العيد، أن الصحابة كانوا يعرفون سبب النزول بقرائن تحتف بالقضايا(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير، م٣، ص٦٠.

(٢) لباب النقول للسيوطي، ص١٤١.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السُّنَّة/ عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، ج٢، ص٥٧١.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج١، ص٢٢.

أما الألفاظ فهي ليست دقيقة في الدلالة على سبب النزول. وسيأتي الكلام عنها مفصلاً في المبحث القادم إن شاء الله تعالى. وفي روايات البخاري الثلاث لم ترد كلمة فأنزل الله، أو أُنزلت الآية على إثر السؤال. والألفاظ كانت ثم قال. وقال الآية، ولكن قرينته نزول الوحي كانت ربما تفهم من تأخُّر الرسول،ﷺ، في الإجابة، أو من سكوته، فظن ابن مسعود أنه يوحى للرسول،ﷺ،.

وأمر آخر فإن القول بمكية السورة قطعي(١). ولا يجوز الاعتماد على رواية خبر آحاد للقول بمدنيتها. والمخرج الوحيد لهذا التعارض والذي يعمل فيه الدليلان هو القول إن الآية مكية، ورواية قريش مكية، وتعد سبب نزول. ورواية ابن مسعود تعد تفسيراً لا سيما أن من عادة الصحابة القول إنّ هذه الآية نزلت في كذا، ويعنون التفسير لا سبب النزول. والذي يقوي رواية قريش هو الأسئلة الثلاثة عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، أنها كانت بمكة. وقد أبطأ الوحي بالجواب مدة أسبوعين على ما قيل، فحدث هرج ومرج، فكيف لو تأخر إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة فإن الفتنة ستكون أشد.وأمر آخر فإن القائلين بتكرر النزول يعترفون بأن الآية نزلت في مكة قبل هذا، وعليه فالقول إن الآية مكية، وقصة أسئلة قريش هي السبب. وقصة أسئلة اليهود هي تفسير قول متناسب ومنسجم مع نزول الآيات. واليهود وراء قصة الأسئلة، لأن قريشاً هي التي طلبت من اليهود أسئلة ليوجهوها لمحمد عليه الصلاة والسلام، لاختبار نبوته فكانت الأسئلة. والله أعلم. وهذه الآية لا بد من وجود سبب تنزيل لها لأن الله تعالى يخبرنا أن جماعة تسأل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾، وهذا يجعلنا نرجح بأن ما صحّ سنده من أسئلة قريش هي سبب تنزيل هذه الآية.

٢. وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾. **[هود:١١٤]**.

---

(١) انظر البرهان، والاتقان، وفضائل القرآن لابن الضريس، وكتب التفسير المختلفة لا سيما التي سارت على النهج بالمأثور.

ابن حنبل: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل عن سماك، أنه سمع إبراهيم يحدث، عن علقمة والأسود(١)، عن عبد الله بن مسعود قال:

جاء رجل إلى النبي،ﷺ، فقال: يا نبي الله إني أخذت امرأة في البستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أُجامعها، قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك. فافعل بي ما شئت. فلم يقل له رسول الله، ﷺ، شيئاً فذهب الرجل. فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه. قال: فاتبعه رسول الله،ﷺ، بصره، فقال ردوه علي، فردوه عليه فقرأ عليه الآية إلى (الذاكرين). فقال معاذ بن جبل: أَلَهُ وَحْدَه أم للناس كافة يا نبي الله؟ فقال: بل للناس كافة(٢). وقد صححه أحمد شاكر(٣).

إن هذه الرواية وقعت بالمدينة. وقد وردت روايات كثيرة مشابهة، لمن أصاب ذنباً دون الحد. وجعلت الصلوات كفارة لما بينها. وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾. يشكل قاعدة عريضة في باب الجزاء. غير أن الآية مكية والسورة كلها مكية. قال ابن كثير: (يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان(٤). وعليه فلا تصلح أي رواية مما ذكر في هذا الباب أن تكون سبب نزول لها وإنما هي تفسير وتطبيق لمعنى الآية:﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

---

(١) الواو من فتح الباري، ص٣٥٦، ج٨.

(٢) الرواية في مسند أحمد بن حنبل ٦/ ١٤٣، ١٤٤، ١٢٦، ١٥٦، ٥/ ٣٢٧. وفي صحيح البخاري ١/ ١٠٧، ١٠٨، ٦/ ٧٥. وفي صحيح مسلم، وأبي داود، والترمذي، وسنن ابن ماجة، والطبري في الجامع، وتفسير ابن كثير، والدر المنثور، والبغوي، والقرطبي، والزمخشري، والواحدي، والمستدرك للحاكم، وفي غيرها. انظر في تفسير ابن مسعود للعيسوي، ص٣٤٥، القسم الثاني. الأثر ٦٧٨.

(٣) انظر تفسير ابن مسعود للعيسوي، القسم الأول، ص١٩٩، أسانيد تفسير ابن مسعود.

(٤) تفسير ابن كثير، ص٤٦٢، م٢.

واسم الرجل في الرواية هو كعب بن عمر بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم الأنصاري[1]. أبو اليسر. وقال ابن إسحق: شهد بدراً والمشاهد، وقال البخاري: له صحبةٌ، وشهد بدراً ت٥٥هـ بالمدينة. وقد تعددت الروايات التي ذكرها المفسرون كسبب نزول لهذه الآية:

فرواية سليمان التيمي تقول إنه أصاب قبلة من امرأة.

وعند عبد الرزاق عن معمر بن سليمان التيمي ضرب رجل على كَفْل امرأة.

ورواية مسلم وأصحاب السنن من طريق سماك بن حرب، عن إبراهيم النخعي، وجدت امرأة في البستان، وهي الرواية التي بين أيدينا وذكرها أحمد.

وعند الطبري من طريق الأعمش، عن إبراهيم النخعي (جاء فلان بن معتب الأنصاري) دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلاّ إني لم أُجامعها) الحديث.

وأخرج الترمذي، والنسائي، والبزار، من طريق موسى بن طلحة أن اسم الرجل أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري (أتته امرأة، وزوجها قد بعثه رسول الله، ﷺ، في بعث فقالت له: بعني تمراً بدرهم.. فانطلق بها داخل البيت فغمزها وقبلها، ولقي أبا بكر وقال له: تب ولا تعد وغير ذلك كثير[2].

فتعدد الروايات يعين على القول إنها تفسير، لا سيما أنها في أشخاص متعددين. ومطلع الآية يدل على أن الصلوات كانت صلاتين وصلاة قيام الليل. وهذا ما قال به كثير من المفسرين. وقال بعضهم: الصلوات الخمس، وأدرجوا الأحاديث التي تنص على أن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان، إلى رمضان فهي روايات تفسيرية، ولذلك لا تعارض بينها. وإن اختلف

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة، ٧٤٢٧، القسم الخامس، ص٦٠٦. وانظر باب الكنى ترجمة ١٠٧٣٨، ص٤٦٨، القسم السابع. وقد شهد العقبة وبدراً.

(٢) انظر فتح الباري، م٨، الحديث ٤٦٨٧، ص٣٥٥، كتاب التفسير- سورة هود.

زمان الوقوع عن نزول الآية. ومن ناحية ثانية فإن اللفظ في الرواية لا توجد فيه شبهة أنه سبب نزول لأنه يقول: (فقرأ عليه). وفي رواية مسلم: (فتلا عليه الآية). وأما عدم إجابة الرسول،ﷺ، الفورية للرجل فالرسول،ﷺ، لا يعلم الغيب، ويحتاج أمر صدق توبة الرجل إلى وحي. وبعد أن تيقن الرسول،ﷺ، من صدق توبة الرجل تلا عليه الآية. وإلاّ فمن اليقين أن من يفعل هذا الفعل فإنه يستحق عقوبة تعزيرية، ولا يكتفى بقراءة الآية عليه.

٣. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ **[الإسراء]**.

الواحدي: (أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن عمران أنه قال: أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيل المحاملي، قال: حدثنا زكريا بن يحيى الضرير، قال: حدثنا سليمان بن سفيان الجهني قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: جاء غلام إلى رسول الله،ﷺ، فقال: إن أُمي تسألك كذا وكذا. فقال: ما عندنا اليوم شيء، قال فتقول لك: اكسني قميصك: قال: فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً. فأنزل الله سبحانه وتعالى الآية[١].

أقوال: قال ابن الجوزي في زاد المسير، وروى جابر بن عبد الله نحو هذا فزاد فيه، فأذَّنَ بلال للصلاة وانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب الصحابة، فدخل عليه بعضهم، فرأوه عرياناً فنزلت هذه الآية[٢]. وهذا يدل على أن الواقعة حدثت في المدينة إن صحت. والسورة مكية فلا تصلح أن تكون سبب نزول الآية. ومن زاوية

---

(١) الواحدي ص٢٩٤. وانظر تفسير ابن مسعود للعيسوي الأثر ٧٦٢، ص٣٩٣ ، لباب النقول، ص١٣٧، زاد المسير لابن الجوزي، ٥/ ٢٩، القرطبي في الأحكام، ١٠/ ٢٥٠-٢٥١، الدر المنثور للسيوطي، ٤/ ١٧٨، عن ابن جرير، ولم أجده في الجامع للطبري.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ص٣٠، الجزء الخامس ، طبعة المكتب الإسلامي.

ثانية فإن مثل هذا لا يفعله رسول الله،ﷺ، يتبرع بقميصه ويمكث في البيت عرياناً يعصي ربه بإبداء عورته. وهذا من شأنه أن لا يستقبل الوحي، ولا يقوم بمهمته كرسول وكرئيس دولة. وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية. وإذا نظرنا في السند وجدنا فيه قيس بن الربيع. قال أحمد بن حنبل عنه: (روى أحاديث منكرة. وكان وكيع إذا ذكره قال: الله المستعان. وقال البخاري: قال علي: كان وكيع يضعفه. وقال الآجري عن أبي داود سمعت ابن معين يقول: قيس ليس بشيء. وقال أبو داود: ما أخرجت له إلاّ ثلاثة أحاديث حدث بأحاديث عن منصور هي عن عبيدة، وأحاديث عن مغيرة هي عن فراس[1]. وعليه فلا سبب نزول للآية.

٤. قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾. [الزمر].

ابن حنبل: (حدثنا يونس، حدثنا شيبان، عن منصور بن المعتمر، عن إبراهيم، عن عبيدة السلماني، عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حَبْرٌ إلى رسول الله،ﷺ، فقال: يا محمد أو يا رسول الله إن الله عزَّ وجل يوم القيامة يحمل السموات على اصبع، والأرضين على اصبع، والجبال على اصبع، والشجر على اصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على اصبع، يهزهن فيقول: أنا الملك قال: فضحك رسول الله،ﷺ، حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر. ثم قرأ الآية[2].

---

(١) قيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي. انظر تهذيب التهذيب، ترجمة ٦٩٨، ص٣٥٠، م٨. وتاريخ البخاري، ص١٥٦، ترجمة ٧٠٤، م٧، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ص٩٦-٩٨، ترجمة ٥٥٣، م٧. والكاشف للذهبي، ص٢٤٧، ترجمة ٤٦٧٠،ج٢.

(٢) الأثر ١٠٢٩، ص٥٤٣، من تفسير ابن مسعود. وقد روى القصة الإمام البخاري في صحيحه. وكذلك مسلم ورواها الطبري بطرق متعددة في جامع البيان. وكذلك ابن كثير، والشوكاني، وغيرهم كثير. وانظر عبد الله بن مسعود وما روي عنه في التفسير لعبد العزيز سليمان أبو صقر، رسالة ماجستير، ص٧٨.

أقول إن الآية مكية وهذه القصة حدثت بالمدينة فلا تصلح أن تكون سبب نزول الآية وفي نهاية الرواية يقول: ثم قرأ، ﷺ، الآية فتكون استشهاداً وليست سبب نزول.

وقد نزلت الآية قبل ذلك في سورة الأنعام الآية ٩١. وتكرر نزولها في المدينة في سورة الحج الآية ٧٤. والغريب أن الواحدي ذكر أسباباً لآيات الأنعام والقصص دارت بين اليهود وبين الرسول، ﷺ، حول إنكار الرسل(١). ولم يذكر أي رواية لأسباب نزول آية الحج وهي مدنية. وهذا مما يدلل على أنها روايات تفسيرية حيث لا يشترط صحة السند في التفسير. والمهم أن ينطبق معنى الآية على القصة.

ملحوظة: قوله: تصديقاً لقول الحَبْر) هذه زيادة من الراوي. ولا تعد جزءاً من الحديث. فضحك الرسول، ﷺ، مما قاله الحبر لا يدل على تصديقه. بدليل نص الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ فلو كان صحيحاً لما قرأ الرسول، ﷺ، هذه الآية في هذا المقام. فهذه الأمور من العقائد ولا تثبت إلا بدليل قطعي كما هو ثابت عند علماء أصول الفقه. والأولى أن لا ننزلق في مسألة التأويل فيها.

وأكتفي بهذا القدر، وقد استقرأت الكثير الكثير مما لا مجال لإثباته هنا مما يدلل على صحة قول ابن تيمية، وقول الزركشي السابق ذكره، بأن الصحابة يقولون نزلت الآية في كذا ويريدون معنى الآية. أي تفسير الآية، لا أنها سبب نزول(٢). والروايات في أسباب النزول تجدها قليلة لا سيما إذا قيست بعدد روايات التفسير. وعليه فلا

---

(١) انظر ص٢٥١، أسباب النزول للواحدي.

(٢) وانظر قول أحمد حسن الباقوري، في كتابه معاني القرآن بين الدراية والرواية، ص٧٧، طبعة أولى، ١٩٨٦م: (وقد تحقق عند الفقير أن الصحابة والتابعين كثيراً ما كانوا يقولون: نزلت الآية في كذا وكذا: وغرضهم من ذلك تصوير ما تصدق عليه الآية، وذكر بعض الحوادث التي تشملها بعمومها، سواء استوعبت جميع القصة، أو تأخرت، وسواء كان ذلك إسرائيلياً أو جاهلياً أو إسلامياً، وسواء استوعبت جميع قيود الآية أو بعضها. وبهذا يعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مُدَّخَلاً، وأن للقصص المتعددة هناك سعة. فمن استحضر هذه النكتة تمكن من حل اختلاف أسباب النزول بأدنى عناية).

تعارض ولا تناقض بين الروايات إذا كان النص يحتملها. وهذا هو التعليل الذي ترتاح إليه النفس لذكر الصحابة روايات حدثت بالمدينة تتعلق بآيات مكية أو بالعكس، أو لروايات حدثت قبل نزول الإسلام.

معنى سبب التنزيل عند التابعين

إن التابعين، رضوان الله عليهم، ساروا على نهج سلفهم الصحابة في نقل روايات سبب التنزيل. فجاءت مختلطة بالتفسير لا يكاد يميز بينهما. لأنه كما قلنا لم يرد عن الرسول، ﷺ، أي نص يلفت الأنظار إلى هذا العلم. ولو وجد لاهتموا به ونقلوه إلينا. فيبقى سبب التنزيل عند التابعين أمر تحصل بقرائن تحتف بالقضايا. كما كان الشأن عند الصحابة، رضوان الله عليهم. ولذلك لا نتوقع أن نجد فرقاً بين ما ورد عن الصحابة وبين ما ورد عن التابعين، لأن الصحابة هم المصدر الأول، والتابعون نقلة عنهم. ومع ذلك لا بد من عرض نماذج لمن أقرانه من التابعين في موضوع التفسير ليطمئن القلب إلى ما أثبَتْنَاهُ من حقائق في هذه المسألة. أما موقفهم من القول في أسباب التنزيل فقد كانوا يتحرجون من ذكره لأنه يأخذ عندهم حكم الحديث المرفوع بتعبيرنا. فعن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً. ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن[(1)]. وعبيدة هذا من كبار التابعين. أسلم قبل وفاة الرسول، ﷺ، بسنتين ولم يلقه. فما بالك بالقول في أسباب التنزيل بعد مئات السنين.

نماذج مختارة من تفسير مجاهد بن جبر، رضي الله عنه،

١. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾. [البقرة].

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي، ص٥، وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر، ورقة ٣أ. وعبيدة بفتح أوله هو ابن عمرو السلماني أسلم قبل وفاة الرسول ﷺ بسنتين، ولم يلقه. ومات سنة ٧٢هـ. انظر تهذيب التهذيب، لابن حجر، م٧، ص٧٨، ترجمة ١٨٥.

قال السيوطي: (أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: قام النبي،ﷺ، يوم قريظة تحت حصونهم فقال: يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت. فقالوا: من أخبر محمداً؟ ما خرج هذا إلاّ منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم، فنزلت الآية[1].

إن مثل هذا الأثر لا يجوز أن يكون تفسيراً فضلاً عن أن يكون سبب نزول لأن الرسول،ﷺ، ما بُعث سباباً ولا لعّاناً. فمثل هذه الشتائم تؤدي إلى الرد عليها بمثلها والله تعالى قد أنزل في سورة الأنعام قبل نزول هذه الآية ببضع سنين:﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾. [الأنعام]. فلو قام الرسول، ﷺ، بمثل هذه الشتائم فإنه يكون قد خالف أمر ربه. وتعالى رسول الله،ﷺ، عن مخالفة أمر ربه علواً كبيراً.

وابن جرير وهو من أقدم المفسرين لم يقل فنزلت ولم يقل السيوطي في الدر المنثور فنزلت وقال في اللباب: أقول هذا على لغة من يرى أن لفظ نزلت تدل على سبب التنزيل. فهي لم تدل من هذه الزاوية كذلك. وقد أيد الدكتور أحمد نوفل ذلك بقوله: (وما هنا عن مجاهد لا نتصوره سبباً. وهل يعتبر خبر كونهم قردة وخنازير مما فتح الله به عليهم. إن هذا أمر مستبعد)[2].

---

(1) لباب النقول، للسيوطي، ص١٠. تفسير بن جرير، الأثر رقم ١٣٤٧، م٢، ص٢٥٣، طبعة أحمد شاكر. تفسير الدر المنثور، ج١، ص١٩٩. البحر المحيط، ج١، ص٢٧٣. فتح القدير للشوكاني، ج١، ص١٠٣، تفسير ابن كثير، ج١، ص١١٦، مجمع البيان للطبرسي، ج١ ص٢٨٦، القرطبي، ج٢،ص٤، تفسير مجاهد دراسة وتحقيق د. أحمد نوفل، رسالة دكتوراه، ص٣٥٦.

(2) تفسير مجاهد دراسة وتحقيق، للدكتور أحمد نوفل، ص٣٥٦، طبعة سنة ١٣٩٨هـ، مطبوعة ستانسل.

٢. قولــه تعــالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾. **[البقرة]**.

قال السيوطي: (وأخرج ابن جرير أيضاً عن مجاهد قـال: (لما نزلت ادعـوني اسـتجب لكـم) قـالوا إلى أيـن؟ فنزلـت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[(١)].

الآية وسياقها يدل على أنها نزلت بشـأن التوجـه في الصـلاة وليسـت في الـدعاء. والروايات الصحيحة في ذلك تجدها في نفس مصدر هذه الرواية التي ذكرت عـن مجاهـد. وقد نصت الروايات أنها بشأن التوجه في الصـلاة. وآيـة ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾هـي الآيـة الستون من سورة غافر. وهي مكية. وبين نزولها ونزول آية البقرة زمن طويل. فـلا يجـوز أن نقول إنها سبب نزول لعدم المزامنة بينهما هذا على فرض صحة الرواية. وابـن حجـر في مخطوطه العجاب في الأسباب قـال: (قـول آخـر حكـاه الـثعلبي عـن الحسـن ومجاهـد والضحاك)[(٢)]. فالرواية من هذا السند لا تصح، ولا تصلح أن تكون تفسـيراً. ولا سـبب نزول. لأن النص لا يحتملها. وقد أيد الدكتور نوفل ذلك بقوله: (وهذا كذلك لـيس مـن أمور النص تماماً فالمشهور أنه في الصلاة، والسياق الذي هو فيه في موضوع الصلاة)[(٣)].

---

(١) لباب النقول للسيوطي، ص١٨، تفسير ابن جرير، ج٢، ص٥٣٤، الأثر ١٨٤٧، تحقيق شـاكر. معـالم التنزيل للبغوي، ج١، ص١٠٨، مجمع البيان للطبرسي، ج١، ص٢٨٦. التفسير الكبير للفخر الـرازي ج٤ ص٢١ جامع الأحكام للقرطبي، م٢، ص٨٣ ، غرائب القرآن ورغائب الفرقـان للنيسـابوري م١ ص٤٢٣، تفسـير ابـن كـثير، ج١، ص١٦٠. الـدر المنثـور للسـيوطي، م١، ص٢٦٧. العجـاب في الأسباب مخطوط لابن حجر، ورقة ٤٢ أ، تفسير مجاهد د. أحمد نوفل، ص٣٥٧.

(٢) انظر مخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر، ص٧٢أ. وقد ذكر رواية السيوطي هذه التي نحن بصدد دارستها، ولم يعقب عليها.

(٣) تفسير مجاهد دراسة وتحقيق، د. أحمد نوفل، ص٣٥٧، رسـالة نـال بهـا درجـة الـدكتوراة سـنة ١٩٧٨م.

٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾. **[آل عمران]**.

قال الواحدي: (قال مجاهد: تفاخر المسلمون واليهود، فقال اليهود بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة، لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل. فأنزل الله هذه الآية)[1].

وقد ذكر الدكتور أحمد نوفل هذا الأثر عن كتاب المنازل والديار لأسامة بن منقذ، ص٣٥٥. ولم يعقب على هذه الرواية. ويبدو أنه اكتفى بتعليقه الأخير على الروايات كلها ص٣٦١، بأنها روايات تفسير وليست أسباب نزول.

قال ابن حجر: (ذكر الثعلبي وتبعه الواحدي وابن ظفر عن مجاهد.. هكذا ذكره الثعلبي بغير إسناد. ولم أر له عن مجاهد ذكراً. وإنما ذكره مقاتل بن سليمان، فقال: إن المسلمين واليهود اختصموا في أي القبلة؟ فقال المسلمون: القبلة الكعبة. وقالت اليهود: القبلة بيت المقدس فأنزل الله عز وجل إن الكعبة أول مسجد في الأرض. والكعبة قبلة لأهل المسجد الحرام. والمسجد الحرام قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض)[2].

وأقول: إن جميع هذه الروايات لا يستوعبها النص. فالآية تدل على أقدمية المكان المقدس وليست على أفضليته، ولا على جهة القبلة كما رواه مقاتل. ولذلك لا تصلح هذه الرواية أن تكون تفسيراً فضلاً عن أن تكون سبب نزول. والمعروف أن الحديث عمّا قبل نزول القرآن لا يجوز أن يعد سبب نزول، لأن شرط اعتماد الرواية هو التزامن بين الحدث وبين نزول الآية التي نزلت بشأنها.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١١٠، مجمع البيان للطبرسي، ج٢، ص٧٩٧، الجامع لأحكام القرآنّ للقرطبي، م٤، ج٤، ص١٣٧. وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ج٤، ص٨، هكذا ورد هذا الأثر دون أن ينسب لأحد، ذكره الخازن في لباب التأويل ومعاني التنزيل، ج١، ص٢٧٤، والشوكاني في فتح القدير، ج١، ص٣٦٢.

(٢) العُجاب في الأسباب، مخطوط لابن حجر، ورقة ١٤٣أ.

إلى جانب ذلك فإن سياق الآيات يأبى أن تكون هذه الرواية تفسيراً أو سبب نزول. فالآية مقدمة لبيان أهمية الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام. ثم فرض الحَجِّ إليها فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. [آل عمران:٩٧] .

٤. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾. [المائدة].

قال الواحدي: (وقال مجاهد، والكلبي، وعكرمة: قتل رجلٌ من أصحاب رسول الله،ﷺ، رجلين من بني سليم. وبين النبي عليه السلام وبين قومهما موادعة، فجاء قومهما يطلبون الدية. فأتى النبي عليه السلام ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، فدخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، فقالوا: (نعم) يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة. اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا فجلس هو وأصحابه. فخلا بعضهم ببعض وقالوا إنكم لم تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحاش بن كعب: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده، وجاء جبريل، عليه السلام، وأخبره بذلك، فخرج رسول الله،ﷺ، وأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

---

(١) الواحدي ص١٨٦- ص١٨٧ الطبري، م٤، ج٦، ص١٤٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ج٥، ص٦١، وهي رواية الواحد نفسها. الدر المنثور للسيوطي، م٣، ج٦، ص٣٥، مجمع البيان للطبرسي، ج٣، ص٢٦٢، ص٢٦٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، م١، ص٤٧٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، م٦، ص١١١، الزمخشري في الكشاف، م١، ص٣٢٧، ذكر القصة دون أن يسندها لمجاهد. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، ج١١، ص١٨٢، ص١٨٣. طبعة طهران.

أقول إن هذه الرواية لا تُعَدُّ سبب نزول للأمور الآتية:

١) إن لفظ: ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ في الآية دليل على حدوث شي مضى، ونعمة سلفت. وأراد الباري عز وجل أن يُذَكِّر المؤمنين بها ليتعظوا ويؤمنوا بقدرته جل وعلا.

٢) تعددت الروايات عن مجاهد وعن غيره مما ذكر في سبب نزول هذه الآية، وجاءت في مواضيع شتى. ويمكن اختصار هذه الروايات في المواضيع الآتية:

أ. نزلت في صلاة الخوف في قصة عسفان في غزوة ذي أنمار. وإبطال محاولة اغتيال الرسول ﷺ، ومن معه من الصحابة هم بنو محارب وبنو ثعلبة.

ب. وقد قيل في صلاة الخوف في المطر على يد غورث الحارث يوم بطن نخلة[1].

ج. محاولة الأعراب قتل الرسول ﷺ، وهو مستظل بظل شجرة وسلاحه معلق عليها.

٣) إن رواية مجاهد، والتي تتعلق بقصة يهود بني النضير، ومحاولة اغتيالهم لرسول الله ﷺ، كانت في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة[2]. وقد نزلت سورة الحشر بأسرها في بني النضير. وسورة المائدة نزلت في أواخر العهد المدني، وفيها آية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾. [المائدة: ٣]. وقد نزلت في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة.

٤) قال النيسابوري في غرائب القرآن: (وقيل إنها لم تنزل في واقعة خاصة، ولكن المراد أن الكفار كانوا يريدون إيقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فأعز الله المسلمين[3].. وهذا الذي أراه صواباً أنها لم تنزل في واقعة خاصة. لا سيما أن نعمة حماية الله لرسوله وللمؤمنين من محاولات الغدر من أعداء الله ذكرت في مواطن كثيرة، سواء مما ذكر أم لم يذكر. ومنها محاولة المشركين قتل الرسول ﷺ،

---

(١) قرية قريبة من المدينة.

(٢) انظر سيرة ابن هشام، ج٣، ص١٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي، م٥، ص٣١٨، ص٣٢٢.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ج٥، ص٦١.

ليلة الهجرة، وقد كرر بعض المفسرين هـذه الروايـات في تفسـير الآيـة ١٠٢ في سورة النساء في صلاة الخوف في الحرب[١] وهي متقدمة علـى سـورة المائـدة[٢]. كما وردت بعض هذه الروايات في تفسير سورة المائدة آيـة ٦٧ في قولـه تعـالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

وعليه فهذه الآية ليس لها سبب نـزول خـاص. والروايـة لا تصـلح أن تكـون سبب نزول لما سبق ذكره، وإن كانت تصلح أن تكون في سياق التفسير. والله أعلم.

٥. قولـــــه تعـــــالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾. **[الأعراف]**.

قال الواحدي: (قـال مجاهـد: كـان لا يعـيش لآدم وامرأتـه ولـد. فقـال لهمـا الشيطان: إذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحـارث، وكـان اسـم الشـيطان قبـل ذلـك: الحارث، ففعلا فذلك قوله تعالى[٣].

قال الحافظ بن كثير: (وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة. ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السـلف.

---

(١) سورة النساء آية ١٠٢.

(٢) انظر فضـائل القـرآن لابـن الضـريس ص٣٣. تحقيـق غـزوة بـدير، البرهـان في علـوم القـرآن للزركشي ص١٩٤، ج١، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص١٣، ص١٤.

(٣) أسباب النزول للواحدي، ص٢٢٥. تفسير الطبري، ج٩، ص١٤٧، طبعة دار الفكر، تفسير ابن كثير، ج٢، ص٢٧٤. عن أحمد بسند: (حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حـدثنا قتـادة عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ، قال: لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكـان لا يعـيش لهـا ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش. فسمته عبـد الحـارث فعـاش. وكـان ذلـك مـن وحـي الشيطان وأمره). ورواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. رواه الحـاكم في مسـتدركه وقـال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والمهم أن الحديث معلول كما قال ابن كثير.

وجماعة من الخلف، ومن المفسرين المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه، والله أعلم، أصله مأخوذ من أهل الكتاب، فإن ابن عباس رواه عن أُبيٍّ بن كعب، كما رواه ابن أبي حاتم. حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر، حدثنا سعيد يعني ابن بشير، عن عقبة، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب. قال: لما حملت حواء أتاها الشيطان..)(١). وهذه الآثار يظهر عليها، والله أعلم، أنها من آثار أهل الكتاب.

قلت: إن هذه الرواية بالإضافة إلى أنها من الإسرائيليات فقد حدثت قبل نزول الوحي. فلا يجوز أن تُعد سبب نزول، لأنه يشترط في سبب النزول التزامن في النزول ووقوع الحدث).

من هذه النماذج المختارة، من تفسير مجاهد، يدرك المرء أن التابعين حذوا حذو الصحابة في الجمع بين روايات أسباب النزول وتفسير الآيات. وأنه لا توجد صيغة معينة عندهم تميز بينهما. ويذكرون سبب النزول ويقصدون منه التفسير أي أن الآية تحتمل المعنى.

نماذج مختارة من تفسير سعيد بن جبير، رضي الله عنه،

١. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)﴾.[البقرة].

قال سعيد: (إن امرأ القيس بن عابس(٢) وعيدان الحضرمي(٣) اختصما في أرض. وكان عيدان هو الطالب ولا بيّنة له. فأراد امرؤ القيس أن يحلف فقرأ عليه

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٢٧٥. وفي أعلى الصفحة قال: ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل (كعب أو وهب بن منبه) أي كعب الأحبار. فيكون أبي بن كعب قد أخذ عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه. والله أعلم.

(٢) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو الكندي، من عابس، سكن الكوفة. وكان ممن ثبت على الإسلام. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الأول ص١١٢ ترجمة ٢٥٠.

(٣) هو عيدان (وليس عبدان كما ورد) بن ذي العرف بن وائل بن ذي طواف الحضرمي. ويقال الكندي. وخصم امرئ القيس هو ربيعة بن عيدان شهد فتح مصر، وله صحبه، وليست له رواية نعلمها. انظر الإصابة لابن حجر، القسم الثاني، ص٤٧١، ترجمة ٢٦١٩.

النبي ﷺ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ فكره أن يحلف ولم يخاصم في الأرض، فنزلت هذه الآية[1].

وأقول: إن هذه القصة صحيحة السند لورودها عند مسلم. ولكنها لا تعد سبب نزول، ولا تصلح لذلك، لأن النص لا يستوعبها فالنص يتعلق بالنهي عن أكل أموال الآخرين بواسطة الرشوة التي تقدم لمن بيدهم مقاليد الأمور، كالحكام والقضاة، ومن يوكل إليهم مهمة الفصل في الخصومات فلم يرد في القصة تقديم رشوة للرسول ﷺ حتى تنطبق على الواقع. ولا تعد تفسيرا لها كذلك لأنها لا تصلح مثالاً عليها. والقصة يستفاد منها أمور في القضاء حيث لا توجد بيّنة. وتدل على تحريم أكل أموال الناس بالباطل لأنها حديث شريف. فلا تُعد سبب نزول، كما لا تُعد تفسيراً. ولذلك تجد كثيراً من علماء التفسير أعرضوا عنها في تفسير هذه الآية ومنهم ابن العربي، والألوسي، والزمخشري، والرازي، بالإضافة إلى الطبري. وقد ذكرها القرطبي دون إسناد وبصيغة التضعيف (قيل). وقد أوردها الإمام مسلم بن حجّاج في صحيحه ولم يذكر أنها سبب نزول. والذي ذكرها سبب نزول هو ابن أبي حاتم كما نقل صاحبو الدر المنثور وفتح القدير[2].

---

(١) تفسير سعيد بن جبير، جمع وتحقيق ودراسة د. إبراهيم النجار، ص٥٩، ص٦٣، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. طبعة ستانسل، معالم التنزيل للبغوي، م١، ص١٥٩. ذكر أن الخصم هو ربيعة بن عيدان. الدر المنثور، م١، ص٤٨٩. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد. هيميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف الأباضي، ج٣، ص٦٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. تفسير الخازن، م١، ص١٢٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، م٢، ص٣٣٧، وقد أوردها بصيغة التمريض (قيل) وبدون إسناد. فتح القدير للشوكاني، م١، ص١٨٨. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٢) الدر المنثور للسيوطي، م١، ص٤٨٩. طبعة دار الفكر، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. وانظر فتح القدير للشوكاني، م١، ص١٨٨، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٢. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة].

(حدثنا ابن بشار قال: حدثنا مؤمل قال: حدثنا سفيان، عن واقد، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع؟ فنزلت: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾)[1].

هذه الرواية ليست سبباً لنزول الآية، فهي مصنوعة صناعة حيث جعل أول الآية سبباً في نزول آخرها. وكأن الجزء الأول من الآية نزل وبعد أن بُلِّغ الناس الآية بذلك وأظهروا ردود فعلهم عليها أنزل الله بعد ذلك الجزء المتبقي من الآية. مع أن الثابت أن الآية كاملة أو الطائفة من الآيات أو السورة كانت تنزل وهذا أمر متواتر. وإذا ادّعي غير هذا فليس بمقبول حتى يرد دليل مثله. ولم يرد هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الآية نزلت هي ومطلع سورة التوبة في نهاية السنة التاسعة للهجرة. وقد أمضى رسول الله، ﷺ، أبا بكر على رأس وفد ليؤدوا فريضة الحج. فأتبعه بعلي رضي الله عنه لِيُبلِّغَ الناس هذه الآيات في يوم عرفه. ولم يكن ثمة سبب لنزولها. فقد نزلت ابتداء لفرط عرى العهود مع المشركين كافة وإمهالهم مدة أربعة شهور. ومن كان له عهد محدد فيبقى إلى مدته. وكان هذا بعد أن عاد رسول الله، ﷺ، من غزوة تبوك. وبعد أن انهالت الوفود على الرسول، ﷺ، لتعلن إسلامها من جميع أنحاء الجزيرة العربية. وبعد إسلام ثقيف وأهل الطائف، وقد تأمنت حدود الشام

---

(١) تفسير سعيد بن جبير، جمع وتحقيق ودراسة د. إبراهيم النجار، ص١٦٦، طبعة ستانسل، ١٩٧٦، تفسير الطبري، م٦، ج١، ص١٠٧، أحكام القرآن لابن العربي، القسم الثاني، ص٩٠٠.

المحاذية لأكبر دولة في العالم آنذاك. فكان نزول الآيات ابتداء لإعلان أن الجزيرة كلها قد أصبحت فيها دولة واحدة قوية وهي دولة الإسلام، بقيادة الرسول ﷺ، فلم يحدث قول من الشيطان للمسلمين[1]. ولم يحدث قول من الناس[2] على اختلاف الروايات الأخرى.

وأمثال هذه الروايات جاء من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ ولا ننسى أنه لم يقل: (وإذا خفتم) لأن إذا تفيد توقع الحدوث وقربه، وإن تفيد تقليل الوقوع وبُعْدُهُ، فهو خطاب للنفوس البشرية فيما يخطر ببال الضعفاء منهم. أو بما يحتمل أن يثيره أهل الشرك للضعفاء من المسلمين والمنافقين. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ بصيغة الاستقبال البعيد، فلم تحدث خشية من المسلمين على الفقر من منع المشركين من دخول المسجد الحرام، وما يُدِرُّ مشهدهم من منافع تجارية لأن المسلمين كانوا في وضع اقتصادي جيد. فالغنائم والزكوات، وأُضيف إليها الجزية، وقد أخذت قبل نزول هذه الآيات من حاكم أيلة، وحاكم دومة الجندل، وغيرهما يشكل كل ذلك مصادر كافية لميزانية الدولة الإسلامية، ولأوضاعهم عامة. وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية إطلاقاً وهي وما سبقها من أول سورة براءة نزلت ابتداء. والله أعلم.

٣. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾. [البقرة].

قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي: (لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً استأذن ملك الموت ربه أن يأتي إبراهيم فيبشره بذلك. فأتاه، فقال: جئتك أبشرك بأن الله

(١) انظر تفسير الطبري، في تفسير هذه الآية، ص١٠٦- ص١٠٨، م٦، ج٩.

(٢) انظر تفسير الطبري، في تفسير هذه الآية، ص١٠٦- ص١٠٨، م٦، ج٩.

تعالى اتخذك خليلاً. فحمد الله، عزَّ وجل، وقال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك، وتحيي الموتى بسؤالك، ثم انطلق وذهب. فقال إبراهيم: ربِّ أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي لعلمي أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك، وأنك اتخذتني خليلاً)(١).

وقد ساق الواحدي روايات أخر تفوح منها رائحة الإسرائيليات التي تزكم الأنوف. وقد سبقه لمثلها الطبري. ولا يخفى أن أمثال هذه الروايات لا يعقل أن تكون سبب نزول لهذه الآية، لأن هذه الخرافات تبحث في شيء قبل نزول القرآن. والرواية تسجل ما جرى بين الله تعالى وملك الموت وسيدنا إبراهيم. وهذا شأن الإسرائيليات والأمور الغيبية لا تعتقد إلا بدليل قطعي، فكيف إذا كانت الرواية تفتقر إلى السند المرفوع. ولا ننسى أن الواحدي ساقها دون سند مما يشير إلى أنها من أستاذه الثعلبي الذي نقل إلينا الكثير الكثير من طريق السدي، ومقاتل، والكلبي، وغيرهم ممن لا يوثق بنقلهم. وعليه فلا يرد أن يكون لهذه الآية سبب نزول. وهي إخبار من الله تعالى لما جرى بينه وبين سيدنا إبراهيم، عليه السلام. ويفضل أن لا نزيد في علمنا عن مدلول الألفاظ ونستغني عما ورد من روايات إسرائيلية تفصل ما لم يثبت حدوثه والله هو الغني الحميد(٢).

٤. قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل].

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: (أرسلت بثمانين

---

(١) تفسير سعيد بن جبير، القسم الثاني، ص٤٨، د. إبراهيم النجار رسالة ماجستير، ١٩٧٦م. أسباب النزول للواحدي، ص٨٠، ٨١. روح المعاني للألوسي، ج٣، ص٢٦، مختصراً، ولم يوردها كسبب نزول. تفسير الطبري، ص٤٨٧، ص٤٨٨، م٥، الأثر ٥٩٦٨، وقد جاء مفصلاً عن السدي، طبعة أحمد شاكر.

(٢) صدّر الواحدي هذه الإسرائيليات بقوله: ذكر المفسرون السبب في سؤال إبراهيم ربه أن يريه إحياء الموتى.

من وصيف ووصيفة، وحلقت رؤوسهم كلهم، وقال: إن عرف الغلمان من الجواري فهو نبي، وإن لم يعرف الغلمان من الجواري فهو ليس بنبي. فدعا بوضوء، فقال: توضأوا فجعل الغلام يأخذ من مرفقيه إلى كفيه، وجعلت الجارية تأخذ من كفها إلى مرفقها. فقال هؤلاء جوار وهؤلاء غلمان)[1].

وهذه الرواية واضح أنها تفسير، ولا يجوز أن تكون سبب نزول لأنها تفصيل أمر مضى لا يعلمه إلا الله. وليس في الرواية ما يشير إلى أنها سبب نزول. فلم توجد قرينة ولا لفظ يدل على أنها سبب نزول الآية. وعلى فرض صحة ما ورد في الرواية فلا تزامن مع نزول الآية لأن بلقيس أرسلت هديتها لسيدنا سليمان، عليه السلام، قبل نزول القرآن بزمن لا يعلمه إلا الله. وعليه فترد الرواية.

٥. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾. [الأنعام].

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: جاء رجل من اليهود، يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي، ﷺ، فقال النبي، ﷺ، أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ وكان حبراً سميناً فغضب. فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله الآية[2].

---

(١) تفسير سعيد بن جبير، د. إبراهيم النجار، القسم الثاني، ص٢٨٢. الدر المنثور، م٦، ص٣٥٨. تفسير ابن كثير، م٣، ص٣٦٢، ص٣٦٣، بتفصيل أكثر.

(٢) تفسير سعيد بن جبير، د. إبراهيم النجار، القسم الثاني، ص١٣١، تفسير الطبري، الأثر ١٣٥٣٥، طبعة شاكر. أسباب النزول للواحدي، ص٢١٥. الدر المنثور، م٣، ص٣١٤. وقال:

والبصير بأسباب التنزيل يرى أن هذه الرواية وأمثالها لا تصلح أن تكون سبب نزول للأمور الآتية:

١) إن السورة مكية قطعاً. ورواية مالك بن الصيف كانت في المدينة فلا تزامن بينهما. وبمثل ذلك ترد رواية فنحاص وجماعة من اليهود.

٢) إن السياق القرآني من فاتحة السورة حتى ما بعد الآية التي نحن بصددها تخاطب قريشاً والرسول،ﷺ، وتبيّن الصراع بينهما فكيف يلصق مثل هذا الأمر باليهود، لا سيما أن اليهود يعترفون بالأنبياء السابقين، وعلى الأقل بموسى، عليه السلام، وبالتوراة، وإن الذي ينكر وجود أنبياء وكتب هم العرب. فأنكروا نبوة محمد،ﷺ، وأنكروا النبوات كلها لأجل وجود نبي منهم سيحل محلهم في قيادة العرب. فالسياق القرآني كله يرفض الروايات القائلة إنها في اليهود. والصواب إنها في قريش.

٣) إن الرسول،ﷺ، بُعث هادياً ومبشراً ولم يُبعث مُضِلاً ومُنفِّراً، فمثل هذه الرواية تُنفِّر الناس منه، ﷺ، وهي بعكس ما وصفه القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾. [سورة القلم]. ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾.**[آل عمران: ١٥٩]**...إلخ فهذه الرواية تعارض القطعي فترد دراية.

٤) الروايات التي قيلت إنها في اليهود لم تذكر سبب الخصومة، أو موضوعها، وإبهام الموضوع يكون عادة من أجل إخفاء الدس الذي يقوم به الوضاعون، أو الحاقدون، أو الجاهلون. ويعد الأثر مقطوعاً لأن سنده ينتهي إلى تابعي.

٥) وبتخريج السند، وجدت العلة في ابن حميد، وهو محمد بن حيان التميمي الحافظ أبو عبد الله الرازي. قال في الكاشف للذهبي،٤٨٨٣دت. ق، محمد بن حميد الرازي الحافظ عن يعقوب القمي، وجرير وعنه د. ت. ق. وابن جرير، والبغوي،

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال... تفسير الطبري، ص٢٦٧، ج٧، م٥، معالم التنزيل للبغوي، م٢، ص١١٤.

وثقة جماعة والأولى تركه. قال يعقوب بن شيبة كثير المناكير. وقال خ: فيه نظر وقال س: ليس بثقة، مات سنة ٢٤٨هـ[١]. وقال صاحب كتاب الجرح والتعديل: (أنا عبد الرحمن، قال: سمعت أبي يقول: سألني يحيى بن معين، عن أبي حميد، من قبل أن يظهر منه ما ظهر، فقال: أي شيء تنقمون عليه. فقال: يكون في كتابه الشيء منقول ليس هذا هكذا إنما هو كذا وكذا فيأخذ القلم فيغيره على ما نقول، قال: بئس هذه الخصلة قدم علينا بغداد فأخذنا منه كتاب يعقوب القمي ففرقنا الأوراق بيننا ومعنا أحمد بن حنبل فسمعناه ولم نره إلا خيراً). وذكر روايات عنه أنه كان يتعمد الكذب[٢].

وفي كتاب التاريخ الكبير للإمام أبي عبد الله إسماعيل البخاري: (فيه نظر. وسئل أبو عبد الله عن محمد بن حميد الرازي لما تُكُلِمَ فيه؟ فقال: كأنه أكثر على نفسه)[٣].

وفي تهذيب التهذيب لابن حجر: (قال يعقوب بن شيبة: محمد بن حميد كثير المناكير. وقال البخاري: في حديثه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة. قال صالح بن محمد الأسدي: كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنّا نتهمه فيه، وقال: كانت أحاديثه تزيد وما رأيت أحداً أجرأ على الله منه.

كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض، وقال أيضاً: ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني، ومحمد بن حميد، كان يحفظ حديثه كله)[٤].

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الذهبي، م٣، ص٣٢. (خ: البخاري. س: النسائي د: أبو داود. ت: الترمذي. ق: الدارقطني).

(٢) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، ت٣٢٧هـ. م٧، ص٢٣٢، ٢٣٣، ترجمة ١٢٧٥.

(٣) التاريخ الكبير للإمام البخاري ت٢٥٦، م١، ص٦٩، ترجمة ١٦٧.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر، ص١١١-١١٣، م٩، ترجمة ١٨١ روى له أبو داود، والترمذي، وابن ماجة.

وبعد هذا التجريح في راوي الأثر نجد أنه ساقط من حيث السند كذلك لأن الرجل يكذب، ويتعمد الكذب، ويقلب أحاديث الناس وحاذق في الكذب. وهذا هو الأجدر بمثل هذه الرواية التي تصور رسول الله،ﷺ، أنه يُنَفِّرُ الناس من الإسلام. ويستعديهم عليه، وعلى الرسالة، فالرسول لا يخالف أمر ربه لأنه معصوم بالوحي. وعليه فلا سبب صحيح لتنزيل هذه الآية.

من هذه النماذج المختارة، من تفسير سعيد بن جبير، نرى أنه سار على درب الصحابة في ذكره سبب نزول الآية ويريد بذلك التفسير.

نماذج مختارة من تفسير سفيان الثوري، رضي الله عنه،

١. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. **[البقرة:١٨٦]**.

(سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾. **[غافر]**. قالوا: لو علمنا أيّ ساعة هي؟ قال: فنزلت الآية)[١].

إن هذه الرواية لا تصلح أن تكون سبب نزول للآية لأن الرواية يلاحظ فيها الصناعة، فهي مبنية على نزول آية في سورة غافر، وهي مكية[٢]. وبينهما سنوات عديدة. والصناعة في مثل هذه الحالة يراد منها التفسير على قاعدة تفسير القرآن بالقرآن. وقيل في سبب نزول هذه الآية روايات أخر، فقيل نزلت في عمر بن الخطاب

---

(١) تفسير سفيان الثوري، رواية أبي جعفر محمد، عن أبي حذيفة الهندي، عنه، دار الكتب العلمية بيروت، عن نسخة مكتبة رضا بالهند، ص٥٧، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. تفسير الطبري، ج٢، ص١٥٨. الدر المنثور، م١، ص٤٦٩، أخرج سفيان في تفسيره. تفسير ابن كثير، ج١، ص٢١٨، رواية ابن جريج عن عطاء. ولم يذكر سفيان. وذكر القرطبي الرواية عن عطاء ولم يذكر سفيان في سنده.

(٢) انظر فضائل القرآن لابن الضريس، ص٣٣، تحقيق غزوة بدير. والبرهان في علوم القرآن للزركشي ج١، ١٩٤. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص١٣، ص١٤.

عندما واقع أهله بعد العشاء في رمضان، قبل أن يرخص لهم ذلك. وقيل غير ذلك وهذا كله تفسير وليس سبب تنزيل والله أعلم.

٢. قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾. [الحج:١٩].

سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذر يقسم بالله لنزلت هذه الآية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة هذان خصمان[1].

ٱخْتَصَمُوا۟ في ربهم إلى آخر الآية. رواه البخاري[2].

فالرواية صحيحة حيث رواها البخاري، عن أبي ذر، وعن علي بن أبي طالب، ورواية أبي ذر يقسم فيها أنها نزلت في ثلاثة من المسلمين: حمزة، وعلي، وعبيدة. وقد بارزوا ثلاثة من المشركين: عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، في غزوة بدر الكبرى. وأقول: إن هذه الرواية لا يصح أن يُقال عنها إنها سبب نزول آية الحج، لأن الرواية في واقعة بدر في السنة الثانية للهجرة، وسورة الحج نزلت بعد سورة النور أي بعد الحدث بثلاث سنوات تقريباً. وقسم أبي ذر صادق لا شيء عليه، إذا حمل على التفسير. وهذا هو الأمر الطبيعي في عادة الصحابة أنهم يقولون نزلت الآية في كذا وهم يريدون أنها تأخذ حكم الآية. كما قال ابن تيمية والزركشي فيما أسلفنا. والذي

(١) تفسير سفيان الثوري رواية أبي جعفر محمد، عن أبي حذيفة الهندي عنه. ص٢٠٩، والرواية في صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم ٣٩٦٦، وأطرافه في ٣٩٦٨، ٣٩٦٩، ٤٧٤٣. ووردت عن علي بن أبي طالب برقم ٣٩٦٥ وطرفاه ٣٩٦٧، ٤٧٤٤. والأثر مشهور في كتب الحديث. ومسلم ختم كتابه بهذا الحديث ج١٨، ص١٦٧، بشرح النووي. وفي كتب التفسير عند الطبري، والقرطبي، وابن كثير، والخازن، والشوكاني، والطبرسي، وغيرها.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، م٣، ص٢١٢. وانظر القرطبي، م١٢، ص٢٥-٢٦.

يزيدنا يقيناً فيما ذهبنا إليه هو أن بعض المفسرين ذكروا أسباباً أخرى لنزول الآية وهم يقصدون كذلك تفسيراً للآية.

فالرازي في التفسير الكبير ذكر أربعة أقوال:

١) طائفة من المؤمنين وطائفة من الكفار.

٢) أهل الكتاب والمؤمنون من آمن بالله تعالى.

٣) في النفر الستة في معركة بدر. وقال علي: أنا أوّل من يجثو للخصومة.

٤) الجنة والنار قاله عكرمة.

وَرَجَّح الرازي القول الأول[١].

تفسير القرطبي وابن كثير:

١) مثل المؤمن والكافر اختصماً في البعث- ابن أبي نجيح عن مجاهد.

٢) هم المؤمنون والكافرون- مجاهد وعطاء.

٣) الجنة والنار- قاله عكرمة[٢].

وأما تفسير الطبري فجعلها أربعة:

١) فريق أهل الإيمان والآخر عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين بارزوا يوم بدر.

٢) فريق أهل الإيمان والآخر أهل الكتاب- عن ابن عباس.

٣) فريق أهل الإيمان والآخر الكفار كلهم- عن الحسين ومجاهد.

٤) الجنة والنار- عن عكرمة[٣].

وَرَجَّحَ الطبري القول الثالث جميع الكفار وجميع المؤمنين. وذهب الخازن إلى ما ذهب إليه الطبري، وقال: القول الأخير ضعيف. والثلاثة الأولى أولى بالصحة لأن

---

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٢٣، ص٢١، ٢٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير، م٣، ص٢١٢. وانظر تفسير القرطبي، م١٢، ص٢٥-٢٦.

(٣) انظر تفسير الطبري، م١٠، ج١٧، ص١٣١ .

حمل الكلام على ظاهره أولى[1].

وأما تفسير الطبرسي فقد ذكر ثلاثة أقوال:

١) نفر من المؤمنين ومثلهم من الكافرين في بدر- عن أبي ذر.

٢) أهل القرآن وأهل الكتاب - عن ابن عباس.

٣) المؤمنون والكافرون- عن الحسن، ومجاهد، والكلبي[2].

ومن الجدير بالذكر، أن جميع هؤلاء المفسرين يقرون بصحة رواية أبي ذر التي رواها سفيان الثوري. وهي من حيث السند أقوى من الأقوال الأخرى. ويرون أن أسباب النزول لا مجال للاجتهاد فيها. فهي بمنزلة المرفوع إذا قال بها الصحابي. وهنا الصحابي يقسم بذلك. ويقول علي: إنه أول من يخاصم يوم القيامة. ومع ذلك تجدهم يعدلون بهذا القول أقوالاً أخرى، منها ما هو ضعيف جداً، وهو القول بأن الخصمين هما الجنة والنار، فما السر في ذلك يا ترى؟ والجواب على ذلك إنهم يرون ذلك تفسيراً ولا يعدونه سبب نزول. فلو كان كذلك لما حاد أحد منهم عنه. والله أعلم.

ومن الجدير بالذكر كذلك في هذا المقام، أن لفظ أبي ذر قد يفهم منه أنه سبب نزول. وهو تأكيد يقسم أنها نزلت في... وهذا مما يدلل على أن معرفة أسباب النزول كانت تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا. وليس بالألفاظ. والألفاظ مظنة كونها سبب نزول ليس غير. والله أعلم.

٣. قال تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾. **[عبس]**.

قال الثوري: (نزلت في العباس عم النبي ﷺ)[3].

---

(١) انظر تفسير الخازن، ج٣، ص٣٠٣ .

(٢) مجمع البيان للطبرسي، م٧، ص١٢٤ .

(٣) سفيان الثوري وأثره في التفسير، هاشم عبد ياسين المشهداني رسالة ماجستير مطبوعة، ص٣٠٩، دار الكتاب للطباعة، بغداد، ط١، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تفسير الطبري، ص٥٢، ج٣٠، م١٥.

روى الطبري عن مجاهد أنه عتبه وشيبة ابنا ربيعة[١]. وذكر ابن كثير وابن أبي حاتم أنه كان يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب[٢]. ونقل ابن العربي أنه: (الوليد بن المغيرة)[٣] وقد جمع صاحب الكشاف جميع من سبق ذكرهم[٤]، وتبعه الألوسي[٥].

وقال الشوكاني: (وقد أجمع المفسرون على أن سبب نزول الآية: أن قوماً من أشراف قريش كانوا عند النبي،ﷺ، وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم فكره رسول الله، ﷺ، أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه فأعرض عنه فنزلت)[٦]. وبعد:

فقول سفيان الثوري: نزلت في العباس قول ليس دقيقاً بدليل اختلاف الأسماء التي ذُكِرَتْ كما أسلفنا. والروايات منها ما يقول: عنده رجل من عظماء المشركين،، فتبارى المفسرون في ذكر اسم واحد. ومنهم من يقول جماعة من صناديد قريش، فانبرى غيرهم ليعدد أشخاصاً كانوا من الجاه والنفوذ والقدرة المالية بمكان، ولكننا نستطيع الجزم أن سبب نزول الآية كان في الأعمى عبد الله بن أم مكتوم[٧]. وأن الذي الذي عبس هو الرسول،ﷺ.

---

(١) تفسير الطبري، ص٥٣، ج٣٠، م١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، م٤، ص٤٧٠.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي، م٤، ص١٨٩٣. وقال خرجه الترمذي مسنداً.

(٤) الكشاف للزمخشري، م٤، ص١٨١.

(٥) روح المعاني للألوسي، ج٣٠، ص٣٩. وانظر تفسير الطبرسي (مجمع البيان) ج١٠، ص٦٦٣. وانظر معالم التنزيل للبغوي، م٤، ص٤٤٦.

(٦) فتح القدير للشوكاني، م٥، ص٣٨٢.

(٧) قال ابن سعد أهل المدينة يقولون عبد الله. وأهل العراق يقولون اسمه عمرو. وذكر البخاري عن ابن إسحق أنه: عبد الله بن شريح بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤي. انظر الإصابة ترجمة ٤٦٨١، وانظر ترجمته في ٤٥٤٣-٤٨٤٨-٤٦٨١-٥٧٦٨. واسم أمه عاتكة=

وقد تعقبت المسألة فيما يربو على خمسة وعشرين تفسيراً فلم أجد اختلافاً في ذلك.

وقد قال الفخر الرازي: (أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى هو الرسول،ﷺ. وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم)(١). وسبب النزول هذا لا خلاف عليه عند الصحابة والتابعين والمفسرين لأنه حقاً سبب نزول وليس تفسيراً للآية. وعرف ذلك من النقل الذي يكاد يكون متواتراً. ولكن من القوم الذين كانوا عند الرسول،ﷺ، فلم ينقل لنا بمثل ما نقل عن ابن أم مكتوم، ولذلك تجد المفسرين مختلفين في النقل حتى أنك تجد ابن العربي يقول إنها لم تنزل في الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف لأنهما لم يريا ولم يجتمعا مع ابن أم مكتوم فهو مدني(٢). وقد نقل ذلك كذلك القرطبي في تفسيره. والواقع أنه وهم من ابن العربي، فعبد الله ابن أم مكتوم أسلم بمكة، وكان من أوائل المهاجرين إلى المدينة. وقد أرسله الرسول، ﷺ، ليعلم الأنصار القرآن مع مصعب بن عمير(٣) وعليه فالقرائن والأحوال تدل على أن الأعمى في الآية هو ابن ام مكتوم. وأن الآية نزلت بسببه وتوافق وجود الرجل في مكة مع نزول الآية. وهو ابن خال خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، وأما من ذكر أسماء من كان عند الرسول، ﷺ، فلا نستطيع أن نذكر اسماً واحداً على سبيل أنه سبب نزول لأنه لم يرد نص في ذلك ولم تثبت رواية صحيحة في ذلك أيضاً. ولكن

=بنت عبد الله بن عنكثة المخزومية. وقد عينه الرسول،ﷺ، أميراً على المدينة عدة مرات أثناء الغزو، وكان يلقاه ويقول له: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي).

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي ج٣٢، ص٥٥، المسألة الثالثة.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي، م٤، ص١٨٩٣، ١٨٩٤.

(٣) انظر الطبقات الكبرى، لابن سعد، م١، ص٢٣٤. في الهجرة من مكة إلى المدينة قال البراء بن معرور: (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله،ﷺ، مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئان الناس القرآن). وانظر م٣، ص١١٧. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، القسم الرابع، ص٦٠١.

يمكن على سبيل التفسير، وهو جائز، لأنه ينطبق على جميع علية القوم، ومنهم عمه العباس، لأن الرسول، ﷺ، كان يحرص على هداهم لتقوية الدعوة بهم. ولأن بإسلامهم يدخل الكثيرون في الإسلام وهي مهمة الرسول،ﷺ.

وهكذا تجد عادة التابعين في التفسير وأسباب التنزيل تذكر بنفس التعبير. ولذلك لا تدل الألفاظ على سبب النزول. والذي يدل هو القرائن والأحوال بما ينقل إلينا. والله أعلم.

٤. قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. **[الأنعام:١٤١].**

(سفيان قال: لما نزلت: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ جعل ثابت بن قيس بن شماس يعطي. لا يجد أحداً إلا أعطاه فنزلت: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ﴾ ابق لعيالك)[١].

وهذه الرواية لا يرد أن تكون سبب نزول الآية، وهيئة الصناعة عليها ظاهرة، فسورة الأنعام مكية بالإجماع، وثابت بن قيس لم يكن قد أسلم بعد فهو أنصاري من الخزرج، وقد آخى الرسول،ﷺ، بينه وبين عامر بن أبي بكير[٢]. فكيف يقال عنه ذلك كسبب نزول. ومن جهة أخرى فإن آية الأنعام هي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾. **[الأنعام].**

فالرواية تصور لنا نزول جزء من آية: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وقد قام ثابت بن قيس بالتوزيع لأمواله، حتى لم يبق منها شيء، وبعد ذلك نزل قوله تعالى:

---

(١) تفسير سفيان الثوري، ص١١٠.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد، م٣، ص٣٩٠.

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ ففي ذلك تظهر آثار الصنعة، وهو تركيب جزء من آية ليكون سبب نزول جزء آخر.

وينحل هذا الإشكال بالقول إنها رواية تفسيرية وليست سبب نزول.

ومن زاوية ثالثة إن كلمة الإسراف في القرآن لا تعني إلاّ الإنفاق في الحرام. فلو أنفق إنسان ماله كله في سبيل الله لا يكون مسرفاً، ولا يكون من الذين لا يحبهم الله تعالى. ولو استعرضنا آيات القرآن التي فيها النهي عن الإسراف فإننا نجدها في الإنفاق في المحرمات فقط ولو كان الإنفاق يسيراً. وهكذا فإن هذه الرواية لا تعد من قبيل أسباب التنزيل.

٥. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾. **[البقرة].**

(قال سفيان: نزلت في صهيب اشترى نفسه من المشركين وأهله وولده وماله على أن يَدَعُوه ودينه)[1].

وهذه الرواية قول ابن عباس، وأنس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وجماعة. والعالم بالسيرة يدرك أن صهيباً عندما افتدى نفسه بالمال ليتركه الكفار، فارّاً بدينه، لم تكن سورة البقرة قد نزلت بعد فلا توافق زمنياً بينهما. وعليه فلا تعد سبب تنزيل. وأمرٌ آخر فإن الأقوال بذلك كثيرة منها أنها نزلت في أبي ذر الغفاري وصهيب[2]. ومنها أنها نزلت في المهاجرين والأنصار[3]. ومنها كل شارٍ نفسه في طاعة الله وجهاد

---

(١) تفسير سفيان الثوري، ص٦٦. تفسير الطبري، الأثر ٤٠٠١ ، م٤، ص٢٤٨، طبعة شاكر. الطبقات الكبرى، ابن سعد، م١، ص١٦٣. الدر المنثور، م١،ج٢، ص٢٣٩. تفسير القرطبي، م٣،ص٢٠. وغيرها.

(٢) تفسير الطبري الأثر ٤٠٠١، م٤، ص٣٤٨، طبعة شاكر.

(٣) تفسير الطبري الأثر ٤٠٠١، م٤، ص٣٤٨، طبعة شاكر.

في سبيله[١]. ومنها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر[٢]. وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري فالتعدد هذا يشمله التفسير ولا يرد أن يكون سبب تنزيل. لأنه لو كان كذلك لما وجدت مثل هذا الاختلاف في الأشخاص والمواضيع. والله أعلم.

وهكذا نجد أن أسباب التنزيل عند التابعين، لم تختلف معرفتها وتمييزها ونقلها عما كان عند الصحابة، رضوان الله عليهم، فيذكرون الرواية ويقصدون منها التفسير. وروايات أسباب التنزيل قليلة تحتاج معرفتها إلى غوص وبحث حتى تفرز عن روايات التفسير ويكون ما عرف واعتاد عليه الصحابة في التعبير هو نفسه عند التابعين. فإنهم قد يقولون نزلت الآية في كذا ويريدون بذلك التفسير. وأن الحادثة تنطبق عليها الآية. ولم يعولوا كثيراً على الألفاظ وإنما كان التعويل في الإدراك على القرائن التي تحيط بالقضية.

معنى سبب التنزيل عند المفسرين

لقد درج المفسرون على نقل الروايات التي وصلتهم باسم التأويل تارة، وطوراً تحت سبب النزول باستعمال فاء السببية مع لفظ مشتقات نزل. ولكنهم قاموا بترجيح رأي على آخر، أو رواية على أخرى. وربما قاموا بنقد بعض الروايات. ونقد بعضهم بعضاً فيما توصلوا إليه من علم في الروايات المنقولة. ومن هذا النقد تتكون عند المُطَّلِع حصيلةٌ يمكن أن توظف في فرز روايات التفسير عن روايات أسباب التنزيل، وإقصاء ما لا يصلح منها للتفسير ولا لأسباب التنزيل. ونقد الروايات تجده سار في اتجاهين: الأول نقد السند. وهذا غالباً ما يكون عند جهابذة علم الحديث من الذين برزوا في علم التفسير. والثاني نقد المتن، وتجده عند القادرين على الاجتهاد في علم التفسير والحديث معاً. ويعد موضوع نقد الروايات باتجاهين نادر الوجود عند المفسرين. وقد ترى العجب العجاب في هذا الموضوع حتى من أساطين علم الحديث.

---

(١) تفسير الطبري الأثر ٤٠٠٣، ٤٠٠٤، ٤٠٠٥، ٤٠٠٦، م٤، ص٣٤٩، طبعة شاكر.

(٢) تفسير الطبري الأثر ٤٠٠٧، وقد روي عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، م٤، ص٢٥٠.

فمثلاً ابن حجر العسقلاني يعد عملاقاً في الجرح والتعديل، وفي نقد السند والمتن. وكتبه كافية لأن تكون دليلاً على ذلك. ومع ذلك تجده ينقل خرافة يونانية: بأن كوكب الزهرة، الذي في السماء، كان امرأة جميلة. وقد مسخها الله تعالى كوكباً في السماء وهذه الحكاية جعلها سبب تنزيل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾. **[البقرة:١٠٢]**. إلى آخر الآية. وأخذ ينافح عن هذه القصة[١]، ورد على أقرانه من العلماء. مع أنه بأدنى تأمل يدل على أن مثل هذه الخرافة لم تتزامن مع نزول الآية فلا يجوز أن تعد سبباً لنزولها. ويكفي هذا في ردها.

ومن النقد الخاطئ لرد رواية في سبب نزول ما قاله ابن العربي: (وأما قول علمائنا: إنه الوليد بن المغيرة وقال آخرون: إنه أمية بن خلف، فهذا كله باطل وجهلٌ من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين؛ وذلك أن أُمية والوليد كانا بمكة، وابن أُم مكتوم كان بالمدينة، ما حضر معهما ولا حضرا معه، وكان موتهما كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر، ولم يقصد قط أميّة المدينة، ولا حضر عنده مفرداً ولا مع أحد)[٢]. وكان هذا النقد في معرض ذكر سبب نزول مطلع سورة عبس، مع أن ابن أُم مكتوم قرشي، أسلم في مكة، وهو ابن خال أُم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد هاجر قبل الرسول، ﷺ، إلى المدينة مع مصعب بن عمير ليعلم الأنصار القرآن[٣]. كما أسلفنا قبل قليل.

---

(١) انظر مخطوط العُجاب في الأسباب، لابن حجر، ص٢٥، وما بعدها. وقد سبق أن ذكرنا هذه الرواية.

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي، م٤، ص١٨٩٣، ص١٨٩٤.

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الرابع ص٦٠١ وانظر طبقات ابن سعد م١ ص٢٣٤، م٣ ص١١٧.

وإليك أمثلة من نقد المفسرين لروايات أسباب التنزيل:

١. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾. [البقرة].

قال السيوطي: (أخرج الواحدي، والثعلبي من طريق محمد بن مروان، والسدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله ابن أُبيّ وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أردّ عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال مرحباً بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عليّ، فقال: مرحباً بابن عمّ رسول الله، وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأثنوا عليه خيراً، فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ، وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية)(١).

وقد قام السيوطي بنقد سند هذه الرواية فقال: (هذا الإسناد واهٍ جداً فإن السدّي الصغير كذاب، وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف)(٢). والغريب أن السيوطي لم ينقد هذه الرواية في الدر المنثور. وقام ابن حجر في مخطوطه العجاب في الأسباب بنقد هذه الرواية فقال: (قلت: الكلبي والراوي عنه تقدم وصف حالهما، وآثار الوضع لائحة على هذا الكلام، وسورة البقرة نزلت في أوائل ما قدم(٣) رسول الله ﷺ،

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص٧. أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٠. الدر المنثور، م١، ص٧٨.

(٢) لباب النقول ص٧. وانظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر، في نهاية تفسير الكشاف، ص٥، قال: ومحمد بن مروان متروك متهم بوضع الحديث، وسياقه في غاية النكارة.

(٣) هكذا وردت ولعلّ الصواب مَقْدَم.

المدينة. كما ذكره ابن إسحق وغيره. وعليّ إنما تزوّج فاطمة، رضي الله عنها، في السنة الثانية من الهجرة)[1]. فيكون النقد هنا للسند والمتن معاً.

٢. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. [البقرة: ١٤٣].

قال ابن عاشور: (روى البخاري عن البراء بن عازب قال: "كان مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قُتِلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى الآية" وفي قوله "قتلوا إشكال" لأنه لم يكن قتال قبل تحويل القبلة)[2].

٣. قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾. [النساء].

قال أبو جعفر الطبري: (وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله، ﷺ، في قوم كانوا ارتدّوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن اختلاف أهل ذلك إنما هو على قولين: التأويل في أحدهما أنهم قوم كانوا من أهل مكة على ما قد ذكرنا الرواية عنهم، والآخر أنهم قوم كانوا من أهل المدينة، وفي قول الله تعالى ذكره: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ أوضح الدليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة، لأن الهجرة كانت على عهد رسول الله، ﷺ، إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر، فأما من كان بالمدينة في دار الهجرة مقيماً من المنافقين وأهل الشرك، فلم يكن عليه فرض هجرة، لأنه في دار الهجرة كان وطنه ومقامه)[3]. فالطبري اعتمد في ترجيح روايته على بقية الروايات في سبب التنزيل على نص السياق القرآني. والجزء الذي استشهد به هو في الآية التالية مباشر للآية التي نحن بصددها. وحذا حذوه أبو حيان صاحب

---

(١) مخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر، الورقة ٩أ.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ص٢٤، ج٢، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

(٣) تفسير الطبري، م٤، ج٥، ص١٩٥.

البحر المحيط، فقال: (وما كان من هذه الأقوال يتضمن أنهم كانوا بالمدينة يرده قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلا إن حملت المهاجرة على هجرة ما نهى الله عنه)[1]. وسار على دربهما من المعاصرين محمد السيّد طنطاوي وسيد قطب. قال صاحب ظلال القرآن بعد أن ساق أهم روايتين مما ورد في شأن المنافقين: الأولى: منافقو أحد. والثانية: من أسلم بمكة، وظاهر المشركين فخرجوا من مكة لحاجة لهم. قال: (ومع أن الرواية الأولى أوثق من ناحية السند، والإخراج، إلاّ أننا نرجح مضمون الرواية الثانية، بالاستناد إلى الواقع التاريخي، فالثابت أن منافقي المدينة لم يرد أمر بقتالهم، ولم يقاتلهم الرسول،ﷺ، أو يقتلهم. إنما كانت هناك خطة أخرى مقررة في التعامل معهم. هي خطة الإغضاء عنهم، وترك المجتمع نفسه ينبذهم، وتقطيع الأسناد من حولهم بطرد اليهود وهم الذين يغرونهم ويملون عليهم من المدينة أولاً. ثم من الجزيرة العربية كلها أخيراً. أما هنا فنحن نجد أمراً جازماً بأخذهم أسرى، وقتلهم حيث وُجدوُا: مما يقطع بأنهم مجموعة غير مجموعة المنافقين في المدينة.. وقد يقال: إن الأمر بأخذهم أسرى وقتلهم مشروط بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. **[النساء:٨٩]**. فهو تهديد ليقلعوا عماهم فيه.. وقد يكونون أقلعوا فلم ينفذ الرسول،ﷺ، هذا الأمر فيهم.. ولكن كلمة: ﴿يُهَاجِرُوا۟﴾ تقطع في هذه الفترة بأنهم ليسوا من أهل المدينة. وأن المقصود هو أن يهاجروا إلى المدينة، فقد كان هذا قبل الفتح. ومعنى الهجرة قبل الفتح كان محدداً بأنه الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، والانضمام للجماعة المسلمة، والخضوع لنظامها. وإلاّ فهو الكفر أو النفاق.. وسيجيء في سياق السورة في الدرس التالي تنديد شديد بموقف الذي بَقَوْا- بغير عذر من الضعف- من المسلمين في مكة، دار الكفر والحرب بالنسبة لهم، ولو كانوا من أهلها ومواطنين فيها! وكل هذا يؤدي

(١) انظر تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، م٣، ص٣١٣.

ترجيح الرواية الثانية. وأن هؤلاء المنافقين كانوا جماعة من مكة أو ممن حولها يقولـون كلمة الإسلام بأفواههم، ويظاهرون عدو المسلمين بأعمالهم)(١). أما البغوي في معـالم التنزيل: فذكر الروايات ولم يرجح ولم يعقب عليها بشيء(٢). وأما ابن العربي فبعد أن ذكر خمسة أقوال ذكر اختيار الطبري وترجيحه وعقب عليه قائلاً: (والصحيح ما رواه زيد(٣). وقوله: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني حتى يهجروا الأهـل والولـد والمـال، ويجاهدوا في سبيل الله)(٤).

وجاء الفخر الرازي وذكر ستة أقوال نقل تعليق غيره على القول الثالث وهو: الذين تخلفوا يوم أُحد فقال: ومنهم مَنْ طعن في هذا الوجه وقال: في نسـق الآيـة مـا يقدح فيه، وإنهم من أهل مكة، وهو قولـه تعـالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٥).

وطرق نفس السبيل الحسن النيسابوري في (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)(٦).

---

(١) انظر في ظلال القرآن، لسيد قطب، م٢، ص٤٧٧، ط٥، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، دار إحيـاء الـتراث العربي. وانظر التفسير الوسيط لمحمد سيّد الطنطاوي، م٣، ص٣٢٦، ط سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. مطبعة السعادة. ويبدو أنه أخذ نقده عن سيّد قطب لأنه أسبق منه في التفسير. والله أعلم.

(٢) انظر معـالم التنزيـل للبغـوي، م١، ص٤٥٩. وكـذلك الزمخشـري في الكشـاف، م١، ص٢٨٧، والطبرسي في مجمع البيان، ج٣، ص١٣٢. والخازن في تفسيره، م١، ص٤١٠. ومحمد بن يوسف اطفـيّش الـوهبي الأباضـي، في كتابـه هيميـان الـزاد إلى دار المعـاد، ج٥، ص٧٩-٨١، طبعـة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، طبعة سلطنة عُمان.

(٣) أي في الطائفة من المنافقين التي رجعت يوم أُحد. وقال هو اختيار البخاري، والترمذي.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي، م١، ص٤٦٩.

(٥) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي، ج١، ص٢١٨، طبعة طهران.

(٦) ج٤، ص١٠٥، طبعة مصطفى البابي الحلبي، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض.

وأما القرطبي: فبعد أن ذكر الروايات قال: (قلت: وهذان القولان[1] يَعْضُدهما سياق آخر الآية من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ والأول[2] أصح نقلاً، وهو اختيار البخاري ومسلم والترمذي)[3].

وأما ابن كثير: فقد ذكر رواية رجوع عبد الله بن أبي بثلث الجيش في أحد، وخرّج الرواية أنها في الصحيحين. وذكر بقية الروايات دون تعليق على صحة سندها. وختمها بالقول إنها في شأن عبد الله بن أبي حين استعذر منه رسول الله ﷺ، على المنبر في قضية الإفك وقال: (وهذا غريب)[4].

وجاء السيوطي، لينقل لنا اثنتي عشر رواية في الدر المنثور، دون ترجيح. وعلّق على سند ما أخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن عوف ومفاده أن قوماً من العرب أتوْا رسول الله ﷺ، بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة فخرجوا منها.. فقال: (وأخرج أحمد بسند منقطع)[5]. وفي لباب النقول، ذكر ثلاث روايات الأولى رواها الشيخان: وهي كقول عبد الله بن أبي ومن معه في غزوة أحد. والثاني لم يعقب عليها، والثالثة رواية الدر نفسها. وقال: (في سنده تدليس وانقطاع)[6].

---

(١) الأول ما نقل عن ابن عباس أنهم قوم بمكة آمنوا وتركوا الهجرة، وقالوا: إن ظهر محمد فقد عرفنا، وإن ظهر قومنا فهو أحب إلينا. والثاني.. سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أنهم قوم جاءوا إلى المدينة أظهروا الإسلام فأصابهم وباء فخرجوا منها فلقيهم المسلمون، فأخبروهم بحالهم حتى جاءوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ثم ارتدوا بعد ذلك فاستأذنوا الرسول إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها.

(٢) من رجع يوم أحد من المنافقين.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، م٥، ص٣٠٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، م١، ص٥٣٣.

(٥) الدر المنثور، ج٢، ص٦١٠.

(٦) لباب النقول، ص٧١.

وأما الشوكاني: فقد نهج نهجاً مختلفاً عن الآخرين في ذكر سبب التنزيل فقال في مقدمة تفسير الآية: (وسبب نزول الآية ما سيأتي وبه يتضح المعنى)[1]. ثم شرع في التفسير وبعد صفحتين ساق رواية الصحيحين عن زيد بن ثابت وقال: (هذا أصح ما ورد في سبب نزول الآية، وقد رويت أسباب غير ذلك)[2].

أما محمود شكري الألوسي: فبعد أن ساق رواية الصحيحين قال: (ويُشْكِلُ على هذا ما سيأتي قريباً، إن شاء الله تعالى، من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليتهم إلاّ أن يصرف عن الظاهر كما ستعلمه)[3]. والذي يقصده وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهي الآية التي تليها مباشرة. وبعد أن بين استعمالات الهجرة قال في الاستعمال الثالث: الخروج للقتال وعليه حمل الهجرة من قال إن الآية نزلت فيمن رجع يوم أحد على ما حكاه خبر الشيخين وجزم به الخازن)[4].

وقال في رواية العرنيين الذين أغاروا على السرح وأخذوا يساراً، راعي رسول الله ﷺ، ومثلوا به. قال: (ويرده كما قال شيخ الإسلام ما سيأتي، إن شاء الله تعالى، من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم في السلم والحرب وهؤلاء قد أخذوا، وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل، ولم ينقل في أمرهم اختلاف المسلمين)[5]. فعمله في اختيار الرواية الصحيحة هو السياق القرآني للآيات، وبمدى انطباق النص على الرواية.

وقد سلك محمد الطاهر بن عاشور مسلكاً توفيقياً بين الروايات الكثيرة الذي ذكرها فقال:

(وأحسب أن هؤلاء الفرق كلهم كانوا معروفين وقت نزول الآية، فكانوا مثلاً

(١) فتح القدير للشوكاني، م١، ص٤٩٥.

(٢) فتح القدير للشوكاني، م١، ص٤٩٥.

(٣) روح المعاني، لمحمود شكري الألوسي، ج٥، ص١٠٧.

(٤) روح المعاني، للألوسي، ج٥ ص١٠٩.

(٥) روح المعاني، للألوسي، ج٥، ص١٠٧.

لعمومها وهي عامة فيهم وفي غيرهم من كل من عرف بالنفاق يومئذ من أهل المدينة ومن أهل مكة. والظاهر أن الآية نزلت بعد أن فات وقت قتالهم، لقصد عدم التعرض لهم وقت خروجهم، استدراجاً لهم إلى يوم فتح مكة)[١].

وأكتفي بهذا القدر من نقد المفسرين لروايات أسباب التنزيل، والذي تجده مبعثراً هنا وهناك. وهذا يدل على أن جل المفسرين، إن لم يكن كلهم، يحسون أنه لا بد من إعادة النظر في اعتماد روايات أسباب التنزيل. وأن لكل واحد منهم قاعدة ينطلق منها، أو أنه يتعامل مع كل آية حسبما يتيسر له من أدوات لنقد الرواية التي تتعارض مع النص أو مع السياق القرآني، أو مع الواقع التاريخي لحدوث الواقعة ونزول الآية القرآنية. ومن الجدير بالملاحظة أنك لا ترى أيّاً من المفسرين يعتمد في ترجيحه أو رده لأي رواية على الألفاظ التي تدل على أنها سبب للتنزيل، كما يقال عن فاء السببية، أو لفظ أنزل و غير ذلك مما ورد في كتب علوم القرآن. وترى المفسرين جميعاً لم يخرجوا عن سبيل الصحابة والتابعين في الحديث عن روايات التفسير، وعد بعضها سبب نزول للآية. فقد تجد من يعدها تفسيراً وتجد غيره يعدها سبب نزول. فالجمع بين الأمرين عند المفسرين هو الدرب نفسه الذي سلكه المفسرون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم[٢]. ولنأت إلى البحث الثالث من هذا الفصل لاعتماد وتوثيق القواعد التي على أساسها يتم اختيار الرواية في أسباب التنزيل، وكيف نَقِفُ من بقية الروايات التي تخالف تلك القواعد.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٥، ص١٥٠، الدار التونسية للنشر، طبعة ١٩٨٤.

(٢) سلكت في معرفة سبب نزول الآيات عن المفسرين مسلك استقراء نقدهم للروايات، وهو غير السبيل الذي سرت فيه عند الصحابة والتابعين، لأنهم الأصل في النقل. والمفسرون لا تعد رواياتهم حجة في هذه المسألة.

المبحث الثالث

تحديد طريقة معرفة أسباب التنزيل ويتضمن:

أ- بحث الألفاظ التي قيل إنها تدل على سبب التنزيل.

ب- أطر لا بد منها لاعتماد رواية سبب التنزيل وهي.

١. تزامن نزول الآية مع زمن وقوع الحدث أو السؤال.

٢. ضرورة تناسب الرواية مع منطوق ومفهوم النص.

٣. ضرورة تناسب الرواية مع سياق الآية أو الآيات في السورة.

٤. أن لا تناقض الرواية نصاً آخر أقوى منها قرآنا، أو سُنَّةً، أو رواية أقوى منها.

٥. تحقيق صحة الرواية.

جـ- عموم لفظ الآية وخصوص سبب نزولها، وعلاقته ببحثنا.

أ - بحث الألفاظ التي قيل إنها تدل على سبب التنزيل

إن دراسة روايات أسباب التنزيل تقتضي بحث إن كان هناك ألفاظ تدل على أن هذه الروايات تُعد أسباباً في تنزيل آيات من القرآن أم لا؟

فهل يوجد ألفاظ تدل على أسباب التنزيل تقترن بالروايات التي تدل على الأحداث؟؟

بالاستقراء ثبت لدي أنه لا يوجد لفظ يقترن بالرواية يدل على أنها سبب نزول، ولو كانت مقرونة بالفاء. فقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، أو فأنزل الله آية كذا، لا يدل على أن الرواية سببٌ لنزول الآية، وإنما هي مظنة أن تكون كذلك. فلا بدّ من البحث في القضية وما يتعلق بها من قرائن لمعرفة ذلك. وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية حيث قال: (وقولهم "نزلت هذه الآية في كذا" يراد به تارة أنه سبب لنزول، ويراد به أخرى أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما نقول عنى بهذه الآية كذا).[1] أي أنها صيغة محتملة فما دام اللفظ تستوي فيه الدلالتان التفسير وسبب النزول فلا يجوز أن يحدد فيه معنى دون غيره إلاّ بقرينة. وهذا شأن الألفاظ المشتركة، وإن كان هذا معنى اصطلاحياً إلاّ أنّ له معنيان، فيقتضي أن لا يعيّن أحد المعنيين إلاّ بقرينة تدل على ذلك. وهذا هو الذي عبّر عنه الزركشي بقوله: (وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها)[2].

ومن دراسة النماذج التفسيرية عند بعض الصحابة والتابعين في المبحث الثاني توصلت إلى حقيقة هي أن لفظ: (أُنزل في كذا) لا يفيد كثيراً في تمييز رواية أسباب التنزيل عن غيرها. وأن الاعتماد الكلي يعود إلى ما قاله أبو الفتح القشيري (المشهور

---

(١) مقدمة في أصول التفسير/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ص٤٨ تحقيق د. عدنان زرزور مطبعة دار القرآن الكريم، الكويت، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج١، ص٣١، ٣٢.

بابن دقيق العيد): (وهو أمرٌ تحصّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا)(١). وعندما عرضنا لنقد المفسرين للروايات في المبحث الثاني لم نجد أيّاً منهم قد تعرض إلى لفظ نزل بأنه دليل أو أمارة على اعتماد رواية دون أخرى. ومما نبّه إليه السيوطي أنهم يقولون نزلت الآية في كذا والصواب فقرأ أو فتلا أو وقال(٢).. وقد أكدنا على ما نبّه إليه السيوطي بتصحيح عبارة المثال وذلك في مقدمة الرسالة(٣). وهذا من شأنه أن يشكك في دلالة لفظ: "فنزلت أو أنزلت" على رواية سبب التنزيل. وأما تعابير بعض الصحابة أو التابعين "فما أحسب هذه الآية إلاّ نزلت في ذلك(٤) فهو ظن منه، ولا يفيد الجزم. فلا بدّ من العودة إلى القرائن والأحوال التي تحيط بالرواية والنص القرآني. ومنه ما سبق أن أشرنا إليه في النموذج الأول لتفسير عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ **[الإسراء:٨٥]**. ففي صحيح البخاري يقول ابن مسعود: فظننت أنه يوحى إليه". وفي رواية "فعلمت أنه يوحى إليه" والعلم هنا بمعنى الظن. وفي رواية ثالثة: فعرفت أنه يوحى إليه، ومع ذلك أقصيت هذه الرواية مع صحة سندها أن تكون سبب نزول للآية وليرجع إليه. وأبلغ من هذا ما عبّر به أبو ذر الغفاري رضي الله عنه في الصحيحين بأنه أقسم بالله أن آية: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ﴾. **[الحج: ١٩]**. نزلت في ستة نفر من قريش وهم الذين تبارزوا في بدر،

---

(١) المصدر، السابق ص٢٢.

(٢) انظر الاتقان في علوم القرآن، ج١، ص٤٥.

(٣) انظر إلى الأسباب التي أدت إلى دخول الدخيل في أسباب النزول.

(٤) انظر قول ا لزبير في رواية الصحيحين في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾.**[النساء:٦٥]**. وفي الاتقان، ج١، ص٤١، لباب النقول، ص٣. أسباب النزول للواحدي، ص١٥٦ ص١٥٧. وانظر تحقيقنا للرواية بأنها ليست سبباً لنزول الآية نماذج من المواضيع التي ثبت لها سبب نزول. نموذج٥.

ومع ذلك أقصيت هذه الرواية أن تكون سبب تنزيل[1]. ووجهت هذه الروايات إلى أنها روايات تفسيرية، ولا تناقض بينها وبين أمثالها كما قال ابن تيمية: (فقول أحدهم نزلت في كذا، لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا، إذا كان اللفظ يتناولهما كما ذكرناه في التفسير بالمثال)[2]. فأبو ذر، رضي الله عنه، صادق فيما أقسم عليه لأن المراد تفسير الآية، وسكوت الرسول،ﷺ، عن الجواب، أو انتظاره برهة قصيرة لا يعني أنه يوحى إليه، بالآية التي تلاها على السامعين وهم في وضع معيّن. ودلالة هذا السكوت ظنية، فلا يعتمد عليها في الجزم في القول برواية سبب التنزيل. قال ابن كثير: (وقد يُجاب عن هذا بأنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عمّا سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه)[3].

فما يجري بين الوحي وبين الرسول عليهما السلام من المغيبات التي لا تعلم إلاّ إذا ورد النص بذلك. ولم يرد أي نص في هذا الشأن. ولذلك فإن نزول الوحي على سيدنا محمد،ﷺ، وهو بين ظهراني الصحابة لا يعرف منه شيء إلاّ ما يصرح به. وعليه فلا دلالة لسكوت الرسول،ﷺ، عند السؤال، أو عدم الإجابة الفورية، أو نزول الوحي على ما يتلفظ به رسول الله،ﷺ، من السؤال، من كون الرواية أو الحدث سبباً لنزول الآية.

أما تعدد الروايات فقد تكون تفسيراً كما أسلفنا، وقد تكون دليلاً على عدم ثبوت رواية أنها سبب تنزيل. لأن الروايات الثابتة في سبب التنزيل لا تجد لها منافساً يذكره المفسرون، فمثلاً أول سورة عبس أجمع المفسرون على أنها في عبد الله ابن أم مكتوم، ولم يذكر أي منهم رواية أخرى في غيره وآيات الإفك نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، فلم يورد أحدٌ غيرها. ولم تنف رواية واحدة أن المدبر

---

(1) انظر النموذج الثاني من النماذج المختارة من تفسير سفيان الثوري.

(2) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية، ص٤٩، طبعة الكويت، تحقيق د. عدنان زرزور.

(3) انظر النموذج الأول في المبحث الأول من تفسير ابن مسعود ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ **[الإسراء: ٨٥]**. وانظر تفسير ابن كثير، م٣، ص٦٠.

لهذه الإشاعة المغرضة هو كبير المنافقين عبد الله بن أُبي. وأن آية: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور:٢٢]. نزلت في أبي بكر عندما توقف عن الإنفاق على ابن خالته مسطح الذي خاض في حديث الإفك(١). وأن آية الظهار في أوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة. وأن آية اللعان في هلال بن أُمية وهكذا. ولا تكاد تجد رواية صحيحة مما يعد سبب تنزيل شبيهاً في الحدوث في الزمان والمكان غير آية اللعان. ومع ذلك تجد المفسرين قالوا إنها نزلت في هلال بن أُمية. وأما رواية عويمر العجلاني فجاءت بعد الأولى وعند نزول الوحي. وأما رواية سلمة بنت صخر في الظهار، فقال ابن كثير: (فأما حديث سلمة بنت صخر فليس فيه أنه كان سبب تنزيل، ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام أو الأحكام)(٢).

وأما قول الصحابي: "فيّ نزلت آية كذا" فهو كذلك لا يدل على أنه سبب تنزيل فقد يُراد منه التفسير، ومنه ما رواه السيوطي في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾. [الأحزاب:٥٠].(٣). (وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، عن أم هانئ، قالت: نزلت فيّ هذه الآية: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾. [الأحزاب:٥٠]. أراد النبي، ﷺ، أن يتزوجني فنُهي عن ذلك إذ لم أُهاجر).(٤) فهذه الآية لم تنزل بهذا الشأن وهي من تفسير أُم هانئ. وأما ما قالته خولة أو خويلة بنت ثعلبة: (فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة)، فالجواب على ذلك: (وإن صادف قولها: (فيّ

---

(١) يوجد قول من وضع الشيعة أنها في علي ولا سند له.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٤، ص٣١٨-٣٢٢. أول سورة المجادلة. وانظر الرواية التي رواها أحمد عن يزيد بن هارون، بسنده إلى سلمة بن صخر الأنصاري، ص٣١٩.

(٣) لباب النقول للسيوطي، ص١٠٨.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٤، ص٣١٨ إلى ٣١٩.

والله)، (الرواية) ليس من هذا عرف أنها سبب نزول ولكن من قرائن أخرى فقد قال،ﷺ، لها: (يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً" ثم قرأ عليها الآية. ومنها أنه طلب أن يقوم زوجها بتنفيذ الكفارة لفعل الظهار، ومنها قول عائشة رضي الله عنها: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي،ﷺ، تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول. فأنزل الله عز وجل الآية).

وبالاستقراء وجدت أنه إذا اندرج حال الرجل تحت النص فإن الصحابة يقولون: نزلت هذه الآية في فلان أو فأنزل الله تعالى كذا. كما سبق وأن مثلنا في آية البقرة ٢٠٧ وأنها نزلت في صهيب، رضي الله عنه.

وعليه، فلا يُقال إن هناك ألفاظاً تدل على رواية سبب النزول كفاء السببية الداخلة على فعل نزول ومشتقاته، وإنما تتحرر رواية أسباب النزول بمعرفة القرائن والأحوال التي تحيط بالرواية والآية معاً. هذا ولم ترد أي رواية مصدرة بلفظ: "سبب نزول الآية" عن الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم.

ب -أُطُرٌ لا بدّ منها لاعتماد رواية أسباب التنزيل

هناك أُطرٌ لا بدّ من توفرها حتى تُعد الرواية أنها سبب تنزيل، وهذه الأُطر مأخوذة من واقع مصطلح أسباب التنزيل. وتقتضيها طبيعة البحث، وهي:

أولاً: تزامن نزول الآية مع وقوع الحدث أو السؤال: قال الزركشي: (لأن الزمان إنما يُشترط في سبب النزول)(١). وقال السيوطي: (والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء. بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله:﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص٢٦، ج١. وانظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبرى زاده، ص٣٥٠، ج٢.

[النساء]. سبب اتخاذه خليلاً فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى)[١]. ومن هذا الشرط تخرج الروايات التي ليست من أسباب التنزيل[٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة. انظر أسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. [البقرة:٢٦٠].[٣]. حيث مرّ إبراهيم، عليه السلام، على دابة ميتة وقد توزعها دوار البر والبحر... وانظر ما قيل في سبب نزول قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾.[البقرة:١٠٢][٤]. وهي عن الشياطين، وعن السحر ودفنه تحت عرش سليمان. فكل هذه الروايات تفتقر إلى عنصر المزامنة لنزول الآيات فلا تعد أسباباً.

وانظر ما قيل في أسباب نزول الآية ٧٩ من سورة البقرة، والآية ١٧٤ من السورة الأولى نفسها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ والثانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ ومختصر الرواية أنها نزلت في أحبار اليهود الذين غيّروا صفة محمد،ﷺ،[٥].

وانظر ما قيل في الآية ٩١ من سورة الأنعام: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ قيل في مالك بن الصيف اليهودي، وقيل في اليهود[٦]، ومنها المعوذتان نزلتا في مكة والسبب ذكر أنه في سحر الرسول،ﷺ، وقد حدث في السنة السابعة للهجرة.

---

(١) الاتقان في علوم القرآن، ص٤٢ ،ج١، لباب النقول في أسباب النزول، ص٤.

(٢) انظر معنى أسباب التنزيل في الاصطلاح في هذا الفصل.

(٣) أسباب النزول القرآن، للواحدي، ص٧٩.

(٤) أسباب النزول القرآن، للواحدي، ص٢٩، وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر.

(٥) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢٤، ص٤٤، طبعة دار القبلة.

(٦) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢١٥. وفيها: فأنزل الله.

ومنها ما قيل في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾.[**الأعراف**]، قيل نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله،ﷺ، في الصلاة. مع أن صلاة الجماعة لم تنزل إلاّ في المدينة[1]. ومنها الروايات التي قيل إن الآيات ٢٣، ٢٤ من سورة التوبة نزلت بسببها:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ قيل نزلت في الهجرة وقد تخلف أُناس عنها من أجل أولادهم وأزواجهم[2].

ومنها ما قيل في قوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[**النور:٥٥**].. فكان المسلمون آمنين في عهد الخلفاء الثلاثة[3].

ومنها ما قيل في سبب تنزيل قوله تعالى:﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ... ﴾.[**الفتح:١١، ١٥**]. وأكتفي بهذا القدر فكتابا الواحدي والسيوطي يعجّان بالأمثلة التي يجب أن تقصى عن روايات أسباب التنزيل. وكذلك مخطوطا إرشاد الرحمن، والعجب العُجاب اللذان مرّ ذكرهما في المقدمة.

ثانياً: ضرورة تناسب الرواية مع منطوق ومفهوم النص: فإذا كان النص لا يحتمل معنى الرواية فلا تكون من أسباب التنزيل، لأن الآية جاءت لتعالج الحدث بلفظ عام. فإذا كان هذا اللفظ لا يتناولها فلا يُعقل أن تكون سبب نزول لهذا النص. ومن الأمثلة على ذلك ما قيل في سورة القدر:﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ..(٣)** ﴾ عن مجاهد قال: (ذكر النبي،ﷺ، رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب

(١) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢٢٦.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢٤٢.

(٣) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٣٤١.

المسلمون من ذلك فأنزل الله السورة. قال: خيرٌ من التي لبس فيها السلاح ذلك الرجل)[1]. فالسورة تتحدث عن نزول القرآن، وعن الزمان الذي نزل فيه، أو ابتدأ فيه نزوله، وعن بركة هذا الزمان، فما علاقة هذا بقصة رجل من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر؟!

وانظر ما قيل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ...﴾.[الأحزاب:٥٨]. والرواية تقول: (رأى عمر، رضي الله عنه، جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها)[2]...

فالرواية تقول ضربها لأنها متبرجة. والآية تقول: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾. فالرواية تعارض منطوق الآية، فلا يجوز أن تكون سبب تنزيل لهذه الآية.

ثالثاً: ضرورة تناسب الرواية مع سياق الآية أو الآيات في السورة: فإذا كانت الرواية لا تناسب السياق في الآية فإنها تقصى عن أسباب التنزيل. ومثاله ما رواه السيوطي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾. **[هود]**. قال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم، فيفضوا إلى السماء، فنزلت فيهم)[3]. فالسياق القرآني يأبى هذه الرواية أن تكون سبب نزول، اقرأ سورة هود حتى الآية السادسة تجد أنها تتعلق بالكفار، فكان الكفار يضمرون الحقد للرسول ﷺ، وبما جاء به، والله تعالى يعلم ما في نفوسهم وما يحاولون ستره مادياً ومعنويا من المكر والكفر والإلحاد.

---

(١) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٤٩٥.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٣٨١، ص٣٨٢.

(٣) لباب النقول ص١٢٩، والرواية في صحيح البخاري برقم ٤٦٨١، كتاب التفسير، وطرفا الحديث في ٤٦٨٢، ٤٦٨٣.

ولذلك روى الواحدي سبباً آخر لها وهي أنها نزلت في الأخنس بن شريق(1). ثم إن الآية مكية، ولم يكن الذوق الإسلامي قد تمكن في نفوس الناس حتى يستحيوا أن يتخلوا في الخلاء. وكانوا يقضون حاجتهم في الخلاء، ولم تكن الكنف مشهورة عندهم. فالنص لا يستوعب مثل هذه الرواية كسبب تنزيل. قال الألوسي: (وبالجملة الأمر على هذه الرواية لا يخلو عن إشكال ولا يكاد يندفع بسلامة الأمر، والذي يقتضيه السياق. ويستدعيه ربط الآيات كون الآية في المشركين. حسبما تقدم والله تعالى أعلم)(2).

ومن الروايات التي ترد لمخالفتها للسياق القرآني في آية الحجر: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾. [الحجر]. فقد روي عن ابن عباس أنها كانت في صفوف الصلاة حيث كانت امرأة حسناء في آخر النساء تصلي، فكان بعضهم يتقدم إلى الصف الأول لئلا يراها. وكان بعضهم يكون في الصف المؤخر، فإذا ركعوا أو سجدوا استرقوا النظر إليها(3) والناظر في السياق القرآني للآيات يرى أنها تتعلق بعلم الله بالأمم السابقة والأمم التي ستخلق بعد، وأن مآل جميع الأمم إليه تعالى فالآيات: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾. [الحجر]. فالسياق القرآني له دور في استقبال الرواية أو رفضها في مجال أسباب التنزيل. ولا ننسى أن القرآن الكريم كان مسطوراً في اللوح المحفوظ، بهذا النسق، قبل نزوله على سيدنا محمد، ﷺ، وإعجاز القرآن في نظمه، فلو كانت الآية في الصلاة لكان النظم مفككاً بعيداً عن الإعجاز. ولهذا كله فإن أمثال هذه الرواية لا

---

(1) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢٦٨. تفسير الكشاف، م٢، ص٢٠٧. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج٥، ص٢٠٢.

(2) روح المعاني للألوسي، ج١١، ص٢١٠.

(3) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢٨٠. لباب النقول، ص١٣١، وقد روى الرواية الترمذي، والنسائي، والحاكم، وغيرهم.

تقبل في باب أسباب التنزيل[1]. قال الزركشي: (وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق)[2].

رابعاً: أن لا تعارض الرواية نصاً أقوى منها: سواء أكان قرآناً أم سُّنة، أم رواية صحيحة. ولا تعارض أصلاً من أصول العقيدة، ولا تنافي قاعدة من قواعد الإسلام. فأي رواية تعارض ما سبق ترد ولا يؤخذ بها. ومنها الرواية التي قيلت في آية الأنعام: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾. **[الأنعام:٩١]**، قال الرسول ﷺ، لليهودي مالك بن الصيف: ‹أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟›[3]. فهذا يعارض نصوصاً كثيرة في القرآن الكريم منها: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾.**[الأنعام:١٠٨]**، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾.**[آل عمران:١٥٩]**، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾. **[القلم]**، فهذا من شأنه التنفير عن الدعوة، وسب الله تعالى، والكفر بالعقيدة، وهو مجانب لأخلاق الأنبياء، والعياذ بالله، ولذلك تردّ مثل هذه

---

(١) لقد تكررت هذه الرواية في الرسالة ولكن هذا التكرار كان الاستشهاد به في كل صفحة من زاوية غير الزاوية التي ورد فيها في الصفحة الأخرى. فقد ورد في المرة الأولى على سبيل التنبيه في المسوغات لاختيار الموضوع وكانت موجزة جداً. وفي الثانية جاءت كمثال على مخالفة الرواية لشرط مناسبة الرواية لمنطوق الآية ومفهومها. وفي الثالثة وردت كمثال على مخالفة الرواية لشرط تناسق الرواية للسياق القرآني، وأن الحكم في قبول الرواية أو عدمه هو السياق القرآني. وفي الرابعة درست الرواية مع الروايات الأخرى من جميع جوانبها. أي طبقت عليها جميع الأُطر الخمسة. وهكذا يقال فيما يظهر للقارئ أنه مكرر.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٥. وظاهر السياق أخذ به ابن حجر. انظر الاتقان، ج١، ص٤٥، نقلاً عن ابن حجر.

(٣) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢١٥. الدر المنثور، م٣، ص ٣١٤. تفسير الطبري، م٥، ج٧، ص٢٦٧. معالم التنزيل للبغوي، م٢، ص١١٤. وغيرها.

الرواية أن تكون سبباً في تنزيل الآية.

ومن أمثلة هذه الروايات المرفوضة ما قيل في قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم﴾ .[البقرة:٧٦]. بأن الرسول،ﷺ، قام يوم قريظة تحت حصونهم وقال: "يا إخوان القردة، يا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت... فإنه يخالف قول الرسول،ﷺ،:-"ما بُعثت لعّاناً ولا شتّاماً" ويعارض آية الأنعام ١٠٨: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾.

خامسا: أن نتحقق من صحة الرواية: وقد جعلته في نهاية المطاف لأن روايات أسباب التنزيل إما موقوفة وإما مرسلة، هذا من حيث السند. وأكثرها جاء تفسيراً مما لا يشترط فيه صحة السند. كما كثر فيها التساهل في الرواية، وأسباب التنزيل يجب أن تغاير ذلك، وعليه قال الواحدي:

(لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلاّ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدّوا في الطلاّب[1]. واستشهد بالحديث المتواتر: "فإنه من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[2].

وقد اختلف العلماء هل رواية الصحابي مما يتعلق بأسباب النزول من قبيل المرفوع أم لا؟ فالبخاري يعده من المرفوع، ومسلم وأحمد لا يعدونه كذلك. ومثال هذه الرواية ما رواه جابر بن عبد الله حيث قال في سبب نزول قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٥، لباب النقول للسيوطي، ص٥، الحديث الذي استشهد به الواحدي أخرجه أحمد، والترمذي، وقال عنه حسن، ولكن سند الحديث فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف، راجع المجروحين لابن حبان ١/ ٣٥٩، وميزان الاعتدال ٢/ ١٧٣. والجرح والتعديل للرازي ٢/ ٢٣١. وفي سنده كذلك عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد ضعفه سفيان الثوري وأبو زرعة، وابن معين، وأحمد بن حنبل، ولهذا استشهدت من الحديث بالجزء المتواتر، وهو من المتفق عليه، كما قال صاحب نيل الأوطار.

(٢) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٥.

حَرۡثٞ لَّكُمۡ ...﴾.[البقرة:٢٢٣]. كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها: إن الولد يكون أحول. فنزلت الآية. رواه البخاري عن أبي نعيم. ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن سفيان بن عيينة(١).

قال الحاكم النيسابوري: (إن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل إذا أخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند)(٢). وعقب على هذا القول ابن الصلاح قائلاً: (فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك كقول جابر: "كانت اليهود..." فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله،ﷺ، فمعدودة من الموقوفات)(٣). وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر الخلاف: (والحق أن ضابط ما يعتبره الصحابي إن كان مما لا مجال فيه للاجتهاد، ولا منقول على لسان العرب فحكمه الرفع وإلاّ فلا)(٤).

ولما كان سبب التنزيل هو حدث أو سؤال وجِّه لرسول الله،ﷺ، ونزل بشأنه قرآن يتلى فإنه يأخذ حكم المرفوع لأنه يتعلق بالوحي. وقلنا يأخذ حكم المرفوع وليس مرفوعاً لأنه قد يكون من كلام كافر جاء القرآن لنقضه. وقد يكون واقعاً جاهلياً جاء الوحي ليوجهه. وقد يكون قول صحابي أو فعله جاءت الآية لتعطي الحكم فيه. وقد يكون مشكلة جاء الوحي ليحلها. ولا يفهم الوحي على وجهه الصحيح في بعض النصوص إلاّ إذا عرف الواقع الذي نزل بشأنه. وكذلك السؤال

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٦٩، طبعة دار القبلة.

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص٢٠ ومن الجدير بالذكر أن الحاكم في المستدرك أطلق الكلام وفي معرفة علوم الحديث قيده.

(٣) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص٢٤، وهو قول النووي في التقريب. انظر تدريب الراوي شرح التقريب للسيوطي، ج١، ص١٩٣. وانظر فتح المغيث شرح ألفيه الحديث للعراقي، ص١١٨، ج١، وانظر ص١٢٣، رأي ابن العربي والشافعي.

(٤) انظر توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للصنعاني- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، ص٢٠٨.

الذي يطرح فإنه يلقي ضوءاً في نص الوحي الذي نزل فيه، فكل ذلك في حكم المرفوع.

قال الدكتور همّام سعيد: (وانسجاماً مع هذا التفريق[١] فإن أخبار الجاهلية المروية في كتب الحديث تدخل في الحديث)[٢]. وأقول إن أسانيد أسباب التنزيل فيها كثير من التساهل لأنها لا تتعلق بالأحكام، وجلها يتعلق بالتفسير. فقد جرى الحاكم النيسابوري في المستدرك على مذهب عبد الرحمن بن مهدي في التشدد بأسانيد الحلال والحرام والأحكام، وتساهل في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات، كما قال هو[٣]. والذي نعتمده أن قول الصحابي في أسباب التنزيل يأخذ حكم المرفوع، ولذلك ننظر في الرواية أولاً فإذا كانت تتزامن مع الحدث أو السؤال، وكان منطوق ومفهوم الآية يدخل فيها، وكانت تنسجم مع السياق القرآني، ولا تناقض نصاً أقوى منها أو قاعدة من قواعد الدين، فإننا ننظر إلى سندها فإن كان صحيحاً اعتمدناه وإلاّ عددناه من قبيل التفسير. والله أعلم. ومن ذلك ما روي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾.[البقرة].

قال الواحدي: (قال ابن عباس في رواية عطاء إن العرب كانوا يتكلمون بها فلما سمعهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ، أعجبهم ذلك. وكان راعنا في كلام اليهود للسب القبيح، فقالوا إنّا نسب محمداً سراً فالآن أعلنوا سب محمد لأنه من كلامهم. فكانوا يأتون نبي الله ﷺ، فيقولون: يا محمد راعنا ويضحكون، ففطن لها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة، وكان عارفاً بلغة اليهود، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة

---

(١) التفريق بين تعريف الحديث والسُّنَّة.

(٢) كتاب الأمة- الفكر المنهجي عند المحدثين د. همّام عبد الرحيم سعيد، ص٢٩، ط١، محرم ١٤٠٨هـ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية في دولة قطر.

(٣) انظر المستدرك للحاكم، ١/ ٤٩.

الله، والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه. فقالوا ألستم تقولونها له. فأنزل الله تعالى الآية)[1]. قال ابن حجر: (انتهى ما نقله الواحدي فأوهم بقوله في رواية عطاء أن السند إلى عطاء بذلك قوي، وليس كذلك، وإنما هذا السياق من تفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي بإسناده الماضي في المقدمة)[2]. والثابت عن عطاء ما أخرجه ابن أبي حاتم الأشج[3]، عن أبي معاوية، عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾.[البقرة:١٠٤]. قال: كانت لغة تقولها الأنصار فنهى الله عنها[4]. فقال﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ الآية.

وقال عبد الرزاق أنا معمر، عن قتادة والكلبي في هذه الآية، قالا: كانوا يقولون راعنا سمعك، وكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك يستهزئون فنزلت.

وأخرج عبد حميد من وجه آخر، عن قتادة: -كانت اليهود تقول راعنا استهزاء فكرهه الله للمؤمنين)[5]. إلى آخر ما نقل من روايات كُلها تدور حول الموضوع نفسه، وهو النهي عن استعمال مصطلح لغوي للكفار (اليهود) فيه قدح في الرسول،ﷺ، وفي المسلمين، فعدل عنها الوحي إلى كلمة ﴿انظُرْنَا﴾ هذا ولم أجد رواية في غير هذا المعنى

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٣١- والعُجاب في الأسباب لابن حجر، ورقة ٣٦أ،ب- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، م٢، ص٥٧.

(٢) وقال في الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف، والسُدي هذا الصغير وهو متروك. وكذا شيخه ص٩.

(٣) ونقل ذلك ابن كثير في تفسيره، ص١٤٩، ج١.

(٤) ونقل ذلك ابن كثير في تفسيره، ص١٤٩، ج١.

(٥) العجاب في الأسباب لابن حجر ورقة ٣٦أ، ب. وانظر تفسير ابن كثير في هذه الآية، م١، ص١٤٨- ص١٤٩. وانظر أحكام القرآن لابن العربي، م١، ص٣٢- وتفسير الطبري، م٢، ص٤٥٩- ص٤٦٧، الآثار من ١٧٢-١٧٤ طبعة شاكر، دار المعارف بمصر- الدر المنثور، ص٢٥٢-ص٢٥٤، م١. روح المعاني للألوسي، ج١، ص٣٤٨- ص٣٤٩- التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٣، ص٢٢٣-ص٢٢٤.

سواء ما نقل بسند أم بغير سند. وهذا يدلل على صحة الواقع الذي نزلت فيه الآية. وابن حجر وإن ضعّف رواية الواحدي غير أنه صحح غيرها. مما رآه صحيحاً، وهي رواية عطاء التي أخرجها ابن أبي حاتم، وما أخرجه عبد الرزاق عن قتادة وابن حميد عن قتادة[1]، فراعنا من معاني الرعونه أي الحمق والسفه والجهل، ومنها السب: اسمع لا سمعت ومنها: الاستهزاء إلى غير ما نقلت الروايات- فيكون معنى رواية الواحدي صحيحاً وإن كان سنده ضعيفاً لأن هذا واقع اتحد المعنى فيه في الروايات التي طعن في سندها وفي الروايات التي صححها ابن حجر. وعليه فتعتمد مثل هذه الرواية.

ومثال آخر ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾.[إبراهيم].

فقد ذكر الطبري ثمان وعشرين رواية تقول: إن الذين بدلوا نعمة الله كفراً هم كفار مكة. ومن هذه الروايات مما وجد في صحيح البخاري الأثر ٤٧٠٠ عن ابن عباس[2]. وذكر رواية واحدة أنه جبلة بن الأيهم. وسندها: (حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: عمي، قال: ثني أبي عن ابن عباس، قال: فهو جبلة بن الأيهم، والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم)[3]. وهذا سند لا يحتج به لأنه يخالف ما

---

(١) يقول ابن حجر: (المحذور أن يكون الخبر من رواية من لا يوثق به سواء ساق المصنف سنده به أم لم يسق، فكم من سند موصول من رواية كذّاب أو متروك أو فاحش الغلط، وكم من خبر يذكر بغير سند وينبه على أنه من تصنيف فلان مثلاً سند قوي، أفيرتاب من به معرفة أن الاعتماد على الثاني هو الذي يتعيّن قبوله، أو يشك عالم أن الاعتماد على الأول هو الذي يتعيّن اجتنابه) العُجاب في الأسباب لابن حجر، ورقة ٣ب.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ص٣٧٨،م٨.

(٣) انظر تفسير الطبري، من ص٢١٩-ص٢٢٣، م٨، طبعة دار الفكر.

ورد في صحيح البخاري، ولأن محمد بن سعد كان لينا في الحديث كما قال الخطيب البغدادي[١].

فتعتمد الروايات الكثيرة والتي منها ما ورد في صحيح البخاري، وتقصى رواية الطبري في جبلة بن الأيهم. هذا من حيث السند. ومن ناحية الدراية فإن جبلة بن الأيهم أسلم بعد انقطاع الوحي في عهد عمر بن الخطاب، بعد معركة اليرموك، ثم ارتد بسبب مشهور وهو أن عمر بن الخطاب أراد أن يطبق عليه الحكم الشرعي لأنه لطم رجلاً في الحج، فأخذته العزة بالإثم[٢].

وبمثل هذا يقال فيما ورد في آية الحجر، ٨٧: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾. فرواية النسائي[٣] عن ابن عباس، إن السبع المثاني هي:"السبع الطوال". وفي رواية البخاري[٤] إنها الفاتحة. فرواية النسائي فيها جرير بن الحميد الضبي وَهِمَ في آخر حياته إذا حدث من حفظه، وكان يدلس حسب رواية الشاذكوني، وفيها الأعمش وهو سليمان بن مهران يدلس[٥]. والذي يقوّي رواية البخاري أن

---

(١) هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جناده أبو جعفر العوفي ت٢٧٦هـ. انظر ترجمة ٢٨٤٥، ص٣٢٢، م٥، تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، طبعة دار الفكر.

(٢) العبقريات الإسلامية لعباس محمود العقاد، ص٣٩٢، (عبقرية عمر)، ط٢، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨م.

(٣) سنن النسائي، كتاب الافتتاح- تفسير الآية. وانظر كتب التفسير الكثيرة وعلى رأسها تفسير الطبري.

(٤) صحيح البخاري- الأثر ٤٤٧٤، ٤٧٠٣، كتاب التفسير. الأول في سورة الفاتحة، والثاني في سورة الحجر.

(٥) انظر تهذيب التهذيب، ترجمة ١١٦، م٢، والأعمش ترجمة ٣٨٦،م٤، التقريب، م١، ص١٢٧، م١، ص٣٣١.

السبع الطوال لم تكن قد نزلت بعد عند نزول هذه الآية. وهي سورة الحجر وهي مكيّة قطعاً. ولم يعرف اسم السبع الطوال إلاّ بعد نزولها جميعاً. والله أعلم.

وأكتفي بهذا القدر لنختم الحديث عن الأُطر التي لا بدّ من معرفتها لكل من يريد أن ينبري لتحرير روايات أسباب التنزيل. وهنا لا بد من وقفة: **فرب قائل يقول: إن هذه الأُطر لا يعتد بها لأنه لم يتعرض لها أحد من قبل. والأوائل لم يتركوا لنا شاردة ولا واردة إلاّ أحصوها**، وقد ساقوا لنا جميع الروايات في أسباب التنزيل دون أن يُقعِّدوا هذه القواعد التي تُخرج كثيراً من الروايات عن أسباب التنزيل؟ **والجواب عن ذلك:**

إن عدم تعرض السابقين لهذه القواعد التي تعتمد على أساسها الرواية الصحيحة في أسباب التنزيل لا يدل على عدم اعتبارها، ونمو العلوم الشرعية كلها جاءت من استدراك المتأخرين على من سبقهم، وتنبيههم على ما فاتهم، وزيادة على ما قرروه. **فهذه القواعد تشبه إلى حد بعيد القواعد التي أصّلها جهابذة النقد في علم الحديث**، فعرفوا أحوال الرواة حتى بان السقيم من الصحيح والعدل من المجروح فاتضح المبهم، وفصح الأعجم، وزال الإشكال، وارتفع الإجمال. والمدقق في هذه الأُطر يجد أنها بحث وتحديد لواقع أسباب التنزيل فتخرج الروايات التي ليست منه، كما أنها تحتضن الروايات التي أقصاها البعض كسبب للتنزيل. **كما يجد الباحث نتفاً متناثرة هنا وهناك قام بعض العلماء بنقد رواية معينة على أساسها، وهذه النتف شكلت في مجموعها بعد ذلك هذه الأُطر.**

جـ -عموم لفظ الآية وخصوص سببها

هذا العنوان ليس محل بحثه في هذا المقام، وإنما هو من اختصاص علماء الأُصول. فهو يلزم للاجتهاد، أي لمن يريد أن يستنبط أحكاماً شرعية من النصوص الشرعية. وقد جوّز بعض المتأخرين لأنفسهم بحث هذا الموضوع في أسباب التنزيل، وهو إقحام لا مبرر له. وأكتفي بالإشارة إلى القاعدة العامة في الأُصول وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهو إذا ورد الخطاب على سبب معيّن كأن ورد في

حادثة من الحوادث، أو ورد جواباً عن سؤال فإن الخطاب يكون عاماً، ولا يكون خاصاً بالحادثة، ولا خاصاً بالسائل وحده. فمثلاً آية الظهار نزلت في أوس بن الصامت، وآية اللعان نزلت في حق هلال بن أميّة إلى غير ذلك.

فهذه كلها وأمثالها ورد النص فيها بصيغة من صيغ العموم فلا عبرة فيها بخصوص الحادثة فيكون الخطاب عاماً ولو كان السبب خاصاً. والدليل على ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم عمّموا أحكام هذه الآيات من غير نكير فدلّ على أن السبب الخاص غير مسقط للعموم. هذه مسألة.

والمسألة الأخرى أن عموم اللفظ يكون في خصوص السبب. أي هو عموم في موضوع الحادثة أو السؤال، وليس عموماً في كل شيء. أي هو عام لذلك الموضوع في تلك الحادثة وغيرها. ففي حادثة أوس بن الصامت يشمل أوساً وغيره ولكن في موضوع الحادثة وهو الظهار. وفي حادثة هلال بن أُمية يشمل هلالاً وغيره ولكن في موضوع الحادثة وهو اللعان. وعليه فإن العموم إنما هو في الموضوع: موضوع الحادثة أو السؤال، فيكون خاصاً بها ولا يشمل غيرها فلا يدخل الموضوع في قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وعلى هذا فإن قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا تشمل موضوع الحادثة أو موضوع السؤال. إذ إنّ عموم اللفظ في خصوص السبب إنما هو عموم في موضوع الحادثة أو السؤال وليس عموماً في كل شيء. ومثال ذلك ما ورد عن أبي بكرة قال: لما بلغ رسول الله،ﷺ، أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: **"لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة"** فإنه خاص في الموضوع الذي كان الكلام عنه وهو تولية أهل فارس امرأة ملكاً عليهم، أي هو خاص في موضوع الملك، أي في رئيس الدولة، وليس عاماً في كل ولاية فيجوز للمرأة ولاية الصبي، ويجوز أن تعمل في القضاء وهو ولاية، وقد ولّى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الشفاء امرأة من قومه قضاء السوق (الحسبة).

وأكتفي بهذا القدر لعدم تعلق الموضوع ببحثنا والله يهدي إلى سواء السبيل.

المبحث الرابع

أسباب ورود الحديث وصلته بأسباب تنزيل القرآن

بعد أن عرفت أسباب نزول القرآن، وأهميتها، ودورها في تفسير بعض ما جاء به الوحي تلاوة، كان لا بدّ من الاهتمام بموضوع أسباب ورود الحديث، على وجه الإجمال، ولا سيما أنه لا يُستغنى عنه في ظاهرة التعارض بالجمع أو الترجيح أو الرد. ونظراً لندرة الكتب(١) التي اعتنت بهذا الموضوع فإن الأمر يستدعي أن يلقى فيه ضوء لتتبدّى بعض الأمور التي نفيد منها.

معنى سبب ورود الحديث

لم يؤثر عن علماء الحديث تعريف محدد لمعنى أسباب ورود الحديث، فقد قال الدكتور عبد الحليم محمود في مقدمته لكتاب ابن حمزة الحسيني (إنه كتاب يوضح الظروف والملابسات التي قيل فيها الحديث. إنه-في السُّنَّة- على نمط كتب أسباب التنزيل فيما يتعلق بالقرآن الكريم)(٢). وقال محقق كتاب اللمع: (وهو ما ورد الحديث

---

(١) قال طاش كبرى زاده: (وسمعت كتباً مصنفة في هذا الفن لكن ما رأيتها) مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ص٣٤٢، ج٢، وقد ذكر محقق كتاب اللمع السيد: يحيى إسماعيل أحمد كتابين ومخطوطين، قال عن المخطوطين إنه لم يعرف عنهما شيئاً سوى إسميهما وهما: ١. مصنف لأبي حفص العَكْبري المتوفى سنة ٣٩٩هـ. ٢. مصنف أبي حامد عبد الجليل الجوباري. ص٢٨، من كتاب اللمع. والكتابان هما: اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي، وقد توفي ولم يكمله. والثاني البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث لأبي حمزة الحسيني الدمشقي، وقد قدّم الدكتور عبد الحليم محمود للكتاب الأخير، وقال: ومن مؤلفاته أسباب ورود الحديث وهو مؤلف حافل لخص فيه مصنف أبي البقاء العَكْبري وزاد عليه زيادات حسنة فرغ منها قبل وفاته بعام ص٣٠، ج١، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث.

(٢) ص٢٩، ج١ ، مقدمة كتاب البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث، للشريف ابن حمزة الحسيني الدمشقي.

أيام وقوعه)[1]. وعليه فيمكن تعريفه اصطلاحاً: بالحادثة التي وقعت أو السؤال الذي وُجِّه لرسول الله، ﷺ، وورود حديث بشأنه وقت وقوعه.

ونظراً لكون القرآن جاء معنى ولفظاً من الله تعالى، فاقتضى رسولاً لهذه المهمة، فكان جبريل عليه السلام ينزل به على قلب رسول الله، ﷺ،: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. **[البقرة:٩٧]**. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ **[الشعراء]**. ولهذا أُطلق عليه نزول القرآن فقيل أسباب نزول القرآن.

أما الحديث فهو وحي بالمعنى، وأكثره بالإلهام وقليل منه بالرؤيا[2]. إلى جانب ما جاء به الوحي على صورة إنسان كما في حديث[3] الإيمان والإسلام والإحسان؛ فلم يتحقق فيه معنى النزول ولذلك أطلق عليه: "**ورود**" دون لفظ نزول لأن لفظ الحديث من رسول الله، ﷺ، والمعنى وحده من الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾. **[النجم]**.

أسباب ورود الحديث

قد يكون السبب في ورود الحديث آية، أو حديثاً أو واقعة، أو سؤالاً من صحابة رسول الله، ﷺ، وإليك أمثلة توضح هذا.

---

(١) د. يحيى إسماعيل أحمد، محقق كتاب اللمع للسيوطي، ط١، سنة١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية– بيروت. وانظر منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين العتر، ص٣٣٤، ط٣، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) انظر فتح الباري، حديث ٣، باب ٣، كتاب بدء الوحي، حديث عائشة، رضي الله عنها، أول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصالحة في النوم تأتي كفلق الصبح، ومنه ما رآه، ﷺ، تأدية العمرة في السنة السادسة للهجرة، وقد وقع صلح الحديبية كنتيجة ذلك.

(٣) وانظر حديث ٢، باب ٢، كتاب بدء الوحي. وفيه: (وأحياناً يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول). وطرف الحديث في البخاري رقم٣٢١٥. وحديث الإيمان والإحسان هو الحديث رقم ٥٠، في فتح الباري، ج١، ص١١٤، من كتاب الإيمان.

أ. قد يكون السبب آية:

فبعد نزول سورة الأنعام وقد قرأ صحابة رسول الله،ﷺ، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ **[الأنعام]**. شق ذلك عليهم لأنه تبادر إلى أذهانهم أحد معاني الظلم وهو: الميل عن الحق. فقال رسول الله،ﷺ، جواباً لهم: (إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾. **[لقمان]**. رواه البخاري[1].

ب. وقد يكون سبب ورود الحديث حديثاً آخر مثاله:

ما أخرجه مسلم، والنسائي، وابن ماجة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله،ﷺ،:

"ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم (بكثرة) سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"[2].

وسبب ورود هذا الحديث: أخرجه ابن حبان، عن أبي هريرة أن رسول الله،ﷺ، خطب فقال: "يا أيها الناس: إن الله عز وجل قد افترض عليكم الحج"، فقام رجل فقال: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت عنه، حتى أعادها ثلاث مرات، قال: "لو قلت

---

(١) انظر فتح الباري الحديث ٤٧٧٦، م٨، ص٥١٣، كتاب التفسير. ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، ومالك في الموطأ، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه. وهذا المثال ذكره د. يحيى إسماعيل أحمد محقق كتاب اللمع في أسباب الحديث للسيوطي ص١٨، وهو في واقعه توضيح لمعنى الآية، فكانت الآية سبباً في التفسير. ومن هنا قيل قد يكون سبب ورود الحديث آية قرآنية.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر- والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب وجوب الحج- وابن ماجة: مقدمة اتباع سُنَّة رسول الله،ﷺ. والبخاري: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسُنَّة رسول الله،ﷺ، وقول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ **[الفرقان:٧٤]** والترمذي. أبواب العلم- باب في الانتهاء. عمّا نهى عنه الرسول.

نعم لوجبت، ولو وجبت ما قمتهم بها. ذروني ما تركتكم، فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم"[(١)].

ومن هذا الباب حديث الإيمان والإسلام والإحسان حيث جاء جبريل، عليه السلام، على هيئة رجل يسأل عن هذه الثلاث، ثم سأل عن الساعة وعن أماراتها ثم اختفى. فقال رسول الله،ﷺ، بعد أن اختفى: "هذا جبريل جاء يُعَلِّمُ الناس دينهم"[(٢)]. فسبب ورود قول الرسول،ﷺ، هذا هو مجيء جبريل على هيئة رجل ليسأل الرسول،ﷺ، الأسئلة الخمسة من أجل تعليم الناس هذه الأمور.

جـ - وقد يكون السبب واقعةً حدثت فاقتضى إعطاء حكم فيها، ومنه قول الرسول،ﷺ،: -"مَنْ غشنا فليس منا"[(٣)].

وسبب ورود الحديث كما رواه صاحب اللمع: أخرج أحمد ومسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله،ﷺ، مرّ برجل يبيع طعاماً، فسأله: "كيف تبيع؟" فأخبره، فأوحى الله

---

(١) اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي ص١٣٥، ص١٣٦. تحقيق: د. يحيى إسماعيل أحمد- وقال: الحديث أخرجه النسائي ٥/ ٨٣، ومسلم كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ٣/ ٤٨١ عنه بألفاظ متقاربة، وأخرجه أحمد ١/ ١٨٤ من حديث سعد بن أبي وقاص كذلك- فيكون السبب قد ورد في بعض طرق الحديث الأخرى.

(٢) فتح الباري، الحديث ٥٠، وطرفه في ٤٧٧٧. والحديث من رواية أبي هريرة. وفي رواية مسلم، عن عمر بن الخطاب ومطلعه: بينما نحن جلوس عند رسول الله،ﷺ، ذات يوم: إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب... وانظر منهج النقد في علوم الحديث. د. نور الدين العتر، ص٣٣٤، طبعة ٣، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٣) انظر اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي، ص١٤٢. وقال المحقق: أخرجه ابن ماجة، عن أبي الحمراء، قال: قال رسول الله،ﷺ،... وفي الهامش قال: الحديث جزء حديث لابن ماجة كتاب التجارات، باب النهي عن الغش، ٢/ ٧٤٨،ـ وهو جزء حديث لمسلم كتاب الإيمان، باب من غشّنا فليس منا، ١/ ٢٩٩، وأحمد ٢/ ٤١٧ عنه.

إليه: أدخل يدك فيه، فأدخل يده فإذا هو مبلول، فقال رسول الله،ﷺ، "ليس منّا من غشنا"[١].

ومنه كذلك ما ذكره صاحب اللمع في سبب حديث: "كَسْر عظم الميت ككسره حيّاً"[٢]. وسبب الحديث كما رواه صاحب اللمع: سبب: في جزء من حديث ابن منيع (قال ابن منيع): (حدثنا) محرز بن عوف، ثنا القاسم بن محمد عن عبد الله بن عقيل، عن جابر قال: خرجنا مع جنازة مع رسول الله،ﷺ،، حتى إذا جئنا القبر وجلسنا معه. فأخرج الحفّار (عظماً ساقاً) أو عضداً.فذهب ليكسرها. فقال النبي،ﷺ،: "لا تكسرها فإن كسرك إياها ميتاً ككسرك إياه حيّاً، ولكن دسه في جانب القبر"[٣].

ومنه ما رواه مسلم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله،ﷺ،: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَهُ"[٤]. وقول النووي عن أبي هريرة وهم،

---

(١) اللمع في أسباب ورود الحديث، ص١٤٣. وقال المحقق في الهامش: الحديث الأول لفظ أحمد ٢/ ٢٤٢، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان- والحديث أخرجه أبو داود، كتاب الإجارة، باب النهي عن الغش، ٢/ ٢٤٤، والترمذي أبواب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، ٢/ ٣٨٩. قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. جميعاً بألفاظ متقاربة. وأخرجه أحمد ٣/ ٤٦٦، ٤/ ٤٥، من حديث أبي بردة بألفاظ مختلفة.
ملحوظة: الحديث في سنن أبي داود، ص٢٧٢، برقم ٣٤٥٢، ج٣، طبعة دار الفكر.

(٢) أخرجه أبو داود عن عائشة أن رسول الله،ﷺ، قال: الحديث، وفي الهامش: قال المحقق: أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب في الحفّار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان؟ والحديث أخرجه أحمد، ٦/ ٥٨، ١٠٠ :٢٦٤ مقيداً بالمؤمن. وابن ماجة: كتاب الجنائز، باب في النهي عن كسر عظام الميت، ١/ ٥١٦. من حديثها. وأخرجه من طريق أُم سلمة بزيادة لفظ في الإثم. انظر اللمع ص١١٢.

(٣) اللمع في أسباب ورود الحديث، ص١١٣، وقال المحقق في الهامش: رجاله رجال الحسن.

(٤) صحيح مسلم، باب تحريم سب الصحابة، ص٩٢، م٨، ج١٦، طبعة دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

والصواب عن أبي سعيد الخدري، لا عن أبي هريرة. قال أبو علي الجياني، قال أبو مسعود الدمشقي: هذا وهم، والصواب من حديث أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، لا عن أبي هريرة. وسبب ورود الحديث كما جاء من طريق آخر، عند مسلم، عن أبي سعيد الخدري قال:

(حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شي فسبّهُ خالد، فقال رسول الله،ﷺ،: "لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَهُ")[1].

د - وقد يكون السبب سؤالاً وُجِّه لرسول الله،ﷺ، ومثاله قول رسول الله،ﷺ،: "هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته"[2].

وسبب ورود الحديث كما رواه صاحب اللمع: هو ما أخرجه أحمد، والحاكم، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: كنّا عند رسول الله،ﷺ، يوماً، فجاء صيّاد فقال: يا رسول الله: إننا ننطلق في البحر نريد الصيد، فيحمل أحدنا معه الأدواة وهو يرجو أن يأخذ (الصيد) قريباً، فربما وجده كذلك، وربما لم يجد الصيد حتى يبلغ من البحر مكاناً

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم سب الصحابة، م٨، ص٩٢، ص٩٣. وانظر اللمع في أسباب ورود ص٢٢٧- ص٢٢٩، سبب ٨٩ الأحاديث ٢١٠-٢١٤.

(٢) اللمع في أسباب ورود الحديث، ص٧٤، وقال المحقق في الهامش: الحديث٢، جزء حديث، من رواية مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب الطهور للوضوء، والشافعي في مسنده ١/ ٢، على كتابه الأم. وانظر ١/ ١٩ بدائع السنن. وأخرجه ابن أبي شيبه، ١/ ٣٠، منقطعاً. وهو بالنص المذكور رواية أحمد عن جابر في المسند ٣/ ٣٧٣. وهي التي تصلح لأن تتصدر أولاً، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك، ١/ ١٤١، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وابن خزيمة في صحيحه،١/ ٥٩، والدارقطني ١/ ٣٦، كلهم عن أبي هريرة. وأخرجه ابن خزيمة ١/ ٥٩، والدارقطني ١/ ٣٤ من حديث جابر، وهو جزء حديث لأحمد ١/ ٢٧٩، من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما.

لم يَظُن (أنه) يبلغه- فلعله يحتلم، أو يتوضأ، فإن اغتسل أو توضأ بهذا الماء، فلعلّ أحدنا يهلكه العطش فهل ترى في ماء البحر أن نغتسل به و نتوضأ به إذا خفنا ذلك؟ فقال رسول الله،ﷺ،: "اغتسلوا منه وتوضؤا فإنه الطهور ماؤه الحل ميتته"(١).

قال المحقق في تحقيق هذا الحديث: السبب بهذا اللفظ لم أجده. ولعله بالمعنى، فالحديث أخرجه أحمد في المسند. ٢/ ٣٦١- وأبو داود، كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر واللفظ له١٠/ ١٩ والترمذي: طهارة باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور ١/ ٤٧ كلهم عن أبي هريرة قال: سأل رجل رسول الله،ﷺ، فقال: إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ قال: فقال النبي،ﷺ،: "هو الطهور ماؤه الحل ميتته". قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(٢). ومن هذا الباب حديث السؤال عن دم الحيض، وحديث السائل أي الأعمال أفضل، وحديث أي الذنب أكبر وغيره(٣).

(١) اللمع في أسباب ورود الحديث، ص٧٥.

(٢) انظر هامش اللمع في أسباب ورود الحديث سبب ٤ حديث ٢ ص٧٥.

(٣) حديث دم الحيض: عن أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنها، قالت: سُئل رسول الله،ﷺ، عن دم الحيض يكون في الثوب. قال: "حتيه ثم اقرصيه بالماء واغسليه وصلي". وحديث أي الأعمال أفضل. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله: أي العمل أفضل؟ قال"الإيمان بالله والجهاد في سبيله". وحديث أي ذنب أعظم: عن عبد الله بن مسعود، رضي الله، عنه قال: سألت رسول الله،ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال:"أعظم الذنب أن تجعل لله نداً وهو خلقك" الحديث.

أهم الإشكالات الواردة على أسباب ورود الحديث

الإشكال الأول:

أهم الإشكالات التي ترد على هـذا الموضـوع هـو **تحقيـق معنـى سـبب ورود الحديث**. فقد ذكر ابن حمزة الحسيني أن السبب قد يأتي تـارة في عصـر النبـوة، وتـارة بعدها، وتارة يأتي بالأمرين(١). وصاحب هذا الـرأي هـو الحـافظ ابـن ناصـر الـدين الدمشقي، كما قال الشريف ابن حمزة، وقد أشـار إلى اعـتراض المتـأخرين علـى هـذا التعريف ولكنه رجحه وحجته في ذلك:

(لأن فيها بيان السـبب في الجملـة فـإن الصـحابة، رضـي الله عـنهم، حفظـوا الأقوال والأفعال وحافظوا على الأطوار والأحوال. فيكون السبب في الـورود عـنهم مبيناً لما يعلم سببه عن النبي،ﷺ،(٢). ولا يخفى أن هذا التعليل فيه خلط بين السبب لغة وفي اصطلاح الأصوليين وبين معنى السبب في اصطلاح أسباب ورود الحديث الـذي هو نظير أسباب تنزيل القرآن.

ومن الأمثلة على ذلك: قال ابن حمزة الحسيني: (وأفاد الحافظ ابن ناصر الـدين الدمشقي في التعليقة اللطيفة لحديث البضعة الشريفة: إنه يأتي سبب الحديث تـارة في عصر النبوة، وتارة بعدها، وتارة يأتي بالأمرين كحديث البضعة. أمـا سـببه في عصـر النبوة فخِطْبَةُ علي، رضي الله عنه، ابنة أبي جهل على فاطمة، رضي الله عنهـا. فقـال النبي،ﷺ،: "إنما فاطمة بضعة مني..." الحديث(٣). وأما سببه بعد عصر النبـوة فمـا رواه المسوّر تسلية وتعزية لأهل البيت، رضي الله عنهم، وذلك لما تلقاهم المسـلمون حـين قدموا المدينة وأن فيمن تلقاهم المسوّر بن مخرمة فَحدَّث زين العابدين وأهـل البيـت،

---

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث، لإبراهيم بن محمد بن كمال الدين الشهير بابن حمـزة الحسيني، ج١، ص٣٤. مقدمة الكتاب.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٣٥.

(٣) وبقية الحديث (فمن أغضبها فقد أغضبني). رواه الشيخان.

رضي الله عنهم، بهذا الحديث. وفيه تسلية عن هذا المصاب، وقد علم بما قرره أن من الأسباب ما يكون بعد عصر النبوة كما في أحاديث ذكروا أسباب ورودها عن الصحابة، رضي الله عنهم)(١).

وهذا ما قيل عنه إنه سبب حدث بعد عصر النبوة لا يجوز أن يدخل في أسباب ورود الحديث لأنه لا يخفى أنه لا ينطبق على معنى السبب في اصطلاح فن أسباب التنزيل.

الإشكال الثاني:

مسألة تزامن قول الحديث بما ربط من سبب له. فمعرفة هذا الأمر وإن كان فيه مشقة إلاّ أنه ممكن لذوي الهمم العالية. وبمعرفة التزامن تقصى الإسرائيليات، والمرويات التي تعد شرحاً وتوضيحاً لمعنى الحديث، ولا تكون سبباً في ورود الحديث. وقد أشار البلقيني في كتابه محاسن الاصطلاح إلى تعاقب الأحاديث والأسباب(٢). وملخص ما ذكر: (أن السبب قد يذكر في الحديث، وقد لا يذكر السبب في الحديث، أو يذكر في بعض طرقه وهو الذي ينبغي الاعتناء به)(٣).

موازنة بين أسباب تنزيل القرآن وبين أسباب ورود الحديث.

١. قال ابن حمزة الحسيني: (إعلم أن أسباب ورود الحديث كأسباب نزول القرآن، والحديث الشريف في الورود على قسمين: ما له سبب قيل لأجله، وما لا سبب له)(٤).

---

(١) ص٣٤، ج١، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الحسيني، المكتبة العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢) انظر ص٣٣، ص٣٤، ج١، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، وما اقتبسه من أمثلة عن البلقيني.

(٣) بتصرف من ص٣٢، ص٣٣ ج١ البيان والتعريف وهو مأخوذ عن البلقيني من كتابه محاسن الاصطلاح.

(٤) ص٣٢، البيان والتعريف، في أسباب ورود الحديث الشريف وهذا القول في أصله ولفظه للحافظ البلقيني في كتابه محاسن الاصطلاح. وقد قال ابن حمزة الحسيني عقب ذلك: (هذا ملخص ما أفاده البلقيني في كتاب محاسن الاصطلاح) ص٣٤.

هذا ما قاله إبراهيم الجعبري[1]. وغيره عن أسباب نزول القرآن.

٢. أسباب التنزيل وأسباب الورود هي في أكثرها وقائع حدثت، أو أسئلة طرحت ونزل بشأنها وحي، وهي سواء أكان هذا الوحي معنى ولفظاً من الله تعالى؟ أم كان معنى من الله تعالى ولفظاً من الرسول، ﷺ، ومن مسلمات القضايا أن الوحي بنوعيه جاء لتصحيح الأخطاء الشائعة في المجتمعات الكافرة آنذاك. وجاء ليقلب الأوضاع الفاسدة رأساً على عقب لتكون في صياغة جديدة حسبما حدد معالمها الإسلام. وعليه فتشابه أسباب النزول بأسباب الورود أمر لا لبس فيه.

٣. طريقة معرفة أسباب تنزيل القرآن تكون بالقضايا التي تحيط بالرواية، وبالقرائن والأحوال التي تكتنفها. وكذلك أسباب ورود الحديث. قال ابن حمزة الحسيني نقلاً عن البلقيني: (وما ذكر في هذا النوع من الأسباب قد يكون ما ذكر عقب ذلك من لفظ النبي، ﷺ، في ذلك الوقت لأمور تظهر للعارف بهذا الشأن). وعليه تكون طريقة معرفة كل منهما هي الطريق نفسها.

٤. الفوائد لكل من البحثين تكاد تكون واحدة فهي مسألة بيان مناط النصوص في الكتاب والسُّنَّة، فتعين على فهم بعض النصوص، وتيسر الحفظ، وتعين على معرفة الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك. وأكتفي بهذه العجالة لكون موضوع البحث- وإن كان يشبه أسباب تنزيل القرآن- غير أنه لا يدخل في بحثنا.

---

(١) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص٣٨.

المبحث الخامس

الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات والعلاقة بينهما

مناسبة الآيات يقصد بها صلة الآية بما قبلها وبما بعدها، وعلاقة فاتحة السورة بخاتمتها. ويدخل فيه كذلك السوّر؛ علاقة آخر السورة بأول السورة التي تليها. وهذا الأخير مبني على أساس أن ترتيب السور في القرآن توقيفي، وهو رأي مرجوح(١). وإن كانت المسألة خلافية. وبالنظر إلى معنى مناسبة الآيات يدرك المرء أنها مسألة عقلية، ولم يرد فيها نقل قط. ولا سيما أن جمع القرآن في مكان واحد قد تمّ بعد وفاة الرسول،ﷺ، في عهد أبي بكر الصديق.

وعلم مناسبة الآيات دقيق يحتاج إلى عمق في التفكير، وبُعد في النظر، فلم يعمد إليه إلاّ القليل من العلماء كالإمام الفخر الرازي، وأبي جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان. وقد جعل علماء هذا الفن أنواعاً لارتباط الآي ببعضها(٢). وليس هذا محل بحثه. أما أسباب التنزيل فهي تعتمد على النقل في الدرجة الأولى سواء كان لنصوص شرعية أو لوقائع وأحداث جاهلية، أم لأسئلة واستفسارات وفتاوى صدرت عن صحابة رسول الله،ﷺ، وهذا هو الفرق الأول وهو الأساس في التفريق بينهما. وبإيجاز نقول: إن علم المناسبة عقلي، وسبب التنزيل نقلي.

ومن جهة ثانية فإن علم أسباب التنزيل يجمع على أهميته كل من يعتد برأيهم من أهل التفسير، في حين علم المناسبة بين الآيات قال به علماء وأعرض عنه كثيرون. وقد أثار الزركشي مسألة من يُبدأ به أولاً في التفسير المناسبة أو سبب التنزيل: فقال: "واعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدأوا بذكر سبب التنزيل، ووقع البحث:

---

(١) في رأي الباحث لأنه ثبت أن للصحابة، رضوان الله عليهم، مصاحف تختلف في ترتيب سورها عن المصحف العثماني، ولو كان توقيفياً لما وجد هذا الاختلاف، ولأدلة أخرى ليس هذا محلها.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن، ص٤٠- ص٥٠، ج١- وانظر الاتقان في علوم القرآن، النوع الثاني والستون، ج٢، ص١٣٨.

أيّما أولى البداءة به بتقديم السبب على المسبب، أو بالمناسبة، لأنها المصحّحة لنظم الكلام، وهي سابقة على التنزيل)[1]. وكان جوابه التفصيل فقال: (والتحقيق التفصيل، بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب التنزيل كالآية السابقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾. [النساء:٥٨]. فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة)[2]. وهذا رأي أراه جديراً بالتبني، وأقوى في الحجة. لأن بعض الآيات نزلت على أسباب معينة ولكنها وضعت في السورة كما أمر الوحي كما كانت في اللوح المحفوظ.

وألفاظ القرآن عامة فتدخل فيها أسباب التنزيل بطريق القطع، لكن مناسبة الآيات تدخل بطريق الظن. والأخير أضعف من الأول، فيقدم الأقوى في الدلالة، وهو سبب النزول، على الأضعف، وهو مناسبة الآيات، في التفسير (إن كان للآية سبب).

وثمة صلة أخرى بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات وهو أن السياق القرآني يُعد مرجحاً لرواية على أخرى في روايات أسباب التنزيل. وقد سبق أن ضربنا مثالاً لذلك في سورة الحجر[3] فرددنا الروايات التي تقول إن آية: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ۝٢٤﴾. [الحجر]. نزلت في صفوف الصلاة لأن السياق القرآني لا يحتمل مثل تلك الرواية، ويردها. فالآية التي سبقتها هي: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝٢٣﴾ فتحدد موضوع الآيات بأن يتعلق بعلم الله بالأمم التي بادت، وبالأمم التي ستأتي بعد، إلى اليوم الذي يرث الله فيه الأرض ومن عليها. فعلم

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص٣٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص٣٤.

(٣) وانظر دراسة الآية في الفصل الثاني، بتفصيل أكثر، وهي الآية الأولى في الفصل.

المناسبة يشكل قاعدة يقاس عليها روايات أسباب التنزيل فتعتمد أو ترد. وهذه نتيجة جديرة بالملاحظة.

وعليه فسبب التنزيل غير مناسبة الآيات. وقد يطلق خطأ مناسبة التنزيل ويراد به سبب التنزيل. فكل مصطلح له معنى محدد، ومفهوم معين يختلف عن الآخر ينبغي الوقوف عليه. وكلاهما من علوم القرآن، ومن الأدوات التي ينبغي الإحاطة بها في علم التفسير.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لبعض مرويات أسباب التنزيل

نعيش في هذا الفصل مع عدد من الروايات التي وردت إلينا كسبب تنزيل لبعض الآيات أو السور، ونعرضها على حد سبب التنزيل، ونرى مدى انطباقها عليه، ومدى توفر الأطر الخمسة التي اعتمدناها لضبط رواية سبب التنزيل عن غيرها، وبذلك ننخل روايات أسباب التنزيل ونخرج الروايات التي لا تُعد من أُسرة أسباب التنزيل. ونعرج كذلك على الرواية التي أُقصيت فهل تُعد تفسيراً أو أنها تُرد ولا تُقبل؟ فنعلق على كل رواية على حدة. وبذلك تتضح لنا سمات وقسمات روايات أسباب التنزيل، وتتبدى صورة سبب التنزيل جلية، ويتبلور عمق الإحساس، وصحة الذوق في تمييز روايات أسباب التنزيل عن غيرها. وكلي أمل أن أُوفق في تحقيق ذلك، وعلى الله توكلي، وهو حسبي ونعم الوكيل وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وإليك نماذج من هذه الدراسة أذكر الآية أولاً، ثم الرواية أو الروايات، ثم أنقد الروايات، ثم أُسجل نتيجة هذه الدراسة.

١. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾. [الحجر].

قال الواحدي: أخبرنا نصر بن أبي نصر الواعظ، قال: أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن نُصير الرّازي، قال: أخبرنا [محمد بن أيوب الرازي، قال: أخبرنا] سعيد بن منصور، قال: حدثنا نوح بن قيس الطاحي، قال: حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس[1] قال: (كانت تصلي خلف النبي ﷺ، امرأة حسناء في آخر النساء، فكان بعضهم يتقدم إلى الصف الأول لئلا يراها، وكان بعضهم يكون في

(١) السند بهذا التصحيح من نسخة سيّد أحمد صقر. أما النسخ الأخرى فتعج بالأخطاء. وما بين [ ] من تحقق المحقق سيّد صقر.

الصف المؤخر، فإذا ركع هكذا- ونظر من تحت إبطه- فنزلت الآية)[1].

وقال الربيع بن أنس[2]: حرّض رسول الله ﷺ، على الصف الأول في الصلاة، فازدحم الناس عليه، وكان بنو عُذْرة دورهم قاصية عن المسجد، فقالوا: نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

وقال السيوطي: (ك: وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح أنه سأل سهل بن حنيف الأنصاري[4] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .[**الحجر**].

---

(1) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٨٠، ص٢٨١، طبعة دار القبلة، تحقيق سيّد صقر- وانظر لباب النقول للسيوطي، ص١٣٢. قال الساعاتي في الفتح الرباني: رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وأبو داود الطيالسي، وابن خزيمة، وابن حبان كذلك، والبيهقي في سننه، انظر الفتح الرباني، ج١٨، ص١٩٠.

سنن الترمذي: رقم ٥١٢٨، أبواب التفسير ، ج٤، ص٣٥٩، طبعة دار الفكر، بيروت، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.

سنن النسائي: بشرح السيوطي وحاشية السندي، ٢/ ١١٨، كتاب الإمامة، باب المنفرد خلف الصف، م١، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سنن ابن ماجة: رقم ١٠٤٦ كتاب إقامة الصلاة باب الخشوع.

مسند الطيالسي: ٢/ ٢٠، رقم ١٩٦٠.

موارد الظمآن: كتاب التفسير، رقم ١٧٤٩.

المستدرك: ٢/ ٣٥٣ كتاب التفسير، سورة الحجر.

تفسير الطبري: ج١٤، ص٢٦، م٨، طبعة دار الفكر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. وانظر كتب التفسير المختلفة.

(2) تابعي، روى عن الصحابة والتابعين، قال ابن معين: كان يتشيع فيفرط، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه، لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً. تهذيب التهذيب، ج٣، ترجمة ٤٦١، ص٢٠٧.

(3) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٨١.

(4) صحابي شهد بدراً والمشاهد كلها- انظر تهذيب التهذيب، ج٤، ص٢٢٠، ترجمة ٤٣٩.

أنزلت في سبيل الله؟ قال: لا، ولكنها في صفوف الصلاة)[1].

دراسة الروايات ومناقشتها:

لا يجوز أن تكون هذه الرواية بألفاظها المختلفة وطُرقها المتعددة سبباً لتنزيل هذه الآية وذلك لما يأتي:

١. **الآية والسورة كلها مكية بالإجماع**[2]، ولم تكن بمكة مساجد ولا أماكن مخصصة لإقامة صلاة الجماعة. بل لم تفرض صلاة الجماعة إلاّ في المدينة. وقد نزلت السورة قبل سورة الأنعام أي ما بين السنة الرابعة والخامسة للبعثة على وجه التقريب. وعليه فالتزامن بين نزول الآية وحدوث القصة غير متحقق ولذلك ترد هذه الرواية كسبب تنزيل من هذه الزاوية.

٢. **مفهوم الآية لا يستوعب القصة**، فلا يوجد أي دلالة، أو أي أمارة تدل على أن الآية تتعلق بصفوف الصلاة. أو تتعلق بالصلاة.

٣. **السياق القرآني للآيات يقصي هذه الرواية بقوة**. فالآية التي سبقتها مباشرة نصها: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾. [الحجر]. والآية التي تليها هي: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾. فالآيات تتعلق ببيان قدرة الله وسعة علمه. فهي

---

(١) لباب النقول للسيوطي، ص١٣٢.

(٢) قال أبو العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري: **(هي مكية بإجماعهم)** تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، م٨، ص٥٥١، **ونقل الإجماع** كذلك الشوكاني في فتح القدير، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص١٢٠. والخازن، ج٣، ص٩٣. وسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل في الفتوحات الإلهية، ج٢، ص٥٣٧. وابن عاشور، ج١٤، ص٥، التحرير والتنوير- ومحمد السيد طنطاوي في التفسير الوسيط، م٨، ص,٤. وغيرهم. وممن نقلوا مكية الآية والسورة- ابن الضريس في فضائل القرآن، انظر ص٣٤، تحقيق غزوة بدير، وتحقيق آخر لمسفر بن سعيد أحمد دماس ص٦١. انظر البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٩٣. والاتقان ج١، ص١٢، ١٣. وانظر دلائل النبوة للبيهقي- والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس.

من أدلة التوحيد بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة على وجه الأرض. وهو وحده الذي يرث الأرض ومن عليها في يوم الجزاء. وقد علم تعالى الأمم والأقوام التي سبقت من لدن آدم عليه السلام حتى نزول هذه الآية(١). وكذلك علم الأمم التي ستخلق وستأتي حتى يرث الله الأرض ومن عليها(٢). فهذا السياق لا يمت إلى الصلاة بصلة. وترد كذلك جميع الروايات التي تزعم أنها جاءت في غير هذا الموضوع(٣). ومما يؤكد ما ذهبنا إليه قول ابن جرير الطبري: حدثني محمد بن أبي معشر، قال: أخبرني أبو معشر، قال: سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب في قوله تعالى: [الآية] فقال عون: خير صفوف الرجال المقدم، الرواية، فقال محمد بن كعب: ليس هكذا ولقد علمنا المستقدمين. منكم الميت والمقتول، والمستأخرين من يلحق بهم بعد، وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم. فقال عون بن عبد الله: (وفقك الله وجزاك خيراً)(٤). وقال أبو حيان في البحر المحيط، بعد أن ذكر الأقوال المقولة في الآية: (والأولى حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر. والمعنى أنه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر

---

(١) انظر تفسير الطبري، م٨، ج١٤، ص٢٤. وهو قول قتادة. وانظر تفسر القرطبي، والبغوي وغيرهم. وانظر أقوال الصحابة والتابعين في كتب التفسير الكثيرة. وانظر قول ابن عباس في تفسير ابن كثير، ج٢، ص٥٤٩. فقال: (المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام. والمستأخرين من هو حي ومن سيأتي إلى يوم القيامة). وقال ابن كثير وروى نحوه عن عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، ومحمد بن كعب، والشعبي، وغيرهم. وهو اختيار ابن جرير رحمه الله. وانظر قول ابن عباس في تفسير ابن جرير الطبري، ص٢٤، ج١٤، م٨.

(٢) المصادر السابقة نفسها.

(٣) قيل: في صفوف الصلاة، وقيل: المصلين في أول الوقت وآخره، وقيل: في الطاعة، وقيل في القتال، انظر تفسير البغوي، ص٤٨، ج٣.

(٤) تفسير الطبري، ج١٤، ص٢٣، طبعة دار الفكر.

وبأحوالهم. ثم أعلم تعالى أنه يحشرهم)[1].

٤. **لقد ورد في القرآن الكريم ما يربو على مائتي آية تمدح صحابة رسول الله،ﷺ، فهم** الذين نقلوا لنا كل ما جاء به الوحي، عن سيدنا محمد،ﷺ، فهل يتصور من جماعتهم أن يتسابقوا للصلاة من أجل الفاحشة، واستراق النظر إلى حسناء؟! وهل يعقل أنهم يفكرون بارتكاب المنكر وهم بين يدي رب العالمين؟! وهم جماعة ظاهرون غير مستترين؟! إنّا لننزههم عن مثل هذه الأفعال المشينة التي لا تليق بمسلم في مثل هذا المقام فضلاً عن أن تصدر عن جماعة ممن نقلوا لنا الوحي بأمانة وإخلاص. وقد بُشِّروا بالجنّة وهم أحياء. فمثل هذه المقولات عنهم ترد ولا تقبل أن تسمع فلا تُعد سبب نزول ولا تفسيراً للآية.

٥. **أما من حيث السند فهو سند مطعون فيه. ففيه أبو الجوزاء**[2]: قال البخاري: في إسناده نظر. وقال ابن كثير: وهذا فيه نكارة شديدة[3]. وفيه عمرو بن مالك النكري البصري، صدوق له أوهام، وقال صاحب تحفة الأحوذي: لكن الأشبه أنه قول أبي الجوزاء كما صرّح به الترمذي، حيث قال: (وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، نحوه ولم يذكر فيه عن ابن

---

(١) تفسير البحر المحيط، ج٥، ص٤٥١.

(٢) هو أوس بن عبد الله الربعي البصري. قال البخاري في إسناده نظر، (التاريخ الكبير، ترجمة ١٥٤٠، ص١٦. ص١٧، م٢، القسم الثاني من الجزء الأول)، وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: وقول البخاري في إسناده نظر، ويختلفون فيه إنما قاله عقب حديث رواه له في التاريخ من رواية عمر بن مالك البكري. والبكري ضعيف عنده وقال ابن عدي: حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة. وأبو الجوزاء روى عن الصحابة وأرجو أن لا بأس به، ولا يصح روايته عنهم أنه سمع منهم. تهذيب التهذيب، م١، ص٣٣٥، ص٣٣٦، ترجمة ٧٠٢، وقال ابن حجر في التقريب: يرسل كثيراً.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٥٥٠.

عباس. وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح)[1]. وهذا التعقيب يفيد توهين رواية نوح بن قيس الطاحي، ولا نغتر بقول الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[2]. وقد أقره الذهبي على ذلك. فهذا أمر مألوف في المستدرك، والريب هو موافقة الذهبي له على ذلك. وقد تكررت مثل هذه الموافقات فلا يُعتد بها كذلك. وقد ذكر الطبري فقال: ..أخبرنا جعفر بن سليمان، قال: أخبرني عمرو بن مالك، قال سمعت أبا الجوزاء يقول[3]: الرواية.

(فالرواية من قول أبي الجوزاء، وتُعد مقطوعة، لأنه لا يوجد لابن عباس أي ذكر كما قال الترمذي[4]. وقال ابن حجر[5]: قال البزار: لا نعلم رواه ابن عباس، ولا طريقاً له إلاّ هذه. وقال الترمذي روي عن أبي الجوزاء مرسلاً وهو أشبه أ.هـ وقال ابن عاشور تعقيباً على ما أخرجه الترمذي من طريق نوح بن قيس، ومن طريق جعفر بن سليمان في سبب نزول الآية، قال: (وهو خبر واهٍ لا يلاقي انتظام هذه الآيات، ولا يكون إلاّ من التفاسير الضعيفة)[6]. وقال أبو السعود: بعد أن ذكر المعنى من تقدم منكم ولادة وموتا، وذكر صفوف الصلاة، وساق رواية المرأة الحسناء دون إسناد فقال عقب ذلك[7]: (والأول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، م٨، ص٥٥١.

(٢) المستدرك للحاكم، م٢، ص٣٥٣، كتاب التفسير- تفسير سورة الحجر.

(٣) تفسير الطبري، ج١٤، م٨، ص٢٣٦.

(٤) وقال القرطبي، لأحكام القرآن: (وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس) وهو أصح. ج١٠، ص.١٩ الجامع.

(٥) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر، ص٩٣.

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٤، ص٤٠.

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ج٥، ص٧٣.

﴿وَيَحْشُرُهُمْ﴾ وأبو السعود يشير إلى أن السياق القرآني لا يقبل هذه الرواية أن تكون من التفسير أو من باب سبب التنزيل).

وقال الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، جامع مرويات ابن عباس في التفسير من كتب السُّنَّة، قال بعد محاكمته للرواية: (فهذا هو المعنى المناسب لسياق الآيات. أما المعنى المذكور في حديث الباب، فمع أنه مما يستبعد وقوعه في عصر النبي،ﷺ، فهو بعيد عن سياق الآيات)[1].

مما تقدم نستطيع القول بأن هذه الرواية لا تصلح أن تدخل في دائرة أسباب التنزيل لأنها فقدت الأُطر الخمسة. وعليه فلا يوجد سبب نزول لآية الحجر هذه.

والرواية كذلك لا تدخل في باب التفسير، لأن مفهوم الآية، وسياق الآيات لا يحتملها فهي في موضوع آخر يختلف تمام الاختلاف عن موضوع الآية في السورة. وتُعد من الأباطيل التي يجب أن تمحى من تاريخ المسلمين.

٢. سورة المسد كاملة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾.

١. قال الواحدي[2]: (أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد، حدثنا محمد بن حماد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صعد رسول الله،ﷺ، ذات يوم الصّفا. فقال: "يا

---

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السُّنَّة. د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، ج٢، ص٥١٢.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٠٧-٢٠٩. وهذه الحادثة رواها البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم ٤٩٧١ و ٤٩٧٢، ٤٩٧٣. ورواه مسلم، وأحمد، والترمذي وغيرهم- وانظر تفسير الطبري ج٣٠، م١٥، ص٣٣٦. والدر المنثور ج٣٠ ص٦٦٦، تفسير الرازي، ج٣٢، ص١٦٥- تفسير الخازن، ج٤، ص٤٤٥، تفسير أحكام القرآن لابن العربي، ج٤، ص١٩٨١ وغيرها. وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج١، ص٢٠٠، طبعة دار صادر، بيروت.

صباحاه"[1]! فاجتمعت إليه قريش، فقالوا له: ما لك؟ فقال: "أرأيتم لو أخبرتكم: أن العدوّ مصبحكم أو ممسيكم، ما كنتم تصدقوني؟" قالوا: بلى. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا جميعاً؟! فأنزل الله عز وجل ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ إلى آخر السورة. وقد ذكر بعدها ثلاث روايات تدور حول القصة نفسها، والشخص نفسه، وهو "أبو لهب".

٢. ومن زيادات السيوطي في لباب النقول قال: (وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل، عن أبي اسحاق، عن رجل من همدان يُقال له يزيد بن زيد أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ، الشوك. فنزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ إلى ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤﴾ وقال: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله)[2].

٣. قال القرطبي[3]: (وقيل إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي ﷺ، فقال: ماذا أُعطى إن آمنت بك يا محمد؟ قال: "كما يُعطى المسلمون". قال: ما لي عليهم فضل؟! قال: "وأي شيء تبغي؟" قال: تبّاً لهذا من دين، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾.

٤. وقول ثالث[4]: (حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال: كان إذا وفد على النبي ﷺ،

---

(١) قال في الفتح الرباني: قال في النهاية: هذه كلمة يقولها المستغيث. وأصلها إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح. فكأن القائل يا صباحاه يقول قد غشينا العدو، ج١٨، ص٣٤٢. ونقل سيّد صقر المعنى نفسه عن لسان العرب لابن منظور في هامش أسباب النزول للواحدي، ص٢٠٨.

(٢) لباب النقول، للسيوطي، ص٢٤٥. تفسير الطبري، ج٣٠، م١٥، ص٣٣٨- الدر المنثور، ص٦٦٧، ج٣٠، م٨.

(٣) تفسير القرطبي، ج٢٠، ص٢٣٥. تفسير الرازي، ج٣٢، ص١٦٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وفدٌ انطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول الله،ﷺ، ويقولون له: أنت أعلم به منّا فيقول لهم أبو لهب: إنه كذاب ساحر. فيرجعون عنه ولا يلقونه. فأتى وفد، ففعل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه. فقال لهم أبو لهب: إنا لم نزل نعالجه فتباً له وتعساً. فأخبر بذلك رسول الله،ﷺ، فاكتأب لذلك، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

٥. وقيل: (إن أبا لهب أراد أن يرمي النبي،ﷺ، بحجر، فمنعه الله من ذلك وأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾. للمنع الذي وقع به)[1].

٦. روى البيهقي في الدلائل، عن ابن عباس، قال: ما كان أبو لهب إلاّ من كفار قريش، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالأت قريش حتى حصرونا في الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب وظاهرهم، لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه، فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى؟ قالت: نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة. قال: إن محمداً يعدنا أشياء لا نراها كائنة، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فما ذاك؟ وضع في يدي، ثم نفخ في يديه، ثم قال: تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال ابن عباس: فحصرنا في الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنّا الميرة[2] حتى إن الرجل ليخرج منّا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع حتى هلك فينا من هلك)[3].

---

(١) المصدر السابق. وذكر الألوسي عن طارق المحاربي أنه كان في سوق ذي المجاز، ورسول الله يدعو الناس وأبو لهب خلفه يرميه بالحجارة حتى أدمى قدميه وعرقوبيه، ويقول للناس: كذاب فلا تصدقوه، ج٣٠، ص٢٦٠. وانظر تفسير الرازي، ج٣٢، ص١٦٦. وتفسير الخازن، ج٤، ص٤٤٥.

(٢) الميرة أي الطعام.

(٣) الدر المنثور، ج٨، ص٦٦٥. التفسير الكبير للرازي، ج٣٢، ص١٦٧، روح المعاني للألوسي، ج٣٠، ص٢٦٠.

٧. وهناك روايات تقول إنه،ﷺ، جمع أعمامه وقدم إليهم طعاماً في صفحة فاستحقروه، وقالوا إن أحدنا يأكل كل الشاة، فقال: كلوا فأكلوا حتى شبعوا، ولم ينقص من الطعام إلاّ اليسير، ثم قالوا فما عندك؟ فدعاهم إلى الإسلام، فقال أبو لهب ما قال[1].

وهناك روايات أخرى ذكرها الرازي والألوسي وغيرهما. والمشهور من هذه الروايات ما رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وجل كتب التفسير وهو أن الرسول،ﷺ، كان يدعو إلى الإسلام سراً في أول مبعثه واستمر على هذا الحال ثلاث سنين. وعندما نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾. **[الحجر]**. ونزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾. **[الشعراء]**. صعد الرسولﷺ الصفا إلى آخر القصة. وقد رويت بألفاظ مختلفة تفيد المعنى نفسه. وهي الرواية الأولى التي سقناها كما أوردها الواحدي. وقد اقتصر ابن العربي عليها كسبب تنزيل السورة.

دراسة الروايات وتمحيصها:

وبالنظر في الروايات فإننا نقصي منها ما لم يتزامن مع نزول الآية، فالرواية التي تقول إنّ الرسول،ﷺ، كان يدعو وكان خلفه أبو لهب يكذبه، في سوق ذي المجاز. ويقول إنه ساحر، وما قيل إنه كان يرميه بالحجارة حتى أدميت قدماه، وعراقيب رجليه، والرواية القائلة إنهم حصروا في الشعب ثلاث سنين، وكذلك الرواية التي تقول إن الرسول،ﷺ، اكتأب لصد أبي لهب الناس عنه، أو ماذا يعطى أبو لهب إن آمن مع الرسول،ﷺ، كل ذلك وأضرابه من الروايات يرد كسبب تنزيل للسورة لعدم تزامنها مع نزول السورة. والرواية التي تتزامن مع نزول السورة هي ما ثبت في الصحيحين من أن السورة نزلت بعد أن انتهت فترة الدعوة السرية، وابتدأت المرحلة العلنية حيث الصراع الفكري مع كفار قريش. أي بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ

(١) التفسير الكبير للرازي، ج٣٢، ص١٦٥.

عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾.[الشعراء]. فدعا رسول الله،ﷺ، عشيرته وفي رواية ذكر بطون قريش بطناً بطناً، فقال: أي بني فلان، يا بني فلان.. فقال أبو لهب ما قال، **وجاء الوحي بالسورة لتحطم الشخصيات المضللة التي تتولى الزعامة في محاربة دعوة رسول الله،ﷺ.**

وأما رواية دعوة الرسول،ﷺ، أعمامه على طعام استحقروه، فهي لا تثبت أمام رواية البخاري ومسلم وأصحاب السنن في أن السورة نزلت على إثر ما شرع به رسول الله،ﷺ، في الدعوة كمرحلة جديدة تطبيقاً لقوله تعالى:﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾. فصعد الصفا ودعا عشيرته كما نصت الروايات في الصحيحين وغيرهما. وهذه الرواية يتناولها النص بمنطوقه ومفهومه صراحة، وتتناسق مع السياق في السورة، ولا تعارض رواية أخرى أقوى منها، وسندها صحيح. وعليه فهي سبب نزول للسورة يعتمد ويؤخذ به دون أيّ إشكال. وعليه فتخرج باقي الروايات من دائرة أسباب التنزيل، وتبقى هذه الرواية وحدها في زمرة روايات أسباب التنزيل لتوفرُ الأُطر الخمسة فيها.

أما بقية الروايات فتدخل في دائرة التفسير، لأنها تدخل في مفهوم النص، فتبين السبب الذي من أجله هلك أبو لهب، وحكم عليه أنه من أهل النار. وفي التفسير لا يشترط تزامن الرواية مع نزول النص، ولهذا يمكن إدخالها في باب التفسير.

٣. ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾** ﴾.**[طه]**.

قال الواحدي: أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، قال: أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي، قال: أخبرنا مكي بن عبدان، قال: حدثنا أبو الأزهر، قال: حدثنا روح، عن موسى بن عبيدة الربذي، قال: أخبرني يزيد بن قُسيط، عن أبي رافع مولى رسول الله،ﷺ،: (أن ضيفاً نزل برسول الله،ﷺ، فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود، يبيع طعاماً: يقول لك محمد رسول الله،ﷺ، (إنه) نزل بنا ضيف، ولم يُلق عندنا بعض الذي

يُصلِحُه فبغى كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب، فقال اليهودي: لا أبيعه ولا أسلفه إلاّ برهن، قال: فرجعت إليه فأخبرته، فقال: والله إني لأمين في السماء، أمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه، اذهب بدرعي، فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا)[1].

دراسة الرواية وتمحيصها

إذا نظرنا للزمن بين نزول الآية وبين هذه الرواية فإننا نجده بعيداً، فالآية مكيّة، والحادثة وقعت في أواخر العهد المدني حيث توفي الرسول،ﷺ، ودرعه مرهونة عند يهودي. قال القرطبي تعقيباً على هذا السبب: قال ابن عطية: وهذا معترض أن يكون سبباً، لأن السورة مكية، والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي،ﷺ، لأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة التي ذكرت. وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها، وذلك أن الله تعالى وبّخهم على ترك الاعتبار بالأُمم السالفة، ثم توعدهم بالعذاب المؤجل، ثم أمر نبيّه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم، والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا، إذ ذلك منصرم عنهم صائر إلى أخرى).[2] وقد أيّد القرطبي هذا الرأي بدليل آخر وهو: أن الرسول،ﷺ، تلا هذه الآية عندما مرّ بإبل بني المصطلق. وعليه فلا تصلح أن تكون هذه الرواية سبباً لتنزيل الآية.

أما مدى انطباق الآية وسياق النص على هذه الرواية فنقول: إن الآيات جاءت في بداية العهد المكي لترسم طريق حمل الدعوة للرسول،ﷺ، وكيف يجب أن يواجه

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣١٣. لباب النقول للسيوطي، ص١٤٩. وقال: أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبزار وأبو يعلي عن أبي رافع تفسير الطبري، ج١٦، ص٢٣٥. تفسير البغوي، ج٣، ص٢٣٦، تفسير الطبرسي، م٤، ج٧، ص٥٩، تفسير الرازي ج٢٢ ص١٣٥، تفسير الخازن، ج٣، ص٢٦٩، الدر المنثور م٥ ص٦١٢، فتح القدير للشوكاني، م٣، ص٣٩٥، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ج١٣، ص١٧٠، تحقيق إبراهيم عطوه عوض. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ج٥، ص٣٣٥، ط١، المكتب الإسلامي وغيرها.

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج١١، ص٢٦٢، ص٢٦٣.

حامل الدعوة ما يلاقيه أثناء سيره من صعاب، ومنها هذا الأمر الجِبِلّيّ، المركوز في النفوس البشرية، وهو التطلع إلى زخارف الحياة، لا سيما ما هو كائن في أيدي الكفار والفسقة الذين يحادّون الله ورسوله. فالآية ترشد الرسول،ﷺ، أن لا يفعل ما طبعت عليه النفس البشرية في إطالة النظر لما في أيدي أعداء الله(١). وقال أبي بن كعب: (من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا)(٢). وقال الزمخشري: (ولقد شدّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك)(٣). وعليه فالنص يحتمل معنى الرواية.

وأما موافقة الرواية أو مخالفتها لنصوص أخرى، فإننا نستبعد أن يكون الرسول،ﷺ، قد حزن كما جاء في بعض الروايات، لأن النهي في الآية ليس على فعل فعله الرسول،ﷺ، وإنما هو تعليم لتهذيب ما هو مفطور عليه الإنسان من إنعام النظر لزخارف الدنيا. وفي الآية ما يفيد العفو عن مجرد النظر، والنهي منصب على مد النظر وإطالته، لأنه هو الذي يؤثر في النفس البشرية. ومن المعروف أن القاعدة الأُصولية: (خطاب الرسول،ﷺ، خطاب لأُمته). وعليه فليس كل نهي للرسول،ﷺ، يعني أن الرسول،ﷺ، قد فعل ذلك الفعل، أو همّ بفعله، حتى يصطنع له سبب تنزيل، بل ينظر إليه فربما كان مثل هذا النهي الذي يتعلق بتوجيه حامل الدعوة إلى ما ينبغي أن يكون عليه، لا أن ينطلق الإنسان مع فطرته.

وأما من حيث السند فإن موسى بن عبيدة الرّبذي(٤) منكر الحديث. قال عنه أحمد بن حنبل: لا تحل الرواية عندي عنه.

---

(١) انظر تفسير الآية في الكشاف، والتفسير الكبير للرازي، وزاد المسير لابن الجوزي، وفي غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج٥، ص٣٣٥.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ج٢، ص٤٥٢.

(٤) موسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحرث الربذي أبو عبد العزيز المدني- قال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد: كنّا نتقي حديث موسى بن عبيدة تلك الأيام، ثم كان بمكة فلم=

وقال البخاري: قال أحمد منكر الحديث[1]. وقال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال ابن عدي: وهذه الأحاديث التي ذكرها لموسى عامتها غير محفوظة والضعف في روايته بيّن.

وقال ابن حبان: ضعيف، وبهذا يتضح لنا أن الرواية لم يتوفر فيها كذلك صحة السند، ومما سبق يكفي لإخراج هذه الرواية من دائرة أسباب التنزيل. ويمكن أن تدخل في دائرة التفسير لكونها مما يحتملها النص، كما أسلفنا. ولرد الرسول،ﷺ: "والله إني لأمين في السماء، أمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه" فإن صح هذا عن الرسول،ﷺ، فلا يوجد فيه جزع ولا حزن منه،ﷺ، فلا يتعارض مع ما جاءت به النصوص عن رسول الله،ﷺ. وعليه فلم يثبت سبب نزول لهذه الآية، ويمكن إدخال هذه الرواية في تفسير الآية لأن صحة السند لا يشترط في صحة التفسير، ويكفي أن يحتملها مفهوم النص وهذا متوفر في الرواية.

٤. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.**[الرعد: ٣٠].**

وهي جزء من آية: ﴿**كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠)**﴾. **[الرعد].**

١. قال الواحدي[2]: قال أهل التفسير[3]: نزلت في صلح الحديبيّة حين أرادوا كتاب الصلح، فقال رسول الله،ﷺ: [لعلي]: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم،

=نأته، وقال الجوزجاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تحل الرواية عندي عنه- تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٣١٨-٣٢١.

(١) التاريخ الكبير، م٧، القسم الأول، من الجزء الرابع، ص٢٩١. وانظر الجرح والتعديل للرازي، م٨، ص١٥١، ترجمة ٦٨٦، ج٤، قسم١، وانظر تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٣١٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، ص٢٧٧.

(٣) أهل التفسير: الرواية وردت في كتب التفسير، ومنهم من ساقها كسبب نزول للآية، ومنهم من لم يسقها كذلك، بل وردت في صلح الحديبية وليس في هذه الآية. انظر تفسير الطبري، ج٨،=

فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن إلاّ صاحب اليمامة- يعنون مسيلمة الكذّاب- اكتب باسمك اللهم. وهكذا كانت [أهل] الجاهلية يكتبون فأنزل الله تعالى فيهم الآية.

٢. وقال ابن عباس في رواية الضحّاك: نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي، ﷺ، ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ. قَالُوا۟: وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [١] فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

٣. وفي رواية ثالثة: أن رسول الله، ﷺ، كان يوماً في الحجر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فولّى مدبراً إلى المشركين فقال: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة، وهو يدعو إلهين، فنزلت هذه الآية. ذكره علي بن أحمد النيسابوري[٣].

دراسة الروايات ومناقشتها:

إن شرط التزامن بين الرواية الأولى وهذه الآية غير متحقق لأن الآية مكية، وصلح الحديبية وقع في السنة السادسة للهجرة. بالإضافة إلى أن مسيلمة الكذّاب لم يكن قد ظهر أمره بعد.

قال البغوي: بعد أن ساق رواية صلح الحديبية: (والمعروف أن الآية مكيّة وسبب نزولها أن أبا جهل. وساق قصة الحجر في مكة). ثم ذكر ما روي عن

=ص١٥٠. وتفسير القرطبي، ج٩، ص٣١٨، ط٣. وتفسير البغوي، وتفسير الخازن، وتفسير البحر المحيط، وتفسير الدر المنثور، وغيرها كما وردت في كتب الحديث والسير انظر صحيح البخاري، ومسلم، وسيرة ابن هشام.

(١) اقتباس من سورة الفرقان آية ٦٠.

(٢) الرواية ساقها الواحدي، وتفسير البغوي، وتفسير الخازن، وتفسير النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج١٣، ص٨٩. وكذلك القرطبي ج٩ ص٣١٨، وابن الجوزي في زاد المسير، ج٤، ص٣٢٩، والتفسير الكبير للرازي، ج١٩، ص٥٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج٤، ص٣٢٩.

الضحاك، وابن عباس، أنها نزلت في كفار قريش، حين قال لهم الرسول: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾. [الفرقان: ٦٠].

وخلاصة القول إن الرواية الأولى فقدت شرط التزامن فلا تدرج في أسباب تنزيل هذه الآية. ولهذا ذكرها ابن كثير، والقاسمي، على سبيل التفسير. فقال: (ولهذا أَنِفُوا يوم الحديبية أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم)[1].

أما الرواية الثانية التي رويت عن الضحاك، فواضح فيها التفسير حيث ورد فيها اقتباس من سورة الفرقان والآية هي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾. ونحن بصدد معرفة سبب نزول آية الرعد، فلا تلاقي.

وأما مفهوم الآية وسياق الآيات فإنه يقصي جميع الروايات أن تكون سبب نزول لأن الآية مطلعها: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾. [الرعد: ٣٠]. فالكاف للتشبيه ولا يراد أن يكون فيه سبب نزول- وجملة ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حالية أي وحالهم يكفرون بالرحمن[2]. فهي حكاية حال ماضية لأمم سلفت، فكما أن الله تعالى أرسل رسلاً لأُمم كافرة فكذلك أرسل محمداً لأُمة كافرة- فهي تشبيه حال بحال. أي أن محمداً، ﷺ، ليس بدعاً في سُنَّة الحياة، فشأنه شأن من أُرسل إليهم ممن سبقوه.

وإذا تذكرنا قول الشافعي إن الآية لا تنزل مجزأة[3]، أدركنا ما قيل من روايات وقعت بالمدينة هي تفسير لجزء الآية ليس غير.

---

(١) تفسير ابن كثير، م٤، ص٩٣. وانظر محاسن التأويل للقاسمي، ج٩، ص٣٦٧٨، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١.

(٢) انظر تفسير الرازي، ج١٩، ص٥١، ط٢، طهران.

(٣) انظر أحكام القرآن للشافعي، ج١ ص١٠٧، حيث يقول: **(ولم أعلم مخالفاً: أن كل آية إنما أُنزلت متتابعة لا مفرقة. وقد تنزل الآيتان في السورة مفرقتين فأما آية فلا لأن معنى الآية أنها كلام واحد غير منقطع.**

وإذا نظرنا في السياق القرآني في سورة الرعد من الآية السابعة والعشرين: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ﴾ لغاية الآية الرابعة والثلاثين: ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ تجد أنها تتحدث عن موقف الكفار من رسول الله، ﷺ، ومن دعوته، وفيها موازنة بين فريق الإيمان وفريق الكفر وتعزية للرسول، ﷺ، ومن معه من موقف كفار قريش المتعنت. وبيان مآل الفريقين. وهو أمر يخلو من مساجلة المفاوضة في صلح الحديبية، ولا يمت له بصلة. والتشابه الوحيد هو ورود لفظ الرحمن ليس غير. وهذا لا يكفي ولا يبرر إدخال مثل هذه الرواية في سبب تنزيل الآية.

وهناك تشابه كذلك في آية الإسراء: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا (١١٠)﴾. **[الإسراء]**.

ولذلك تجد المفسرين ذكروا الروايتين الثانية والثالثة، بألفاظ متقاربة جداً، كسبب تنزيل لآية الإسراء[(١)]. وهذا مؤشر إلى أن الروايات جاءت تفسيراً وليس سبب تنزيل.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن آية الفرقان وآية الرعد، تدلان على أن كفار قريش يجحدون الرحمن، وفي سورة الإسراء يعترضون على إطلاق اسم الرحمن على الله تعالى، لا أنهم يكفرون وجوده. وهذا القول يدخل في دائرة التفسير كذلك. وخلاصة القول إنه لا توجد رواية مما ذكرنا تصلح أن تكون سبب تنزيل.

---

(١) قال الواحدي ص٣٠٣: قال ابن عباس تهجد رسول الله، ﷺ، ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: "يا رحمن يا رحيم"، فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهاً واحداً فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن، ما نعرف إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذّاب، فأنزل الله تعالى هذه الآية: انظر تفسير القرطبي، ج١٠، ص٣٤٢ ص٣٤٣. وتفسير الدر المنثور، ج٥، ص٣٤٧، وما بعدها. وتفسير الطبري م٩، ج١٥، ص١٨٢، وما بعدها. وتفسير البغوي، م٣، ص١٤٢. وتفسير الخازن، م٣، ص١٩٦، وغيرها.

أما من حيث السند فرواية صلح الحديبية صحيحة فقد وردت في الصحيحين. وأما الروايات التي تدل على أن الآية مكيّة فلم أعثر على سند متصل حتى أُخرجه. والروايات واردة عن قتادة، والضحاك، وابن جريج، ومقاتل، ومجاهد، ولو صح سندها تكون تفسيراً لأن نص الآية لا يستوعبها. وإذا فقد شرط واحد من الشروط الخمسة في أي رواية فإنها تفقد حقها في الدخول في دائرة أسباب التنزيل.

٥. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾. **[القصص]**.

قال الواحدي: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله،ﷺ، فوجد عنده، أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال رسول الله،ﷺ: "يا عم، قل: لا إله إلاّ الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله سبحانه وتعالى" فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: (يا أبا طالب)[1] أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله،ﷺ، يعرضها عليه ويعاودانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلاّ الله. فقال رسول الله،ﷺ،: "والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾. **[التوبة]**. وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. **[القصص:٥٦]**.

رواه البخاري عن أبي اليمن عن شعيب. ورواه مسلم عن حرملة عن ابن وهب، عن يونس (كلاهما) عن الزهري. وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله،ﷺ، لعمه: "قل لا إله إلاّ الله، أشهد لك بها يوم القيامة" قال: لولا أن تعيّرني قريش يقولون: إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله الآية[2].

---

(١) الزيادة من صحيح مسلم.

(٢) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٣٥١، ص٣٥٢، لباب النقول للسيوطي، ص١٦٨، تفسير الطبري، ص٩٢ ج ٢٠، م ١١. تفسير البغوي، ج٣، ص٤٥٠. مجمع البيان، للطبرسي، ج٧، ص٤٠٥، تفسير الألوسي،ج٢٠، م١٠، ص٩٧.

قال راوي الكتاب عن الواحدي: سمعت أبا عثمان الحيريّ يقول: سمعت أبا الحسن بن مقْسَم يقول: سمعت أبا إسحاق الزّجاج يقول في هذه الآية: أجمع[1] المفسرون أنها نزلت في أبي طالب. وقال القرطبي: والصواب أن يُقال أجمع جُل المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ.

دراسة الروايات وتمحيصها:

لقد أجمعت كتب التفسير على أنها نزلت في عم الرسول ﷺ، إلاّ كتب الشيعة، وعلى رأسها مجمع البيان للطبرسي. واحتج محمود شكري الألوسي على الإجماع لأن المفسرين الشيعة قالوا بإسلام أبي طالب عند موته. ولذلك جاءت عبارة القرطبي ومن نهج نهجه "أجمع جل المفسرين" ومهما يكن من أمر فلم يورد علماء الشيعة، فيما اطلعت عليه، أنها نزلت في غير أبي طالب، ولم يورد غيرهم كذلك. وعليه فتكون الآية على الأرجح نزلت في أبي طالب كما أجمع عليه المفسرون. ويقوي هذا الإجماع نزول الآية في سورة القصص، وهي مكيّة، ومتزامنة مع موت أبي طالب في مكة. ومفهوم الآية ينطبق على الرواية في حق أبي طالب. والرواية من حيث السند صحيحة، فقد وردت في الصحيحين[2]. ويرد إشكال على الرواية، وهو اشتمالها على نزول آية الاستغفار له، وهي في سورة التوبة، وهي مدنية. قال الحسين بن الفضل: (وهذا بعيد لأن السورة من آخر ما نزل من القرآن، ومات أبو طالب في عنفوان

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٣٥٢. ونقل هذه العبارة صاحب الكشاف، فقال: (قال الزجاج: أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب..)، ج٣، ص١٧٤. وانظر غرائب الفرقان للنيسابوري، ج٢٠، ص٥٥. وانظر تفسير الثعالبي: (جواهر الحسان في تفسير القرآن)، ج٣، ص١٧٩، وقال: (اجمع جل المفسرين ولم ينسبه للزجاج، واستعمل التعبير نفسه صاحب البحر المحيط، ج٧، ص١٢٦، وتفسير القرطبي ج١٣، ص٢٩٩. والرازي في التفسير الكبير، ج٢٥، ص٢. وابن الجوزي في تفسير زاد المسير، ج٦، ص٢٣١).

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٧٧٢، كتاب التفسير، ص٥٠٦، طبعة المطبعة السلفية.

الإسلام والنبي،ﷺ، بمكة)[1]. كما يـرد إشـكال آخـر، هـو أن كـثيراً[2] مـن المفسـرين أوردوا هذا السبب في آية التوبة. وما اشتملت عليه منقطع حبـل الوصـل للمشـركين وهم أموات.

والجواب على هذه الإشكالات يكمن في أن الإجماع انصب على نزول الآية في أبي طالب، وليس على الرواية التي اشتملت على الاستغفار، لا سيما أن آية القصص موضوعها الهداية، وآية التوبة موضوعها النهي عن الاستغفار لأموات المشركين. وأما إيراد هذا السبب في سورة التوبة فهو من باب التفسير. ومفهوم النص في الآيتين يؤكد صحة ما ذهبنا إليه. فالاستغفار في الرواية لا يحتمله نص آية القصـص، ورفـض أبـي طالب قول كلمة التوحيد لا يحتمله نص آية التوبة. فتكون الرواية من باب التفسير لا من باب أسباب التنزيل، ولو نقلها كل المفسرين لأنهـم اعتـادوا المـزج بـين التفسـير وأسباب التنزيل، وعليه فيكون ما أجمع عليه المفسرون في سبب نزول هذه الآيـة هـو أبو طالب عمّ الرسول،ﷺ، وحرص الرسول،ﷺ، أن ينضم عمه إلى ركب المـؤمنين في الجنّة. وقد استقر عمه على دين قومه خشية أن تعيِّره نسـاء قـريش بعـد موتـه. هـذا سبب نزول الآية، والله أعلم. هذا ولم يرد أي نص أقوى منه يعارضـه فتكـون الأُطـر الخمسة قد توفرت في الرواية، فاستحقت بجدارة أن تدخل عالم أسباب التنزيل.

٦. ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ١٠ ﴾. **[الفرقان]**.

قال الواحدي: أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ، قال: أخبرنا أحمـد بـن أبي الفرات، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري، قال: أخبرنا محمد بن

(١) تفسير أحكام القرآن، للقرطبي، ج٨، ص ٢٧٣.

(٢) انظـر تفسـير القـرطبي، ج٨، ص٢٧٢. وانظـر تفسـير زاد المسـير لابـن الجـوزي، والكشـاف للزمخشري، ورغائب القرآن وغرائب الفرقان للنيسابوري وغيرها.

حميد بن فرقد، قال: حدثنا إسحاق بن بشر، قال: حدثنا جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس قال:

لما عيّر المشركون رسول الله،ﷺ، بالفاقة، وقالوا: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق)(1). حزن رسول الله،ﷺ، فنزل جبريل، عليه السلام، من عند ربه معزياً له، فقال: السلام عليك يا رسول الله، رب العزّة يقرئك السلام ويقول لك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾. **[الفرقان ٢٠]**. أي يبتغون المعاش في الدنيا. قال: فبينا جبريل، عليه السلام، والنبي،ﷺ، يتحدثان، إذ ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مِثْلُ الهُرْدَة. قيل: يا رسول الله، وما الهُردة؟ قال: "العدسة"، فقال رسول الله،ﷺ: "ما لك دُبتَ حتى صرت مثل الهُردة؟ فقال: يا محمد، فتح باب من أبواب السماء، ولم يكن فتح قبل ذلك اليوم، وإني أخاف أن يعذّب قومك عند تعييرهم إيّاك بالفاقة"، فأقبل النبي وجبريل، عليهما السلام، يبكيان، إذ عاد جبريل، عليه السلام، إلى حاله. فقال: "أبشر يا محمد، هذا رضوان خازن الجنّة قد أتاك بالرضا من ربك". فأقبل رضوان حتى سلّم، ثم قال: "يا محمد، ربُّ العزة يقرئك السلام- ومعه سَفَطٌ(2) من نور يتلألأ، ويقول لك ربك: هذه مفاتيح خزائن الدنيا ما لا ينتقص لك مما عندي في الآخرة مثل جناح بعوضة"، فنظر النبي،ﷺ، إلى جبريل، عليه السلام، كالمستشير له، فضرب جبريل بيده إلى الأرض فقال: "تواضع لله"، فقال: "يا رضوان لا حاجة لي فيها، الفقر أحب إليّ، وأن أكون عبداً صابراً شكوراً". فقال رضوان، عليه السلام: "أصبت، أصاب الله بك". وجاء نداء من السماء فرفع جبريل، عليه السلام، رأسه، فإذا السموات قد فُتحت أبوابها إلى العرش، وأوحى الله تعالى إلى جنة عدن أن تدلي غصناً من أغصانها عليه عذق عليه غُرفة من زَبَرْجَدَةٍ خضراء، لها سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء، فقال

---

(١) اقتباس من سورة الفرقان آية ٧.

(٢) السَفَط: محركة كالجوالق أو كالقفة، جمع أسفاط. انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي.

جبريل، عليه السلام: يا محمد ارفع بصرك"، فرفع فرأى منازل الأنبياء وغـرفهم، فـإذا منازله فوق منازل الأنبياء فضلاً له خاصة، ومُنَـادٍ ينـادي: أرضـيت يـا محمـد؟ فقـال النبي،ﷺ،: "رضيت، فاجعل ما أردت أن تعطيني في الدنيا، وخـيرة عنـدك في الشـفاعة يوم القيامة". ويروى أن هذه الآية أنزلها رضوان(١).

وذكر الطبري والرازي وغيرهما القصة مختصرة، وهي أنه خيّر رسـول الله،ﷺ، بين أن يعطى مفاتيح الأرض وخزائنها ولا ينقص مما له في الآخرة وبين أن يجمـع لـه في الآخرة، فاختار الرسول،ﷺ، الجمع في الآخرة، فنزلت الآية(٢).

نقد الرواية:

الرواية تفوح منها رائحة الوضع التي تزكم الأنوف- فمن حيث السـند وردت عن جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس. وقد قال ابن حجر في مقدمة كتاب العُجاب في الأسباب: (ومن الضعفاء الذين رَوْوا التفسير عن الضحاك بـن مـزاحم عـن ابـن عباس: جويبر بن سعيد وهو واهٍ)(٣). وقال النسائي، والدارقطني: متروك. وقال عبـد

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٤٥، ص٣٤٦. طبعة دار القبلة تحقيق سـيد صـقر، وذكـر القصة مختصرة دون أن يذكر تحول جبريل إلى مثل الهـردة، كـل مـن السـيوطي في الـدر المنثـور، ج١٨، م٦، ص٢٣٧، وتفسير القرطبي، ج١٣، ص٦، ص٧. والرازي في التفسير الكـبير، ج٢٤، ص٥٤، وذكروا أن رضوان خازن الجنان نزل بالآية.

(٢) لباب النقـول للسـيوطي، ص١٦٥. تفسـير الطـبري، ج١٨، م١٠، ص١٨٦. تفسـير الـرازي، ج٢٤، ص٥٤.

(٣) مقدمة العُجاب في الأسباب، لابن حجر العسقلاني، ص٥. من المخطوط. وانظر مقدمة تحقيق كتاب الواحدي ص٢٥، لسيّد صقر، حيث نقل المقدمة كاملة. وقال النسـائي في كتابـه الضـعفاء والمتروكين: متروك الحديث. انظر ترجمة ١٠٦، ص٧٣. تحقيق بوران الصناوي وكمـال يوسـف الحوت، طبعة مؤسسـة الكتـب الثقافيـة، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. وانظـر الضـعفاء والمتروكـين للدارقطني تحقيق موفق بـن عبـد الله بـن عبـد القـادر مكتبـة المعـارف- الريـاض ترجمـة ١٤٧، ص١٧١ وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة ٢٠٠ ص١٠٦، م٢، وانظـر التـاريخ الكـبير=

الله بن علي بن المديني سألته يعني أباه عن جويبر فضعفه جداً. قال: وسمعت أبي يقول جويبر أكثر على الضحاك روى عنه أشياء مناكير. وقال ابن عدي: والضعف على حديثه وروايته بيّن. وقال أبو قدامة السرخسي: قال يحيى القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث، ثم ذكر الضحاك، وجويبر، ومحمد بن السائب. وقال هؤلاء لا يحمل حديثهم ويكتب التفسير عنهم(١).

وإذا تعقبنا السند فبالإضافة إلى جويبر بن سعيد الخراساني تجد إسحاق بن بشر، وهو أسوأ حالاً من جويبر، قال أبو الحسن الدارقطني: إسحاق بن بشر رجلان أحدهما يكنى أبا حذيفة البخاري. وهو الذي يحدث عن الثوري وغيره بالمناكير، وهو صاحب المبتدأ والفتوح والبُردَة. والآخر إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي، توفي وهو ضعيف أيضاً. وقال: كذّاب متروك(٢).

وهذه الرواية التي ساقها الواحدي ليست مما يقع عليه الحس حتى يُقال عنها إنها سبب تنزيل للآية. فهي أمر غيبيّ يحتاج إلى دليل قطعي في الثبوت والدلالة حتى يصدق جزماً. وعليه فترد هذه الرواية وتخرج من دائرة أسباب التنزيل.

والقول بأن رضوان عليه السلام نزل بهذه الآية يعارض القطعي الثبوت قطعي الدلالة: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.**[الشعراء]**. فيرد القول دراية.

وأما منطوق الآية فإنه لا يستوعب الرواية، فالآية تعظيم لله تعالى جاءت في معرض الرد على قوم محمد، ﷺ، الذين تمادوا في إنكارهم للنبوة وطلبهم مزيداً من

=للبخاري، ترجمة ٢٣٨٣، ص٢٥٧، م٢، القسم الثاني من الجزء الأول. وانظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ترجمة ٢٢٤٦، ص٥٤٠، م٢.

(١) تهذيب التهذيب، ترجمة ٢٠٠، م٢، ص١٠٦، ص١٠٧.

(٢) انظر الضعفاء والمتروكين، للدارقطني، ترجمة ٩٠، ٩٢، ص١٤١– ص١٤٢. وانظر ميزان الاعتدال ١/ ١٨٤. ولسان الميزان ١/ ٣٥٤. وقال الدارقطني عن الأخير هو في عداد من يضع الحديث.

المعجزات لتدلل على نبوته. فالآية خطاب للرسول النبي،ﷺ، عن موقف قومه من الرسالة وتعظيم لقدرة الله تبارك وتعالى. وعليه فالرواية مفصلة ومختصرة لا تصلح أن تكون سبب تنزيل فضلاً عن عدم صلاحيتها في التفسير. ولذلك تسجل في صحيفة الأباطيل التي يجب أن تُمحى من تاريخ المسلمين.

٧. ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾. [العنكبوت].

قال الواحدي: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي، قال: أخبرنا أبو محمد بن حيان، قال: حدثنا أحمد بن جعفر الجمال، قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد البَجَلي، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا حجاج بن منهال، عن الزهري وهو عبد الرحمن بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عمر، قال: (خرجنا مع رسول الله النبي،ﷺ، حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلقط من التمر ويأكل، فقال: يا ابن عمر، مالك لا تأكل؟ فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله. فقال: لكني أشتهيه وهذه صبيحة رابعة لم أذق طعاماً، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يَخْبَؤون رزق سنتهم، ويَضْعُفُ البقية، قال: فوالله مابرحنا حتى نزلت)(١) (الآية).

وقال البغوي في تفسيره:

(.... وذلك أن النبي قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٥٨، ص٣٥٩، طبعة دار القبلة، تحقيق سيد صقر- وانظر لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص١٧٠ ص١٧١. والدر المنثور، ج٢١، م٦، ص٤٧٥، وقد زاد السيوطي بعد ذلك نقلاً عن ابن كثير: فقال رسول الله،ﷺ: "إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً، ولا أدخر رزقاً لغد". تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٢٠. وانظر تفسير القرطبي، ج١٣، ص٣٥٩، وقد ذكر الرواية أبو حيان في البحر المحيط مختصرة ج٧ ص١٥٨. وانظر معالم التنزيل للبغوي، ج٣، ص٤٧٣، وزاد فيه: وبقيت في حثالة من الناس.

المشركون: "هاجروا إلى المدينة، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ ﴾(1).

وقال الخازن: (قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة)(2). وقيل: (نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج)(3).

دراسة الروايات وتمحيصها

الرواية الأولى لا تصلح أن تكون سبب تنزيل لعدم المزامنة بينهما، فالسورة والآيات مكيّة. وقد نزلت سورة العنكبوت بمكة، والرواية واضح فيها أن وقائعها حدثت في المدينة.

قال السيوطي في اللباب، وفي الدر المنثور، في هذه الرواية: أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، بسند ضعيف. فالرواية تجمع ضعف السند إلى عدم المزامنة. وإذا نظرت في السند تجد أن مصدر التحديث هو حجّاج بن منهال، قال ابن كثير: (هذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف)(4). وقد ذكره النسائي في كتاب الضعفاء والمتروكين، وقال عنه: متروك الحديث(5). وقال محقق الكتاب: قال أحمد: كان صاحب غفلة. وقال مسلم: منكر الحديث. قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان: كان يكذب في الحديث، ويشرب الخمر، مات سنة ١٦٧هـ(6).

---

(١) تفسير البغوي، ج٣، ص٤٥٤. مجمع البيان للطبرسي. ونقل ذلك عن مقاتل والكلبي، ج٧، ص٤٥٥. وروح المعاني للألوسي، ج٢١، ص١١.

(٢) تفسير الخازن، ج٣، ص٤٥٤. مجمع البيان للطبرسي، ونقل ذلك عن مقاتل والكلبي، ج٧، ص٤٥٥.

(٣) تفسير الخازن، ج٣، ص٤٥٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٢٠، وهو الجرّاح بن منهال أبو العطوف الجزري.

(٥) الضعفاء والمتروكين للنسائي، تحقيق بوران الصناوي وكمال يوسف الحوت، ترجمة ١٠٥، ص٧٣.

(٦) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وحجاج بن منهال هو الجراح بن منهال[1]. وهو أبو العطوف الجزري، قال ابن كثير: الجراح بن منهال الجزري- هو أبو العطوف- عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال... الرواية بطولها وبالزيادة التي نقلها السيوطي[2]. وعليه فالرواية عن متروك الحديث لا يُعتد بها.

وإذا أنعمنا النظر في الرواية نجدها تعارض المتفق عليه عن الشيخين، وهي أن الرسول، ﷺ، كان يدخر لأهله قوت سنتهم. قال القرطبي بعد أن ذكر الرواية: (وهذا ضعيف يُضْعِفُه أنه عليه السلام كان يدخر لأهله قوت سنتهم، اتفق البخاري عليه ومسلم. وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة، وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين)[3].

وبذلك يكون قد انتقض عرى ثلاثة شروط من شروط رواية أسباب التنزيل فترد الرواية. ولذلك لم يذكر الطبري والرازي سبباً لنزولها. ويؤكد هذا ما ذكره ابن كثير بعد شرح الآية فقد جعل الرواية مثالاً فقال: (ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك، فوجدوا خير المنزلين هناك أصْحِمة النجاشي ملك الحبشة، رحمه الله تعالى، فآواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوماً[4] ببلاده. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله، ﷺ، والصحابة

---

(١) هو غير حجّاج بن المنهال الأنماطي أبو محمد السلمي وقيل البرساني مولاهم البصري، فقد روى له الستة. انظر تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٨٢، ترجمة ٣٨٣، ت٢١٧، وانظر الكاشف للذهبي، ج١، ترجمة ٩٥٣، ص١٤٩.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٢٠.

(٣) تفسير القرطبي، ج١٣، ص٣٦٠. وانظر صحيح البخاري، كتاب النفقات، ٦٩، باب ٣، حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله. وفيه أن عمر رضي الله عنه روى عن النبي، ﷺ، أنه كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم.

(٤) أرسلهم. انظر مادة سوم، في القاموس المحيط، للفيروز أبادي.

الباقون، إلى المدينة النبوية، يثرب، المطهرة)[1]. وهذا الذي ذكره ابن كثير هو الصواب فهو شرح للآية واستشهاد، ولتوضيح المعنى، وليس سبباً لنزولها. أما بقية الروايات فليس لها سند حتى يبحث فيه. ولكن المتن يغاير ما كان عليه واقع الصحابة حيث أنهم كانوا يستأذنون الرسول النبي،ﷺ، بالهجرة لأنهم لم يطيقوا أذى المشركين، فرخص لهم رسول الله النبي، ﷺ، بالهجرة. ولم يرد، فيما أعلم، أن رسول الله،ﷺ، قد طلب منهم الهجرة ابتداء. واحتجاجهم في الرواية على كيفية الحصول على لقمة العيش إذا هاجروا يعطي عكس الصورة المعهودة عن صحابة رسول الله، ﷺ، لا سيما أن عقيدة الرزق واضحة عند الصحابة لا مجال للشك فيها. ورواية أخرى تفيد أن الآية نزلت بعد الهجرة حيث قال: (تخلفوا عن الهجرة). وهذا فيه بُعْدُ المزامنة فَتُقْصى كذلك هذه الروايات من أسباب النزول وتكون الآية لا سبب محدداً لنزولها.

وأما القَسَمُ في الرواية، (فوالله ما برحنا حتى نزلت). وعند ابن كثير: (فوالله ما برحنا ولا أرحنا حتى نزلت)، فلا يدل على شي في سبب التنزيل. وقد سبق أن عقدنا مبحثاً مفاده أنه لا توجد ألفاظ معينة تدل على سبب التنزيل حتى لو كانت قسماً. قال عبد الوهاب غزلان: (والتعبير بمادة النزول لا يعطي العبارة شيئاً تمتاز به عن غيرها من العبارات ويجعل لها حكم الرفع)[2]. أي أن التعبير بمادة نزلت هو: مثل التعبير بدّلت الآية على كذا، أو أي عبارة تؤدي هذا المعنى.

وخلاصة القول: إن الآية نزلت ابتداء، ولم تثبت رواية في سبب نزولها. والله أعلم.

٨. ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾. [التوبة].

قال الواحدي: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، قال: حدثنا أبو عمران موسى بن سهل الجوني، قال:

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤١٨.

(٢) البيان في مباحث من علوم القرآن- الشيخ عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، ص١٠٦، مطبعة دار التأليف بمصر ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.

حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا محمد بن شعيب، قال: حدثنا معان[1] بن رفاعة السلاّمي، عن أبي عبد الملك علي بن يزيد، أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي:

(أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله،ﷺ، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله،ﷺ،: "ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه". ثم قال مرة أخرى: "أما ترضى أن تكون مثل نبي الله، فوالذي نفسي بيده، لو شئت أن تسيل معي الجبال فضة وذهباً لسالت"، فقال: والذي بعثك بالحق [نبياً] لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأوتين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله،ﷺ،: "اللهم ارزق ثعلبة مالاً". فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، ونزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة. فسأل رسول الله،ﷺ، فقال: "ما فعل ثعلبة؟" فقالوا: اتخذ غنماً وضاقت عليه المدينة وأخبروه خبره. فقال: "يا ويح ثعلبة -ثلاثاً-" وأنزل الله عز وجل﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾. وأنزل فرائض الصدقة، فبعث رسول الله،ﷺ، رجلين على الصدقة- رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم. وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما: مرّا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما. فخرجا حتى أتيا

---

(١) ذكر الواحدي أن اسمه معاذ بالذال، وكذلك نسخة د. سيد صقر. وكذلك الطبري، ج١٠، ص١٨٩ . وهو خطأ. والصواب معان بالنون وضم أوله وتخفيف المهملة. انظر تهذيب التهذيب، ج١، ص١٨١، ترجمة ٣٧٦. وانظر الكاشف للذهبي، ج٣، ص١٣٧، ترجمة ٥٦١٢. وهو معان بن رفاعة السلامي أبو محمد الدمشقي ويقال الحمصي، وهو غير معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي الأنصاري الذي ترجم له البخاري وعدّه من أهل المدينة. انظر التاريخ الكبير للبخاري، م٧، ص٣٦١، ترجمة، ١٥٥٩ طبعة دار الفكر، وانظر الجرح والتعديل للرازي، م٨، ص٤٢١، ترجمة، القسم الأول من المجلد الرابع ١٠١٩، طبعة ١٩٥٣.

ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله،ﷺ، فقال ثعلبة: ما هـذه إلاّ جزيـة! مـا هذه إلاّ أخت الجزية! ما أدري ما هذا! انطلقا حتى تفرغـا ثـم تعـودا إلـيّ. فانطلقـا وأخبرا السلمي. فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلهـا للصـدقة، ثـم اسـتقبلهم بهـا فلمـا رأوها قالوا: ما يجب عليك، وما نريد أن نأخذ هذا منك. قال: بلى خذوه، فإن نفسي بذلك طيبة، وإنما هي إبلي. فأخذوها منه، فلما فرغا من صـدقتهما رجعـا حتـى مـرّا بثعلبة فقال: أروني كتابكما (حتى) انظر فيه فقال: ما هذه إلاّ أخـت الجزيـة انطلقـا حتى أرى رأيي. فانطلقا حتى أتيا الـنبي،ﷺ، فلمـا رآهـا قال:"يـا ويـح ثعلبـة" قبـل أن يكلمهما. ودعا للسلمي بالبركة. وأخبروه بالذي صنع ثعلبة والـذي صـنع السـلمي، فأنزل الله عز وجـل الآيـة إلى قولـه:﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾.[التوبـة]. وعنـد رسول الله،ﷺ، رجل من أقارب ثعلبة حتى أتى النبي،ﷺ، فسأله أن يقبل منه صـدقته، فقال: "إن الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك" فجعل يحثو التراب علـى رأسـه. فقـال رسول الله،ﷺ،: "هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني". فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله وقبض رسول الله،ﷺ،: ولم يقبل منه شيئاً ثم أتى أبا بكر حين اسـتخلف فقـال: قد علمت منزلتي من رسول الله،ﷺ، وموضعي من الأنصار، فاقبل صـدقتي فقـال: لم يقبلها،ﷺ، فقبض أبو بكر وأبى أن يقبلها. فلما ولي عمر بن الخطاب أتـاه فقـال: يـا أمير المؤمنين اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلـها رسـول الله،ﷺ، ولا أبـو بكـر وأنـا أقبلـها منك؟ فلم يقبلها وقبض عمر. ثم ولي عثمان فأتـاه فسـأله أن يقبـل صـدقته فقـال: رسول الله،ﷺ، لم يقبلها، ولا أبو بكر، ولا عمر، وأنا أقبلها (منك)؟ فلم يقبلها عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان[1].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٥٢، ص٢٥٤. طبعة دار القبلـة. وانظـر تفسـير الطـبري، والزمخشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن كثير، وأبي السعود، والسـيوطي، والألوسـي وغيرها كثير. ولم يضرب عنها صفحاً إلا النادر كالجصاص في تفسير أحكام القـرآن. هـذا مـن=

وذكر الطبري رواية أخرى تقول: ذكر لنا أن رجلاً من الأنصار وانتهى السند إلى قتادة[1]. وفي رواية ثالثة أنهما رجلان أحدهما ثعلبة والآخر معتب بن قشير. وانتهى السند إلى مجاهد[2].

دراسة الروايات ونقضها:

الدارس لهذه الرواية يجد أنها مصنوعة بإحكام، وليس للواقع منها نصيب. وهي مردودة متناً وسنداً. وبطل القصة بريء مما رُمي به براءة الذئب من دم يوسف، عليه السلام، وإليك البيان.

أولاً: رد الرواية متناً:

١. الآية والسورة نزلت في السنة التاسعة للهجرة. بل في أواخرها في سفر الرسول، ﷺ، إلى تبوك في غزوته المشهورة. وكانت بشأن المنافقين لتفضح مواقفهم ونواياهم الخبيثة. والرسول،ﷺ، قد توفي بعدها بعام واحد. ومعروف أن بطل القصة كان فقيراً جداً فلا يستطيع شراء كثير من الغنم. ومعروف أن الغنم لا تلد إلاّ مرة واحدة في السنة. ومهما كانت الخصوبة في الولادة فلا يمكن أن يحصل على هذه الأعداد الهائلة من الشياه خلال عام أو عامين. بحيث أنها تنمو كالدود. وتمنعه من صلاة الجماعة، ثم الجمعة، ثم جميع الصلوات. ولا يُقال إن قدرة الله عظيمة فيمكن أن يكون وسع لها في رزقه لا يقال ذلك لأن الثراء بهذه الطريقة لا يكون إلاّ بطيئاً. ولا يخترق إلاّ لمعجزة. ولا تكون المعجزات إلاّ للأنبياء. ولو قيل إن نماء أمواله كان عن طريق التجارة لكان الأمر محتملاً. ولكن الرواية لم تحدد هذا السبيل.

=حيث ورودها في كتب التفسير. وأما في كتب السير فكذلك رواها البيهقي في دلائل النبوة ص٢٨٩-٢٩٢ وابن هشام في سيرة النبي،ﷺ، وأما في كتب الحديث فلم ترد قط.

(١) تفسير الطبري، ج١٠، ص١٩٠.

(٢) تفسير الطبري، ج١٠، ص١٩٠.

٢. ورد في القصة نزول آية أخرى وهي: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.**[التوبة:١٠٣]**. وقد أورد السيوطي أنها نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك دون عذر وندموا، فتاب الله عليهم. فعرضوا أموالهم صدقة مبالغة في التوبة. فهي ليست في الزكاة. وهذا يزيدنا يقيناً أن الآيات نزلت في النصف الثاني من السنة التاسعة للهجرة مما يساهم في رد الرواية.

٣.السياق القرآني للآيات يرد هذه القصة، لأن الآيات تتحدث عن المنافقين وليست عن جباية الزكاة، وخرص الثمار، وتقدير الزكاة على الغنم والتجارة، وغيرها. فمنطوق الآية لا يستوعبها كذلك. وأكثر من هذا فإن الآية تعقيب على واقع بطل الرواية بقوله تعالى: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾.**[التوبة]**. والرواية تُري أن بطل القصة تاب توبة نصوحاً "فجعل يحثو التراب على رأسه" أمام الرسول، ﷺ، ندماً على فعلته. ومعاودته عرض الصدقة مرة ثانية على أبي بكر، وثالثة على عمر، ورابعة على عثمان مع تراخي الزمن بين كل مرة وأُخرى. إن هذا كله ليدل على أن الرجل قد تاب توبة صادقة ولم يعقب النفاق في قلبه بل الندم والتوبة. فالنص نفسه يرد الرواية أن تكون هي سبب نزول الآية.

٤.إن سورة النساء نزلت قبل سورة التوبة وفيها: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾. **[النساء]**. فمن رحمة الله على البشر أنه تعالى فرض على نفسه قبول توبة العبد حتى لو بلغت معصيته درجة الكفر. فرفض توبة هذا الرجل يعارض هذا النص القطعي في ثبوته وفي دلالته فترد هذه الرواية كذلك لمعارضتها القطعي.

٥. لقد درج رسول الله، ﷺ، على معاملة المنافقين على الظاهر مع علمه بآحادهم. وقد صلى على عبد الله بن أبي كبير المنافقين، وأعطى قميصه، ﷺ، ليكفن فيه

رأس النفاق[1] مع أن تاريخ حياته حافل بالمواقف السلبية ضد المسلمين ومنها انسحابه بثلث الجيش في أحد، وتحالفه مع اليهود تارة ومع قريش أخرى. وجاء بالإفك الذي اختلقه. ومع ذلك لم يقف الرسول،ﷺ، منه مثلما وقف من ثعلبة على فرض أنه منافق. فهذا الموقف لا ينسجم مع مواقفه،ﷺ، من المذنبين التائبين.

٦. إن ثعلبة بن حاطب هو صحابي جليل من أهل بدر[2]. وقد ثبت في الصحيحين أن الرسول، ﷺ، قال في حاطب بن أبي بلتعة صاحب كتاب التجسس لصالح كفّار مكة، قال بعدما سمع اعتراف حاطب: "صدق، ولا تقولوا له إلاّ خيراً".

فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، وفي رواية مسلم: عنق هذا المنافق[3]. فقال، ﷺ،: "أليس من أهل بدر؟" فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: "اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة- أو فقد غفرت لكم-" فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم[4].

وفي صحيح مسلم عن جابر: (أن عبداً لحاطب جاء رسول الله،ﷺ، يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار! فقال رسول الله،ﷺ،: "كذبت لا

---

(١) انظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، الأثر ٤٦٧٠، ٤٦٧١ ، كتاب التفسير، باب استغفر لهم. أولا تستغفر لهم وانظر صحيح مسلم، بشرح النووي، م٩، ج١٧، ص١٢١. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، طبعة دار الفكر.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، م٣، ص٤٦٠. وقال: (وآخى رسول الله،ﷺ، بين ثعلبة بن حاطب ومعتب ابن الحمراء من خزاعة، حليف بني مخزوم، وشهد ثعلبة بن حاطب بدراً وأحد)، وانظر سيرة ابن هشام، ج٢، ص٦٨٨، من القسم الأول، ط٢، تحقيق السقا والأبياري وشلبي. ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ص٤٠٠. القسم الأول.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر، م٨، ج١٦، ص٥٦.

(٤) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، الحديث ٣٩٨٣، ج٧، ص٣٠٤.

يدخلنها فإنه شهد بدراً والحديبية"(1). وإن: تفيد التعليل كما قال علماء أُصول الفقه. فجعل الرسول،ﷺ، شهود بدر والحديبية علة لدخول الجنة، ومانعاً من دخول النار. فجمعيهم مبشرون بالجنة، فكيف تقبل رواية تستثني فرداً ممن شهد بدراً، وكان يعرف بحمامة المسجد؟!!.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله،ﷺ،: "لا تسبوا أصحابي فوا الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه"(2). فكيف بأن نوصمهم بالنفاق أو الفسق(3)؟!

٧. لقد تعددت الروايات فيمن نزلت الآية بشأنه، فمنها وهو الأشهر، أنها في ثعلبة بن حاطب، ورواية أخرى في رجل من الأنصار، وغيرها في رجلين من الأنصار، ورابعة في المنافقين دون تعيين عدد أو فرد معين(4). وخامسة في منافقين معينين وهم: نبتل بن الحارث، ومعتب بن قشير، والجد بن قيس(5). وقد ذكر ابن العربي أنها نزلت في شأن مولى لعمر قتل حميماً لثعلبة، فوعد إن وصل إلى الدية أن يخرج حق الله فيها، فلما وصلت إليه لم يفعل ذلك. وذكر أن ثعلبة كان له

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، فضائل حاطب بن أبي بلتعة، وأهل بدر، م٨، ج١٦، ص٥٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، باب تحريم سب الصحابة، ج١٦، م٨، ص٩٢.

(٣) كما زعم أن آية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات]، قد نزلت في أحدالصحابة وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط. انظر تحقيقنا في أسباب دخول الدخيل لروايات أسباب التنزيل، وانظر تحقيق العواصم، من القواصم لابن العربي، ص٩٨. وما بعدها لغاية ص١١٠. بعنوان (وصحابة آخرون مفترى عليهم كذلك).

(٤) انظر تفسير الطبري، م٦، ج١٠، ص١٨٨ ما بعدها. وانظر كتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، لعداب محمود الحمش، ص٩٥، وما بعدها، وص ١٠٩ وما بعدها.

(٥) هؤلاء جميعاً ليسوا منافقين، انظر سيرة ابن هشام، ج٢، ص٥٢٢، ط٢، ١٩٥٥م. وانظر عنوان صحابة آخرون مفترى عليهم، من كتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، لعداب محمود الحمش، ص١٢٧.

مال بالشام فنذر إن قدم من الشام أن يتصدق منه، فلما قدم لم يفعل[1]. وقال الرازي: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة[2]. حيث أبطأ ماله بالشام.

واختلاف الروايات يدل على عدم ثبوت الأمر في رجل معين، مما يدل كذلك على عدم ثبوتها سبباً للنزول.

٨. إن تاريخ وفاة ثعلبة مجهول، فقيل استشهد في أُحد[3]. وقيل استشهد في غزوة خيبر. والرواية التي نحن بصدد دراستها تقول إنه هلك في عهد عثمان. وهي رواية ضعيفة السند، كما سيأتي فلا تقوم بها حجة.

٩. لقد تواتر عن أبي بكر الصديق أنه حارب مانعي الزكاة، واشتهر أمره بحروب الردة، واقترن اسمه بها، كما اشتهرت مقالته: "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله، ﷺ، لقاتلتهم عليه" فكيف يصدق عليه القول برفض الزكاة من ثعلبة لو صحت الرواية؟! إنه تناقض ظاهر لا يستقيم أمره إلاّ برد الرواية ضعيفة السند مردودة المتن[4].

١٠. إذا نظرنا إلى طريقة القرآن في معالجة من فعل معصية وارتكب إثماً فإنها تختلف اختلافاً بيناً بين المؤمنين وبين المنافقين والكافرين. ففي أهل بدر وغيرهم من الصحابة جاء الخطاب بصيغة المؤمنين. وهي صيغة تختلف عمّا ورد بشأن المنافقين. ففي قصة حاطب بن أبي بلتعة قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾.**[فاتحة سورة الممتحنة]**. الآية. وقد وردت قصته رضي الله عنه في الصحيحين. ولكن ورد

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي، القسم الثاني، ص٩٦٨، طبعة عيسى البابي الحلبي الثانية.

(٢) التفسير الكبير للرازي، ج١٦، ص١٣٨، طبعة طهران الثانية.

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج١، ص٤٠٠. وانظر أسد الغابة لابن الأثير، ج١، ص٢٨٠.

(٤) ذكر هذا المعنى عداب محمود الحمش في كتابه الصحابي المفترى عليه ص١١٩.

بشـأن المنـافقين: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.[التوبة:٤٢]. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾. [التوبة].

إلى أن يصل السياق للآية التي نحن بصددها: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ .[التوبة]. وفي هذه السورة كذلك قبل الرسول، ﷺ، من المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو، وفرض عقوبة على المؤمنين الثلاثة الذين اقترفوا الإثم نفسه[1]. وهذه الطريقة يمكن أن[2] تستقرأ في القرآن كله، وأن تفرد في بحث مستقل ليعلم الناس أنه يجب التفريق بين المؤمنين والكافرين. ويندرج المنافقون تحت الكافرين. ومن إدراك هذه الطريقة تدرك أن الآية ليست في المؤمنين، وإنما هي في المنافقين. فلا تشمل ثعلبة بن حاطب، ولا من كان من صحابة رسول الله، ﷺ.

١١. إن جهابذة علماء الجرح والتعديل قد رووا هذه الرواية:

أ. قال ابن هشام، ت٢١٨ هـ، بعد أن أورد أسماء من بنى مسجد الضرار: (معتِّب

---

(١) هم: كعب بن مالك، وهلال بن أُمية، ومرارة بن الربيع، ونزل فيهم الآيات: ١١٧، ١١٨ من سورة التوبة.

(٢) وانظر الآية ٢٧ من سورة الأنفال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وانظر سبب نزولها وهو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري في حصار الرسول، ﷺ، يهود قريظة، إحدى وعشرين ليلة، فكشف أبو لبابة حكم سعد بن معاذ فيهم فأشار لليهود إلى نحره أنه الذبح. وبذلك خان الله ورسوله، فندم وتاب وربط نفسه بسارية المسجد. ومكث سبعة أيام لا يذوق شيئاً حتى خرّ مغشياً عليه، ونزل من السماء قبول توبته فحله رسول الله، ﷺ. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، وسيرة ابن هشام، وكتب التفسير المختلفة ومنها الطبري، وابن كثير، والبغوي، والخازن، وغيرها. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ولباب النقول والدر المنثور للسيوطي.

بن قشير، وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهم من بني أمية بن زيد، وليسوا من المنافقين، فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم. وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر) [١].

ب.قال علي بن أحمد بن حزم، ت٤٥٦هـ، في نقد متن وسند هذه الرواية: (وهذه صفة أوردها الله تعالى يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه، وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه. على أنه قد روينا أثراً لا يصح، وفيه إنها في ثعلبة بن حاطب. وهذا باطل. لأن ثعلبة بدري معروف وسند هذا الأثر: ناه حمام، نا يحيى بن مالك بن عائذ، نا الحسن بن أبي غسان، نا زكريا بن يحيى الباجي، نا سهل السكري، نا أحمد بن الحسن الحزاز، نا مسكين بن بكير، نا معان بن رفاعة السلامي، عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، قال: جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته إلى عمر فلم يقبلها وقال: لم يقبلها النبي،ﷺ، ولا أبو بكر ولا أقبلها. قال أبو محمد: وهذا باطل بلا شك لأن الله تعالى أمر بقبض زكوات أموال المسلمين وأمر عليه السلام عند موته أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلماً ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك، و إن كان كافراً ففرض أن لا يقر في جزيرة العرب فسقط هذا الأثر بلا شك. وفي رواته معان بن رفاعة، والقاسم ابن عبد الرحمن، وعلي بن يزيد وهو عبد الملك الألهاني- وكلهم ضعفاء. ومسكين بن بكير ليس بالقوي)[٢].

ج.قال الحافظ بن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة: (ت٨٥٢هـ) وفي كون صاحب هذه القصة- إن صح الخبر، ولا أظنه يصح- هو البدري المذكور قبله- نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي: إن البدري

---

(١) انظر سيرة ابن هشام، ص٥٢٢، القسم الأول، الجزء الثاني، ط٢، ١٩٥٥م.

(٢) المحلّى لابن حزم، م٨، ج١١، ص٢٠٧ ص٢٠٨. وانظر تفسير القرطبي، م٨، ص٢٠٩ ص٢١٠.

استشهد بأُحد). وقال: (وقد ثبت أنه ﷺ قال: لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية). وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه، وينزل فيه ما نزل)[١].

ثانياً: نقد سند الرواية:

أ. قال البيهقي، بعد أن ذكر القصة مفصلة بسندها عن أبي أمامة الباهلي: (هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير. وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف)[٢].

ب. قال الهيثمي: (رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد وهو متروك)[٣].

ج. قال ابن حجر في كتابه الكافي الشافِ في تخريج أحاديث الكشاف: (الطبراني والبيهقي في الدلائل والشعب، وابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أمامه. وهذا إسناد ضعيف جداً فقال السهيلي عن ابن إسحاق: ثعلبة بن حاطب فمن البدريين)[٤].

د. قال أحمد شاكر في هذا الأثر: (وهو ضعيف كل الضعف ليس له شاهد من غيره. وفي بعض رواته ضعف شديد)[٥].

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ص٤٠١، ج١، وانظر أسد الغابة لابن الأثير، ج١، ص٢٨٠.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي، ج٥، ص٢٩٢، ط١، خرج أحاديثه عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، وانظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، م٤، ص٥٢٦، ص٥٢٧، برقم ٦١٥٣طبعة دار الفكر، ط٢، ١٩٧٢م.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- نور الدين الهيثمي، ج٧، من المجلد الرابع، تفسير سورة براءة، ص٣١، ص٣٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

(٤) تفسير الكشاف، في نهايته، من كتاب الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر، ص٧٧. وانظر تخريج أحاديث الكشاف للحافظ العراقي، م٣، ص٢٦٦، وانظر ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، لعداب محمود الحمش، ص١٢٣.

(٥) تفسير الطبري، ج١٤، ص٣٧٣، طبعة دار المعارف بمصر تحقيق أحمد شاكر.

وإذ نظرنا في رجال السند نجد أن مدار الرواية يدور على ثلاثة هم: معان بن رفاعة السلمي، وعلي بن يزيد الألهاني، والقاسم بن عبد الرحمن. **وإليك موجزاً عن كل:**

١. **معان بن رفاعة السلمي:** قال الرازي عن أحمد بن حنبل: (يكتب حديثه ولا يحتج به)[١]. وفي التقريب: (لين الحديث كثير الإرسال)[٢]. وقال الذهبي في الكاشف: (قال يحيى: ضعيف)[٣]. وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (قال الدوري عن ابن معين: ضعيف)، وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: سئل ابن معين عن عثمان بن عطاء، ومعان بن رفاعة، وسعيد بن بشير، فقال: كل هؤلاء ضعفاء. وقال الجوزجاني: ليس بحجة. وقال ابن حبان: منكر الحديث، يروي مراسيل كثيرة، ويحدث عن أقوام مجاهيل لا يشبه حديثه حديث الأثبات فلما صار الغالب في رواياته ما ينكره القلب استحق ترك الاحتجاج به. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. قلت: قرأت بخط الذهبي مات مع الأوزاعي تقريباً، وهو صاحب حديث ليس بمتقن. وقال أبو الفتح الأسدي: لا يحتج به. هذا وقد ورد في توثيقه عن أحمد، كما نقل محمد بن عوف، لم يكن به بأس، ومثله مهنا عن أحمد. وقال علي بن المديني: ثقة قد روى عنه الناس. وقال عثمان الدارمي عن دحيم: ثقة. وقال الآجري عن أبي داود: ليس به بأس)[٤].

مما سبق يتبين لنا أنه لا يحتج بحديثه لأن ابن حبان وابن عدي قد بيّنا سبب تضعيفه.

---

(١) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، ص٤٢٢، ج٤، قسم١، م٨، ترجمة ١٠١٩، وانظر الكاشف للذهبي، ج٣، ص١٣٧، ترجمة ٥٦١٢.

(٢) تقريب التهذيب، لابن حجر، ص٢٥٨، م٢.

(٣) الكاشف للذهبي، ج٣، ص١٣٧، ترجمة ٥٦١٢.

(٤) تهذيب التهذيب، لابن حجر، م١٠، ترجمة ٣٧٦، ص١٨١ ص١٨٢. وقد سبق أن بيّنا خطأ من نقل أن اسمه معاذ لأنه غير معاذ بن رفاعة بن رافع الأنصاري. انظر تهذيب التهذيب ترجمة ٣٥٥، ج١٠، ص١٧٢.

٢.علي بن يزيد بن أبي هلال الألهاني: ويقال الهلالي أبو عبد الملك، ويقال أبو الحسن الدمشقي. قال البخاري: منكر الحديث[١].

وقال ابن أبي حاتم الرازي: نا عبد الرحمن قال: سألت أبي عن علي بن يزيد فقال: ضعيف الحديث، وحديثه منكر[٢]. وقال ابن حجر: وقال محمد بن عمر، قال يحيى بن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ضعاف كلها. وقال يعقوب: علي بن يزيد: واهي الحديث، كثير المنكرات. وقال الترمذي والحسن بن علي الطويسي: يضعف في الحديث. وفي موضع آخر، قد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال في موضع آخر: متروك الحديث[٣]. وقال الإمام الذهبي: ضعفه جماعة ولم يترك[٤]. وقال ابن حجر في التقريب: ضعيف[٥]- وهكذا لم أجد من وثقه، أو ذكره بخير، فيكون منكر الحديث، ضعيف، ولا يحتج بروايته. وكما قال يحيى بن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ضعاف كلها.

٣.القاسم بن عبد الرحمن الشامي[٦]: أبو عبد الرحمن الدمشقي مولى آل أُبي بن حرب الأموي.

أثنى عليه البخاري، وقال: أدرك أربعين بدرياً. وقال الرازي: قال أبو بكر الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ذكر حديثاً عن القاسم الشامي، عن أبي أمامة، عن النبي،ﷺ، في أن الدباغ طهور فأنكره وحمل على القاسم، وقال: يروي

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري، م٦ ، القسم الثاني من الجزء الثالث، ص٣٠١، ترجمة ٢٤٧٠.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، م٦، ص٢٠٩، ترجمة ١١٤٢، ط الأولى، ١٩٥٢م.

(٣) تهذيب التهذيب، ص٢٤٦، ص٢٤٧، م٧، ترجمة ٦٤٢.

(٤) الكاشف للذهبي، ج٢، ص٢٥٩، ترجمة ٤٠٤٥.

(٥) تقريب التهذيب لابن حجر، ص٤٦، م٢، ترجمة ٤٣٠.

(٦) التاريخ الكبير للبخاري، م٧، ص١٥٩، ترجمة ٧١٢، القسم الأول من الجزء الرابع.

علي بن يزيد عنه أعاجيب وتكلم فيهما. وقال: ما أرى هذا إلاّ من قِبَل القاسم[١]. وقال الذهبي: لم يسمع من صحابي سوى أبي أُمامة، وهو صدوق[٢] . وقال ابن حجر في التقريب: صاحب أبي أمامة صدوق يرسل كثيراً[٣]. وقال في تهذيب التهذيب: قال البخاري: روى عنه العلاء بن الحارث، وابن جابر، وكثير بن الحارث، وسليمان بن عبد الرحمن أحاديث مقاربة[٤]. وأما من يتكلم فيه مثل جعفر بن الزبير، وبشر بن نمير، وعلي بن يزيد، وغيرهم ففي حديثهم عنه مناكير واضطراب. وقال جعفر بن محمد بن أبان الحراني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أرى البلاء إلاّ من القاسم. وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين: القاسم ثقة، والثقات يروون عنه هذه الأحاديث ولا يرفعونها. ثم قال: يجيء من المشائخ الضعفاء ما يدل حديثهم على ضعفه. وقال العجلي: ثقة يكتب حديثه وليس بالقوي. وقال يعقوب بن سفيان والترمذي: ثقة. وقال الجوزجاني: كان خياراً فاضلاً أدرك أربعين رجلاً من المهاجرين والأنصار. وقال أبو حاتم: حديث الثقات عنه مستقيم لا بأس به وإنما ينكر عنه الضعفاء. وقال الغلابي: منكر الحديث. وقال يعقوب بن شيبة: ثقة. وقال في موضع آخر: قد اختلف الناس فيه. قال ابن حجر: قلت: قال ابن حبان: كان يروي عن الصحابة المعضلات[٥].

وخلاصة القول: إنه مختلف فيه، وأقوى الآراء رأي البخاري: أنه يروي عن الثقات أحاديث مقاربة. فما كان له شاهد أخذ به وتوبع عليه، وإلاّ فلا يحتج بحديثه، لأنه كما قال ابن حبان: كان يروي عن الصحابة المعضلات، قال عداب محمود

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، م٧، ص١١٣، ترجمة ٦٤٩.

(٢) الكاشف للذهبي، م٢، ص٣٣٧، ترجمة ٤٥٨٧.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر، ص١١٨، م٢، ترجمة ٢٩، من حرف القاف.

(٤) معنى يروي عن الثقات أحاديث مقاربة، أي: يعتد بحديثه في الشواهد والمتابعات، ولا يحتج بانفراده.

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر، م٨، ص٢٨٩- ص٢٩١، ترجمة ٥٨٣، طبعة دار الفكر.

الحمش بعد أن ترجم لرواة هذا الأثر: فإسناد هـذا الحـديث فيـه: معـان بـن رفاعـة، وعلي بن يزيد، والقاسم بن عبد الرحمن، وقد تفرد به القاسم عن أبي أُمامة، وتفرد به علي بن يزيد عن القاسم، وتفرد به معان عن علي بن يزيد. فالحديث منكر جـداً، إذ لا يقبل تفرد واحد منهم[1].

وبذلك نطوي صفحة هذه الرواية التي اشتهر أمرهـا عنـد المفسـرين، وذكرهـا جلهم حتى أن ابن كثير ذكرها دون تعليق. وقال ابن العربي وهي أصـح الروايـات. وقال الرازي والمشهور في سبب نزول هذه الآية هو ثعلبة. وذكر ا لرواية ولم يفنـدها. وقـال بهـا الشـيخ محمـد السـيد طنطـاوي في التفسـير الوسـيط، رغـم أنـه أشـار إلى ضعفها[2]. فهي رواية مدسوسة علـى أسـباب التنزيـل، سـاقطة متنـاً وسـنداً، فبطـل الرواية صحابي جليل مـن أهـل بـدر لا يجـوز أن يـرد في حقـه مثـل هـذه الروايـة. **والصواب في المسألة**، عندي، أن الآيـة لا يوجـد لهـا سـبب تنزيـل محـدد، والتـزامن معدوم، والسند غير صحيح، والرواية مردودة متناً، فلم تتحقق الأُطر التي لا بد منهـا لاعتماد الرواية فترد الرواية وتمنع من دخول دائرة أسباب التنزيل. كما تحجـب عـن دخول دائرة التفسير لأن فيها افتراء على بدري من صحابة رسول الله ﷺ. وإذا نظرنا إلى سياق الآيات في سورة التوبة نجد أنها تتحدث عن المنافقين ابتداء من الآية الثانيـة والأربعـــــين: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ واستمرت حتى قبـل نهايـة السـورة بـآيتين اثنـتين. ففـي الآيـة التاسـعة والأربعـين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ وفي الآية الثامنة والخمسين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ وفي الآية

(١) ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه لعداب محمود الحمش، ص١٠٥.

(٢) انظر في تفاسير هؤلاء في سورة التوبة، آية ٧٥، وقـد أوردهـا كـذلك الشـوكاني، وكأنـه يراهـا صحيحة، ج٢، ص٣٨٦، وسبقه الطبرسي بمثل ذلك في مجمع البيان، ص٨١، ج٥.

الحادية والستين﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ ﴾.[التوبة]. ثم صرح باسم المنافقين والمنافقات ست مرات، في ثلاث آيات، واستمر الحديث حتى بلغ الآية التي نحن بصددها. ثم استمر الحديث إلى قبيل نهاية السورة، فهي أطول سورة تحدثت عن المنافقين. وسبرت غور نفسياتهم، ووضحت طبائعهم، وفضحت مواقفهم، وكشفت نواياهم الخبيثة ولم يكن الحديث عن صحابي قط، ولا عن شخص معين ويؤكد ذلك أن الآية ابتدأت بحرف العطف الواو وبضمير الغائب "ومنهم" أي بعضهم وهم المنافقون. وثعلبة ليس منهم حسبما دللنا عليه سابقاً. وبمثل ذلك نقول عن بقية أهل بدر(١). وعليه تكون الرواية قد فقدت شروط صحة الرواية المعتبرة في أسباب التنزيل فترد ولا تدخل في زمرة أسباب التنزيل ولا في التفسير. قال عداب محمود الحمش: ومما يؤكد تهافت الرواية هو عدم ورودها في كتب الحديث الصحاح أو المسانيد أو السنن. وشهرتها عمت لكونها تتعلق بحكم شرعي وهو مانع الزكاة(٢).

٩. ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾.[آل عمران].

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: إن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله، ﷺ،كانوا إذا خرج رسول الله،ﷺ، إلى الغزو تخلفوا عنه، فإذا قدم اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت الآية(٣).

---

(١) أمثال الوليد بن عقبة بن أبي معيط. والجد بن قيس الأنصاري، ومعتب بن قشير، ونبتل بن الحارث. ومن أراد المزيد فعليه بكتاب العواصم من القواصم لابن العربي، وكتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، لعداب محمود الحمش.

(٢) بتصرف من كتاب ثعلبة الصحابي المفترى عليه، ص١١٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٥٦٧، ج٨، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧، ص١٢٣، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. و انظر أسباب نزول القرآن=

وروى البخاري عن إبراهيم بن موسى، عن هشام، وروى مسلم عن زهير بن حرب، عن حجّاج، كلاهما عن ابن جريج، قال ابن عباس: جواباً لسؤال مروان بن الحكم عن الآية: مالكم ولهذه إنما دعا النبي،ﷺ، اليهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾.**[آل عمران:١٨٧]**[١]. وهناك روايات أخرى نعرض لها في دراسة الروايات.

دراسة الروايات:

لقد اكتفيت بتسجيل أصح روايتين في هذا الموضوع. الأولى تنسب سبب النزول للمنافقين. والثانية تنسبه لليهود. ولم تذكر أي رواية حدثاً معيناً، أو واقعاً محدداً نزلت الآية بشأنه، ولكن الروايات ذكرت أمراً عاماً مما يدل على أن الروايتين تتعلقان بالتفسير لا بسبب التنزيل. لأن أهم سمة لسبب التنزيل أنها وقعت حادثة معينة أو طرح سؤال[٢] محدد، وقد خلت الروايتان من هذا التحديد. ولذلك لا يعتد بهما في موضوع أسباب التنزيل، وتدخل من باب عريض في موضوع التفسير. والذي يزيد هذا الرأي قوة ما يلي:

=للواحدي، ص١٣١. ولباب النقول للسيوطي، ص٥٦. ورواه الطبري برقم ٨٣٣٥، ص٤٦٥، م٧، تحقيق أحمد شاكر. وغيرها.

(١) المصدر السابق في الصحيحين. الحديث ٤٥٦٨ في صحيح البخاري. وفي صحيح مسلم، ص١٢٣، ج١٧، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، وفيهما قصة مروان بن الحكم وأنه أرسل رافعاً إلى ابن عباس، وأنها نزلت في اليهود. وأخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير سورة آل عمران رقم ٣٠١٤. والحاكم في المستدرك، ج٢، ص٢٩٩ كتاب التفسير، والإمام أحمد في مسنده، ج١، ص٢٩٨. وأخرجه الطبري في الأثرين ٨٣٤٨-٨٣٤٩ ص،٤٧٠، م٧، النسخة المحققة. تفسير البغوي، ص٣٨٤، ج١. وانظر التفاسير الأخرى.

(٢) انظر تعريف سبب التنزيل في الاصطلاح في الفصل الأول من هذه الرسالة.

أ. بخصوص اليهود فقد وردت روايات كثيرة تحدد الذي فعلوه وفرحوا به.

أي السبب الذي من أجله استحقوا الوعيد. وهي:

١. كتمانهم ما سألهم عنه الرسول،ﷺ، وإخبارهم بغيره.

٢. كتمانهم صفة الرسول،ﷺ، وادعاؤهم أنهم على دين إبراهيم، وفي رواية كتمانهم اسم الرسول، ﷺ،.

٣. كتبهم إلى يهود الأرض أن محمداً ليس بنبي، واجتماع كلمتهم على الكفر به، وزعمهم أنهم أهل عبادة.

٤. فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة، ويحبون أن يقول لهم الناس علماء، ولم يحملوا العلم على الهدى والحق.

٥. لأن أهل الكتاب حكموا بغير الحق، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وفرحوا به.

٦. قوم من اليهود أظهروا النفاق للنبي،ﷺ، محبة منهم للحمد، والله عالم منهم خلاف ذلك.

٧. إنهم يهود خيبر، زعموا أنهم ردء للرسول،ﷺ، فأكذبهم الله في هذه الآية.

٨. تجهيز اليهود جيشاً إلى النبي،ﷺ، وإنفاقهم على ذلك الجيش.

٩. علماء بني إسرائيل الذين كتموا الحق، وآتوا ملوكهم من العلم ما يوافقهم في باطلهم، واشتروا به ثمناً قليلاً بأعطيات الملوك[1].

---

(١) انظر الروايات في تفسير الطبري، الآثار ٨٣٣٥ إلى ٨٣٥٢، الصفحات ٤٦٥-٤٧١ من تفسير الآية في سورة آل عمران، م٧، تحقيق محمود وأحمد شاكر، طبعة دار المعارف. والدر المنثور للسيوطي، ص٤٠٣-٤٠٦، م٢. وانظر تفسير الكشاف للزمخشري، م١، ص٢٣٦، والتفسير الكبير للفخر الرازي ص١٣٢، ج٩، طبعة طهران، والبحر المحيط لأبي حيان، ج،٣ ص١٣٦، ص١٣٧. وتفسير القرطبي ص٣٠٦، ٣٠٧، م٤. تفسير ابن كثير ص٤٣٦ ص٤٣٧، ج١. تفسير البغوي ص٣٨٤ ج١ تحقيق خالد العك ومروان سوار- روح المعاني للألوسي، ج٤، ص١٥٠-١٥١. هيميان الزاد إلى دار المعاد محمد بن يوسف الأباضي، ج٤، ص٣٩١، ص٣٩٢،=

ب. بخصوص المنافقين:

١. نزلت في المنافقين الذين يتخلفون عن الغزو مع رسول الله،ﷺ، فإذا عادوا من الغزو استعذروا له ففضحهم الله بهذه الآية.

٢. المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم بذلك، ويفرحون بإبطانهم الكفر[١].

وهكذا تجد هذه الآراء بروايات مسندة، أو بدون إسناد، كما أشرنا في الهامش، تجد هذه الآراء منثورة هنا وهناك. ويتبارى علماء التفسير في ذكرها والإكثار منها مما يدل على أنه لا يوجد سبب محدد لتنزيل هذه الآية. وهناك معان أخرى ذكرها المفسرون للآية أهمها:

١. إن الآية توبيخ للمرائين المتكثرين بما لم يعطوا، قاله ابن كثير واستشهد بما جاء في الصحيحين عن النبي، ﷺ: "من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم تزده من الله إلاّ قلة". وقوله: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور"[٢].

٢. أن يفرح بفعل الخير ويحب الحمد على ما لم يفعل، كما فهم مروان بن الحكم، كما جاء في رواية الصحيحين السابق ذكرها. وقد أشار إلى ذلك الرازي[٣]. والواقع أن هذا الفهم ضعيف يضعفه السياق وهو أمر فطري. والفرح المنهي

=ط١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر- الصفحات ١٧١-ص١٧٣ أ، ب- فقد ذكرت جل هذه الروايات في هذه الصفحات. وما بعدها.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ص٤٣٦، ج١، وحديث المتشبع بما لم يعط، رقمه ٥٢١٩، في فتح الباري ص٣١٧، من كتاب النكاح، م٩، باب ١٠٦، المتشبع بما لم ينل، والحديث عن أسماء أن امرأة قالت: يا رسول الله إن لي ضرة فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله،ﷺ، الحديث، والمتشبع هو المتزين بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، وانظر صحيح مسلم كتاب اللباس.

(٣) انظر التفسير الكبير، للفخر الرازي، ص١٣٣، ج٩، وانظر تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٤٧.

عنه هو فرح الإعجاب والبطر. وفي هذه الآية الوعيد لمن يفرح بفعل الشرور والآثام ويحب أن يمدح بحسن السيرة والسلوك.

والأمر الجدير بالذكر أن المفسرين الذين نقلوا الوجوه الكثيرة يعقبون عليها: بأنه لا مانع من نزول الآية بجميع هذه الأسباب. فالرازي مثلاً بعد أن ذكر ستة وجوه قال: واعلم أن الأولى أن يحمل على الكل بأن جميع هذه الأمور مشتركة في قدر واحد، وهو أن الإنسان يأتي بالفعل الذي لا ينبغي ويفرح به، ثم يتوقع من الناس أن يصفوه بسداد السيرة واستقامة الطريقة، والزهد والإقبال على طاعة الله[1]. وقال الزمخشري: (يجوز أن يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه)[2]. ولما كانت المواضيع والأقوام متعددة لذلك لا يرد أن يكون ذلك سبباً لنزول الآية. وإنما هي وقائع ينطبق عليها النص. فسواء أكان الأمر يتعلق بما اعتاد عليه الناس، أو بما يقوم به المنافقون، أو أهل الكتاب بأنواعهم، فهو يعمهم من حيث التفسير والبيان لمعنى الآية. ولايدخل في سبب نزولها. وإن كان السياق القرآني يجعلها في أهل الكتاب حيث تقول الآية التي قبلها مباشرة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.[آل عمران]. ولكن الرواية الأخرى التي تقول إنها في المنافقين وردت كذلك في الصحيحين. ولا يوجد تفاوت في قوة السندين. ولا يجوز رد أحدهما لأنه يمكن الجمع بين الروايتين بأنهما تفسير للنص، وليس سبباً لنزول الآية. والقاعدة الأصولية مشهورة (إعمال الدليلين خير من إهمال

(١) التفسير الكبير للفخر، الرازي، ص٣٢ ، ج٩.

(٢) الكشاف للزمخشري ص٢٣٦، ج١. وانظر تفسير القرطبي، فبعد أن ذكر أنها نزلت في المنافقين أو أهل الكتاب قال: (ويحتمل أن يكون نزولها على السببين لاجتماعهما في زمن واحد فكانت جواباً للفريقين)، ص٣٠٦ ص٣٠٧، ج٤، وانظر تفسير الألوسي ص١٥١، ج٤، وانظر البحر المحيط لأبي حيان، ص١٣٧، ج٣، فقد ذكر نفس العبارة تقريباً بعد أن ذكر تسعة أقوال في الآية.

أحدهما). وعليه فليست رواية أولى بالأخذ بها من أُختها. ويجمع بينهما أنهما في التفسير لا في أسباب التنزيل. **وأما الإشكال الذي ورد عند مروان بن الحكم،** وجواب ابن عباس له فالواقع أنه لم يُحَلْ، ليس من باب أن اللفظ أعم من السبب[1]. لأنه لم يثبت سبب نزول للآية. وليس من زاوية ما ورد في بعض الروايات أن ابن عباس فهم الوعيد في الآية للذي يفرح على فعل الخير الذي قام به، ويحب أن يحمد على مالم يفعله من الخير. والمتدبر للآيات يجد أن هذا المعنى غير مقصود في الآية. ودليله ما أورده ابن كثير فقال[2]: (وقد روى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة، عن الزهري، عن محمد بن ثابت الأنصاري أن ثابت بن قيس الأنصاري قال: يا رسول الله لقد خشيت أن أكون هلكت قال: "ولم؟" قال: نهى الله المرء أن يحب أن يُحمد بما لم يفعل وأجدني أُحب الحمد. ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أُحب الجمال. ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت. فقال رسول الله،ﷺ: "أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً وتدخل الجنة" فقال: بلى يا رسول الله. فعاش حميداً وقُتل شهيداً يوم مسيلمة الكذّاب)[3]. فمفهوم الحديث أنه،ﷺ، لم ينكر فعله وإذا قرنا هذا بالوعيد المؤكد في الآية بتكرار:﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ وبقوله تعالى: ﴿بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ وبقوله:﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾ نجد أن النهي منصب على أمر آخر، وهو الفعل الذي أخذ الله الميثاق عليه على أهل

(١) كما قال الزركشي في البرهان قال بعضهم، ص٢٧، ج١، أي أنه فهم بعضهم أن ابن عباس يرى أن لفظ الآية وإن كان عاماً فأُريد به الخصوص. وليس هذا صحيحاً، فابن عباس قال في آية السرقة إن لفظها عام ولم يرد به خصوص السبب، انظر ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن نجدة الحنفي أنه قال: سألت ابن عباس عن آية السرقة أخاصٌ أم عامٌ؟ قال: بل عام، ص١٠٢، البيان في مباحث علوم القرآن، لعبد الوهاب عبد المجيد غزلان. وانظر تفسير ابن كثير، ص٤٣٧، ج١.

(٢) تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ص٤٣٧، ج١

الكتاب. وهو بيان ما أوحى إليهم للناس وعدم كتمانه، ففعلوا بعكس ذلك وهذا شر مستطير، وجريمة يستحقون عليها الويل والثبور والعذاب الأليم في جهنم. فالذين يفرحون بما قاموا به من شرور[1] سواء أكان الشر خيانة الميثاق الذي ألزم الله به من أُوتي كتاباً سماوياً أم غيره، أي أن الوعيد منصب على المحمدة الباطلة، وعلى من يأتي أفعال الشر، ولذلك ورد التعبير بالفعل:﴿أَتَواْ﴾ لأن هذا الفعل لصيغة الماضي يدل على المعاني والأزمان، في حين أن الفعل (جاء) يدل على الجواهر والأعيان[2]. وعليه فيكون معنى الآية.

والذين يفرحون بما فعلوا من شرور، ويحبون المحمدة الباطلة، فلا تحسبن هؤلاء بمفازة من العذاب. أي أنهم معذبون لا محالة. وبذلك يزول الإشكال. والآية لا تتعلق بمن يحب الحمد على فعل الطاعات، أو ترك المحرمات، فهو أمر فطري لم يشمله النص[3]. بدلالة الوعيد الشديد، وبدلالة سياق الآيات. ولذلك أعرض ابن عباس،

---

(١) انظر البيان في مباحث من علوم القرآن، لعبد الوهاب غزلان، ص١٠١، طبعة ١٩٦٥م.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن، ج٤، ص٨٠، تحت عنوان (قاعدة في ألفاظ يظن بها الترادف وليست منه).

(٣) انظر قصة أبي سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم، في تفسير ابن كثير، ص٤٣٧، ج١، قال مروان: يا أبا سعيد أرأيت قوله تعالى:﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ ونحن نفرح بما أتينا ونحن نحب أن نحمد بما لم نفعل؟ فقال أبو سعيد: إن هذا ليس من ذاك، إنما ذاك أن ناساً من المنافقين... إلخ. فقال مروان: أين هذا من هذا؟ فقال أبو سعيد: وهذا يعلم هذا؟ فقال مروان: أكذاك يا زيد؟ فقال: نعم صدق أبو سعيد. ثم قال أبو سعيد: وهذا يعلم ذاك- يعني رافع بن خديج، ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة. فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري: ألا تحمدني على ما شهدت لك؟ فقال له أبو سعيد: شهدت الحق. فقال زيد: أولا تحمدني على ما شهدت الحق؟ وانظر الرواية في مخطوط العُجاب في الأسباب، لابن حجر، ص١٧٢أ. وفي رواية أخرى عنه، فقال زيد لرافع وهو يمزح معه: أما=

رضي الله عنه، عن فهم مروان بن الحكم من أن الآية نزلت في الذين يفرحون بما فعلوا من خير ويحبون أن تسند إليهم الأفعال الحميدة وإن لم يقوموا بها. فقال: (ما لكم ولهذه الآية). أي أن الاستشهاد بالآية ليس في محله. وقوله: (إنما نزلت في اليهود...) أي توجيه لفعل الشر، وأعمال المنكر التي يفعلونها. وربط ذلك بالآية التي قبلها وهي أخذ الميثاق من أهل الكتاب. وأما قوله: (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) فاليهود يحبون أن يوصفوا بالصلاة والطاعات وهم في نفس الوقت يكفرون بمحمد ويكتمون بعض ما أنزل الله عليهم، ويخونون الميثاق الذي بينهم وبين الله تعالى. وهذه هي المحمدة الباطلة. أي أنهم فرطوا بالتمسك بعروة الحق وحمل دعوة الله للناس وهم يحبون أن يوصفوا بأنهم القيمون على دين الله، الممثلون لشريعة الله، الحفّاظ لكتاب الله، المبينون لدينه.

وبذلك ينتهي الإشكال، أو يرد الإشكال الذي فهمه مروان بن الحكم. والرد آتٍ من فهم سياق الآيات، وليس من معرفة سبب التنزيل. حيث أن الآية لا يوجد لها سبب تنزيل، ولم تصلح رواية مما ذكرنا لسبب التنزيل. وبصيغة أخرى لم تتحقق شروط صحة اعتماد رواية أسباب التنزيل في هذه الروايات التي نافت عن العشرة. فلم تذكر حادثة معينة وقعت[(١)] حتى يُقال عنها أنها سبب تنزيل. وجميع ما ذكر مفاهيم عامة، وصفات عامة في اليهود، وفي المنافقين. فوصف الحدث المحدد انتفى فيكون الأصل في الرواية غير موجود فلا تبحث هذه الروايات في أسباب التنزيل. وإنما تدرج كلها في التفسير. كما أسلفنا. وتعدد الروايات في اليهود والتي تجاوزت

=تحمدني لما شهدت لك؟ فقال رافع: وأي شيء هذا أحمدك على أن تشهد بالحق. قال زيد: نعم قد حمد الله على الحق أهله.

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (تنبيه): الشيء الذي سأل النبي،ﷺ، عنه اليهود لم أره مفسراً، وقد قيل إنه سألهم عن صفته عندهم بأمر واضح فأخبروه عنه بأمر مجمل)، ص٢٣٥، ج٨، شرح أحاديث باب ١٦، من كتاب التفسير، وهي ٤٥٦٧-٤٥٦٨.

الثمانية، وفي المنافقين ذكرت روايتان يختلف موضوع الأولى عن الثانية، فالأولى في التخلف عن الجهاد، والثانية في إبطان الكفر وإظهار الإسلام. كل ذلك يدل على أنه لم يثبت سبب لتنزيل الآية. وأما قول ابن حجر في فتح الباري، وفي العُجاب في الأسباب، من احتمال اجتماع سبب نزول الآية في اليهود وفي المنافقين فيدخل في موضوع التفسير كما قيل عن المفسرين الذين ذكروا الروايات المتعددة، والتي تجاوزت خمسة عند كل منهم. ومفهوم الآية وسياق الآيات يقصي روايات المنافقين مع أنه صح منها في الصحيحين. وروايات اليهود عامة ومتفاوتة في الزمن وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية مما ذكرنا والله أعلم.

١٠. ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾. [النحل].

الروايات

١. لما كان يوم أحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ الآية. فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: "كفوا عن القوم إلاّ أربعة"(١).

(١) انظر لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص١٣٦، أحكام القرآن لابن العربي، ص١١٧٨، ج٣، ط٢، عيسى البابي الحلبي. تفسير الخازن، ص١٥٢، ج٣، فتح القدير للشوكاني، م٣، ص٢٠٥ طبعة دار المعرفة بيروت. الدر المنثور للسيوطي، ص١٧٨، م٥، طبعة دار الفكر. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، م٤، ص٥٠٧ طبعة المكتب الإسلامي- دلائل النبوة للبيهقي، م٣، ص٢٨٩، تحقيق عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت ط١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢. إن النبي،ﷺ، وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد، فنظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء كان أوجع منه لقلبه، ونظر إليه قد مُثِّل به، فقال: "رحمة الله عليك، فإنك كنت- ما عرفتك إلاّ فعولاً للخيرات، وصولاً للرحم، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفراد شتى، أما والله مع ذلك لأُمثلن بسبعين منهم" فنزل جبريل والنبي،ﷺ، واقف بخواتيم النحل الآيات فصبر النبي، وكفَّر عن يمينه ولم يمثل بأحد(١).

٣. لما أُصيب في أُحد المثلى، فقال المسلمون: لئن أصبناهم لنمثلن بهم فقال الله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ الآيات. وروي أن الكفار مثلوا بقتلى المسلمين إلاّ حنظلة بن أبي عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك(٢).

٤. قال الطبري: (وقال آخرون: لم يعن بهاتين الآيتين شيئاً مما ذكر هؤلاء. وإنما

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي، ص٢٩٠، لباب النقول، ص١٣٥. وقال: أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل، والبزار عن أبي هريرة، أحكام القرآن لابن العربي، ص١١٧٨، ج٣، ط٢، عيسى البابي الحلبي، تحقيق علي محمد البجاوي، تفسير أبي السعود، ص١٥٢، ج٥، دار إحياء التراث العربي بيروت، تفسير البغوي، ص٩١، م٣، ج١٤، طبعة دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، تفسير الخازن، ص١٥٢، ج٣، فتح القدير للشوكاني، م٣، ص٢٠٥، طبعة دار المعرفة بيروت- تفسير ابن كثير ص٥٩٢، م٢، تفسير الدر المنثور للسيوطي، م٥، ص١٧٩ طبعة دار الفكر- التفسير الكبير للرازي، ص١٤١، ج٢٠، طبعة طهران، وانظر دلائل النبوة، للبيهقي- ص٢٩٠، م٣، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢٩١، تفسير الطبري، ص١٩٥، ص١٩٦، ج١٤، طبعة دار الفكر، الكشاف، للزمخشري، ج٢، ص٣٤٩، تفسير البغوي، ص٩١، ج١٤، م٣، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. تفسير الخازن، ص١٥٢، ج٣، أحكام القرآن للجصّاص ص١٩٤ ج٣ طبعة الكتاب العربي لبنان. مجمع البيان للطبرسي، ج٦، ص٦٠٥، توزيع دار الباز بمكة. تفسير ابن كثير، م٢، ص٥٩٢، تفسير زاد المسير في علم التفسير، م٤، ص٥٠٨ طبعة المكتب الإسلامي.

عنى بها أن من ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه. وقالوا: الآية محكمة غير منسوخة)[1].

٥. نزلت من أجل أن رسول الله،ﷺ، وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أُحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم في المثلة بهم إن رزقوا الظفر عليهم يوماً، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية [2].

٦. قال ابن زيد في قوله تعالى:﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ قال: أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين، فأسلم رجال لهم منعة،- فقالوا: يا رسول الله، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب، فنزل القرآن. الآية[3].

٧. قال الحسن: نزلت الآية قبل أن يؤمر النبي،ﷺ، بقتال المشركين على العموم، وأمر بقتال من قاتله. ونظيره قوله﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾[4].

---

(١) انظر تفسير الطبري، ص١٩٧، ج١٤، م٨، طبعة دار الفكر، تفسير البغوي، ص٩١، ج١٤، وفيه قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين، تفسير الخازن ص١٥٢ ج٣ وزاد عن الشعبي. أحكام القرآن للجصّاص ص١٩٤ ج٣،طبعة دارالكتاب العربي، لبنان. مجمع البيان للطبرسي، ج٦، ص٦٠٥، توزيع دار الباز بمكة عن مجاهد وابن سيرين، وإبراهيم- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ص٥٤٩، ج٥، طبعة دار الفكر، ص٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م تفسير القرطبي ص٢٠١، م١٠، قال معاذ: الماوردي عن ابن سيرين ومجاهد.

(٢) انظر تفسير الطبري، ص١٩٥، ج١٤، م٨، طبعة دار الفكر، عن عطاء بن يسار، تفسير ابن كثير، ص٥٩٢، م٢. تفسير الدر المنثور، م٥، ص١٧٩.

(٣) تفسير الطبري، ص١٩٦، ج١٤، م٨، طبعة دار الفكر تفسير الدر المنثور، م٥، ص٤٨٠.

(٤) مجمع البيان للطبرسي، ص٦٠٥، ج٦، تصحيح وتحقيق هاشم الرسول المحلاتي وفضل ا لله اليزدي الطباطبائي دار المعرفة بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م- تفسير فتح القدير، لمحمد علي الشوكاني، ص٢٠٥، ج٣، طبعة دار المعرفة بيروت، التفسير الكبير للفخر الرازي، ص١٤١، ج٢٠، طبعة طهران.

دراسة الروايات ومناقشتها:

اختلفت الروايات في زمن نزول الآية، فالرواية الأولى تنص على أنها نزلت في فتح مكة. (فلما كان فتح مكة فأنزل الله- الآية. قال رجل لا قريش بعد اليوم...) قال الشوكاني في تفسيره: وأخرج الترمذي وحسّنة، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة في الفوائد، وابن حبان، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والضياء في المختارة، عن أُبي بن كعب قال: وذكر الرواية[1]..

وعلى ذلك تكون الآيات مدنية. والرواية الثانية تنص على أنها نزلت في أُحد لما رأى الرسول،ﷺ، حمزة وقد مُثِّل به فقال ما قال، ونزلت الآية.. والرسول،ﷺ، واقف على جثة حمزة. قال الشوكاني في تفسيره[2]: وأخرج ابن سعد، والبزار، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وأبو نعيم في المعرفة، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة.. ونحو هذه الرواية الثالثة لكن المتلفظ بألفاظ التهديد بالمثلة هم المسلمون وليس الرسول،ﷺ، وعلى ذلك تكون الآيات مدنية. ومثلها كذلك الرواية الخامسة وجمعت المتلفظين بالتهديد الرسول،ﷺ، والصحابة، رضوان الله عليهم، ومنهم الأنصار. والرواية الرابعة صريحة في أن الآيات لم تنزل فيما قيل سابقاً وإنما هي في رد الظلم بمثله. ولا تدل هذه الرواية على مكيّة أو مدنية الآيات، ولكنها تصلح للفترتين[3].

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني، ص٢٠٥، ج٣، طبعة دار المعرفة- والدر المنثور للسيوطي، ص١٧٨، م٥، طبعة دار الفكر، والفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، ص١٩٢، ج١٨، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) انظر تفسير الشوكاني، ج٣، ص٢٠٥، طبعة دار المعرفة. وانظر الدر المنثور للسيوطي، م٥، ص١٧٩، طبعة دار الفكر.

(٣) تفسير الطبري، ص١٩٧، م٨، ج١٤، طبعة دار الفكر.

والرواية السادسة لم تحدد وقت نزول للآية، لكن الرواية تقول: (أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين). ولا يسمى العفو عفواً إلاّ إذا كان عن مقدرة. فقد يشتم منها رائحة القول إنها نزلت بالمدينة. والرواية السابعة والأخيرة تدل على أنها نزلت قبل تشريع القتال. أي أنها مكيّة. لأن القتال لم يشرع إلاّ في المدينة[1]. قال الشوكاني.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ الآية قال: هذا حين أمر الله نبيه أن يقاتل من قاتله[2].

وقال القرطبي: (أطبق[3] جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أُحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري في كتاب السير)[4].

---

(١) أول آية في القتال نزلت أثناء هجرة الرسول، ﷺ، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ **[سورة الحج]،** قال ابن كثير، ص٢٢٥، ج٣: قال العوفي عن ابن عباس نزلت في محمد وأصحابه حين أُخرجوا من مكة. (وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف: ومنهم ابن عباس وعروة بن الزبير أن زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم قال هذه أول آية نزلت في الجهاد.

(٢) انظر تفسير الشوكاني، م٣، ص٢٠٥، طبعة دار المعرفة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، م١٠، ص٢٠١، ونقله الألوسي في روح المعاني، ج١٤، ص٢٥٧، دار إحياء التراث العربي. وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج٥، ص٥٤٩، طبعة دار الفكر.

(٤) ذكر البخاري في كتاب المغازي ٦٤، الحديث ٤٠٧٢، باب ٢٣، قتل حمزة بن عبد المطلب، ص٣٦٧، من فتح الباري، ج٧، ولم يذكر أن هذه القصة سبب نزول الآية، ولم يذكر في كتاب التفسير أي سبب أو تفسير للآيات. وفي شرح الحديث قال ابن حجر ص٣٧١: روى البزار والطبراني بإسناد فيه ضعف، عن أبي هريرة، فقال فنزل القرآن.. وقال: وعند عبد الله بن أحمد في زيادات المسند/ والطبراني من حديث أُبيّ بن كعب.. وعند ابن مردويه من طريق مقسم، عن ابن عباس نحو حديث أبي هريرة باختصار. ثم قال: (وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً). أي أن جميع هذه الطرق ضعيفة.

فهل الآيات مكيّة أم مدنية يا ترى؟

إن الذين قالوا بمدنية هذه الآيات بنوا أقوالهم على هذه الروايات: قال الفخر الرازي، بعد أن ذكر إحدى الروايات، (قتلى أُحد وقد مُثِّل بحمزة). قال: وعلى هذا قالوا: (إن سورة النحل كلها مكيّة إلاّ هذه الآيات الثلاث)(١). وقال محمود شكري الألوسي بعد أن ذكر الرواية: (فهي على هذا مدنية)(٢). وكذلك الرواية التي تقول إنها نزلت في فتح مكة تعدها مدنية على الاصطلاح المشهور أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعدها فهو مدني. ولا عبرة لمكان النزول في هذا التقسيم. وقال النحاس: إنها مكيّة والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالاً حسناً لأنها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ، إلى الذي يجادل، إلى الذي يجازي على فعله(٣). وقد رجح الفخر الرازي هذا القول وقال: (فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه)(٤).

ولا يقال بالجمع بين هذه الروايات في أسباب التنزيل لتباعد زمن حدوث الوقائع: قبل الهجرة، وفي السنة الثانية للهجرة، وفي السنة الثامنة للهجرة.

وأما ابن الحصار فقد جمع بين هذه الأقوال فقال: إنها نزلت أولاً بمكة ثم ثانياً بأُحد، ثم ثالثاً يوم الفتح تذكيراً من الله لعباده(٥). وقال: (كل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة إلاّ أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، ص١٤١، ج٢٠، طبعة طهران.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود شكري الألوسي، ج١٤، ص٢٥٧، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، م١٠، ص٢٠١.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٢٠، ص١٤١، طبعة طهران.

(٥) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص١٣٦. وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٥، ج١.

النقل)[1]. ولا شك أن استثناءهم لهذه الآيات من سورة النحل هو اجتهاد لا يعتمد على التدقيق في النقل. وقال ابن حجر في شرح صحيح البخاري: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السورة المكية. قال: وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلاّ نادراً[2]. وقال أبو بكر الباقلاني في نكت الانتصار: (وأما المكي والمدني فلا بد من حفظ الصحابة أو جمهورهم له والإحاطة به، غير أنه لم يكن للنبي،ﷺ، في ذلك نص وتوقيف)[3].

والذي أراه صواباً في هذه المسألة هو أن الآيات مكيّة. وأن سورة النحل نزلت بمكة كلها دون استثناء أي آية منها. والقول بمدنية هذه الآيات قول اجتهادي يسقط أمام محاكمة الروايات فقد سبق أن أثبتنا[4] أن التعبير بنزول الآية في كذا يعني: دلت الآية على كذا. وليس من الضروري أن يكون المعنى أن أسباب النزول هو كذا. فهو تفسير في أكثر الحالات.

وكما قال عبد الوهاب غزلان: (لا مزيّة للفظ أنزل ومشتقاتها على غيرها في مجال أسباب النزول، بل تفيد دلت الآية على كذا)[5].

بالإضافة إلى أنه كان من عادة الصحابة والتابعين من بعدهم (التعبير بنزلت الآية في كذا ويريدون أن الآية تتضمن تلك الحادثة).

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن، لأبي بكر الباقلاني، ص٩٠، تحقيق د. محمد زغلول سلام، ط١، ١٩٧١م، الناشر منشأة دار المعارف بالاسكندرية.

(٤) انظر الفصل الأول من هذه الرسالة، مبحث ألفاظ دالة على أسباب التنزيل. ومبحث أسباب التنزيل عند الصحابة والتابعين.

(٥) انظر البيان في مباحث من علوم القرآن، لعبد الوهاب عبد المجيد غزلان ص١٠٦، طبعة ١٣٠٤هـ/ ١٩٦٥م.

ومفهوم الآيات يقرر أن الروايات تفسيرية. وليست سبباً للتنزيل فليس من شريعتنا من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر. فليس من سُنَّةِ الإسلام أن يجعل الرد على المشركين، الذين مثلوا بالمسلمين في ساحة الوغى، أن يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وأن يصبروا على مثل هذا الأذى لأنه خير من مقارعة السلاح. فهذا هو الذل والضعف بعينه، لا سيما أنهم كانوا أهل منعة، ولهم شوكة، فهم يتمتعون بدولة ذات كيان متميز، يستمد النصر من الله الواحد القهار. وفي هذا قلب لمفاهيم الإسلام، لقد كان أسلوب الدعوة بهذه الأساليب الثلاث مرسوماً للمسلمين قبل أن يملكوا دولة تطيح بالرؤوس والتيجان، وتهدم العروش وتقوض الأركان فقد كانوا مستضعفين لا يملكون إلاّ اللسان، أو الفرار من الأذى بالهجرة، أما بعد أن ملكوا السنان فلم يكن أمامهم إلاّ خوض غمار المعركة، وقذف الرعب في قلوب أعداء الله ليركعوهم تحت أقدام المسلمين، هم ومن توسوس له نفسه بإسنادهم. ففي غزوة بدر نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾. [الأنفال]. وفي أحد نزل قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾. [الأنفال]. ونزل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.[الأنفال].(١) فروايات مقتل حمزة، والانتقام الذي كان يمكن أن يحدث في فتح مكة، كلها روايات تفسيرية ليس غير لجزء الآية. وهو

(١) انظر سورة الأنفال كلها بشكل عام فهي تبيّن سنة الجهاد، وكيف يقابل أعداء الله بعد أن وجد للمسلمين دولة، وأصبح لهم كيان يملك السنان.

الذي رآه الفخر الرازي صواباً يجب حمل الآيات عليه، وهو الذي رجحه النحاس كما أسلفنا قبل قليل.

وأما رأي أهل التوفيق كابن الحصار فهو غير مقبول، لأن تكرر نزول الآيات أو السور أمر يعوزه الدليل. والوحي والحديث عنه لا يقبل إلاّ بنفس الوحي. أي لا بد من آية أو حديث حتى يقبل. ولم يرد أي شيء من هذا القبيل. وسنعرض لهذا الأمر بتوسع في بحث الإشكالات في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

والرأي الذي اخترناه وهو أن الآيات مكية وليست مدنية يقويه ما نقله ابن الجوزي حيث يرى أن آية: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ نزلت مع الذي بعدها[1]. ويؤيد هذا أن الآية بدأت بالعطف عمّا قبلها: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ ولم يرد أن آية نزلت ابتداء منفردة بحرف العطف، لأن القرآن لم يكن قد اكتمل نزوله، ولم يعلم تمام ترتيب الآيات في السور إلاّ بعد موت الرسول، ﷺ، وانقطاع الوحي. وأمر آخر، فقد ذكر الطبري والجصاص، وابن الجوزي، وأبو حيان الأندلسي، وغيرهم، ونسبوا القول لمجاهد والنخعي، وابن سيرين[2]. وزاد البغوي أنه قول للثوري[3] كذلك. وذكر الخازن أنه رأي للشعبي[4] أيضاً، وقال ابن كثير أنه رأي للحسن البصري[5]: (فقد قالوا جميعاً إن الآية نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال أكثر مما نال الظالم منه). ويشهد لهؤلاء السياق القرآني، كما قال الفخر الرازي: إن الآية تأمر الرسول، ﷺ، بدعوة الخلق إلى الإسلام بإحدى الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وهذا من شأنه أن يعرض حملة الدعوة إلى الشتم

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، م٤، ص٥٠٦، ونسب القول لابن عباس.

(٢) تفسير الطبري، ص١٩٧، ج١٤، م٨، أحكام القرآن للجصّاص، ص١٩٤، ج٣، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ص٥٠٨، م٤، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ص٥٤٩، ج٥.

(٣) معالم التنزيل، للبغوي، ص٩١، م٣، ج١٤.

(٤) تفسير الخازن، ص١٥٢، ج٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ص٥٩٢، م٢.

أو الضرب أو القتل من قبل أعداء الله، فإذا تعرض المسلمون إلى تلك السفاهات فعليهم مقابلة ذلك بالعدل والإنصاف وترك الزيادة[(١)]. وعقب على ذلك بقوله: (فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه)[(٢)].

وأما ما قاله القرطبي: (أطبق أهل التفسير أنها نزلت في غزوة أُحد)، فهو يدخل في التفسير لا في سبب التنزيل. والآية تقرر مبدأ عاماً في المقابلة بالمثل سواء أكان في رد الاعتداء بمثله أثناء قيام حامل الدعوة بمهمته، أو كان في أتون الحرب ومقارعة الأعداء بالسلاح.

وهذه الآيات المكية نزل قبلها ما يشبهها من الآيات في سورة الشورى (حم عسق) فقد نزلت في مكة قبل سورة النحل)[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.[الشورى]. وهي نفس معنى آيات سورة النحل: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ وما يليها حتى نهاية السورة. وهذا المبدأ عام في الإسلام ولذلك تكرر في السور المدنية، ففي سورة المائدة وهي مدنية ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾. ثم

---

(١) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٢٠، ص١٤١، طبعة طهران.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٢٠، ص١٤١، طبعة طهران. وقال محمد علي الشوكاني بعد أن ساق معنى الآية كما ذكر الفخر الرازي تقريباً، وقال: قال ابن جرير: (أنزلت هذه الآية فيمن أُصيب بظلامة أن لا ينال من ظالمه إذا تمكن إلاّ مثل ظلامته لا يتعداها إلى غيرها) وهذا صواب لأن الآية وإن قيل إن لها سبباً خاصاً كما سيأتي فالاعتبار بعموم اللفظ. وعمومه يؤدي هذا المعنى الذي ذكره، فتح القدير، م٣، ص٢٠٣، طبعة دار المعرفة. فكأن الشوكاني يضعف روايات أسباب النزول لأنه ساق الخبر بصيغة التمريض.

(٣) انظر فضائل القرآن لابن الضريس تحقيق غزوة بدير، ص٣٤. وانظر تحقيق مسفر سعيد أحمد دماس، ص٦١ . وانظر الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، م١٨، أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الجصّاص، م٣، ص١٩٤، دار الكتاب العربي بيروت.

أعقبها بقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.[آية:٤٥]. والخلاف بين المفسرين في مكية أو مدنية هذه الآيات مشهور. ولذلك يحمل ما قاله القرطبي: (أطبق أهل التفسير..) إنه تتضمن هذا الحدث. وقد وقف محمود شكري الألوسي موقفاً بين بين فقال: (فلا فرق في الارتباط[١] بحسب المآل بين أن تكون مكيّة وأن تكون مدنية. وخصوص السبب لا ينافي عموم المعنى)[٢]. وهذه حقيقة لا خلاف عليها عند من يعتد برأيهم في التفسير. وموضوع البحث هنا هل الآيات مكيّة أم مدنيّة؟ والذي أراه قوياً أن الآيات مكية. وإن سورة النحل كلها مكيّة. ورأي الجمهور يحمل على التفسير. وبذلك لا نكون قد قدحنا ببعض الروايات الصحيحة التي تدل على النهي عن المثلة، لأننا نقول إن الواقعة تدخل في عموم الآية[٣]. هذا وقد قال النحّاس: (إنها مكيّة وليست في شأن التمثيل بحمزة رضي الله عنه)[٤].

فضلاً عن أن الآيات ليست في المثلة، وليست في القتال، بل هي في مقابلة أذى أعداء الله في سبيل حمل الدعوة الإسلامية. ومن الجدير بالذكر أن البخاري لم يذكر سبب نزول لخواتيم سورة النحل. وذكر قصة مقتل حمزة في كتاب المغازي، باب ٢٣، ولم يذكر أنها سبب تنزيل لآيات في القرآن. وقد ذكر ابن حجر في الشرح ما رواه الطبري، والبزار، وعبد الله بن أحمد، وابن مردويه، وقال إنها أسانيد ضعيفة. ولكنه

---

(١) موضوع الارتباط يقصد به ارتباط الآيات في السياق القرآني. فهناك من ذهب إلى تفكك النظم القرآني إذا قلنا أن الآيات نزلت في غزوة أُحد، أو في فتح مكة، لأن الآيات تتعلق بأساليب حمل الدعوة، وما ينبغي أن يكون عليه حامل الدعوة إذا اعترضته سفاهات أهل الجاهلية، وكان هذا بمكة قبل إقامة الدولة بالمدينة.

(٢) تفسير الألوسي، روح المعاني، ج١٤، ص٢٥٧، ص٢٥٨.

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي، ج٢٠، ص١٤١، طبعة طهران.

(٤) انظر روح المعاني للألوسي، ج١٤، ص٢٥٧.

قال في نهاية المطاف: (وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً)[1].

وقد نظر ابن كثير في أسانيد هذه الروايات فقال عن رواية محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار[2]: (وهذا مرسل. وفيه رجل مبهم لم يسم). أي أنه منقطع، فلا يحتج به. وقال: وقد رُوي هذا من وجه آخر متصل فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا صالح المري، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن أبي هريرة، رضي الله عنه[3].. ثم قال: وهذا إسناد فيه ضعف لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة. وقال البخاري. وهو منكر الحديث[4].

وخلاصة القول: إن الآية لم تتزامن مع نزول الحدث فقد تأخر وقوع الحدث بسنوات كثيرة فقد نزلت سورة النحل قبل غزوة أُحد بما لا يقل عن ثلاثة أعوام، فلا تصلح الروايات أن تكون سبباً لنزول الآية. ومن جهة ثانية فإن السياق القرآني يؤكد أن الآيات نزلت متناسقة في مكة، في تعليم الرسول،ﷺ، ومن معه أساليب حمل الدعوة للناس حين زاد أذى المشركين عليهم، فرخص لهم رد الأذى بمثله ولا يزيدون، وأن يصبروا فهو خيرٌ لهم، ولا علاقة لهذه الآيات بمقتل حمزة، رضي الله عنه،

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، م٧، كتاب المغازي الحديث ٤٠٧٢، ص٣٧١، ص٣٧٢، طبعة المطبعة السلفية، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.

(٢) قال: نزلت سورة النحل كلها بمكة، وهي مكيّة إلاّ ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أُحد حين قُتل حمزة رضي الله عنه مُثِّل به فقال رسول الله،ﷺ: (لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم" فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخر السورة. تفسير ابن كثير، م٢، ص٥٩٢، طبعة دار المعرفة.

(٣) إن رسول الله،ﷺ، وقف على حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه، أو قال لقلبه فنظر إليه وقد مُثِّل به فقال: "رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلاّ واصلاً للرحم فعولاً للخيرات.."

(٤) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٥٩٢، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

وإن كانت القصة مما يمكن إدراجها تحت عموم لفظ الآية. هذا وقد اختلف العلماء هل الآية محكمة أم منسوخة بآية القتال؟ والصواب أنها محكمة لأنها ليست في موضوع القتال حتى يُقال نسخت بآية القتال (السيف). وهذا باق إلى يوم القيامة.

وأما من حيث السند فهي روايات ضعيفة، ولكن لا نردها من هذا الباب وحده، لأن هناك من يرى كابن حجر أنها روايات يقوي بعضها بعضاً. ورأي عدد من كبار التابعين أن الآية في المظالم ومقابلة الظلم، ورأي الشوكاني أن هذا هو الصواب. فاختلاف الروايات أنها في مقتل حمزة، أو في دفع الظلم، أو نزولها قبل تشريع القتال يدل على أن هذه الروايات كلها تفسيرية. والسياق القرآني يرجح أنها في رد الأذى، ودفع الظلم الذي يقع على حملة الدعوة من أعداء الله. وبذلك لم يثبت سبب صحيح لنزول هذه الآيات. والله أعلم.

ولو قلنا إنّ الآيات نزلت في مقتل حمزة لترتب على هذا القول أن الله أمرنا إذا مَثَّلَ أعداء الإسلام بنا، في المعركة، فعلينا أن ندفع هذا بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، أو أن نرد عليهم بالمثل، وأن نصبر ولا نرد عليهم يكون الصبر خيراً لنا من مقارعتهم بالسيوف. وفي هذا القول قلب لمفاهيم الإسلام، وإعطاء للدنية في ديننا، وتشجيع لأعداء الله على النيل من معشر المسلمين، وحاشا لله أن تكون هذه مفاهيم إسلامية. وهذه المفاهيم تتعارض مع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ وقد تكررت هذه الآية في سورتي التوبة والتحريم[1]. فترد معاني هذه الروايات دراية لتعارضها مع القطعي الثبوت قطعي الدلالة. وعليه فلا سبب نزول لهذه الآيات، وهي آيات مكية محكمة تتعلق بأساليب حمل الدعوة عند اشتداد أذى المشركين على المسلمين قبل أن تكون لهم دولة تنافح عن أفرادها، وتحمي من يحمل تابعيتها، وتعز من يتفيأ ظلالها، وتذل كل من يحاول أن يتطاول عليها، أو يمس كيانها بسوء.

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٣، والآية ٩ من سورة التحريم.

فالقول إن هذه الروايات سبب لتنزيل الآية يؤدي إلى عدم الانسجام بين منطوق ومفهوم الآيات وبين الروايات. وهذا مما يخرج الروايات عن دائرة أسباب التنزيل، والله أعلم.

وبهذه الدراسة التطبيقية لنماذج عشرة من مرويات أسباب النزول نكون قد ختمنا الفصل الثاني، وأسأل الله أن أكون قد وُفِّقت بذلك.

الفصل الثالث

معالجة الإشكالات الواردة على أسباب التنزيل

سنتعرض في هذا الفصل لطائفة من الروايات التي زعم أنها سبب تنزيل لآيات معينة. والتي يترتب عليها إشكال، فنزيل الإشكال بتوجيه الرواية، أو ردّها، حسب مقتضيات البحث. فمعالجة إشكال عدم مزامنة الرواية لنزول الآية يختلف عن معالجة إشكال القول بتكرار نزول الآيات أو السور. ويختلف هذا عن معالجة تعميم سبب نزول الآية على ما يماثلها، وهذا كله يختلف عن معالجة إشكال نزول جزء من آية على حدث معين، ثم بعد وقوع رد فعل ينزل جزء آخر من الآية نفسها. فلكل إشكال علاج خاص في الرواية المحددة وفي الآية المعينة. ولا يجوز أن نعمم في العلاج فلكل حالة لبوسها. وإليك الإشكالات الواردة على روايات أسباب التنزيل مع الأمثلة وعلاج إشكال هذه الروايات(١).

الإشكال الأول: عدم المزامنة

نقرأ كثيراً من الروايات التي تتحدث عن وقائع وقعت بمكة ويُقال إنها سبب نزول آيات نزلت بالمدينة. أو روايات حدثت بالمدينة ويُقال إنها سبب نزول الآيات نزلت بمكة. وربما كانت روايات أُسندت لما قبل نزول القرآن سواء أكانت إسرائيليات أم ما نزل على الأنبياء السابقين، أو حدث بعد نزول الآية ولو كان مباشرة. فنجمع بين هذه الأُمور بإشكال واحد أطلقنا عليه اسم: **عدم المزامنة. أي عدم مزامنة حدوث الواقعة أو السؤال لنزول الآية أو الآيات**. لأن من شرط اعتماد رواية أسباب التنزيل أن تكون الواقعة أو المسألة وقعت قبيل نزول الآية: ويؤيد هذا قول السيوطي:

---

(١) عقد هذا الفصل لبيان الإشكالات، ولذلك قد تكرر بعض الروايات السابقة للاستشهاد على الإشكال وليس لدراستها.

(والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه)[1].

وإليك أمثلة على ما سبق:

١.أن تكون الآية مكية وسبب نزولها وقع بالمدينة.

سورة الإخلاص مكيّة، وكذلك سورة العاديات وسورتا المعوذتين[2] أيضاً: وعند البحث في روايات أسباب تنزيل هذه السور وجدنا ما يلي:

سورة الإخلاص

قال الواحدي: قال قتادة، والضحّاك، ومقاتل، جاء ناس من اليهود إلى النبي، ﷺ، فقالوا: صف لنا ربك فإن الله أنزل نعته في التوراة. فأخبرنا: من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ (من) ذهب هو، أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا؟ ومن يورثها فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة. وهي نسبة الله خاصة[3].

وقال السيوطي: وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، أن اليهود جاءت إلى النبي، ﷺ، منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ إلى آخرها: وقال:

---

(١) الاتقان في علوم القرآن، للزركشي، ص٤٢، ج١، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص٤. وانظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ص٣٥٠، ج٢، لأحمد ابن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة- دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) انظر فضائل القرآن، لابن الضريس، ص٣٣، تحقيق غزوة بدير، وانظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص١٩٣، نقلاً عن كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن لأبي القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب النيسابوري- الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص١٣، و١٤، ج١.

(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي ص٥١٠. تفسير الطبري ص٣٤٣ م١٥ ج٣٠ طبعة دار الفكر. الدر المنثور، للسيوطي، ص٦٧٠، م٨.

وأخرج ابن جرير، عن قتادة وابن المنذر، عن سعيد بن جبير مثله، فاستدل بهذا على أنها مدنية[1].

ك. وأخرج ابن جرير عن أبي العالية، قال: قال قتادة: قالت الأحزاب إنسب لنا ربك. فأتاه جبريل بهذه السورة[2]. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي،ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب، وآدم من حمأ مسنون، وإبليس من لهب النار، والسماء من دخان، والأرض من زبد الماء، فأخبرنا عن ربك؟ فلم يجبهم. فأتاه جبريل بهذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾[3] وهناك رواية ذكرها الفخر الرازي تقول إنها في النصارى[4]. قال القرطبي: سورة الإخلاص مكيّة في قول ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر[5]. ومدنية في أحد قولي ابن عباس، وقتادة، والضحّاك، والسدي.

فسورة الإخلاص مكيّة فلا تصلح أي رواية وقعت في المدينة أن تكون سبب نزول لها. والذين قالوا بمدنيتها بنوا أقوالهم على هذه الروايات، والتي لم يثبت سند

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٢٤٥. الدر المنثور، للسيوطي، ج٨، ص٦٦٩، ص٦٧١.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٢٤٦.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) ذكر الفخر الرازي قولاً آخر أنها في النصارى- نصارى وفد نجران، ص١٧٥، ج٣٢.

(٥) تفسير القرطبي، ص٢٤٤، ج٢٠. وانظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ج٩، ص٢٦٤. وانظر تفسير ابن كثير، والفخر الرازي، وأبي حيان، والكشاف، والطبري، والسيوطي والألوسي، والشوكاني، والطبرسي، والنسفي، وغيرهم. وانظر تفسير البغوي، والخازن، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، وفي ظلال القرآن، وغيرها كثير. وانظر فضائل القرآن لابن الضريّس، ص٣٣، تحقيق غزوة بدير طبعة دار الفكر، دمشق. وانظر دلائل النبوة، للبيهقي، ص١٤٢، ج٧، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، ص١٩٣، ج١.

رواية منها. ولذلك أعرض ابن كثير عنها جميعها وقال: سورة الإخلاص مكيّة. ثم أفرد عنواناً ذكر سبب نزولها، وفضلها، وذكر روايات وقعت بمكة، وأغفل جميع الروايات التي تنسب إلى المدينة.

وأما الذين قالوا بتكرر نزولها فهو قول اجتهادي مبني على الروايات دون تحقق من صحة سندها. ولم يثبت عن الرسول،ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، شيء من هذا القبيل. فهو رأي لا يُعتد به.

والذين قالوا بمدنيتها لم يردوا الروايات التي وقعت بمكة[١]. وقيل عنها إنها سبب نزول للسورة. قال محمد السيد طنطاوي: وجمهور العلماء على أنها من السور المكيّة. وأن نزولها كان بعد سورة الناس، وقبل سورة النجم، أي أنها السورة الثانية والعشرون في ترتيب النزول. ويرى بعضهم أنها مدنية. والأول أرجح. لأنها جمعت أصل التوحيد. وهذا المعنى غالب في السور المكيّة[٢]. أقول يمكن الأخذ بهذه الروايات في ميدان التفسير في حالة ثبوت صحة سندها.

فالروايات التي تشير إلى أي حدث في المدينة، ترد فور قراءتها لعدم تحقق شرط أساسي في سبب التنزيل وهو عدم نزول الآية أيام وقوع الحدث. فلا بد من التزامن

---

(١) وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥١١، وانظر تفسير ابن كثير، م٤، ص٥٦٥.

(٢) التفسير الوسيط محمد سيّد طنطاوي، ص٧٥٦، ص٧٥٧، ج١٥، طبعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
وقال النسفي: مكيّة عند الجمهور. وقيل مدنية عند أهل البصرة- ص٣٨٣، ج٨، طبعة دار=
=الكتاب العربي بيروت، وذكر ابن حجر في فتح الباري الروايات التي ذكرت المشركين في مكة أنها سبب نزول وَخَرَّجَها، وأعرض عن الروايات التي تشير إلى أنها في المدينة كقول اليهود والنصارى، ص٧٣٩، م٨، فتح الباري حديث ٤٩٧٤.

ملحوظة: لست موافقاً لرأي سيّد طنطاوي في ترجيحه لكون السورة مكية لأنها جمعت أصل التوحيد، فقد نزل بالمدينة آيات اشتملت على أصل التوحيد كآية الكرسي مثلاً، والمرجع يجب أن يكون هو النقل وليس العقل، ونحن قلنا بمكيتها لأن جمهور العلماء قالوا بذلك. ونقلوا إلينا مكيتها نقلاً لا عقلاً.

بين الحدث أو السؤال. وبين نزول الآية. ولا يُقال نزلت مرتين، وكل مرة نزلت بسبب مختلف، لا يُقال ذلك لأن هذا قول لم يستند إلى دليل شرعي. بل هو قائم على التحليل العقلي. ولا محل للعقل في مسألة الوحي من حيث الإثبات. فوظيفة العقل البشري هي فهم النصوص التي جاء بها الوحي.

سورة العاديات

قال الواحدي: (قال مقاتل: بعث رسول الله،ﷺ، سرّية إلى حيّ من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري فتأخر خبرهم فقال المنافقون: قتلوا جميعاً. فأخبر الله تعالى عنها، فأنزل الله تعالى:﴿وَٱلۡعَـٰدِيَـٰتِ ضَبۡحٗا﴾. وفي رواية أخرى ذكرها بسندها عن ابن عباس، قال: إن رسول الله،ﷺ، بعث خيلاً فأسهبت شهراً لم يأته منها خبر فنزلت﴿وَٱلۡعَـٰدِيَـٰتِ ضَبۡحٗا﴾[١] وقال السيوطي: أخرج البزار، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله،ﷺ، خيلاً ولبثت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت﴿وَٱلۡعَـٰدِيَـٰتِ ضَبۡحٗا﴾[٢].قال ابن حجر: وفي إسناده ضعف[٣]، وقال ابن كثير: (وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثاً غريباً جداً فقال الخبر)[٤].

فسورة العاديات مكيّة[٥]. ولم يكن جهاد في مكة قط. ولم يرسل الرسول،ﷺ، أي سرّية. بل ثبت أن الصحابة، رضوان الله عليهم، استأذنوا الرسول،ﷺ، في

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٤٩٨، طبعة دار القبلة. وانظر تفسير القرطبي، ج٢٠، ص١٥٥، وانظر الدر المنثور، م٨، ص٥٩٩-ص٦٠١. تفسير الفخر الرازي، ص٦٤، ج٣٢. روح المعاني للألوسي، ص٢١٤، ج٣٠. فتح القدير للشوكاني، ج٤، ص٤٨٤.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٢٤١. مجمع البيان للطبرسي، ج١٠، ص٨٠٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، م٨ ، ص٧٢٧.

(٤) تفسير ابن كثير، ص٥٤٢، ج٤.

(٥) انظر فضائل القرآن، لابن الضريس، ص٣٣، تحقيق غزوة بدير، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص١٩٣، نقلاً عن أبي القاسم النيسابوري، وانظر الاتقان في علوم القرآن،

استخدام السلاح ضد قريش لما اشتد أذاها فكان الرسول،ﷺ، يقول لهم: "لم نؤمر بذلك". واستمر الحال حتى بيعة العقبة الثانية فقالوا للرسول،ﷺ،: (لئن شئت لنميلن عليهم ميلة واحدة). وكان جوابه،ﷺ،: "لم نُؤمر بذلك"[1].

وقال الطبري: حدثني يونس قال: اخبرنا ابن وهب قال: اخبرنا أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه قال: بينما أنا في الحجر جالس أتاني رجل يسأل عن العاديات ضبحا، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله. ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم، فانفتل عني فذهب إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو تحت سقاية زمزم فسأله عن﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾. فقال: سألت عنها أحداً قبلي. قال: نعم. سألت عنها ابن عباس فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي. فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير وفرس للمقداد. فكيف تكون العاديات ضبحا إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي، رضي الله عنه،[2] قلت: ولا يخفى تهافت هذه الرواية كذلك لأن الحج كان متأخراً عن الجهاد بكثير، فقد كان في السنة التاسعة للهجرة. قال الألوسي: (ولا يخفى أن هذا الجواب لا يتحمل لمزيد ضعفه إلاّ غارة عليه وإطلاق أعنة عاديات الأفكار

للسيوطي، ج١، ص١٣، ص١٤، وانظر دلائل النبوة للبيهقي، ج٧، ص١٤٢. وانظر كتب التفسير عامة.

(١) انظر الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج١، ص٢٢٣، طبعة دار صادر، وسيرة ابن هشام، ص،٤٤٨، ج١، القسم الأول ودلائل النبوة للبيهقي، وانظر تفسير ابن كثير، ص٢٢٥، ج٣.

(٢) تفسير الطبري، ج٣٠، م١٥، ص٢٧٢، ص٢٧٣. وانظر الدر المنثور، ص٦٠٠، م٨، حيث قال: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس. وذكر القصة الألوسي في روح المعاني، ص٢١٧، ج٣٠، وقال: ذكر ابن الأنباري في كتاب الأضداد- تفسير ابن كثير، ص٥٤١، ج٤، فتح القدير للشوكاني ج٤، ص٤٨٤.

إليه. والأحرى أن الخبر لا صحة له. وتصحيح الحاكم محكوم عليه عند أهل الأثر بكثرة التساهل فيه، وأنه غير معتبر، ثم إن النقل عنه، رضي الله تعالى عنه، في المراد بالعاديات متعارض، فما تقدم أنه إبل الحجّاج، ونقل صاحب التأويلات أنه، كرّم الله تعالى وجهه، فسرها بإبل بدر، وابن مسعود هو الذي فسرها بإبل الحُجاج)[1].

فهذه الرواية كذلك تزيد هوة الزمن بين نزول الآية في مكة وحدوث الواقعة في المدينة، فلا يُعتد بها في أسباب التنزيل. وتغربل وتُبعد عنها. ولكن تُقْبَلُ جميع هذه الأمور في مجال التفسير. والقَسَمُ في السورة جاء عاماً فقد يشمل الخيل والإبل والرجال وكل ما يعدو، وكذلك﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ فقد تكون الخيل توري النيران قدحاً بحوافرها، والناس يورونها بالزناد، واللسان مثلاً يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلاً. وكذلك المغيرات صبحا فلم يخصص مغير دون مغير، فيدخل فيه كل مغير في الصباح[2]. وهذه معان رجحها الطبري وكلها تفسير، وليست سبب تنزيل. والسورة نزلت ابتداء دون سبب نزول فلم تصح أي رواية تصلح أن تكون سبباً لتنزلها. فيحمل ما ورد على التفسير لعدم المزامنة. وإذا استعرضت كتب التفسير تجد أصحابها يعدونها مكيّة، وعليه فترد جميع هذه الروايات التي تنسب لمكان وقوعها في المدينة لعدم المزامنة.

---

(١) روح المعاني للألوسي، ص٢١٧، ج٣٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ص٢٧٣- ص٢٧٥، م١٥، ج٣٠، طبعة دار الفكر. وانظر تفسير القرطبي، ص١٤٥، ص١٥٥، ج٢٠، وتفسير الألوسي، روح المعاني، ج٣٠، ص٢١٧، تفسير ابن كثير، ج٤، ص٥٤٢، فتح القدير للشوكاني، ج٤، ص٤٨٥، تفسير البغوي، ج٤، ص٥١٧، تفسير الخازن، ج٤، ص٤٣١.

سورتا المعوذتين

مكيتان[1]. والروايات التي ذكرت في سحر الرسول،ﷺ، قد كان في السنة السابعة للهجرة، بعد عودته،ﷺ، من الحديبية، فترد هذه الروايات، وتخرج من دائرة أسباب التنزيل، مع أنها وردت في الصحيحين[2]. هذا ومن الجدير بالذكر أن الفخر الرازي ذكر روايات وقعت بمكة كسبب نزول للسورتين مع أن التحقيق يقتضي أن السورتين نزلتا ابتداء دون سبب لنزولهما[3]. والله أعلم.

٢. أن تكون الآية مدنية وسببها وقع في مكة.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.**[البقرة]**. قال الواحدي: (قال سعيد بن المسيب: أقبل صهيب مهاجراً نحو رسول الله،ﷺ، فأتبعه نفر من قريش من المشركين، فنزل عن راحلته ونثر ما في كنانته، وأخذ قوسه ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم إني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم. فقالوا: دلّنا على بيتك ومالك بمكة ونخلّي عنك، وعاهدوه

---

(١) انظر فضائل القرآن لابن الضريس، ص٣٣، تحقيق غزوة بدير، ص٦١، من تحقيق مسفر دماس- وانظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ص١٩٣، ج١، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص١٣، ودلائل النبوة للبيهقي، ص١٤٢،ج٧، وانظر كتب التفسير المتعددة.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٠، ص١٧٦، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد م٢، ص١٩٧، وانظر أسباب النزول للواحدي، ص٥١٣، وما بعدها- ولباب النقول، للسيوطي، ص٢٤٦، ص٢٤٧، وانظر كتب التفسير الكثيرة وكتب السيرة النبوية.

(٣) اختصرت الحديث فيها: وقد أشرنا إليها في المبحث الثالث من الفصل الأول، وهي من الوضوح بمكان لا تحتاج إلى مزيد. وانظر ما ورد في أسباب نزول سورة الماعون، وهي مكية، فقيل: نزلت في المنافقين. ومعلوم أن النفاق ابتدأ وجوده في المدينة، عندما أصبحت للمسلمين شوكة ويرهب جانب كيانهم.

إن دلّهم أن يدعوه، ففعل. فلما قدم على رسول الله،ﷺ، قال: أبا يحيى ربح البيع، ربح البيع، وأنزل الله الآية)[1].

وقال المفسرون: (أخذ المشركون صهيباً فعذبوه، فقال لهم صهيب: إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني؟ ففعلوا ذلك. وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة، فخرج إلى المدينة، فتلقاه أبو بكر وعمر في رجال، فقال له أبو بكر: ربح بيعك أبا يحيى، فقال صهيب: وبيعك فلا يخسر ما ذاك؟ فقال: أنزل الله فيك كذا، وقرأ عليه الآية).

المتفحص لهذه الرواية يجد أنها حدثت وصهيبٌ مهاجر إلى المدينة، ومعلوم أن صهيباً هاجر قبل الرسول،ﷺ. ومشهور أن أبا بكر هاجر مع الرسول،ﷺ، بعد ذلك[2].

والرواية الأولى تشير إلى أن صهيباً هاجر بعد الرسول،ﷺ. وفي الثانية أن الذي تلقاه أبو بكر وعمر. مع أن أبا بكر قد هاجر مع الرسول بعد صهيب. والأهم من هذا كله أن القصة حدثت ولم تكن سورة البقرة قد نزلت بعد. فالآية مدنية والحادثة وقعت بمكة عند هجرة صُهيب رضي الله عنه. ولذلك لا تصلح هذه الروايات أن تكون سبباً لنزول الآية لعدم المزامنة بينهما، وإن كان من حال الرجل مما يندرج تحت مفهوم النص. فتعد الرواية تفسيراً وليست سبب تنزيل.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾. **[المائدة]**.

قال الواحدي: (أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، قال: أخبرنا إسماعيل بن مجيد، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل، قال: حدثنا محمد بن العلاء، قال: حدثنا الحماني، قال: حدثنا النضر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رسول اللهﷺ

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٥٨، ص٥٩، طبعة دار القبلة، تحقيق سيّد صقر. وانظر لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي،ص٣٢.

(٢) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ص٤٧٧، القسم الأول، ج٢، ط٢، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

يُحْرَس، وكان يرسل معه أبو طالب (كل يوم) رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.[**المائدة:٦٧**]. قال: أراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عم، إن الله تعالى قد عصمني من الجن والإنس)[(١)].

إن سورة المائدة مدنية بلا خلاف، وأبو طالب توفي قبل أن يهاجر الرسول ﷺ، بسنوات في مكة[(٢)]. فالرواية وقعت أحداثها في مكة، والآيات نزلت بالمدينة فلا يستقيم الأمر أن يُقال إنها سبب نزول للآية. ولذلك قال السيوطي في لباب النقول: ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن مردويه والطبراني، عن ابن عباس، وذكر القصة. ثم عقب عليها بقوله: وهذا يقتضي أن الآية مكيّة والظاهر خلافه[(٣)].

ومن البديهي أن يكون السند مما يطعن فيه لعدم تطابق القصة مع نزول الآية والزعم أنها سبب النزول. وفي السند يحيى الحماني، وقد قال عنه أحمد بن حنبل: كان يكذب جهاراً[(٤)]. والأمثلة على هذا النوع كثيرة تمر مع من يُعنّي نفسه بدراسة أسباب تنزيل الآيات[(٥)]. وهذه الروايات تعد من باب التفسير ولا تدخل في زمرة أسباب التنزيل.

---

(١) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص١٩٦، وانظر لباب النقول، للسيوطي، ص٩٣.

(٢) توفي أبو طالب في السنة العاشرة للبعثة قبل أن تفرض الصلاة المعهودة. انظر دلائل النبوة، للبيهقي، م٢، ص٣٥٣، والطبقات الكبرى، لابن سعد، ج١، ص١٢٥، وذكر أنه توفي في منتصف شوال من السنة العاشرة للبعثة.

(٣) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٩٣، ط٢، مصطفى البابي الحلبي.

(٤) انظر تهذيب التهذيب، ج١١، ص٢١٣-٢١٨، ترجمة ٣٩٩، وقد سبق الحديث عنه في هذه الرسالة.

(٥) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٩٤، ص٢٩٥. وقد مرَّ معنا الآية ٢٩ من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، في الفصل الأول، نماذج من تفسير ابن مسعود، رقم ٣، في مبحث أسباب النزول عند الصحابة رضوان الله عليهم. وانظر ما قاله ابن حجر في فتح الباري، ص٤١، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٦، في شرح حديث ٤٩٩٦، م٩=

٣. أن تكون الرواية واقعة تاريخية حدثت قبل نزول القرآن وتشمل:

١. موضوع الآية أو السورة، فمثلاً سورة الفيل. قال الواحدي: نزلت في قصة أصحاب الفيل وقصدهم تخريب الكعبة، وما فعل الله تعالى بهم: من إهلاكهم وصرفهم عن البيت. وهي معروفة[١]. فالقصة حدثت قبل نزول الوحي. وبالتحديد في السنة التي ولد فيها سيدنا محمد، ﷺ، فلا تصلح أن تكون سبباً لنزول الآية لأن شرط اعتبار الحادثة سبباً للنزول هو تزامنها مع نزول الآية. وهذه القصة هي موضوع الآية وليست سبباً لنزولها.[٢].

٢. إسرائيليات وأساطير. ومثاله ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ .**[البقرة:٢٦٠]**. من أن إبراهيم عليه السلام أتى على دابة ميتة وقد توزعتها دواب البر والبحر[٣]. فقال: (رب أرني كيف تحيي الموتى؟).

وانظر ما قيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ

=(فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنية لكن قيل إن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ٣٠ نزلت بمكة ثم نزلت سورة الأنفال بالمدينة وهذا غريب جداً).

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥٠٠، وانظر تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، والبغوي، والخازن، والتفسير الكبير للرازي، والدر المنثور، وفتح القدير للشوكاني، وغيرهم. وكذلك مخطوط إرشاد ما من به الرحمن، لعطية الله الأجهوري، ص٣٩٠أ،ب.

(٢) انظر ما قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة:١١٤]، في الفصل الأول المبحث الأول: أسباب دخول الدخيل لأسباب النزول، الاختلاف في فهم قول الصحابي نزلت الآية في كذا.

(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٧٩، وانظر الروايات الأخرى المشابهة في نفس المكان وفي تفسير الطبري، ص٤٨٥، ج٥، طبعة شاكر، في الدر المنثور ص٣٢، وما بعدها ج٢، وانظر تحقيقنا في الفصل الأول مبحث التفسير عند التابعين سعيد بن جبير المثال الثالث.

سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ...﴾.[البقرة:١٠٢]. قال الواحدي بسنده: بينما نحن عند ابن عباس، إذ قال: عن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق، فإذا جرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة، فيشربها قلوب الناس. فاطلع على ذلك سليمان فأخذها فدفنها تحت الكرسي. فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان الممنّع الذي لا كنز له مثله؟ قال: نعم، قال: تحت الكرسي، فأخرجوه فقالوا: هذا سحر. فتناسخته الأُمم فأنزل الله عذر سليمان الآية(١).

٣.أن تكون الحادثة وقعت بعيد نزول الآية، ومنه ما ذكره الواحدي في سبب نزول سورة الزلزلة. قال بعد أن ذكر السند: نزلت:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾. وأبو بكر الصديق،رضي الله عنه، قاعد فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله،صلى الله عليه وسلم،: (ما يبكيك يا أبا بكر؟) قال: أبكاني هذه السورة فقال رسول الله،صلى الله عليه وسلم،: (لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون، لخلق الله أُمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم(٢). ومنه ما قيل في سورة النصر فقد ذكر الواحدي بسنده عن ابن عباس، قال: لما أقبل رسول الله،صلى الله عليه وسلم،

---

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٩، وانظر تفسير الطبري م٢، ص٤٥١، طبعة شاكر، وتفسير ابن كثير ج١، ص١٣٥، والدر المنثور ج١، ص٢٣٣، وما بعدها طبعة دار الفكر، وطبعة دار المعرفة، ١٣٨٨هـ، بيروت، وانظر الروايات والأساطير التي ذكرت تحت سبب نزول هذه الآية: ومنها حكاية مسخ امرأة جميلة فصارت كوكب الزهرة الذي في السماء، واختلاف الملكين هاروت وماروت عليها لجمالها، وقد زنيا بها، وقتلا، وشربا الخمر، فمسخها الله لإغوائها الملكين . وانظر ما قيل في سبب نزول الآية:﴿۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾[البقرة:٧٥]. حيث نقل الواحدي ص٢٥، من كتاب أسباب نزول القرآن: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الله تعالى. فالرواية تنطق أنها لم تكن في زمن نزول القرآن، بل كانت في زمن موسى، عليه السلام، وعليه فلا تصلح ان تكون سبب نزول للآية.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤٩٦، وتفسير الطبري ج٣٠، ص١٠٥، والقرطبي ج٢٠، ص١٤٦، وابن كثير والدر المنثور.

من غزوة حُنين، وأنزل الله تعالى:﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ قال: (يا علي بن أبي طالب ويا فاطمة! قد جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبحان ربي وبحمده واستغفره إنه كان تواباً)[1]. فواضح في الرواية الأولى أن بكاء أبي بكر كان لتأثره بمعنى الآيات الكريمة في السورة. وحديث الرسول،ﷺ، لأبي بكر لتهدئة ما جاش في نفسه. فهذا كله ليس سبباً لتنزيل السورة، بل هو رد فعل على تنزيل السورة فلا يصح أن يسمى سبباً لنزولها لأن الحدث وقع بعيد نزول السورة[2].

٤. والرواية الثانية كذلك في نزول سورة الفتح، هذا إذا صحت الروايات فنحن بصدد دراسة عدم المزامنة. وهناك صيغ تدل على هذا النوع من عدم المزامنة كقولهم: لما نزلت الآية أو لما نزل قوله تعالى[3]..إلخ.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥٠٦، وانظر بعض كتب التفسير كالطبري، والقرطبي، وفتح القدير، وابن كثير.

(٢) وانظر ما رواه الواحدي في سب نزول قوله تعالى:﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. [الأنفال:١٧]. ص٢٢٨، إنها نزلت في أبي بن خلف، يوم أُحد، حين طُعن وكان يخور خوار الثور. وظاهر الطعنة أنها خدش.. إلخ. قال القرطبي وهذا ضعيف. لأن الآية نزلت عقيب بدر، م٧، ص٣٨٥.

(٣) ومنه ما ورد في صحيح البخاري عن سبب نزول قوله تعالى:﴿...وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ جزء من الآية ١٨٧ من سورة البقرة، الأثر ١٩١٦، من فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب ١٥، عن عدي بن حاتم،رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿...حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي. فغدوت على رسول الله،ﷺ، فذكرت ذلك فقال: (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار). ص١٣٢، م٤. قال ابن حجر في رد هذه الرواية أن تكون سبباً لنزول الآية: (ظاهره أن عدياً كان حاضراً لما نزلت هذه الآية، وهو يقتضي إسلامه، وليس كذلك لأن نزول فرض الصوم كان متقدماً في أوائل الهجرة، وإسلام عدي كان في=

فهذا هو الإشكال الأول. وهو عدم المزامنة بين نزول الآية ووقوع الحدث، أو السؤال. وعلاج هذا الإشكال يكمن في رد جميع الروايات التي ينطبق عليها عدم المزامنة. ثم ينظر إذا كانت مما يحتمله النص فتدخل في دائرة التفسير وإلاّ فترد ولا يؤخذ بها. وأما الروايات الإسرائيلية وإن كانت مما يحتمله النص فإني أرى أن تقصى كذلك من التفسير فهي علم لا ينفع وجهل لا يضر كما سبق أن بيّنا.

الإشكال الثاني

القول بتكرار[(1)] نزول الآية الواحدة أو الآيات أو السورة. تبعاً لتعدد الروايات الواردة كسبب تنزيل لها. **ويدخل في هذا الإشكال إشكال آخر وهو القول بتجزئة نزول الآية**، تبعاً لردود فعل الناس على الجزء النازل من الآية. ثم ينزل الجزء الآخر من الآية. إن مسألة تكرر نزول الآية أو الآيات أو السورة أمر يتعلق بالوحي، ودليلها يجب أن يكون من الوحي. فهي مسألة نقلية، وأمر يتعلق بقدسية القرآن الكريم. ولا يجوز للعقل البشري أن يُنظِّر آراء في هذا الموضوع لأن وظيفة العقل البشري في هذه المسألة هو فهم ما يرد إلينا من الوحي. كما لا يجوز لنا كذلك أن نأخذ أقوالاً وننقل آراء دون أن تكون مستندة إلى آثار صحيحة. فهذه القضية يتوقف الخوض فيها على الأدلة الشرعية الواردة فيها. وعلينا أن نتحقق من صحة الأسانيد والمتون التي تتعلق

=التاسعة أو العاشرة، كما ذكره ابن إسحق وغيره من أهل المغازي. فإما أن يقال إن الآية التي في حديث الباب تأخر نزولها عن نزول فرض الصوم، وهو بعيد جداً. وإما أن يؤول قول عدي هذا على المراد بقوله: "لما نزلت" أي لما تليت عليّ عند إسلامي. أو لما بلغني نزول الآية، أو في السياق حذف تقديره: لما تنزلت الآية ثم قدمت، فأسلمت ونقلت الشرائع فعهدت...).

(١) إن مسألة التكرار في القرآن مصطلح يختلف في معناه عمّا نحن بصدده تكرر النزول: فالأول يعني هل يوجد ألفاظ متكررة في القرآن الكريم؟ أم أن كل لفظ له مدلول معين يختلف حسب موقعه في الآية؟ وهل يوجد ترادف في القرآن الكريم أم لا؟ وأما ما نحن بصدده فيعني: هل تنزلت الآية الواحدة أو السورة بواسطة جبريل، عليه السلام، على سيدنا محمد،ﷺ، مرة ثانية وثالثة؟؟.

بها وقد صرّح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله[1]. ولكنهم لم يوردوا دليلاً واحداً. حتى أنهم لم يذكروا دليلاً ولو بسند ضعيف، فكيف وهذه القضية الغيبية تحتاج إلى دليل قطعي؟!

إن القائلين بهذا الرأي لم يذكروا شيئاً من هذا عن صحابة رسول الله،ﷺ، ولا عن التابعين، رضوان الله عليهم جميعاً، وإنما أطلقوا لعقولهم العنان في بحث المسألة. وانبرى آخرون للرد عليهم من المنطق نفسه. فقيل: (ما الحكمة من تكرر نزول القرآن وما الفائدة؟ وهذا تحصيل حاصل. فرد الفريق الآخر وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سبب خوف نسيانه)[2]. والحق في هذه القضية أن يكون صعيد البحث هو الأدلة النقلية ليس غير. ومعروف أن إنزال القرآن جاء بواسطة جبريل، عليه السلام. والموضوع كيف تم تنزيل القرآن؟ وكيف تم ترتيب الآيات في السور حتى اكتملت؟ يجب أن يكون بالنقل لا بالعقل[3]. فنقول لمن يقول بتكرار النزول أين الدليل الشرعي على صحة هذا القول؟ من هم الصحابة أو التابعون الذين قالوا هذا القول في هذه المسألة؟ فإذا تركنا الأمر للعقل فإن العقول تتفاوت وتختلف وتحكم على ما لا تحس به حكماً خاطئاً. وفي هذا افتراء على ديننا، ومنزلق لتحريف الشريعة الإسلامية. ومن المعروف أن الآية إذا نزلت أمر رسول الله،ﷺ، أن توضع في محل من السور. فأين كان محل الآيات التي قيل عن تكرر نزولها أولاً؟ وهل ورد في هذا النص؟ ومن المتفق عليه عند المسلمين قاطبة أن الرسول،ﷺ، كان يقول: ضعوا آية كذا في السورة التي ذكر فيها كذا. أوْ ضعوا هذه الآيات قبل آية

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج١، ص٤٧، النوع الحادي عشر ما تكرر نزوله.

(٢) هذا قول الزركشي في البرهان ج١، ص٢٩، فصل فيما نزل مكرراً.

(٣) قال ابن حجر في الفتح ص٤٠، ج٩، كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن٦: قال القاضي الباقلاني: (ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى. وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها،ﷺ،).

كذا أو بعد آية كذا[1]. وهل يعقل أن تنزل الآية أو الآيات ولا يكون لها مكان؟ لقد تكرر لفظ آيات في القرآن، ومع ذلك تجد أن هذا الترتيب توقيفي قطعي مثاله قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. تكررت إحدى وثلاثين مرة في سورة واحدة. وكانت بيانية بعد كل آية. فلا أحد يستطيع أن يعرف سبب عدد هذا التكرار إلاّ إذا ورد وحي بذلك قرآن أو سنَّة. ولم يرد شيء قط في هذا السبيل. كما لم ينقل أحد شيئاً عن سبب نزول هذه الآية، وعن تكرر نزولها، وما دام لم يرد دليل فالقول بتكرار نزول القرآن أو شيء منه مردود. ولا يعول على الأقوال التي تقال في هذه القضية. وإنها أقوال اجتهادية وليست نقلية[2]. وإذا نظرنا في الحكمة التي قيل عنها في مسألة تكرر النزول، وهي تعظيم لشأن المنزل فإننا نرى أن لا تفاوت فيما ورد في آيات عن الله تعالى فكله بنفس العظمة صادر عن الواحد القهار.

ومن زاوية أخرى وردت أحاديث صحيحة، غير قطعية، أن سيّد آي القرآن هي آية الكرسي. ومع ذلك لم يكن قد لحقها شرف التعظيم لأنه لم يقل أحد منهم أنه تكرر نزولها!! والحديث ورد في صحيح مسلم[3].

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ص٢٢، ج٩، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي،ﷺ، وروى أحمد، وأصحاب السنن الثلاثة، وصححه ابن حبان، والحاكم، من حديث عبد الله بن عباس، عن عثمان بن عفان قال: كان رسول الله،ﷺ، مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذ نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا) الحديث.

(٢) انظر معاني القرآن بين الرواية والدراية، لأحمد حسن الباقوري، ص٧٧، حيث يقول: (وبهذا يعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً، وأن للقصص المتعددة هناك سعة).

(٣) رواه مسلم رقم٨١٠، في صلاة المسافرين. باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، وأبو داود رقم ١٤٦٠، في الصلاة، باب: ما جاء في آية الكرسي، والإمام احمد في المسند٥/ ١٤٠. ونص الحديث عن أُبي بن كعب أن النبي،ﷺ، قال له: (أي آية في القرآن أعظم؟)، قال: الله ورسوله أعلم، فرددها ثلاثاً. قال: آية الكرسي، وقال النبي،ﷺ،: (لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المنذر، والذي نفسي=

ولا يقال إن الغرض أو الحكمة هو التذكير بها، فقد قيل إن سورة الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة وأُخرى بالمدينة. وهو قول غير مقبول لأن الصلاة فرضت على المسلمين من أول ما نزل الوحي على سيدنا محمد،ﷺ، وكانت ركعتين، ثم نزلت الصلوات المعروفة بعد ذلك في مكة، في حادث الإسراء، ولم يعلم قط أن صلاة كانت بغير الفاتحة(١)، فإذا تذكرنا كم مرة يقرؤها المسلم في اليوم فإننا ندرك خطأ القول بتكرر نزول السورة مرة ثانية بالمدينة للتذكير بها. وإذا توسعت المدارك أكثر وتذكرنا صلوات النوافل، وكلها لا تتم إلا بقراءة الفاتحة، تأكدنا من صحة القول إنه لا داعي لتكرار نزولها، حيث كان التشريع بقراءتها يومياً مرات كثيرة تغني عن تكرار نزولها. هذا إذا كان المجال للعقل- والعقل يرد على مثله. وهل الحكمة في التكرار ليعلمها الرسول،ﷺ،؟ فالرسول قد حفظها منذ اللحظة الأولى التي نزلت عليه. والله تعالى تعهده برعايته فلا ينساها أبداً. ولا يجوز في حقه أن ينسى الوحي: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾. [الأعلى]. فضلاً عن جبريل، عليه السلام، كان يتدارس القرآن مع الرسول،ﷺ، مرة كل عام في رمضان. ومرتين في السنة التي توفي فيها. وإن كانت تكررت لتحفظ عند الصحابة، رضوان الله عليهم، فالقرآن كان يدون فور نزوله. وكان كتبة الوحي يكتبون القرآن على الرسم الذي يوحيه الله لرسوله. بالإضافة إلى حفظه في صدور الرجال. ولذلك كان جمع القرآن في عهد أبي بكر هو جمع اللخف والعسب والرقاع التي كان القرآن مدوناً عليها أمام عين الرسول،ﷺ، في مكان

=بيده إنّ لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش). وانظر فضائل القرآن لابن الضريس، ص٩٠، تحقيق غزوة بدير، وفي فضائل القرآن للفريابي: أي آية أشرف، ص١٥٨، تحقيق يوسف عثمان فضل الله جبريل، رسالة ماجستير، نوقشت سنة ١٤٠٥هـ، جامعة الملك سعود بالرياض، كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية.

(١) انظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج٩، كتاب فضائل القرآن، باب٧، ص٤٣، وانظر ص٥.

واحد[1]. وإذا كان تكرار النزول من أجل القراءات، كما قال السخاوي في جمال القراء، فالسور كلها فيها قراءات وهذا يقتضي أن تكون كل السور قد نزلت مرتين ولم يقل بهذا الرأي أصحاب القول بتكرار النزول. والأصل في نقاش هذا الرأي هو: أين الدليل على أنه تكرار نزول سورة أو آية من أجل القراءات؟! وإذا زعم انه كان يتم في العرضات السنوية[2] لقراءة القرآن التي كانت تتم بين الرسول، ﷺ، وجبريل، عليه السلام، فأين الدليل على هذا الأمر المغيب؟.

وإذا أمعنا النظر في عبارة صاحب هذا القول فإنه أورده على سبيل الاحتمال لا على سبيل الجزم فقال: قلت (والقول للسخاوي): (يجوز أن تكون نزلت أوّل مرة على حرف واحد، ونزلت الثانية ببقية وجوهها نحو: ملك ومالك، والسراط والصراط ونحو ذلك أ.هـ)[3].

فانظر إلى كلمة (يجوز) فهل الاحتمال يكون دليلاً في الشريعة الإسلامية؟! وخلاصة القول إنه لم يرد دليل يثبت صحة هذا القول. ومن القائلين بتكرار نزول بعض الآيات والسور ابن تيمية، وابن كثير، وابن الحصار[4]، والزركشي، وابن حجر، والسخاوي، والسيوطي وغيرهم.

ومن المصرحين برد هذا القول: العماد الكندي في مخطوطه: الكفيل بمعاني

---

(١) انظر حديث ٤٩٨٦، من فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج٥٩، ص١٠، ويتضمن الحديث عن جمع القرآن.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري: والمعتمد أن جبريل، عليه السلام، كان يعارض النبي، ﷺ، في رمضان بما ينزل به عليه في طوال السنة، كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد، وابن أبي شيبة، بإسناد صحيح. ص٥، ج٩. وانظر باب ٧، من كتاب فضائل القرآن، بأن كان جبريل، عليه السلام، يعرض القرآن على النبي، ﷺ، ص٤٣، ج٩.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١، ص٤٨.

(٤) انظر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص٤٥، ج١.

التنزيل[1]. وهو تفسير للقرآن الكريم. وطاهر الجزائري في كتابه: (التبيان في علوم القرآن)[2]. والشيخ أحمد حسن الباقوري في كتابيه مع القرآن ومعاني القرآن بين الرواية والدراية[3]. وفي هذا المقام يقتضي أن نستوفي المسألة ببحث شيء من الآيات أو السور التي قالوا عنها تكرر نزولها، وندرس ما قالوا؟ ونفهم توجيه ما ذهبوا إليه. ونناقشه مناقشة فكرية من جميع جوانبه لنؤكد صحة ما ذهبنا إليه في هذا البحث. وهو أن القول بتكرار نزول بعض الآيات أو السور هو قول ينقصه الدليل. قال ابن حجر: (والأصل عدم تكرار النزول)[4].

ومما قيل عن تكرار نزوله من السور: الفاتحة، والإخلاص. ومن الآيات: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾. **[الإسراء:٨٥]**، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ .**[هود:١١٤]**. وخواتيم سورة النحل. وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾. **[التوبة:١١٣]**. وغيرها.

سورة الفاتحة

ورد فيها أربعة أقوال: ١. مكيّة، ٢. مدنيّة، ٣. نزلت مرتين مرة بمكّة وأخرى بالمدينة. ٤. نصفها نزل بمكة والآخر بالمدينة. والأول: قال به ابن عباس وقتادة وأبو

(١) ذكره السيوطي في الإتقان، ج١، ص٤٨.

(٢) ص٢٦، كما نقل ذلك الشيخ عبد الوهاب عبد المجيد غزلان في كتابه البيان في مباحث من علوم القرآن.

(٣) معاني القرآن أحمد حسن الباقوري، ص٧٤، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مركز الأهرام للترجمة والنشر، والكفيل ذكره السيوطي في الاتقان في علوم القرآن، ج١، ص٤٨.

(٤) فتح الباري م٨، ص٥٠٨، شرح الحديث ٤٧٧٢، في سورة القصص آية ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

العالية. والثاني: قال به مجاهد، وعطاء بن يسار، والزهري. قال الواحدي:

قال الحسين بن الفضل لكل عالم هفوة، وهذه بادرة من مجاهد، لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافة[١].

والأخير حكاه أبو الليث السمرقندي[٢].

قال ابن كثير:[٣] وهو غريب جداً نقله القرطبي عنه. وقال محمد بن يوسف الأباضي ولا دليل لهذا القول[٤]. وأما الرأي الثالث: وهو موضع البحث قال محمد بن يوسف الوهبي الأباضي: وقد يجمع بينهما (الرأيان الأولان) بأنها نزلت مرتين فأخبر كل بما علم. أو لما حولت القبلة أخبر ﷺ، أن الفاتحة ركن في الصلاة كما بمكة فظن ذلك إنزالاً[٥]. والصواب أن سورة الفاتحة مكيّة وترد جميع الآراء الأخرى. والدليل على مكيتها:

١.(قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾. [الحجر]. يعني

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٨. وهو تعليق على مجاهد لقوله إن الفاتحة مدنية.

(٢) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، ج١، ص١٩٧، دراسة وتحقيق د. عبد الرحيم أحمد الزقة- جامعة بغداد، وانظر هيميان الزاد على دار المعاد، لمحمد بن يوسف الوهبي الأباضي، ج١، ص٢٩، تفسير الخازن م١، ص١٢، وبهامشه تفسير النسفي، طبعة مكتبة المثنى، بغداد بالافست. وانظر معالم التنزيل، للبغوي، ج١، ص٣٧، تحقيق خالد العك ومروان سوار. طبعة دار المعرفة بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣) تفسير سورة الفاتحة، ص٨، م١، من تفسير ابن كثير.

(٤) هيميان الزاد على دار المعاد، لمحمد بن يوسف الوهبي الأباضي، ج١، ص٩، طبعة سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي، ١٤٠١هـ- ١٩٨٠م.

(٥) المصدر السابق نفسه.

* ملحوظة: لقد مر في هذه الرسالة تعليق على الروايات التي قيل أنها سبب نزول في الأمثلة السابقة الإخلاص، وآية الروح إلخ، فلا داعي لتكرار بحثها.

الفاتحة[1]....وسورة الحجر مكية بلا خلاف. ولم يكن الله ليمتن على رسوله بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة. ثم ينزلها بالمدينة. ولا يسعنا القول بأن رسول الله، ﷺ، قام بمكة ثلاث عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب. هذا مما لا تقبله العقول)[2]. ولا يُقال بأن السبع المثاني هي السبع الطوال. لأنها لم تكن نزلت بعد. فالبقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، نزلت في المدينة.

٢.إذا نظرنا لمسألة أول ما نزل من القرآن من السور والآيات تجد أنه يُقال عنها أنها أول سورة كاملة نزلت بمكة[3].

أما القول بأنها أوّل ما نزلت من القرآن على الإطلاق فهو غير صحيح لأن الحديث الذي رواه البيهقي والواحدي عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل) مرفوعاً. قال السيوطي عنه إنه مرسل. وهو يعارض الحديث المرفوع في صحيح البخاري بأن أول ما نزل على الإطلاق قوله تعالى:﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾.

وقال د. عبد الوهاب غزلان: (وقد أشار الزركشي في البرهان إلى هذا الحديث. ونقل عن القاضي أبي بكر أنه قال هو حديث منقطع، فيتضح مما تقدم أنه قول دليله ضعيف)[4]. والشاهد عندنا أن سورة الفاتحة ليست أوّل ما نزل من القرآن. ولكنها أوّل سورة كاملة نزلت بمكة من القرآن، أي أنها مكية.

٣.إن النقول التي وصلت إلينا عن نزول السور المكية والمدنية تجمع أن سورة الفاتحة

---

(١) انظر تفسير الطبري، م١، ص١١٠، طبعة دار القبلة. وتفسير الفخر الرازي، م١، ص٩٣.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨.

(٣) انظر القول الثالث ص٣٢. ج١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي-طبعة دار المعرفة عن مطبعة مصطفى الحلبي، بالقاهرة.

(٤) البيان في مباحث من علوم القرآن. عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، ص٨١، وانظر مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص٦٨. بعد أن علق على حديث جابر بأن أول من نزل هو المدثر قال: (وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر). م٢، ص٢٠٨، طبعة دار الفكر.

مكية، سواء أكانت النقول في كتب التفسير أم في السيرة، أم في كتب علوم القـرآن وفضائل القرآن(١). صحيح أنه وردت أقوال قيـل أنهـا مكيـة ومدنيـة، أو نصـفها ونصفها مدني، وهذه الأقوال تقر أن السورة مكية رغم عـدم ثبـوت صـحة هـذه النقول. وعليه فإن سورة الفاتحة مكية، ومن يقول غير ذلك لا تجد له حجـة، بـل تجد قوله واهياً لا يقوى أمام حجة مكية السورة.

٤. إن الصلاة فرضت في أول نزول الوحي وبعد نزول قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ ولم يرد أن صلاة كانت بدون الفاتحة. فهذا يدل على مكيّة السورة.

قال الشيخ أحمد حسن الباقوري تعليقاً(٢) على من قالوا بتكـرار نـزول القـرآن (أنه لا يمكن ذلك والمسألة هنا تحتاج إلى تدبر وروية. فإن القول بتكرار النـازل نفسـه أكثر من مرة، أمر غير مقبول، وربما أراد العلماء به التوفيق بين الآراء المتعـددة. أو أن تعدد الطرق في تناول الخبر حدا بهم إلى القول بتكرار النازل)(٣).

وقال: (إن هذه الأقـوال الـتي أشـار إليهـا العلمـاء قـديمهم ومحـدثهم- تحمـل تبريرات لا يسهل الأخذ بها فيما يبدو. ولن يطمئن إليها تمام الاطمئنـان. وقـد رأينـا العديد من الروايات التي تعرضنا لها منها ما هو ضعيف ومنها ما لا يقبل الأخـذ بـه، وربما ينتهي بنا الأمر على الأخذ برواية واحدة متفـق عليهـا. ولـن نـندفع إلى القـول بتكرار النازل قبل أن نتحرى الدقة في قبول الرواة)(٤).

---

(١) انظر كتب التفسير بلا استثناء، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ولباب النقول للسـيوطي، ومخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر، وانظر فضائل القـرآن لابـن الضـريس، والاتقـان في علوم القرآن للسيوطي، والبرهان للزركشي، وغيرها كثير.

(٢) تعليقاً على السيوطي في الإتقان، ج١، ص٣٣.

(٣) معاني القرآن بين الرواية والدراية، لأحمـد حسـن البـاقوري، ص٥٧، طبعـة أولى طبعـة مركـز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٨٦م.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٥٨.

الأسباب التي أدت إلى القول بتكرار التنزيل

لا بد من التمييز أولاً بين التكرار والتعدد. فالأول نزول الآية أو السورة نفسها مرتين أو أكثر. أما تعدد النزول فإنه يعني تعدد نزول آيات في واقعة واحدة في عدة سور، أو في أماكن متفرقة من السورة الواحدة. أما الأسباب التي حدت ببعض العلماء بالقول بتكرار النزول فهي:

١) تعدد الروايات التي وصلت إلينا في أسباب تنزيل الآية الواحدة. و إذا حققنا هذه الروايات فإننا نجدها لا تصلح أن تكون جميعها سبب تنزيل الآية نفسها أو السورة؛ كما مرّ معنا في كثير من المواطن من هذه الرسالة. ومع ذلك تجد من سلك مسلك التوفيق بين هذه الروايات المتعددة فقال بتكرار التنزيل.

٢) اختلاف الصحابة، رضوان الله عليهم، في استعمال (نزلت الآية في كذا): فمنهم من يستعملها لمحض قصة كانت في زمن الرسول،ﷺ، ومنهم من يستعملها فيما انطبقت عليه الآية مما كان في زمن الرسول،ﷺ، أو قبل زمنه أو بعده[(١)].

٣) (وقد يذكرون حادثة تحققت في تلك الأيام المباركة، واستنبط النبي حكمها من آية قرأها في ذلك الباب، فتراهم يقولون بعد ذلك: إن الآية نزلت في كذا، وربما قالوا فأنزل الله قوله كذا، فكأنه إشارة إلى استنباطه عليه الصلاة والسلام) وإلقاء الآية تلك الساعة في خاطره المبارك نوع من الوحي، ولذلك أمكن أن يُقال: أنزلت الآية)[(٢)]. وهذه الجملة الأخيرة وإن كان يطلق عليه وحي إلاّ أنه لا يسمى تكرار النزول. لأن هذا يعني تكرار نزول القرآن كله، ومعارضته جبريل، عليه

---

(١) انظر كتاب معاني القرآن بين الرواية والدراية، لأحمد حسن الباقوري، ص٧٦، وانظر الفصل الأول، المبحث الثاني، من هذه الرسالة.

(٢) المصدر السابق نفسه حرفيا (الباقوري)، وانظر إلى التنبيه الذي أشار إليه السيوطي في الإتقان ج١، ص٤٥، فيستعمل الراوي فنزلت بدل فتلا أو فقال.

السلام، للرسول،ﷺ، يمكن أن تُقال تكرار تنزيل. وهذا غير صحيح وربما لم يقصده من قالوا بتكرار النزول. بل لم يشر إليه أحد ممن قالوا بتكرار التنزيل.

٤) (المحدثون يذكرون في ذيل آيات القرآن كثيراً من الأشياء التي ليست من قسم سبب النزول في الحقيقة، مثل: استشهاد الصحابة في مناظراتهم أو تمثيلهم بآية. ومثل تلاوته،ﷺ، الآية للاستشهاد بها في كلامه الشريف، ومثل رواية حديث وافق الآية في أصل الغرض)[١]. ثم قال الشيخ الباقوري: (إن من جملة الآثار المروية في كتب التفسير بيان سبب النزول، وسبب النزول على قسمين:

الأول: أن تقع حادثة فيها إيمان المؤمنين ونفاق المنافقين، كما وقع في أحد والأحزاب. وقد أنزل الله تعالى مدح هؤلاء، وذم أولئك ليكون فيصلاً بين الفريقين. وربما يقع في مثل هذا من التعريض بخصوصيات الحادثة ما يبلغ حد الكثرة، فيجب أن يذكر شرح الحادثة مختصراً ليتضح سوق الكلام في نظر القارئين.

الثاني: أن يكون معنى الآية واضحاً بعمومها دون حاجة إلى العلم بالحادثة التي هي سبب النزول. وذلك أن الحكم لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، وإنما ذكر قدماء المفسرين تلك الحادثة قصداً إلى الإحاطة بالآثار المناسبة لتلك الآية، أو قصداً إلى بيان ما صدق عليه العموم، وليس ذكر هذا من الضروريات)[٢]. ثم قال: (وبهذا يعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً، وأن للقصص المتعددة هناك سعة).

فمن استحضر هذه النكتة تمكن من حلّ اختلاف أسباب التنزيل بأدنى عناية)[٣].

---

(١) معاني القرآن للباقوري، ص٧٦، ورأي الباقوري هذا أخذه عن الدهلوي، كما أشار في الموضوع نفسه وفي الصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٧٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وعليه فإن المتدبر لروايات أسباب التنزيل المتعددة في الآية الواحدة يستطيع توجيهها، أو دفع بعضها بحيث يزول الإشكال الذي سببه هذا التعدد عند البعض. وحدا بهم للقول بتكرار النزول. والنتيجة أن القول بتكرار النزول قول خاطئ يعوزه الدليل الشرعي فيرد هذا الإشكال.

إشكال القول بتجزئة تنزيل الآية الواحدة.

لقد ثبت بالتواتر أن ترتيب الآيات في السور توقيفي(١). وأن الآية كانت تنزل متكاملة دون تجزئة، والقول بخلافه لا يقبل إلاّ إذا ورد دليل قطعي عليه. قال الشافعي رحمه الله" (ولم أعلم مخالفاً أن كل آية إنما أنزلت متتابعة لا مفرقة، وقد تنزل الآيتان في السورة مفرقتين فأما آية فلا، لأن معنى الآية أنها كلام واحد غير منقطع).(٢) (يستأنف بعده غيره).(٣) وقال في موضع آخر: (لأن معنى الآية معنى قطع الكلام).(٤) وعليه فلا بد من تأويل أو رد رواية سهل بن سعد الساعدي التي رواها البخاري والتي تشير إلى أن "لفظ من الفجر" لم يكن قد نزل في الآية في سورة البقرة:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٩، ص٤٠، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن.

(٢) أحكام القرآن للشافعيّ، ج١، ص١٠٧، وانظر اختلاف الحديث للشافعيّ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص٥١، دار الكتب العلمية بيروت. وقول الشافعي: (ولم أعلم مخالفاً) يدل على أنه إجماع على هذه المسألة.

(٣) أحكام القرآن للشافعيّ، ج١، ص١٠٧. وانظر اختلاف الحديث للشافعيّ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص ٥١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) هذه الزيادة مأخوذة من كتاب اختلاف الحديث للشافعيّ، ص٥١، وقد أثبتها محقق كتاب أحكام القرآن للشافعيّ.

﴿تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ .[البقرة].

ونص الرواية كما في صحيح البخاري: (أُنزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾[1] فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود. ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار).[2] قال ابن حجر: قال القرطبي: حديث سهل فإنه ظاهر في أن قوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾. نزل بعد ذلك لرفع ما وقع لهم من الإشكال. قال: (وقد قيل إنه كان بين نزولهما عام كامل).[3] وفي رواية البراء ورواية عدي بن حاتم، رضي الله عنهما، عند البخاري[4] لم تستثن كلمة: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾. والناظر في جميع الروايات التي سبقت في سبب نزول هذه الآية وأجزائها يرى أن الأشخاص الذين نزلت فيهم (كما ذكرت الروايات) هم: عمر بن الخطاب[5]، وقيس بن صرمة الأنصاري[6]، وأصحاب

---

(١) تصور نزول الآية كلها من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ دون أن ينزل لفظ ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ وقد يفهم من روايتهم أن الآية نزلت عدة مرات لأن الوارد في الرواية: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ إلى: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ جزء من الآية لا يصل لمقدار ربعها.

(٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص١٣٢، ج٤، كتاب الصوم، باب ١٥، الطبعة السلفية.

(٣) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص١٣٤، ج٤، كتاب الصوم، باب ١٥، الطبعة السلفية.

(٤) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص١٣٣، ج٤، كتاب الصوم، باب ١٥، الطبعة السلفية.

(٥) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص١٢٩-ص١٣١، ج٤، كتاب الصوم، باب ١٥، الطبعة السلفية.

(٦) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص١٢٩-ص١٣١، ج٤، كتاب الصوم، باب ١٥، الطبعة الطبعة السلفية.

محمد،ﷺ،[1] فيكون القول بعدم نزول قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ هو تفسير من سهل الساعدي، رضي الله عنه، وأن لفظ فأنزل في الرواية استعمل بدل: تلا أو قرأ وهو الرأي الذي أراه راجحاً، حسب عادة الصحابة في التفسير، لا سيما أن الروايات صدرت بقوله لما نزلت الآية: (فدل على أن القصة وقعت بعد نزول الآية، وإلاّ فيرد الحديث لمخالفته المتواتر في نزول الآية الواحدة مجتمعة لا متفرقة[2]. وفي مثل هذه الآية يقال عمّا ورد في سورة النساء آية٩٥: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥﴾.

فقد أورد البخاري[3]، عن سهل بن سعد الساعدي، أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد فقال: فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: (أن رسول الله،ﷺ، أملى عليه: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. فجاءه ابن أُم مكتوم وهو يُمِلّها عليّ، قال يا رسول الله: والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله،ﷺ، وفخذه على فخذي، فَثَقُلَت عليّ حتى خِفْتُ أن تُرَضّ فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[4].

---

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص١٢٩-ص١٣١، ج٤، كتاب الصوم، باب ١٥، الطبعة السلفية.

(٢) لقد بُحِثَت المسألة من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة، فيما إذا أخذ بحديث سعد بن سهل. فلم يصحح الحديث أكثر الفقهاء والمتكلمين، كما فعل ذلك ابن حجر في فتح الباري. ص١٣٥، م٤، في شرح الحديث ١٩١٧.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ١٨، من سورة البقرة ص٢٥٩، الحديث ٤٥٩٢، المطبعة السلفية.

(٤) وانظر الأحاديث ٤٥٩٣، ٤٥٩٤، ٤٥٩٥، من فتح الباري، كتاب التفسير، باب ١٨، م٨.

وأُضيف إن الروايات في تجزئة نزول الآية في بعض الألفاظ تدخل في القراءات غير المتواترة، فلا يعتد بها. وهي من باب التفسير. ومثلها ما ورد في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾. [البقرة]. فعن البراء بن عازب فأنزلت هذه الآية حافظوا على الصلوات وصلاة العصر، فقرأناها ما شاء الله ثم نزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾.(1) ولا يقال عنها إنها من باب النسخ لأنها لم تتواتر فلا تعد قرآناً. وعليه فلا يُقال إن الآية الواحدة نزلت مجزأة أو مفرقة لأن فيه تقطيعاً للمعنى الواحد من كلام رب العالمين. والروايات التي ترد في هذا الموضوع تدخل غالباً في باب التفسير من الصحابي. ولا يقبل أن يُقال إن الآية نزلت، ثم بعد رد فعل معين من الصحابة أنزل الله اللفظ المبين للمعنى بعد عام أو حتى بعد ساعة. فقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ نزل مع الآية وفي موضعها عند نزول الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾. وكذلك قوله تعالى في سورة النساء: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾. نزل كجزء من الآية فور نزولها(2): ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾. وكذلك آية البقرة: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾. ولم ينزل وصلاة العصر. وهي تفسير من الصحابة، وعليه فتردّ هذه الأقوال لمخالفتها المتواتر. وبذلك نتخلص من

---

(1) الآية ٢٣٨، من سورة البقرة. وانظر الرواية في فتح الباري، ص٢٦١، م٨، كتاب التفسير، باب ١٨.

(2) في رواية هذه الآية وردت عبارة: لما نزلت: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وفي هذا التعبير دلالة على أن القصة وقعت بُعيد نزول الآية فليست سبباً لنزولها. من هذه الناحية كذلك.

ومثلها يُقال عمّا ورد في روايات: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ حيث نبهنا إليه في نهاية الإشكال الأول "عدم المزامنة" من هذا الفصل.

الإشكال الذي سببه القول بنزول بعض الآيات مفرقة، وما ينجم عنه، وهو قول مأخوذ من روايات تفسيرية لم تبلغ حد التواتر. والله أعلم.

الإشكال الثالث: تعدد روايات أسباب التنزيل

إن هذا الإشكال يقتضي من الباحث أن يتحرى الصواب في روايات أسباب التنزيل. وأن يسير في طريق الترجيح إن كان من أهله، حيث تضع الروايات الكثيرة القارئ في حيص بيص، فقد تكون الروايات متناقضة في الآية الواحدة، وقد تفكك الآية الواحدة في النزول، ويجعل لكل جزء من الآية سبباً مستقلاً. وقد توهم أن طائفة من الآيات في سورة واحدة قد نزلت كل آية بسبب خاص. فكأن القرآن نزلت فيه كل آية في سبب معين.. وقد يقولون بتعدد النازل في سبب واحد. أو يعممون سبب التنزيل في الآية على آيات مشابهة لها في اللفظ، وتكون الروايات مختلفة في الموضوع. والقاعدة الأساسية في حل هذا الإشكال هو التحقيق في الروايات، واعتماد الترجيح قاعدة في إزالة ما ينجم عن ذلك من إشكال. ويتمثل هذا الإشكال في الصور الآتية:

الصورة الأولى:

١. تعميم سبب التنزيل في الآية على آيات مشابهة لها:

فقد نقل السيوطي في لباب النقول أن سبب تنزيل قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾**﴾. **[البقرة].**

(أخرج ابن جرير، من طريق ابن جريج، قال: حُدِّثْتُ أن قوله- الآية نزلت في أبي بكر في شأن مسطح[(١)]. وذكر السبب نفسه كجزء من حديث الإفك في قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)].

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص٣٦، ط٢، مصطفى البابي الحلبي.

(٢) المصدر السابق ص١٥٩.

ويرجح أن سبب التنزيل هذا بشأن آية النور، وترد الرواية المنسوبة لآية البقرة، لأن الرواية الأولى صحيحة وردت في صحيح البخاري، في حديث الإفك، كما أشرنا إلى ذلك في موضع سابق من هذه الرسالة.. وتكون الرواية الواردة في سورة البقرة من باب التفسير. ويُقال مثل ذلك ما رواه الواحدي، عن الكلبي في سبب نزول آية البقرة، إنها نزلت في عبد الله بن رواحة، ينهاه عن قطيعة ختنه بشير بن النعمان، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبداً، ولا يكلمه، ولا يصلح بينه وبين امرأته، ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل ولا تحل (لي) إلاّ أن أَبَرَّ في يميني، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

وقد تعمم رواية سبب التنزيل ولا تكون سبباً في الآيتين. بل من قبيل التفسير. ومثاله ما ذكره الواحدي في الآية ٧٩ من سورة البقرة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾. قال: نزلت في الذين غيروا صفة النبي، ﷺ، وبدلوا نعته. قال الكلبي بالإسناد الذي ذكرنا: (إنهم غيّروا صفة رسول الله، ﷺ، في كتابهم وجعلوه آدم سبطاً طويلاً، وكان رَبْعَةً أسمر، ﷺ، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي الذي يُبعث في آخر الزمان، ليس يشبه نعت هذا، وكان للأحبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود، فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن بيّنوا الصفة فمن ثمّة غيروا)[2].

فقد ساق الرواية نفسها للآية ١٧٤ من السورة نفسها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٧٢، دار القبلة تحقيق سيّد صقر، ومثال آخر فقد ذكر السيوطي سبب نزول آية الوضوء في المائدة، الآية السادسة، ما ذكره الواحدي في آية التيمم من سورة النساء، الآية ٤٣. فليرجع إليه من شاء ذلك. وملخصه ما رواه البخاري ومسلم عن ضياع عقد عائشة، رضي الله عنها، في إحدى الغزوات وتأخر الركب في البحث عنه، فلم يجدوا ماء فنزلت الآية تعلمهم التيمم.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٤، دار القبلة، تحقيق سيّد صقر.

أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾[1] . كما ذكر الرواية نفسها بألفاظ مختلفة في الآية ٧٧ من سورة آل عمران. عن الكلبي، وعن عكرمة[2].

ونص الآية هو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

فتشابه نصوص الآيات حداً ببعض المهتمين بأسباب التنزيل، كالواحدي، أن يعمم رواية واحدة على هذه الآيات المتعددة فسبب إشكالاً. لأي آية تكون هذه القصة سبب تنزيل يا ترى؟! ويزول الإشكال بعَدِّ هذه الرواية تفسيراً يمكن أن تنطبق عليه أجزاء من الآيات الثلاث.

الصورة الثانية:

ذكر أسباب نزول مختلفة لآية واحدة مع تباعد زمن حدوث الوقائع ومثاله:

أ. ما رواه الواحدي في أسباب النزول والسيوطي في لباب النقول في نزول سبب قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. **[الأنفال:١٧]**. وقال: (روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: أقبل أُبيّ بن خلف يوم أُحد إلى النبي،ﷺ، يريده فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم الرسول فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله،ﷺ، ترقوة أُبيّ من فُرْجَةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته فسقط أبيّ عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه. فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله،ﷺ، بل أنا أقتل أبيّاً، ثم قال: والذي نفسي

---

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤٤، دار القبلة، تحقيق سيّد صقر.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٠٧، دار القبلة، تحقيق سيّد صقر.

بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات أُبيّ قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله الآية.. صحيح الإسناد، لكنه غريب)[1].

ب. وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله،ﷺ، يوم خيبر دعا بقوس، فرمى الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل الله- الآية، مرسل جيد الإسناد، لكنه غريب. والمشهور أنها في رمية يوم بدر بالقبضة من الحصباء[2].

ج. روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، عن حكيم بن حزام، قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طَسْت، ورمى رسول الله،ﷺ، بتلك الحصباء فانهزمنا، فذلك قوله الآية. وأخرج أبو الشيخ عن جابر وابن عباس، ولابن جرير من وجه آخر مرسلاً نحوه[3].

والمدقق في الروايات الثلاث يجد أن الرواية الأولى حدثت في السنة الثالثة للهجرة، أي: بعد نزول آيات الأنفال بعام[4]. (يوم أُحد). فكيف يُقال عنها أنها سبب تنزيل للآية؟

ولكن ديدن من بحثوا في أسباب تنزيل القرآن أن لا يضيرهم لو جمعوا الروايات مع اختلاف زمن حدوثها، وقالوا إنها جميعاً سبب نزول آية واحدة. أي قالوا بتعدد الأسباب والنازل واحد. فَسَبَّبَ هذا الإشكال.

ونقول في الرواية الثانية: التي تدل على أنها وقعت في خيبر أي في السنة الخامسة للهجرة. أي بعد نزول الآية بثلاثة أعوام ما قلناه عن الرواية الأولى. قال

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص١٠٦، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) المصدر السابق، والصفحة نفسها، أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢١٩. المصدر السابق نفسه، ص١٠٧.

(٤) وقال القرطبي: وهذا ضعيف، لأن الآية نزلت عقيب بدر. ج٧، ص٣٨٥، طبعة دار الفكر.

القرطبي: وهذا أيضاً فاسد، وخيبر أبعد من أُحد بكثير. والصحيح في صورة قتل ابن أبي الحقيق غير هذا[1].

وأما الرواية الثالثة فالخيال فيها واضح وإن تزامنت مع تنزيل الآية فكأن ما رمى به،ﷺ، في وجوه الكفار من التراب قد نزل خصيصاً من السماء ليفعل ما فعلته قبضة الحصى من يده الشريفة في المعركة. والرواية تشير إلى أنها من حكيم بن حزام وهو كافر. فلا تصلح أن تكون سبب تنزيل كذلك[2]. وهناك رواية رابعة تقول إنها يوم حُنين[3].

الصورة الثالثة:

اختلاف موضوع الروايات في سبب تنزيل الآية الواحدة. ومثاله ما ذكر السيوطي في لباب النقول في سبب تنزيل قوله تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾. قال:

أ. روى البخاري عن حذيفة قال: نزلت هذه الآية في النفقة.

وأخرج أبو داود، والترمذي، وصححه وابن حبان والحاكم، وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري، قال: (نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً: إن أموالناً قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا، الآية. فكانت

---

(١) قال ابن هشام: (إن كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أبى أن يعترف للرسول بمكان كنز بني النضير، فقال للزبير: عَذّبه حتى نستأصل ما عنده. فكان الزبير يقدح بزند في صدره، حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة). ج٣، ص٣٥١، هذا ما أشار إليه القرطبي من صورة قتل ابن أبي الحقيق

(٢) وقد ذكر الرواية كذلك الطبري، ج١٣، ص٤٤٣، وابن كثير، ج٢، ص٢٩٦، والبغوي، والخازن، والسيوطي في الدر المنثور.

(٣) انظر تفسير القرطبي، ج٧، ص٣٨٤.

التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وترك الغزو)[1].

ب. وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن أبي جبيرة بن الضحاك،[2] قال: (كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله، فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله الآية)[3].

ج. وأخرج أيضاً بسند صحيح عن النعمان بن بشير، قال: (كان الرجل يذنب الذنب، فيقول لا يغفر لي، فأنزل الله الآية. وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم).

فهذه روايات ثلاث: الأولى في الإمساك عن النفقة في الجهاد، والثانية في الإمساك عن الصدقة للجدب الذي حلّ بهم، والثالثة في جحود مغفرة الله لمن يذنب ذنباً. فهذا التعدد يسبب إشكالاً لاختلاف موضوع الروايات. والصواب هو ما رواه البخاري وما في معناه عن أبي أيوب الأنصاري. وأما باقي الروايات فهي من باب التفسير، والتوسع فيه لأن سياق الآيات يدل على أنها في الجهاد. وقرينة ذلك أنها اقترنت بلفظ في سبيل الله، ولم يقترن لفظ الإنفاق في سبيل الله في القرآن إلاّ كان بمعنى الجهاد. فالإخلاد إلى الراحة، والاهتمام بإصلاح الأموال والأهل وترك النفقة في الجهاد هو موضوع الآية الذي يؤدي إلى التهلكة، وعليه فتقصى الروايتان ب، ج وما قيل في معناهما من سبب تنزيل للآية.

الصورة الرابعة:

جعل كل جزء من الآية له سبب خاص. ومثاله ما ذكره السيوطي في سبب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ

(١) لباب النقول، ص٢٩.

(٢) هكذا أورده السيوطي. ولم أعلم فيما اطلعت عليه أن للضحاك ولداً اسمه أبو جبيرة. والموضوع بحاجة إلى تحقيق.

(٣)لباب النقول للسيوطي، ص٢٩.

﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾. [النساء].

فقد ذكر السيوطي لهذه الآية روايات مختلفة في مواضيع متعددة مما ذكر في الآية وهي:

أ. سبب نزول مطلع الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ قال: روى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم عن عليّ قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا، وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدّموني فقرأت: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾. ونحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله الآية. وذكر هذا الجزء من الآية(١).

ب. سبب نزول: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾. قال السيوطي: وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال:

نزلت هذه الآية في المسافر تصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي.

وأخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك قال: كنت أُرَحِّلُ ناقة رسول الله، ﷺ، فأصابتني جنابة في ليلة باردة فخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض. فذكرت ذلك لرسول الله، ﷺ، فأنزل الله لا تقربوا الصلاة وانتم سُكارى الآية كلها(٢). وأخرج الطبراني عن الأسلع قال: كنت أخدم النبي، ﷺ، وأُرَحِّلُ له، فقال ذات يوم: (يا أسلع قم فارحل). فقلت: يا رسول الله أصابتني جنابة، فسكت رسول الله، ﷺ، وأتاه جبريل الصعيد. فقال رسول الله: (قم يا أسلع فتيمم، فأراني التيمم ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين)، فقمت فتيممت ثم رحّلت له(٣).

---

(١) لباب النقول، ص٦٣، وانظر أسباب النزول للواحدي، ص١٤٦.

(٢) لباب النقول للسيوطي، ص٦٣.

(٣) لباب النقول للسيوطي، ص٦٣.

ج. سبب تنزيل: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾. أخرج ابن جرير، عن يزيد بن أبي حبيب: أن رجالاً من الأنصار كانت أبْوابُهم في المسجد، فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممراً إلاّ في المسجد فأنزل الله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[1].

د. سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾. قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار، كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم يناوله، فذكر ذلك لرسول الله، ﷺ، فأنزل له وإن كنتم مرضى الآية.

وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: نال أصحاب النبي، ﷺ، جراحة ففشت فيهم. ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي، ﷺ، فنزلت: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾. الآية كلها[2].

فهذه روايات ست ذكرها السيوطي في سبب نزول أربعة أجزاء من الآية الواحدة. وذكر في كل رواية أن الآية نزلت كلها. فيا ترى على أي موضوع نزلت هذه الآية؟ إن هذا التعدد يسبب إرباكاً لمن يريد التعرف على أسباب التنزيل، ويجعل له دواراً في رأسه لو أدخلها في أسباب التنزيل. ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أن الواحدي ذكر أن سبب نزول الآية هو أن المسلمين فقدوا الماء في غزوة بني المصطلق في المريسيع بسبب البحث عن قلادة لأسماء، رضي الله عنها كانت مع عائشة، رضي الله عنها، ثم وجدت تحت بعيرها. والرواية في صحيح البخاري في كتاب التيمم الحديث ٣٣٤. ولكن البخاري جعل هذه القصة سبباً لتنزيل آية المائدة المشابهة لهذه الآية في موضوع التيمم.

(١) لباب النقول للسيوطي، ص٦٣.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، ص٦٣.

ومهما يكن من أمر فلا يرد أن يقال إن المسلمين بقوا زمناً في هذه المواضيع لا يعرفون حكمها حتى حدثت هذه الحوادث وأنزل الله في كل حادثة جزءاً من الآية. فالآية الواحدة قد تضم مواضيع عدة كهذه الآية التي نحن بصدد دراسة أسباب تنزيلها، ولكنه لا يعني بالضرورة وجود سبب تنزيل لكل موضوع، فهو تمحل. وأمر لم يثبت وقوعه. فالصلاة والوضوء شُرعا في العهد المكي وفي أوائل نزول الوحي. وكان تشريعهما بالسُّنَّة، ثم جاءت الآيات لتتحدث عن فرضيته وأحكامه فلا تُعَدّ الروايات سبباً لتنزيل حكم الوضوء والصلاة. أما التيمم فسورة النساء نزلت قبل سورة المائدة بعدة سنوات وفيها عن التيمم وتشريعه. ورواية عائشة، رضي الله عنها، التي ذكرها البخاري[1] في سورة المائدة، آية ٦، لم تتحدث عن كيفية التيمم. وأن الذي تحدث هو الآية نفسها فتحدثت عن كيفية الوضوء مع أنه نزلت كيفيته بالسُّنَّة منذ بداية الوحي، وكذلك كيفية التيمم مع أن تشريعه سبق وأن نزل في سورة النساء، فلا يُقال إن قصة ضياع القلادة وفقدان الماء كان سبباً في نزول آية المائدة كذلك. فهذه مشيئة الله تعالى وهي أن يثبت هذه الأحكام بالقرآن إلى جانب السُّنَّة مع أنها كلها بوحي منه تعالى.

وعليه فتكون هذه الروايات هي واقعات حال تنطبق عليها أجزاء الآية وليست سبباً في نزولها[2]. والذي يقوي هذا الرأي أن رواية ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ تدل على أنها في الحضر وتشكل جزءاً من الآية، ورواية التيمم تدل على

---

(١) الحديث رقم ٣٣٤، من كتاب التيمم، ص٤٣١، م١، من فتح الباري لابن حجر، وأطراف الحديث في ٣٣٦، ٣٦٧٢، ٣٦٧٣، ٤٥٨٣، ٤٦٠٧، ٤٦٠٨، ٥١٦٤، ٥٢٥٠، ٥٨٨٢، ٦٨٤٤، ٦٨٤٥.

(٢) ومن هذه الصورة ما ذكر في آية البقرة ١٨٧، فذكر سبباً لمطلع الآية ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾ ولوسطها سبباً آخر ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾. ولقبيل آخر الآية ذكر سبباً آخر ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾. وانظر لباب النقول للسيوطي، ص٢٥، ص٢٦، وانظر أسباب النزول للواحدي، ص٤٥، ٤٦. وانظر ما قيل في الآيات ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨. من سورة البقرة كذلك.

أنها في السفر وتشكل جزءاً من الآية، وروايات المرضى أحدها في الحضر والأخرى في السفر. والمدقق في أسانيد هذه الروايات يجد أنها كلها مرسلة إلاّ رواية علي. والناظر فيها يجد أنها تفسيرية كبقية الروايات. والله أعلم.

الصورة الخامسة:

توالي ذكر أسباب التنزيل في آيات متتالية لا سيما في السور الطوال. وكأن الآية لا تنزل إلاّ على سبب. فمثلاً في سورة البقرة ذكر سبب نزول للآيات:

١٩٥ ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾.

١٩٦ ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾.

١٩٧ ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾.

١٩٨ ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾.

١٩٩ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

٢٠٠ ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾

٢٠١ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾.

٢٠٢ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾(١).

وهكذا فقد يقع في روع الإنسان أن القرآن كان ينزل آية آية حسب الحوادث. والمدقق في الآيات التي أشرنا إليها يجد أن الآيات من ١٩٦-٢٠٣ كلها في موضوع واحد وهو الحج والعمرة وأحكامهما. والروايات التي سيقت بهذا الصدد هي تفسير

(١) انظر لباب النقول للسيوطي، من ص٢٩، ص٣١. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، من ص٥٠- ص٥٧. وانظر ما قيل في أسباب نزول الآيات ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤. من سورة البقرة كذلك.

لا سبب تنزيل. وأحكام الحج والأسئلة التي طرحت للاستفسار عن أحكامه كانت والرسول،ﷺ، معهم في السنة العاشرة. وهذه الأحكام في آيات سورة البقرة كانت منارة للمسلمين عندما أدوا فرض الحج بقيادة أبي بكر الصديق في السنة التاسعة للهجرة، حيث نزلت هذه الآيات قبل أداء فرض الحج، ومن المعلوم أن العمرة شرعت قبل الحج وعرف بعض أحكامها في السنة السادسة للهجرة. وأكملت بقية الأحكام في السنة السابعة حيث صحب الرسول،ﷺ، المسلمين إلى مكة حسب اتفاقية صلح الحديبيّة.

ولتأكيد صحة ما ذهبت إليه في هذا التعليق الإجمالي أسوق بعض الروايات التي ذكرت في هذا الصدد. قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أُميّة، قال: جاء رجل إلى النبي،ﷺ، متضمخاً بالزعفران عليه جبة، فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ فأنزل الله:﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾. فقال: (أين السائل عن العمرة؟) قال: ها أنذا. فقال له: (ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنعه في عمرتك)(١). فالرواية تدلك على أنَّ الحَجَّ كان قد عُرِفَتْ أحكامُهُ قبل العُمرة، وأنَّ الرجل خبير بأحكام الحج فدلّه الرسول،ﷺ، أن يفعل بالعمرة كما فعل بالحج. وهذا مغاير للواقع. فالعمرة وأحكامها كانت معلومة في السنة السادسة والسابعة وكان الحج في السنة التاسعة والعاشرة مما يدلك على أن هذه الرواية هي تفسير لا سبب تنزيل.

وفي الآية ١٩٧: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾. قال السيوطي: روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: ما كان أهل اليمن يحجون، ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، فأنزل الله الآية(٢).

---

(١) لباب النقول، ص٢٩.

(٢) لباب النقول، ص٣٠، أسباب النزول، ص٥٥.

فالآيات نزلت قبل تنفيذ الحج حيث كانت السنة التاسعة للهجرة هي أولى سنوات الحج في الإسلام ما يؤكد أن هذه الرواية سيقت من باب التفسير، وليست سبباً في تنزيل هذا الجزء من الآية. ومطلع الآية يشير إلى تحديد وقت الحج[1] وبيان فروض لا بد من مراعاتها في الحج وهي ترك الرفث والفسوق والجدال. وفيها من الحث على فعل الخيرات وفي مقدمتها تقوى الله تعالى. وهكذا نقول في بقية الروايات فهي تفسير لا سبب تنزيل.

الصورة السادسة:

تعدد النازل والسبب واحد. وهي كبقية الصور التي سبقتها تحتاج إلى تحرير وتحقيق. ومن الأمثلة على هذه الصورة ما ذكره السيوطي في اللباب. قال في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: أخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، تدعي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: القصاص، فأنزل الله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فقال ﷺ: (أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير)[2]؛ فرجعت بغير قصاص.

وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن، وفي بعضها أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص فجعل النبي ﷺ، بينهما القصاص، فنزلت: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.[طه:١١٤]. ونزلت: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾. وأخرج نحوه عن ابن جريج والسدّي. وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: أتى النبي ﷺ، رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت: يا رسول الله إنه ضربني

---

(١) الآية هي: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾. [البقرة].

(٢) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص١٤٤. وانظر لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٦٢.

فأثر في وجهي، فقال رسول الله: (ليس له ذلك)، فأنزل الله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية فهذه شواهد يقوى بعضها بعضاً[1].

والسيوطي رحمه الله أدرك ضعف هذه الروايات فقال: فهذه شواهد يقوّى بعضها بعضاً. فكيف يقال إن آية سورة طه وهي مكيّة قد نزلت بالسبب نفسه لآية مدنية في سورة النساء؟! ثم كيف يخطئ الرسول،ﷺ، في الحكم ولم يصدر عنه شيءٌ مع أنّه مؤيد بالوحي؟: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾.[النجم].

فيقول القصاص والآية تنفي حكمه في الحال فهذا غير معهود عنه،ﷺ، ولا يجوز في حقه الاجتهاد ولأننا نكون مأمورين باتباع الخطأ، وفي رواية ابن مردويه أنه أثّر في وجهها، والضرب على الوجه منهي عنه في الإسلام، هذا وقد ساق السيوطي نفسه سبباً لآية سورة طه غير هذا فقال: (أخرج ابن أبي حاتم عن السدّي قال: كان النبي،ﷺ، إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى شق على نفسه، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله:﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ...﴾ الآية.

ثم قال: وتقدم في سورة النساء سبب آخر وهذا أصح[2]. فيكون تعدد النازل في هذه الروايات غير وارد ما دام ناقل الروايات نفسه يرى أنها ضعيفة في موطن، ويقول عن سبب آخر في الآية المكية أنه أصح. وبذلك تكون هذه الصورة غير متحققة بعد تحقيق الروايات والنظر فيها.

ومثال آخر على هذه الصورة ما رواه السيوطي كذلك في سورة الكوثر وهي مكيّة. وفي الآيات ٥١، ٥٢ من سورة النساء وهي مدنية، قال: أخرج أحمد وابن أبي حاتم، عن ابن عبّاس، قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة. قالت قريش: ألا ترى هذا

(١) لباب النقول للسيوطي،ص٦٢.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي،ص١٤٨.

المنصبر[1] المنبتر من قومه يزعم أنه خير منّا، نحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية: قال: أنتم خير. فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾. **[الكوثر]**. ونزلت: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١**﴾. **[النساء]**. والآية التي تليها.

وبالنظر في هذه الرواية تجد أنها لا تتحقق فيها الصورة التي نحن بصددها. فالرواية تندرج تحت آية النساء ولا تنطبق على سورة الكوثر. وإذا نظرنا إلى ما نقله السيوطي في موطن سورة الكوثر من روايات أسباب النزول ندرك عدم تحقق هذه الصورة. فقد روى هذه الرواية عن البزار، وقال عنه بسند صحيح. ثم ذكر سبباً آخر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر عن عكرمة: قال: (لما أوحي إلى النبي،ﷺ، قالت قريش بتر محمد منا، فنزلت إن شانئك هو الأبتر)[2].

وذكر رواية أخرى فقال: أخرج ابن أبي حاتم عن السديّ قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل بتر فلان، فلما مات ولد النبي،ﷺ، قال العاص بن وائل بتر محمد، فنزلت.

وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي، وسمى المولود القاسم، وأخرج عن مجاهد قال: نزلت في العاص بن وائل، وذلك أنه قال أنا شانيء محمداً. وقال: وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب، قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله،ﷺ، مشى المشركون بعضهم إلى بعض، فقالوا: إن هذا الصابيء قد بتر الليلة، فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾،إلى آخر السورة. وأخرج ابن جرير عن سعيد ابن جبير في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾. قال: نزلت يوم الحديبيّة أتاه جبريل، فقال:

---

(١) المنصبر: الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر، انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي في مادة الصنبور.

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص٢٤٣.

انحر واركع، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها. قلت: فيه غرابة شديدة(١). فالسيوطي ذكر سبع روايات في أسباب نزول آية الكوثر، منها قول قريش لكعب بن الأشرف عندما قدم مكة، ومنها ابتداء عن نزول الوحي على محمد،ﷺ، دون غيره من العرب،ومنها عند موت ابنه إبراهيم. وأخرى عند موت القاسم. وغيرها في العاص بن وائل حيث قال: أنا شانئ محمداً. وأخيراً يوم الحديبيّة. فهذا التاريخ الطويل في عمر نزول الوحي منذ نزل حتى السنة السادسة للهجرة كيف يقبل أن تؤخذ هذه الروايات كسبب نزول السورة المكيّة التي نزلت في أوائل العهد المكي؟(٢). وإذا كان هذا العدد الكبير من الروايات في سبب تنزيل السورة فكيف تزاحم آية النساء وهي مدنية في سبب نزولها حتى يُقال بتعدد النازل والسبب واحد؟! وإذا نظرنا إلى موضوع الآيات وموضوع السورة تجد بينهما بُعْداً فلا يرد أن يكون سببهما واحداً. وبذلك يضيق أمر روايات أسباب التنزيل، وتخرج منه هذه الصورة التي ذكرها المكثرون من أسباب التنزيل(٣). وبإدخالها في باب التفسير وإخراجها من دائرة أسباب التنزيل يزول الإشكال.

الصورة السابعة والأخيرة:

هي تركيب آية كسبب نزول لآية تليها، أو على آيات في سورة أخرى. وربما اخترعوا أسئلة والقرآن يتنزل فتنزل بقية الآية، أو الآيات التي تليها. وهذه الصورة

(١) انظر لباب النقول للسيوطي، ص٢٤٣.

(٢) انظر ترتيب نزول السورة في فضائل القرآن لابن الضريس، ص٣٣، تحقيق غزوة بدير. دار الفكر، دمشق، ط١، سنة ١٩٨٧م.

(٣) وانظر ما ورد في لباب النقول للسيوطي ص٧٥، حيث جعل رواية واحدة سبباً في نزول الآية ٩٧ من سورة النساء. والآية١٠ من سورة العنكبوت. والآية ١١٠ من سورة النحل. وانظر لباب النقول ص١٨٦، حيث ذكر سبب نزول واحد لثلاثة آيات هي ٣٥ فاطر، ١٦٨ الصافات، ١٥٧ الأنعام.

معتمة غير مقبولة جملة وتفصيلاً. وهي إمّا أن ترد ولا تقبل، وإما أن تُعَد تفسيراً. وإليك أمثلة توضح هذه الصورة بجوانبها المختلفة.

أ. ما رواه السيوطي في سبب نزول آية ٦٧ من سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. قال: أخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس، قال: لما نزلت: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. قالوا: يا رسول الله هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية[1]. فسورة الزمر مكيّة. وآية الكرسي مدنية. والمدني ما كان بعد هجرة المصطفى ﷺ، فكيف تنزل آية مكيّة بعد نزول الآية المدنية؟؟ فتركيب آية كسبب نزول على آية من الأمور التي لا تثبت ويحتاج إنزالها والقول بها إلى دليل.

ب. تركيب قصة كسبب نزول لآيات متعددة في سورة من القرآن الكريم بحيث ترتب على نزول آية آية أخرى. مثال: ما نقله السيوطي من سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾. **[الزُّمَر]**. قال: أخرج الطبراني بسند فيه ضعف، عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله ﷺ، إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلقَ أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة. فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾. **[الفرقان: ٧٠]**. الآية. فقال وحشي هذا شرط شديد. إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٩١. وانظر لباب النقول ص٢٠٦، لترى مثالاً آخر عن سورة الذاريات كيف جعل آية ٥٤، سبباً لنزول الآية ٥٥ من السورة نفسها.

[النساء:٤٨]. فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة فلا أدري أيغفر لي أم لا، فهل غير هذا؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾. الآية. قال وحشي: هذا نعم فأسلم. فظاهر أن هذه الرواية مصنوعة صناعة لا تخفى على من عنده دراية بأسباب التنزيل. فكأن آية الفرقان نزلت أولاً لتقنع قاتل حمزة بالإسلام. فلما امتنع نزلت آية النساء، ولما اعترض على المشيئة فيها نزلت الآية الثالثة من سورة الزمر، وهي مكيّة. فجعل الآيات المكيّة تتنزل بعد العهد المدني. وهذا غير مقبول البتة.

ونذكر هنا أن الآية مكيّة والسورة كلها مكيّة، وكأن قاتل حمزة، وهو كافر، كان يحفظ القرآن الكريم الذي نزل بمكة، واستشهد به مقتبساً ألفاظ الآيتين ٦٨، ٦٩. ومعلوم أن قاتل حمزة لم يسلم إلاّ في العهد المدني في فتح مكة.

ومثال آخر ما أورده السيوطي في سبب تنزيل قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾. [يونس:٢]. قال: أخرج ابن جرير من طريق الضحّاك، عن ابن عباس، قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك. أو مَنْ أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية. وأنزل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾. [يوسف:١٠٩]. الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٣١﴾. [الزُخرُف]. يقولون أشرف من محمد يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فنزل رداً عليهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾. [الزُخرُف:٣٢]. الآية.

فمن هذه الأمثلة ندرك أن القول بتعدد روايات أسباب التنزيل بالصور السبع أمر لا يستقيم. وبعد النظر في الروايات إما أن تقصى جميعها، وإما أن تثبت رواية واحدة وتقصى بقية الروايات كسبب نزول، ورب قائل إن آيات اللعان نزلت في

روايتين صحيحتين في عويمر العجلاني وفي هلال بن أمية. والصواب في المسألة أن آيات اللعان[1] نزلت في هلال بن أُمية حيث قذف زوجته عند النبي،ﷺ، بشُرَيْك بن سَحْماء[2]، وأما قصة عويمر العجلاني فقد كانت بعيد نزول الآيات في هلال بن أُمية. وتكون قصة عويمر مما تنطبق عليها الآية. والدليل على ذلك أن رواية عويمر تقول فجاء عويمر فقال: يا رسول الله، رجلٌ وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله،ﷺ،: (قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول الله،ﷺ، بالملاعنة)[3] . وأما في قصة هلال، فقال هلال: (والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يُبْرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه الآية)[4]. فرواية هلال أكثر دلالة على أنها سبب تنزيل. ورواية عويمر قد أنزل الله القرآن فيك وفي أمثالك كهلال بن أُمية. ويكون الرسول،ﷺ، قد أبلغه الحكم الذي سبق نزوله في هلال بن أُمية. ويؤيد هذا أن في حديث أنس عند أبي يعلى قال: (أول لعان كان في الإسلام أن شُرَيْك بن سَحْماء قذفه هلال بن أُمية بامرأته)[5].

وهناك أمر آخر يدل على أن قصة عويمر تالية لقصة هلال، في أن حديث سهل في صحيح البخاري[6] ورد فيه صفات شُريك بن سَحْماء، كما وردت في حديث هلال بن أُمية. وقد ذكر اسمه صريحاً وذكرت صفات المولود المنتظر[7]. ولم يرد أن شُرَيْك بن سَحْماء كان رجلاً مشتركاً في القضيتين **وعليه فيندفع القول بتعدد القصص والنازل واحد. وإن كان يمكن عقلاً لكن الواقع بخلاف ذلك بعد التحقيق.** والذين

---

(١) سورة النور، الآيات ٦-١٠.

(٢) انظر فتح الباري، كتاب التفسير، ج٨، باب ٣، الحديث ٤٧٤٧.

(٣) انظر فتح الباري، الحديث ٤٧٤٥، من كتاب التفسير.

(٤) الحديث ٤٧٤٧.

(٥) انظر فتح الباري، ص٤٥، م٨، كتاب التفسير، شرح الحديث ٤٧٤٧.

(٦) الحديث ٤٧٤٧، فتح الباري.

(٧) الحديث ٤٧٤٧، فتح الباري.

قالوا بالجمع بين القضيتين كان للتخلص من الإرباك الذي واجهوه في صحة الرواية. ويزول هذا الإرباك بتصحيح الروايتين، وجعل قصة هلال هي سبب التنزيل، وقصة عويمر مما يندرج الحكم عليه، وتنطبق عليه الآية. وهكذا نرى أن القول بتعدد القصص، أو تعدد روايات أسباب التنزيل غير متحقق في الواقع. والذين قالوا به لم يتحققوا من صحة الروايات، أو أنه استوى عندهم التفسير وأسباب التنزيل.

الإشكال الرابع: أسباب نزول الآيات المصدرة بـ(يسألونك)، (يستفتونك)، (يقولون).

أ. يسألونك:

يغلب على الروايات التي سيقت كأسباب تنزيل للآيات المصدرة بهذه الصيغ الثلاث الضعف وعدم الصحة، ومع ذلك فلا يجوز أن ننفي أن يكون السؤال أو الاستفتاء أو القول قد وقع بالفعل، لأن المخبر وهو الله تعالى مقطوع في صدقه، ولا يتطرق الشك أبداً إلى صحة وقوعه. وقد يكون السؤال مبهماً ولكن الآية تصحح ما ينبغي أن يسأل عنه. وفي هذه الحالة يمكن فهم قصة سبب التنزيل من الآية نفسها. وإن كنّا لا نستطيع أن نحدد من السائل، ولكننا نجزم بوقوع السؤال لأن المخبر هو الله تعالى. وفي هذا الإشكال يغلب انتزاع قصة سبب التنزيل من النص نفسه، فهو المرجح لرواية دون غيرها، فالرواية التي تحتمل موضوع الآية، وسندها صحيح، تعتمد كسبب تنزيل. وإلا فترجح الرواية التي ذكرها التابعون أو المفسرون، ويُقال عنها إنها رواية بالمعنى. ومن هنا ذكرنا أسباب تنزيل هذا النوع من الآيات في باب الإشكالات حيث نعتمد الرواية مع علمنا بضعف السند. وذلك لأن المرجح لمعنى الرواية هو المخبر الصادق المقطوع بصدقه. وربما لا يكون تحديداً في الزمان، ولا في المكان، ولا في الأشخاص، ومع ذلك نجزم بوجود سبب تنزيل للآية ننتزعه من منطوق ومفهوم الآية. وهذا بخلاف روايات أسباب نزول الآيات الأخرى حيث لا يوجد فيها تصريح بالسؤال، أو الاستفتاء أو القول. والأجوبة عن هذه الأسئلة والاستفتاءات والأقوال

تشكل مع السؤال موضوع سبب التنزيل. وإليك نماذج من روايات هذا الشكل في أسباب التنزيل.

أ. آيات مصدرة بالسؤال.

١. قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾. **[المعارج]**.

قال الواحدي: فنزلت في النضر بن الحارث حيث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾. **[الأنفال:٣٢]**. الآية، فدعا على نفسه وسأل العذاب، فنزل به ما سأل يوم بدر فقُتل ونزل فيه....الآية[١].

وذكر السيوطي في لباب النقول الرواية نفسها، وقال: أخرج النسائي، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس، وفي رواية عن السدّي. فالرواية فيها إشكال واضح لأن الآية مكيّة، والقول في الآية: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ **(٣٢)**﴾. **[الأنفال]**. وهي مدنية. نزلت بشأن غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة. فكيف ينسب السؤال في سورة المعارج إلى رجل قال قولاً بعد نزول الآية بسنوات؟ فهذا مما يرفض أن يكون سبب تنزيل لعدم تحقق المزامنة. وتكون هذه الرواية من باب التفسير. ومثل هذه الرواية روايات أخر، ذكرها القرطبي في تفسيره، وهي: (قيل إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري. وذلك أنه لما بلغه قول النبي،ﷺ، في علي، رضي الله عنه،: **(من كنت مولاه فعليٌّ مولاه)**، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح، ثم قال: يا محمد، أمرتنا عن الله نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأن نصلي خمساً فقبلناه منك، ثم لم ترضَ بهذا حتى فضلّت ابن عمك علينا! أفهذا شيء منك أم من الله؟ فقال النبي،ﷺ،: (والله الذي لا إله إلاّ هو ما هو إلاّ من الله). فولّى الحارث وهو يقول: اللهم إن كان ما

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤٧٤، وانظر لباب النقول للسيوطي، ص٢٢٥. وتفسير القرطبي ص٢٧٨، ج١٨، وغيره من كتب التفسير.

يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت الآية)[١].

هذه الرواية مثل شقيقتها غير مقبولة أن تكون سبباً لتنزيل الآية. ولكنها حالة قد يستشهد بها في التفسير، لأن أحداثها تدل على أنها وقعت بالمدينة: (الزكاة، والصوم والحج). وسورة المعارج مكيّة باتفاق، كما قال القرطبي في تفسير السورة، فضلاً عن أن الرواية لا تخفى أنها من وضع الشيعة، أو وضعت لإرضائهم.

وهناك رواية أخرى تقول إن السائل هو أبو جهل، وهو القائل لذلك. قاله الربيع[٢]. وقيل إنه قول جماعة من كفار قريش. وقيل: هو نوح، عليه السلام، سأل العذاب على الكافرين. وقيل هو رسول الله،ﷺ، أي دعا عليه السلام بالعقاب وطلب أن يوقعه الله بالكفار[٣]. ومن هذه الاختلافات الكثيرة نجد أن الروايات لا يعقل أن تكون أسباب تنزيل لكثرتها، وعدم تزامنها مع نزول الآية، أو لعدم صحة سندها. ومع هذا كله نقول إن السؤال قد وقع قطعاً، لأن المخبر هو الله تعالى، ولا مجال للشك في وقوع السؤال عن عذاب الله تعالى يصيب الكافرين يوم القيامة. هل يقع أم لا؟ فالله تعالى يجيبهم عن السؤال وعن موقف الكفار أنهم يرون وقوعه بَعيدَ الحدوث، ويراه جلّ وعلا قريب الوقوع. ووصف هذا العذاب كيف يكون. فهذا المعنى انتزعه من نص الآية، فأي رواية تدور حول هذا المعنى يمكن الأخذ بها كسبب نزول للآية. وهذه تعد صورة لسبب نزول الآية، ولا يجوز أن تدخل في أسباب التنزيل لأنها لم ترد إلينا عن الصحابة والتابعين. وأسباب التنزيل لا تعتمد إلاّ إذا كانت قد وصلتنا بالرواية والسماع. وخلاصة القول: إنه لم يثبت لدينا رواية تصلح أن

(١) تفسير القرطبي، ج١٨، ص٢٧٨.

(٢) تفسير القرطبي، ص٢٧٩، ج١٨، وانظر الرواية في صحيح البخاري، ج٦/ ٦٢، وصحيح مسلم، ٨/ ١٢٩.

(٣) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير القرطبي ج١٨، ص٢٧٩.

تكون سبب تنزيل لهذه الآية، ومع ذلك يجب أن يكون هناك سائلٌ سأل، عن عذاب الله في الآخرة ونجزم بذلك لأن المخبر مقطوع بصدقه.

٢. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾. **[النساء]**. قال الواحدي: (نزلت في اليهود، قالوا للنبي،ﷺ،:إن كنت نبياً فأتنا بكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى فأنزل الله تعالى هذه الآية)[1].

وقال السيوطي: (أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود على رسول الله،ﷺ، فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله الآية إلى قوله:﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾. **[النساء]**. فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك، ولا على موسى، ولا على عيسى، ولا على أحد شيئاً، فأنزل الله:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾الآية[2].فرواية الواحدي يؤخذ بها كسبب نزول وإن لم يوردها بسندها لأنها تحمل معنى الآية. وسؤال أهل الكتاب قد وقع بالفعل. أما رواية السيوطي فتؤخذ لغاية قوله فأنزل الله الآية. لأن هذا الحد من الرواية رواه ابن جرير فعلاً عن محمد بن كعب القرظي[3]. أما باقي الرواية فالخلط فيها واضح، وقد أضاف نزول آية أخرى مكية على هذا السبب وردت في سورة الأنعام، وهي في سورة الزمر. وهذا التركيب في أسباب التنزيل مما يُرَدُّ ولا يؤخذ به، وعليه فيكون ما أورده الطبري عن محمد بن كعب القرظي مما يقبل في مجال أسباب التنزيل، لأن الآية نفسها شهدت بهذا الواقع فتغني عن ذكر السند، ويكون

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص١٧٩.
(٢) لباب النقول للسيوطي، ص٨٢.
(٣) انظر تفسير الطبري، ص٧، م٤، ج٦.

سبباً بالمعنى وليس بالرواية. والسؤال قد وقع قطعاً لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾. والسائل هم أهل الكتاب. والمسؤول عنه هو تنزيل كتاب من السماء. وهذا كله بنص الآية فتغني عن صحة سند الرواية.

٣. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ الآية.

قال الواحدي: (قال معاذ بن جبل: يا رسول الله، إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهِلّة فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنهم سألوا نبي الله،ﷺ،: لِمَ خلقت هذه الأهِلّة: فأنزل الله الآية: وقال الكلبي: (نزلت في معاذ بن جبل، وثعلبة بن عنمه، وهما رجلان من الأنصار، قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينتقص ويدق حتى يكون كما كان لا يكون على حال واحدة؟ فنزلت هذه الآية)[١]. وذكر السيوطي عن ابن عباس نحو قول قتادة[٢]. وذكر رواة الكلبي عن سلسلة الكذب كما أوردها الواحدي. وقال الشوكاني: أخرج ابن عساكر بسند ضعيف، عن ابن عباس، وذكر الرواية نفسها[٣]. ونقل القرطبي أن سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبي،ﷺ، عن الهلال.. قاله ابن عباس، وقتادة، والربيع، وغيرهم[٤]. وفي رواية عن ابن عباس: سأل ناس رسول الله،ﷺ، عن الأهِلّة[٥]. فالسائل: هم جماعة من المسلمين بغض النظر عن كونهم سائلين ابتداء، أم أن اليهود أثاروا السؤال بقصد الشغب كعادتهم. والسؤال لم يظهر في الرواية، ولا في الآية عن أي شيء سألوا.

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٤٧-٤٨.

(٢) لباب النقول للسيوطي، ص٢٧. وانظر تفسير الطبري، ج٢، ص١٨٥، وتفسير القرطبي ج٢، ص٣٤١. وأحكام القرآن لابن العربي، ج١، ص٩٩.

(٣) فتح القدير للشوكاني، ج١، ص١٨٩.

(٤) تفسير القرطبي، م٢، ص٣٤٢.

(٥) تفسير ابن كثير، ج١، ص٢٢٥.

ولكن الجواب هو الذي دلنا على موضع السؤال. فالجواب: ﴿قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ فيدل على أن السؤال كان على وجه الفائدة في تغير حال الأهِلّة، في الزيادة والنقصان، فصار نص القرآن والخبر متطابقين في أن السؤال كان عن هذا المعنى، فتعتمد هذه الرواية سبباً لتنزيل الآية. وتقصى الرواية التي سندها سلسلة الكذب، وهي ما نقلها ابن عساكر بسند ضعيف أنها في معاذ بن جبل، وثعلبة بن عنمه، لضعف السند. ولتحديد أسماء السائلين الذين ثبت ضعف سند روايتهم. والله أعلم.

٤. قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾. [البقرة].

قال الواحدي بسنده عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: (بعث رسول الله، ﷺ، عبد الله بن جحش، ومعه نفر من المهاجرين، فقتل عبد الله بن واقد الليثي عمرو بن الحضرمي في آخر يوم من رجب. وأسروا رجلين واستاقوا العير، فوقف على ذلك النبي، ﷺ، وقال: (لم آمركم بالقتال في الشهر الحرام). فقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام فنزلت الآية)(١). وإليك الرواية من سيرة ابن هشام:

(وبعث رسول الله، ﷺ، عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً)، وقال ابن هشام: (فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٦١، وانظر الروايات الأخرى من ص٦٠-٦٤. وانظر سيرة ابن هشام، سرية عبد الله بن جحش، ص٦٠١، ج٢، م١. وانظر لباب النقول للسيوطي، ص٣٣.

فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنـزل نخلـة بـين مكـة والطـائف. فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله بن جحـش في الكتـاب قـال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله،ﷺ، أن أمضي إلى نخلـة أرصـد بهـا قريشاً حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أسـتكره أحـداً مـنكم. فمـن كـان مـنكم يريـد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلـك فليرجـع. فأمـا أنـا فمـاضٍ لأمـر رسـول الله،ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه مـنهم أحـد. وقـال: (وسـلك علـى الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرُع يُقال له: بحران، أضل سعد بن أبي وقـاص وعتبـة بن غزوان بعيراً لهما، كان يتعاقبانه فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأُدُماً وتجارة من تجارة قـريش فيها عمرو بن الحضرمي)، وقال: (فلمـا رآهـم القـوم هـابوهم وقـد نزلـوا قريبـاً مـنهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وكان قد حلق رأسـه، فلمـا رأوه أمنـوا وقـالوا: عُمّـار لا بأس عليكم منهم. وتشاور القوم فيهم. وذلك في آخر يوم من رجَب. فقـال القـوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلـنهم في الشهر الحرام. فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم. ثم شـجعوا أنفسـهم علـيهم. وأجمعـوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذوا ما معهم، فرمى واقدُ بن عبد الله التميمي عمـرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيّسان. وأفلت القـوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم. وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسـيرين حتـى قدموا على رسول الله،ﷺ، المدينة). وقال ابن إسحق: فلما قدموا على رسـول الله المدينـة قال: (ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام). فوقف العـير والأسـيرين، وأبـى أن يأخـذ مـن ذلك شيئاً فلما قال ذلك رسول الله،ﷺ، أُسقط في أيدي القـوم وظنـوا أنهـم قـد هلكـوا. وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا. وقالت قريش: قد اسـتحل محمـد وأصـحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال. وأسروا فيه الرجال. وقالت يهـود: (تفاؤلاً بذلك على رسول الله،ﷺ،) عمروُ بن الحضرمي قتله واقد بـن عبـد الله. عمـرو:

عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب. وواقد بن عبد الله: وقدت الحرب. فجعل الله ذلك عليهم لا لَهُم. فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله الآية[1]...

وهكذا جاء القرآن الكريم ليدافعَ عن المؤمنين (سرية عبد الله بن جحش)، وما فعلوه حسب اجتهادهم، ويضرب بالعرف الدولي[2] عرض الحائط، وهو القتال في الأشهر الحرم. ويبيِّن أن سياسة الدولة الإسلامية في العلاقات الخارجية تقوم على أساس مصلحة الدولة في نشر الإسلام. وفي بيان قوة بيضة الإسلام، وعظمة كيانه. فهذه القصة تُعَدْ بحق سبب تنزيل الآية. ويؤكد ذلك توقف الرسول،ﷺ، عن أخذ الأسيرين والغنائم، فلما نزلت الآية أخذ الخمس، وقسَّم الغنائم، وفدى الأسيرين. فكان نزول الآية صفعة لأعداء الله اليهود الذين تفاءلوا بتسعير الحرب في الأشهر الحرم. وصفعة لقريش التي اغتنمتها فرصة لتأليب القبائل ضد محمد،ﷺ، وصحبه. وهكذا فقد توافقت الرواية ونص الآية في المعنى، وفي التزامن، وفي وجود سبب تنزيل لهذه الآية.

٥. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾. **[الأنفال]**.

قال الواحدي عن عبادة بن الصامت، بعد أن ذكر السند: (لما هُزِم العدوُ يوم بدر وأتبعتهم طائفة يقتلونهم، وأحدقت طائفة برسول الله عليه السلام، واستولت طائفة على العسكر والنهب، فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم، قالوا: لنا النَفْلُ نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم (الله) وهزمهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله،ﷺ، والله ما انتم بأحق به منا، نحن أحدقنا برسول الله،ﷺ، لا ينال العدو منه غِرَّةً، فهو لنا.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام، ص١٠٥-١٠٦، ج٢، القسم الأول، ط٢، ١٩٥٥م، تحقيق السقّا والأبياري وشلبي.

(٢) إن الإسلام يعترف بهذا العرف الدولي بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ ولكن إذا تعارض العرف الدولي مع مصلحة حمل الدعوة الإسلامية فإن الإسلام يجيز خرق هذا العرف.

وقال الذين استولوا على العسكر والنهب: والله ما أنتم بأحق به منا نحن أخذناه واستولينا عليه فهو لنا. فأنزل الله الآية فقسمه رسول الله،ﷺ، بالسوية[١].

فهذه الرواية مشهورة في صحتها، فقد نقلها صاحب المستدرك، وأحمد بن حنبل في مسنده، والنسائي في السنن الكبرى، والخازن والبغوي وغيرهم من المفسرين وعلماء السيرة[٢]. و لا عجب في اختلاف الصحابة في تقسيم الغنائم، فإنها أول غزوة يشترك فيها هذا العدد وهم يجهلون حكم تقسيمها. وكانت العرب في الجاهلية يتفاخرون بكثرة الغنائم لأنها تدل على مدى بلاء الجندي في المعركة، فالصحابة، رضوان الله عليهم، حريصون على أن ينالوا من الغنائم لمفاهيم الأعماق عندهم في الجاهلية، وحب التملك من مظاهر غريزة حب البقاء، ويتشوق إليه إذا كان من الأعداء، لا سيما إذا كان العدو قد أمعن في إيذاء وإذلال الخصم المنتصر. والمسلمون في بدر طردهم عدوهم (كفّار قريش) من أرضهم مكة، فمن كمال شفاء ما في صدور المسلمين أن يأخذوا أموالهم ويملكوها انتقاماً لأموالهم التي استولى عليها أعداؤهم.وقد خيرت قريشُ بعض المسلمين بين أموالهم وبين الفرار بدينهم إلى المدينة. فاختاروا الهجرة، وتركوا جميع أموالهم. منهم عبد الرحمن بن عوف وصُهيب الرومي. فالتنازع بين المسلمين على اقتسام الغنائم طبيعي جداً في أوّل معركة. وبعد:

فمن هذا كله ندرك أن السائل جماعة، وليس فرداً، أي ليست الصيغة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ هنا من باب ما بال القوم يقولون كذا، أو يفعلون كذا، والقائل أو الفاعل فرد معين. وعليه فهذا سبب تنزيل الآية الأولى من سورة الأنفال. ونص الآية

---

(١) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢٢٨. وانظر كتب التفسير المتعددة، وكتب السير، وهناك تفصيلات أخرى.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري، ج٢، ص١٣٥-١٣٦. ومسند أحمد ج٥، ص٣٢-٣٢٤. طبعة الحلبي. والسنن الكبرى ٦/ ٢٩٢، وكتب التفسير في موضع تفسير الآية الأولى من سورة الأنفال. وكتب السيرة في موضع غزوة بدر الكبرى.

يؤكد صحة الرواية. فالسائل هم جماعة الصحابة المشتركون في المعركة. وصيغة الآية جاءت بالجمع ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾. و المسؤول عنه هو حكم الأنفال، كيف يتم توزيعها. ومن هو أحق بها؟ وجاء الجواب يفصح عن ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. وحدث التنازع بينهم عليها، وجاء الجواب: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. فالحكم على الرواية هو نص الآية. وتكون هذه القصة هي سبب تنزيل الآية. ولا مجال للشك في ذلك.

وهكذا يُقال عن جميع الآيات التي تم فيها البلاغ عن السؤال نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾. [البقرة:٢١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾. [البقرة].

ب. يستفتونك

والاستفتاء والسؤال من نفس الفصيلة، فهي كلها استفسار عن شيء. ونظراً لكون المخبر مقطوعاً بصدقه، فلا بد أن تكون قد نزلت هذه الآيات المصدرة بيستفتونك على سبب نزول معين. وإن كانت الروايات التي وصلتنا قد تكون بدون سند، أو بسند ضعيف. لأن الآية قطعية في دلالتها بأنه ورد استفتاء. ومن أمثلة هذا النوع آيتان اثنتان وردتا في كتاب الله تعالى في سورة النساء، الأولى هي: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾. [النساء].

قال الواحدي: وقد ذكر السند عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (ثم إن الناس استفتوا رسول الله، ﷺ، الآية قالت: والذي يتلى عليهم في الكتاب الآية الأولى، التي قال فيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا﴾. [النساء:٣]. قالت عائشة، رضي الله عنها: وقال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال. فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن)[1].

فرواية عائشة، رضي الله عنها، واضح فيها أنها تفسير للآية، وليست في وصف حدث معين، ولكن النص صريح في الاستفتاء. فتقبل رواية عائشة على الرغم من أنها تفسيرية أن تكون سبب تنزيل للآية. وتعد سبب تنزيل بالمعنى. لأن القصة اكتسبت صفة الشرعية في دخولها دائرة أسباب التنزيل من النص القرآني نفسه الذي يفيد القطع في وجوب وجود سبب تنزيل للآية. لا سيما أن الرواية قد ثبتت في الصحيحين فيزداد الأمر قوة.

والثانية: قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾. [النساء].

قال الواحدي- وقد ذكر السند عن جابر- قال: (اشتكيت فدخل عليّ رسولُ الله، ﷺ، وعندي سبع أخوات فنفخ في وجهي، فأفقت، فقلت: يا رسول الله، أوصي

---

(١) انظر أساب نزول القرآن للواحدي، ص١٧٦، وانظر صحيح مسلم، شرح النووي، ج١٨، كتاب التفسير، ص١٥٦، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، م٨، كتاب التفسير رقم ٤٦٠٠، ص٢٦٥، المطبعة السلفية. وانظر لباب النقول ص٨٠، للسيوطي. وانظر كتب التفسير المتعددة لتفسير آيات الكلالة من سورة النساء.

لأخواتي بالثلثين، قال: "احبس"[1] فقلت: الشطر. قال: "احبس". ثم خرج فتركني. قال: ثم دخل عليَّ وقال لي: "يا جابر، إني لأراك تموت في وجعك هذا، إن الله قد أنزل فبيَّن الذي لأخواتك– (جعل لأخواتك) الثلثين". وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية فيَّ"[2] وقد شُهِرَت هذه الآية بأنها آية الصيف، قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إني والله لا أدع شيئاً أهم إليَّ من أمر الكلالة. وقد سألت رسول الله،ﷺ، (عنها) فما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها حتى طعن بإصبعه في جنبي أو في صدري ثم قال: "يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر سورة النساء"[3].

فهذه الروايات من حيث السند قد وردت في الصحيحين. وقد نزلت في جابر بن عبد الله. ونص الآية يقتضي أن يكون لها سبب تنزيل. فتكون آية الصيف هذه قد ثبت لها سبب تنزيل من النص ومن الرواية.

جـ. لفظ: (يقولون)

إن الآيات التي ورد فيها مشتقات لفظ (القول) لا تدل قطعاً على وجوب وجود سبب للتنزيل. فهي ليست كلفظ (يسأل) و(يستفتي؛ فاللفظان الأخيران يدلان قطعاً على وجوب وجود سبب تنزيل للآية. وباستقراء جميع ألفاظ القول ومشتقاتها في القرآن الكريم تبين لي أن الآيات لا تختلف عن باقي الآيات في القرآن كله. فقد يكون للآية سبب تنزيل وقد لا يكون. فلا بد من النظر في الروايات والتحقق من صلاحيتها لأن تكون سبب تنزيل أوْ لا. فمثلاً لفظ (يقول) يدل على الحاضر

---

(١) هكذا وردت. وفي رواية النسائي (أحْسِن)، ذكره صاحب فتح الباري، من كتاب التفسير، ج٨، ص٢٦٨.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص١٨٠، لباب النقول للسيوطي، ص٨٢. صحيح مسلم شرح النووي، ج١٨، كتاب التفسير. وانظر فتح الباري، كتاب التفسير، باب٤، الحديث ٤٥٧٧. وانظر تفسير ابن كثير، ج١، ص٥٩٢، وتفسير القرطبي، ص٢٨، ج٦.

(٣) تفسير القرطبي، م٦، ص٢٩.

والمستقبل وقد يدل على الماضي إذا أُدخلت عليه (إذ) مثال ذلك قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾،ومن المعلوم أن الآية نزلت في السنة التاسعة في غزوة تبوك. وفي هذه الآية ضرب الله مثلاً للمؤمنين، وعرّض بالمنافقين بأن النصر من عند الله تعالى وحده. كما حدث عندما تآمرت قريش على قتل الرسول،ﷺ، وهو في بيته في مكة. ثم استمرت الملاحقة بعد ذلك ولم يكن إلاّ الرسول،ﷺ،ومعه أبو بكر، رضي الله عنه، فأنزل الله السكينة على رسوله،ﷺ، وأنزل جنوداً لم يرها البشر. وتمم الله أمره بجعل الرسول،ﷺ، رئيساً لدولة مكّنها للمسلمين، فصارت كلمة الله هي العليا في التطبيق في الحياة، وفي مقارعة أفكار الكفر وأهلها مادياً حتى صارت هي العليا على جميع أنحاء الجزيرة العربية، وذابت جميع الكيانات الكافرة آنذاك، وانتهت من الوجود. فلفظ (يقول) في الآية يدل على أحداث وقعت في الماضي في العهد المكيّ. وقرينته (إذ) هي التي خصصته بالماضي.

ومثال ثانٍ: ومن الآيات التي ذكر فيها لفظ (يقولون) وقد ورد فيها سبب تنزيل صحيح تحققت فيه الأطر الخمسة قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾. **[المنافقون].**

عن زيد بن أرقم قال: (كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أُبيّ يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى تنفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي،ﷺ،فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله،ﷺ، إلى عبد الله بن أُبيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا. فكذّبني رسول الله،ﷺ،

وصدقه فأصابني هَمٌّ لم يصبني مثله قط. فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردتَ إلاّ أن كذبك رسول الله،ﷺ، ومقتك، فأنزل لله تعالى الآيات...) فبعث إليّ النبي،ﷺ، فقرأ فقال: إن الله قد صَدقَّكَ يا زيد[1]. وفي رواية: (قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله،ﷺ، في سفر قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله،ﷺ، يفرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا) رقم ٣٣٦٨، م٥ من سنن الترمذي. وفي رواية: (فلما نزلت، أخذ رسول الله،ﷺ، بأُذن زيد فقال: "يا زيد إن الله صدقك وأوفى بأُذنك)[2]. والغزوة هي غزوة المريسيع وقعت في شعبان في السنة الخامسة للهجرة،[3] وتسمى غزوة بني المصطلق[4]. والروايات الأخرى عند الترمذي،

---

(١) فتح الباري، كتاب التفسير، م٨، الحديث ٤٩٠٠، وأطرافه في ٤٩٠١، ٤٩٠٢، ٤٩٠٣، ٤٩٠٤، وانظر سنن الترمذي م٥، الأحاديث ٣٣٦٧، ٣٣٦٨، ٣٣٦٩، ٣٣٧٠، وكلها مذيلة بقوله: هذا حديث حسن صحيح. طبعة دار الفكر، بيروت، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. وانظر الفتح الرباني، م١٨، تأليف أحمد عبد الرحمن البنا، ص٣٠٦، سورة المنافقين. الحديث٤٦٩. وانظر تفسير الطبري، ج٢٨، م١٤، ص١١٣ . وما بعدها، طبعة دار الفكر، ومجمع البيان للطبرسي، طبعة دار المعرفة، ج٩، ص٤٤٢. وتفسير ابن كثير، م٤، ص٣٧٠. وتفسير القرطبي م١٨، ص١٢٠، وما بعدها، وسيرة ابن هشام، القسم الثالث، الجزء الثاني ص٢٩٠، وما بعدها ط٢. تحقيق السَّقا ورفقاه ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م. مصطفى الحلبي. وانظر تفسير الشوكاني، ص٢٣٢، م٥، طبعة دار المعرفة. وانظر تاريخ الطبري، ج٢، ص٦٠٤. وما بعدها تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة ذخائر العرب، ط٢.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤٦١.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، م٢، ص٦٣. وانظر مختصر سيرة الرسول،ﷺ، لمحمد بن عبد الوهاب وولده عبد الله، ص٢٦٦. طبعة مكتبة الرياض الحديثة- الرياض. وانظر هامش سيرة ابن هشام في تحقيق ما قاله ابن اسحق من أنها نزلت في السنة السادسة، ص٢٨٩. تحقيق السَّقا وزميليه، ط٢، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م. وانظر هامش دلائل النبوة في تثبيت ما قاله البيهقي من أنها وقعت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة. تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي.

(٤) سميت بالمريسيع نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه الغزوة وهو عين ماء، وغزوة بني المصطلق نسبة للقوم وهم من خزاعة.

وأحمد، والنسائي، وسيرة ابن هشام، وغيرها أكثر تفصيلاً. وقول زيد فذكرت ذلك لعمي: يعني سعد بن عبادة[1]، وليس عمه حقيقة فهو سيّد الخزرج. وعمه الحقيقي هو: ثابت بن قيس، وله صحبه. وفي هذه الرواية ورد الشك لعمي، أو لعمر، وباقي الروايات في صحيح البخاري بغير شك، وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم عندما ضاعت قلادة عائشة، رضي الله عنها.

وفي هذه الغزوة وقعت حادثة الإفك، ونزلت سورة النور لتبرئ أُم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها،. واستمر غياب الرسول،ﷺ، في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً. فهذه الرواية تُوافق التنزيل مع وقوع أحداثها. وسندُها صحيح بالإضافة إلى أن مفهوم ومنطوق النص يتناسب تماماً مع الرواية، ويتناسق مع السياق في الآيات. ولا يتعارض مع أي نص مثله، أو أقوى منه فتعتمد الرواية وتسجل في باب أسباب التنزيل.

مثال ثالث

لقد استعرضْتُ ما قاله المفسرون، والقائلون بأسباب التنزيل[2] في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾. **[الواقعة]**. فلم أجد من ذكر سبباً لتنزيلها، مع أن القول من الكفار قد وقع قطعاً، لأن المخبر مقطوع بصدقه. فتكون الآية مما نزل ابتداء لمعالجة ما عليه المجتمع من كفر بألوانه المختلفة. فلفظ

(١) انظر فتح الباري ص٦٤٥، شرح الحديث ٤٩٠٠، كتاب التفسير.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ولباب النقول للسيوطي، وتفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وابن كثير، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وروح المعاني للألوسي، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير الخازن، والدر المنثور للسيوطي وغيرها في تفسير سورة الواقعة الآية٤٧، وقد ورد نفس المعنى في سورة الإسراء الآيات٤٩، ٩٨. ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ وفي سورة المؤمنون آية ٨٢: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ولم يذكر الواحدي لها سبب تنزيل.

يقولون: هنا في الآية لم يرد فيه سبب تنزيل مما يؤيد ما ذهبنا إليه[1]. ورب قائل: لماذا جَوَّزت استنباط سبب تنزيل للآيات التي فيها يسأل ويستفتي، وهنا تقول: نزلت ابتداءً في لفظ القول مع أن جميع الألفاظ صادرة عن الله تعالى؟ والجواب عن ذلك أن سبب التنزيل هو ما اقتضى نزول قرآن، أو ما نزل بشأنه قرآن. وحكاية القول وردت عن الأنبياء السابقين، وما جرى مع أقوامهم للعبرة والعظة، فلا يقتضي لفظ القول أن يكون نزل القرآن بسببه بخلاف لفظ يسأل ويستفتي. والله أعلم.

أما صيغة **(سيقول)** بالإفراد والجمع فهي تدل على المستقبل فهي تكشف معالم المستقبل حتى لو كان في نفوس الناس. ومثاله قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢)** ﴾. **[الفتح]**. وانظر قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ**

---

(١) وانظر ما نزل في آيات التحدي بالإتيان بمثل هذا القرآن، أو بشيء منه، وفيها لفظ يقولون سورة يونس آية٣٨: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾، وسورة هود آية١٣: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. وكذلك آية ٣٥ من السورة نفسها: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) ﴾. وكلها مكيّة، ولم يورد الواحدي، ولا السيوطي، ولا الطبري، ولا القرطبي، ولا ابن كثير، وكذلك لم يذكر الفخر الرازي، ولا الألوسي، و لا البغوي، أو الخازن، شيئاً عن أسباب نزول هذه الآيات مما يدل على أن الآيات نزلت ابتداءً تتحدى أفكار الكفر، ومن يعتنقها بأن هذا القرآن من لدن خالق مدبر للكون، وأن الذي بلّغهم إياها رسول من الله تعالى.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. [الفتح]. فالآيات بل السورة كلها نزلت في السنة السادسة للهجرة في منصرف الرسول ﷺ، ومن كان معه بعد أن وقّعوا معاهدة الحديبيّة، فهي من قبيل العلم بالغيب في الأمور القادمة. فهذه الصيغة(1) لا علاقة لها بأسباب التنزيل في شيء. وهي نظير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾. [النور].

وأما صيغة الماضي (قال) فلا تدل كذلك على وجوب وجود سبب للتنزيل. فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾. [يونس]. فلم يذكر السيوطي لها سبب تنزيل. وذكر الواحدي فقال: قال مجاهد: نزلت في مشركي مكة، وقال مقاتل وهم خمسة نفر: عبد الله بن أبي أُمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر، قالوا للنبي ﷺ، ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى. وقال الكلبي: (نزلت في المستهزئين قالوا: يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه نسألك)(2). فلم تسند الرواية. ومثل هذه النقول لا تدل على سبب التنزيل في شيء، لا سيما إذا وردت على لسان الكلبي ومقاتل. هذا ولم تفصح الروايات عمّا هو مقصود من التبديل في الآية. وقال الطبري والتبديل الذي سألوه

(1) ومثلها قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ﴾. [البقرة:١٤٢].

(2) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٦٧، وانظر تفسير البغوي، ج٢، ص٣٤٧، تفسير الخازن، ج٢، ص٣٠٥. وهي رواية الواحدي نفسها.

فيما ذكر: أن يحول آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيداً، والحرام حلالاً، والحلال حراماً، فأمر الله نبيه،ﷺ، أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه. وأن ذلك إلى من لا يُرَدُّ حكمه، ولا يتعقب قضاؤه. وإنما هو رسول مبلغ ومأمور متبع).[1] ولا يخفى أن هذا تفسير من الطبري. ولم يذكر فيه روايات أبداً. ومن الجدير بالذكر أن لفظ (قال) يكون قد وقع القول فيه قطعاً لأن المخبر مقطوع بصدقه. ولكن لا يعني أن له سبب تنزيل. وقد يكون لفظ "قال" يدل على ما سيقع في المستقبل، والتعبير بالماضي لقطعية صدق المخبر، وبأن القول سيقع قطعاً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾. [الأنعام]، فالآية نزلت كلها بمكة في السنة الخامسة. والآية تتحدث عن ثلاثة ألوان من الكفر، وهي: افتراء الكذب على الله، والزعم بالنبوة، والإشراك بالألوهية بفعل الإيحاء وتنزيل قرآن آخر. وهذا أشد ألوان الكفر. ووصفت الآية حالهم عند الموت، فحدثت أحداث بعد ذلك في المدينة، فارتد عبد الله بن أبي السرح، وزعم مسيلمةُ والأسودُ العَنْسي وسُجاحُ النبوة، وحاولوا تأليف مثل القرآن فجاءوا بأسقط كلام عرفه العرب من حيث البلاغة، ثم جاء المفسرون[2] يقولون: إن هذه آيات نزلت في عبد الله ابن أبي السرح وفي مسيلمة الكذّاب، وواقع الحال أن هذه الآيات تنطبق عليهم. أو هم ممن يندرجون

(١) تفسير الطبري، ص٩٥، ج١١، م٧.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٢١٥، ٢١٦. وانظر تفسير الطبري، م٥، ج٧، ص٢٤٧، وانظر لباب النقول للسيوطي، ص١٠١، والدر المنثور، ج٣، ص٣١٧، وتفسير القرطبي، ج٧، ص٤٠ وما بعدها. وقال: وروى حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث لأنه عارض القرآن فقال: (والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، فالخابزات خبزاً، فاللاقمات لقماً) ص٤١. وانظر تفسير البغوي، والخازن في تفسير هذه الآية.

تحتها، فهي ليست سبباً لتنزلها. ولذلك جزأ الواحدي نزول الآية، وجعل كل جزء نزل في شخصية غير الأخرى، فذكر مسيلمة أنه قال: أُوحي إليَّ ولم يوح إليه، وذكر عبد الله بن أبي السرح أنه قال: سأنزل مثل ما أنزل الله. وأما إمام المفسرين الطبري فقوله يشفي الغليل، وترتاح إليه النفس، ويطمئن إليه القلب حيث قال: (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى قال: (الآية) ولا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي السرح كان ممن قال إني قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قيله مفترياً كذباً، وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذباً أنه بعثهما نبيين. وقال كل واحد منهما إن الله أوحى إليه وهو كاذب في قيله. فإن كان ذلك كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً، وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره أوحى الله إليه، وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئاً. فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عنى به جميع المشركين من العرب إذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيروه فعيرهم الله بذلك، وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك)(١).

فالطبري، رحمه الله، جعل كل ذلك جائزاً بما فيه أنها نزلت ابتداء، وهو الذي عبَّر عنه بقوله عنى جميع المشركين من العرب، لأن ما ورد في الآية كائن فيهم. وهذا هو الذي أُرجحه لأن السورة مكيّة نزلت في السنة الخامسة للبعثة. حيث اشتد الصراع الفكري بين دعوة الإسلام وكفار قريش. ولم تثبت أي رواية تدل على أن هذه الآيات نزلت بالمدينة. والمقطوع به أن السورة مكيّة. وإخراج آيات منها نزلت بالمدينة. يحتاج إلى دليل، ولم يثبت ذلك. كما أنها لم تنزل جملة واحدة، فالروايات

---

(١) تفسير الطبري م٥، ص٢٧٤، ج٧، طبعة دار الفكر.

ضعيفة [1] ويبقى عندنا القول بالمقطوع به وهو أن السورة نزلت بمكة، وادعاء النبوة لم يكن إلاّ في العهد المدني. والله أعلم.

أما صيغة الأمر (قل) فهي أمر رباني بالذي ينبغي أن يكون فيه المخاطب. قال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾. [التوبة:٨٣]، وقوله: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ ﴾. [الفتح:١٥]. ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾. [الفتح:١٦]، ومن المواقف العقدية: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾. [الكافرون]. ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾. [الإخلاص]. ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾. [الفلق]. ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾. [الناس]. ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾. [الإسراء:٨١]. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾. [الإسراء]. إلى غير ذلك من الآيات. فإن لفظ قل يفيد طلب الفعل في المستقبل فلا دلالة فيه على وجوب سبب للتنزيل. والله أعلم.

وهكذا فإن لفظ القول لا يوجد فيه صيغة محددة تدل على سبب التنزيل، فقد يوجد سبب تنزيل، وقد لا يوجد. لكن صيغة المستقبل سواء كانت بفعل الأمر أم بالفعل المصدر بالسين فإنه لا يرد فيها سبب تنزيل.

---

(١) قال القرطبي ص٣٨٣، ج٦: إن الأخبار الواردة في نزولها جملة واحدة. قال ابن الصلاح: لم نر له إسناداً صحيحاً. كما نقل السيوطي ذلك في الاتقان ج١، ص٥٠. وذكر السيوطي عدة أخبار وقال: (فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً مما يدل على ضعف آحادها. وقال ابن الضريس الأثر ١٩٦ عن ابن عباس: (نزلت سورة الأنعام ليلاً جملة) قال عليّ بن موسى: (بمكة ليلاً وحولها سبعون ألف ملك تحدق بها بالتسبيح). فضائل القرآن لابن الضريس ص٩٤. تحقيق غزوة بدير. وقال مسفر بن سعيد أحمد دماس. الخبر ضعيف فقال: وفي سند هذا الحديث علي بن عثمان: لا بأس به، وعلي بن يزيد: ضعيف. انظر التقريب ج٢، ص٣٨٢، رقم٤٥٧. وبهذا يظهر السند ضعيفاً. والله أعلم. ص١٥٥. ورسالة مسفر تحقيق فضائل القرآن لابن الضريس، ورق ستانسل، لاستكمال متطلبات درجة الماجستير.

الإشكال الخامس: تَقَدُمُ نزول الآية على الحكم، وتقدم الحكم وتأخر النزول

إن إقحام هذا العنوان في أسباب التنزيل هو الإشكال، وليس في العنوان أي إشكال، وهو بحث أصولي يفيد منه الفقهاء. وقد قام الزركشي ببحث المسألة في البرهان، وتبعه السيوطي، فجعله نوعاً [(1)] مستقلاً. والواقع أنه لا محل لبحثه في أسباب التنزيل. فهو بحث يتعلق بالأصوليين والفقهاء، ولكنني آثرت تثبيته لأن وضعه في أسباب التنزيل مشكل. والأمثلة التي ضربت صحيحة في باب الفقه واستنباط الأحكام. فآيات الزكاة نزلت في مكة. ولم يعرف الحكم إلاّ في المدينة. قال ابن الحصار: قد ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيراً تصريحاً وتعريضاً، بأن الله سينجز وعده لرسوله، ويقيم دينه، ويظهره حتى يفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع، ولم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلا خلاف. وأورد من ذلك قوله تعالى:﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾. [الأنعام:١٤١]. وقوله في سورة المزمل:﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[(2)].

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج١، ص٣٢، وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١، ص٤٨، ص٤٩. النوع الثاني عشر. ومن الجدير بالذكر أن العنوان في كتاب الزركشي (تقدم نزول الآية على الحكم). هو من وضع المحقق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، ولكن مادة الحديث هي التي من الزركشي، وضعها تحت عنوان فصل، ونوّه بخصوص السبب وعموم الصيغة، وكأنها بمثابة ملحوظات أو تنبيهات.

(٢) قول ابن الحصّار هذا ذكره السيوطي في الاتقان، ص٤٩، ج١، في النوع الثاني عشر. ومن أمثلة الآيات المكيّة التي اشتملت على الزكاة قوله تعالى:﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾. [الأعراف:١٥٦]. وقوله:﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾. [الروم:٣٩]. وقوله:﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾. [لقمان:٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

[**المزّمل:٢٠**]. وأما تقدم الحكم وتأخر النزول فمثاله الصلاة نزلت ابتداء. هي والوضوء بعد نزول الآية الأولى من القرآن فنزل جبريل، عليه السلام، وعلّم سيدنا محمد،ﷺ، الوضوء والصلاة، وقد أمَّ جبريل بالرسول، عليهما الصلاة والسلام، ثم علم الرسول،ﷺ، خديجة، رضي الله عنها، ثم علم كُلَّ من كان يسلم. وآية الوضوء نزلت بالمدينة. والمهم أنها بعد أن أقامها الرسول،ﷺ، ومن آمن معه من المؤمنين. ثم جاءت الآيات تركز على وجوبها وتمدحها، وتهدد وتذم من لم يقمها. ففي سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾. [**الأنعام**]. وفي سورة يونس: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. [**يونس:٨٧**]. إلى غير ذلك من عشرات الآيات.

وخلاصة القول إن هذا الموضوع هو بحث من أبحاث الأصوليين والفقهاء، ولا علاقة له بأسباب التنزيل. وبحثه في أسباب التنزيل يكون إشكالاً حيث لا علاقة له بالروايات المتعلقة بأسباب التنزيل. فهو كمسألة العموم والخصوص مسألة أصولية لا علاقة لها بأسباب التنزيل.

ورب قائل إن العلماء يعنون بالحكم ما تضمنه النص من معنى، أي الحكم الشرعي، وأقول: إنه أمر مشترك بين الأصوليين والفقهاء، فهو يخرج من باب عدم المزامنة بالإضافة إلى أن هذا لا يدخل في أسباب النزول لأن البيان كان من الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مثال أتوْا به، فتفصيل أحكام الزكاة جاء من السنة النبوية مبيّنة للقرآن في كثير من المسائل. فهي مسألة تتراوح بين الأصوليين والفقهاء. وفضلا عن أنه لا يتصور نزول آية بلا حكم، ولكن تنزل الآية ثم ينزل البيان أو التخصيص أو التقييد من السّنة النبوية. كما لا يتصور أن ينزل حكم شرعي بدون دليل. ويعد عمل الرسول أو قوله أو تقريره دليلاً شرعياً. ويؤخذ الحكم منه كما يؤخذ من الآية سواء بسواء. وهذا ليس من باب أسباب النزول في شيء.

الفصل الرابع

نتائج الدراسة

١. خلاصة دراسة الروايات.

٢. نماذج من المواضيع التي ثبت لها سبب تنزيل.

٣. ثوابت في علم أسباب التنزيل.

أولاً: خلاصة دراسة الروايات:

نفيد من الدراسة السابقة أن أسباب التنزيل علم من علوم القرآن تعتمد على الرواية، ويحتاج إليها المفسر قبل شروعه في تفسير الآية. ونفيد كذلك أن تفسير القرآن لا يتوقف على الإحاطة بأسباب التنزيل، بل بعض الآيات فقط هي التي يتوقف فهمها على أسباب التنزيل. والدليل على ذلك أن جل آيات القرآن لم يثبت لها سبب تنزيل.

ولقد علمنا أن الأقدمين والمعاصرين نوهوا إلى ضرورة تحرير روايات أسباب التنزيل، ولكن هذا هو أوّل بحث، فيما أعلم، لَمَّ شتات الأُطر التي يجب أن تتوافر في رواية أسباب التنزيل، وهو أول بحث جمع شمل كثير من روايات أسباب التنزيل على أساس هذه الأُطر.

ومن الجدير بالذكر أن تسمية الروايات بأسباب التنزيل هو من قبيل التجوز والتساهل. والحقيقة أنها مناسبات وقعت فنزل بشأنها قرآن، فهي ليست من قبيل الأسباب في مصطلح أصول الفقه.

ولقد جاءت أسباب التنزيل تشمل جميع الناس على اختلاف عقائدهم ومشاربهم. وتتجلى بوضوح في آيات الأحكام في كثير من المواضيع التي يحتاج إليها المسلم في حياته.

أما بالنسبة للتزامن بين الرواية ونزول الآيات فهو غير محدد بفترة معينة، فقد تطول وقد تقصر، فمثلاً قصة إبطاء الوحي قيل بلغت أسبوعين حتى نزلت سورة ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾. **[الضُّحى]**. وفي قصة الأسئلة الثلاثة التي وجهتها قريش بدافع من اليهود للرسول ﷺ، قد طال أمد حصول الجواب ونزلت الإجابة عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين في سورة الكهف؛ وسؤال الروح جاء في سورة الإسراء، وأما حديث الإفك فقد جاء تبرئة أم المؤمنين بعد ما زاد على الشهر كما ورد في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كما سنثبته بعد قليل.

وكذلك هدم مسجد الضرار فقد أجل الرسول،ﷺ، اتخاذ موقف تجاهه حتى فرغ من غزوة تبوك، وقد استغرقت شهراً. والضابط في المسألة أن يكون نزول القرآن بشأن ما ورد في الرواية حتى لو تأخر نزول الآيات.

وفي قصة الظِهار نزل الوحي فوراً. وكذلك في تصديق زيد بن أرقم في غزوة المريسيع (بني المصطلق) فيما قاله عبد الله بن أبي ليخرجن الأعزّ منها الأذلَّ. ومثلها في سرية عبد الله بن جحش نزل قوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾. **[البقرة:٢١٧]**. فور وصول الأسيرين والغنائم التي غنموها. ومثله في أبي لبابة وما نزل بشأنه في بني قريظة. وكذلك حاطب بن أبي بلتعة وما صدر منه من فعل التجسس، وغير ذلك مما سيأتي معنا بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

إن معرفة الوقت الذي نزلت فيه الآية أو الآيات لا يعني أن ذلك سبب تنزيل لها. فوقوع الحدث هو الذي يشير إلى وجود سبب تنزيل للآية. ولذلك فما قيل من أنواع أسباب التنزيل ما نزل ليلاًأو نهاراً، صيفاً أو شتاء، في الحضر أو في السفر، فهذا ليس من أنواع أسباب التنزيل في شيء لأن تنزيل الوحي ليس لرسول الله،ﷺ، أي اختيار فيه. وكذلك المكان. فالله تعالى وحده الذي ينزل الوحي كيف ومتى وأين يشاء. والمعهود أن القرآن تنزل في ثلاثة وعشرين عاماً، في فترات متقطعة، ومنها ما نزل على أحداث معينة. فسميت هذه الأحداث أسباباً. ومعرفة الوقت والمكان يعين على معرفة سبب التنزيل. ويفيد أكثر في باب معرفة المكيّ والمدني. والمؤشر القوي الذي يدل على سبب التنزيل هو: إما وقوع حدث نزلت الآيات على أثره لتبين حكمه، وتوضح ما ينبغي أن يكون الموقف فيه. وإمّا أن يشير النص القرآني نفسه إلى وجوب سبب تنزيل، كالآيات التي اشتملت على السؤال، أو الاستفتاء، نحو يسألونك يستفتونك. أما إذا اقترن السؤال بصيغة المستقبل السين، أو إذْ، أو إذا، أو إنْ، فهذه تحول المعنى للاحتمال، أو إلى ما سيكون عليه الأمر، أو ربما تذكر بالماضي فإنها في هذه الحالة تضعف في دلالتها عن وجوب وجود سبب للتنزيل. ومثاله﴿ سَيَقُولُ لَكَ

ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾. [الفتح:١١]،﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾. [الفتح:١٥]. ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾. [الأحزاب:٥٣]. ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾. [التوبة:٦٥] . ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾. [لقمان:٢٥]. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦]. وكذلك إذا وقع السؤال في القرآن بعد القول فيكون حكاية لذلك القول، فلا يعد من أسباب التنزيل في شيء. مثاله:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾. [هود:٤٧]. وهكذا فإن السياق القرآني في بعض الحالات يدل على وجوب وجود سبب للتنزيل، وكثير منه لا يدل على وجوب وجود سبب. فلمعرفة سبب التنزيل نحتاج إلى معرفة الرواية وإلى النظر في النصوص نفسها. و ما دامت الرواية محتملة للتفسير ولسبب التنزيل فهي تحتاج إلى مرجح ومساعد للدلالة، والنص نفسه خير مرجح وخير معين على ذلك.

والنقول عن السابقين بحاجة إلى إنعام النظر فيها وتمحيصها من حيث دلالتها على سبب التنزيل، لأنه ثبت يقيناً أن نقولهم في السببية تعني المراد من الآية ، أو أن هذا مما يندرج الحكم فيه، لا سيما أنه لم تثبت أي صيغة قطعية تدل على أسباب التنزيل حتى لو أقسم الصحابي على ذلك. كما مر معنا في قسم أبي هريرة. لا سيما أن هذا العلم لم يرد عن رسول الله،ﷺ، ولو وجد لتناقله الصحابة، رضوان الله عليهم، ولوصل إلينا كما وصل الحديث. وهذا لا يعني أنهم قللوا من شأن هذا العلم، فعلماء الحديث حوت كتبهم من أخبار الجاهلية الشيء الكثير فنجد هذا في أَصحِّ كتب الحديث، وهما صحيحا البخاري ومسلم. وذلك لأن الوحي تَنَزَّلَ على هذه الوقائع، فيفيدنا في فهم أبعاد النص ومراميه، مما يعين على استنباط أحكام جديدة للوقائع المستجدة في الحياة. ومعرفة سبب تنزيل قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾. [البقرة:١٠٤]. أفدنا منه أنه يحرم الأخذ بمصطلحات الكفار التي تتعلق بوجهة النظر في الحياة، كالمناداة بالحريات العامة، وبالديمقراطية، وبالملكية، وبالجمهورية، وبالاشتراكية، وبالعلمانية لأن في هذا تحريفاً للإسلام وتمييعاً لمفاهيمه، وإبعاداً لنصوصه عن مفاهيم الوحي.

والمدقق في روايات أسباب التنزيل يرى أنها ثلاثة أنواع:

١. روايات مرفوضة نهائياً أن تكون من أسباب التنزيل، ومن التفسير وهي ما لا تحتملها نصوص القرآن وتتعارض مع السياق القرآني. وكذلك الإسرائيليات وما يدور في فلكها.

٢. روايات تعدّ من أسباب التنزيل، وهي التي تحققت فيها الأُطر الخمسة.

٣. روايات تتأرجح بين التفسير وبين أسباب التنزيل.

٢. نماذج من المواضيع التي ثبت لها سبب تنزيل:

من تمام الفائدة وحسن ختم الفصول، أن أضع خلاصة لروايات في أسباب التنزيل قد تحققت فيها الأُطر الخمسة، وأن أذكر الموضوع والآية، والرواية، مشيراً إلى بعض أماكن وجودها، وإليكها في القرآن مرتبة على المواضيع.

١. الآيات التي تتعلق بكشف أكابر المجرمين الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية سواء أكان **بذكر أسمائهم مباشرة**، أو **كان بذكر صفاتهم**، وسواء أكان بمكة أم بالمدينة منها:

ما نزل في الوليد بن المغيرة سورة المدثر، الآيات ١١-٢٦، وكانت بمكة في بداية الدعوة. وقد ذكر بالوصف الآيات: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

سبب التنزيل

قال الفخر الرازي: (أجمعوا على أن المراد ههنا الوليد بن المغيرة)[1]. قال البيهقي: (حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصنعاني بمكة، قال حدثنا إسحق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم! إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه. فإنك أتيت محمداً تتعرضُ لما قِبَلَهُ، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له (أو أنك كاره له) قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوةً، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر، قال: (هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت)، هكذا حدثناه موصولاً)[2]. فهذه الرواية تتوافق مع نزول

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، ص١٩٨، ج٣.

(٢) دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، صـ١٩٨، ج٢، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى. وقال د. عبد المعطي قلعجي مخرج أحاديث الكتاب في الهامش ص١٩٨: والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٥٠٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٣: ٦١). وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي بالسند نفسه، ص٤٧٥، ٤٧٦. وانظر سيرة ابن هشام ص٢٧٠، ص٢٧١، ج١. من القسم الأول بعنوان تحيّر الوليد بن المغيرة فيما يصف القرآن. وهو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وانظر تفسير الطبري، م١٤، ج٢٩، ص١٥٢. وما بعدها. وانظر الكشّاف للزمخشري ص١٥٧، ج٤، وتفسير ابن كثير ج٤،=

الآيات حيث كانت بمكة أول نـزول القـرآن، والروايـة صـحيحة كمـا صـرّح بـذلك الحاكم، والسياق القرآني والمنطـوق والمفهـوم للآيـات تحتمـل نـص الروايـة. وعليـه فتصلح هذه الرواية أن تكون سبب نزول للآيات.

ومنها ما صرحت الآيات باسمه إمعاناً في التهديد وبسوء المنقلب الذي ينتظره، كما في سورة المسد، فذكر أبو لهب عم الرسول،ﷺ، الهاشمي حيث جعل شتمه عبادة، وكذلك شتم زوجته (أُم جميل) عبادة. فقال تعـالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾. [المَسَد].

سبب التنزيل:

روى البخاري بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن الـنبي،ﷺ، خـرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: "يا صباحاه"، فاجتمعت إليه قريش فقال: (أرأيـتم إنْ حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أنتم تصدقوني؟) قالوا: نعم: قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا! تباً لك. فأنزل الله عـز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] [المَسَد]. وفي رواية: لمـا نزلـت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ

=ص٤٤٢، ص٤٤٣. بالسند نفسه، وانظر لباب النقول للسيوطي،= =ص٢٣٠، وقـال أخـرج الحاكم. وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج١٩، ص٧٤، ص٧٥.

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب التفسير، الحـديث ٤٩٧١، ٤٩٧٢، ٤٩٧٣. ص٧٣٧، م٨. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٥٠٧، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ص٢٠٠، م١، وانظر الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد، ج١٨، في تفسير سـورة الشعراء، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ص٢٢٥، ٢٢٦. وكـرره في سـبب نـزول سـورة المسـد ص٣٤٢، وقال في تخريجه: رواه الدارقطني، والترمذي في سننه، والنسائي. وانظـر لبـاب النقـول للسـيوطي ص٢٤٥، وتفسـير الطـبري، ص٣٣٧، م١٥، ج٣٠. وانظـر كتـب التفسـير، وكتـب السيرة الأخرى.

ﭐلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ **[الشعراء]**. خرج رسول الله،ﷺ، حتى صعد الصفا... إلخ). وهذا مما كان بمكة، وفي أهل قريش . فالرواية صحيحة السند ، تزامنت مع نزول الآيات، وتناسقت مع السياق القرآني، واستوعبها المنطوق والمفهوم للآيات، ولم تخالف رواية، أو نصاً أقوى منها. وعليه فهذه الراويات تعد من أسباب النزول.

وأما في المدينة فقد ورد بحق كبير المنافقين، عبد الله بن أبي ، كثير من الآيات منها على سبيل المثال ما ورد في سورة المنافقين:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾. **[المنافقون]**.

سبب التنزيل

روى البخاري بسنده إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله ابن أُبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعزُّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمي، أو لعمر، فذكره للنبي،ﷺ، فدعاني، فحدثته، فأرسل رسول الله،ﷺ، إلى عبد الله بن أُبيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله،ﷺ، وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلاّ أن كذّبك رسول الله،ﷺ، ومقتك، فأنزل الله تعالى:﴿إِذَا جَآءَكَ﴾. **[المنافقون:١]**. فبعث إليّ النبي،ﷺ، فقرأ فقال: (إن الله قد صدّقك يا زيد)(١). والغزوة هي غزوة بني المصطلق نسبة

(١) الحديث في فتح الباري رقم ٤٩٠٠، وأطرافه في ٤٩٠١، ٤٩٠٢، ٤٩٠٣. كتاب التفسير م٨، ص٦٤٤. وما بعدها، وانظر سنن الترمذي، الأحاديث ٣٣٦٧، ٣٣٦٨، ٣٣٦٩، ٣٣٧٠، م٥، ص٨٧-ص٩٠. وانظر الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد كتاب التفسير، ص٣٠٦، ج١٨. وقال رواية النسائي في غزوة تبوك. وعند أهل السير هي غزوة المريسيع، وانظر أسباب نزول=

للقوم، أو المريسيع نسبة لعين الماء، والمقصود بعمّه هنا هو سعد بن عبادة كما قال صاحب الفتح الرباني وهو عند الطبراني وابن مردويه. وليس عمه حقيقة وإنما هو سيّد قومه، وقال ابن حجر في فتح الباري: وعم زيد بن أرقم الحقيقي هو ثابت بن قيس، له صحبة. وعمه زوج أمه عبد الله بن رواحة خزرجي أيضاً.

ويبدو أن هذا السبب كان سبباً في تنزيل السورة كلها، وليس الآيتين المذكورتين فحسب، لأن الرواية تقول فأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ والله أعلم. والرواية صحيحة السند، مدنية الحدث، مدنية النزول، تتسق مع المفهوم والمنطوق والسياق القرآني، ولا تعارض نصاً أقوى منها، فهي بلا ريب من روايات أسباب النزول.

ومما كان بالمدينة أيضاً ما ورد في حق نصارى وفد نجران، وكانوا ستين راكباً، وعلى رأسهم العاقب، والسيد، وأبو حارثة، وهم الذين يؤول إليهم الأمر. ففي سورة آل عمران من أولها إلى نيف وثماني آية ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾. **[آل عمران].**

سبب التنزيل:

روى البخاري[1] عن حذيفة قال: (جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى

=القرآن للواحدي ص٤٥٧، ص٤٦١. وانظر تفسير الطبري م١٤، ص١١٢. وما بعدها ج٢٨، لباب النقول للسيوطي، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ص١٢٠، ج١٧. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. وانظر كتب التفسير والسير المتعددة. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٨.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٧٢، قصة أهل نجران، الحديث، ٤٣٨٠- ٤٣٨٢. وانظر سيرة ابن هشام ص٥٧٣، ص٥٨٤. القسم الأول ج٢، ط٢، ١٩٥٥م. بتحقيق السقّا وشركاه. وانظر دلائل النبوة للبيهقي، م٥، ص٣٨٢، ص٣٩٣. باب وفد نجران وشهادة=

رسول الله،ﷺ، يريدان أن يلاعناه. قال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معناً إلاّ أميناً، فقال: (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين)، فاستشرف له أصحاب رسول الله،ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة ابن الجراح. فلما قام، قال رسول الله،ﷺ،: (هذا أمين هذه الأُمة). وهذه رواية مختصرة، فمن أراد التوسع فليعد إلى المراجع المثبتة في هذه الصفحة. وقد ذكرت هذه المصادر أنه نزل نيف أو بضع وثمانون[1] آية بسبب هذه الحادثة التي تفضح سادة النصارى. فأبو حارثة بن علقمة كان يعلم أن محمداً رسول الله، ولكنه أنكر ذلك لأن ملوك الروم من النصارى شرّفوه ومولوه وأخدموه، و بنوا له الكنائس فحتى لا تضيع منه هذه المكاسب. والدليل على ذلك انه (لما عثرت بغلة أبي حارثة قال له أخوه (كوز) وكان معه في الركب: (تعس الأبعد) (يريد رسول الله، ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست! فقال: ولِمَ يا أخي؟ قال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر! فقال له كوز: ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرّفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلّا خلافة، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى. فأضمر عليه منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم

=الأساقفة لنبينا،ﷺ، وامتناع من امتنع منه من الملاعنة؟. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٩٠، ص٩١، ص٩٨، ٩٩. وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب، ورقة ١٣١، ١٣٤. لابن حجر، وانظر تفسير الطبري ص١٥٠، م٦، طبعة شاكر. تفسير البغوي ص٢٧٦، ج١، تفسير الرازي ص١٥٤، ص١٥٥، ج٧. تفسير القرطبي م٤، ص٤. تفسير ابن كثير م١، ص٣٦٨. وانظر لباب النقول للسيوطي ص٤٣، ص٤٥. وغيرها من كتب التفسير والحديث والسيرة.

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي ص٩١، لباب النقول للسيوطي، ص٤٣، سيرة ابن هشام ص٥٧٦. القسم الأول، الجزء الثاني، تفسير الطبري ج٦، ص١٥٠، ص١٥٣، طبعة شاكر، تفسير القرطبي ص٤، ج٤، تفسير الفخر الرازي ص١٥٥، ج٧، تفسير البغوي ص٢٧٦، ج١، تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٦٨.

بعد ذلك)[1]. وهذه الرواية من مرويات البخاري، وقد حدثت في المدينة، وتزامنت مع نزول الآيات، وتندرج تحت منطوق ومفهوم الآيات الكريمة، ولا تعارض بينها وبين ما هو أقوى منها. وعليه فهي من روايات أسباب النزول، والله أعلم.

٢. **كشف المؤامرات التي حيكت ضد المسلمين من أعدائهم. ففي حق المنافقين،** وردت فضيحة مسجد الضرار في سورة التوبة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾. **[التوبة].**

فقد تآمر أبو عامر الراهب، من بني غنم، مع المنافقين في المدينة لترصّد حركات المسلمين، ليأتي أبو عامر الراهب بجيش مجهز من الروم ليقضوا على رسول الله، ﷺ، وعلى دولته. فبناء المسجد كان لقتل الرسول ﷺ وهو يصلي فيهدموه عليه.

سبب التنزيل

قال ابن إسحق: (ثم أقبل رسول الله، ﷺ، حتى نزل بذي أوان (موضع منسوب إلى بئر بهذا الاسم). بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: (إني على جناح سفر، وحال شغل، أو كما قال، ﷺ، ولو قدمنا إن شاء الله

(١) انظر سيرة ابن هشام، ص٥٧٣، ص٥٧٤. القسم الأول الجزء الثاني، وانظر دلائل النبوة للبيقهي، ص٣٨٣، ج٥.

لأتيناكم، فصلّينا لكم فيه). فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله،ﷺ، مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، أخا بني العجلان، فقال: (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه). فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله، فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرّقاه وهدّماه، وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾. **[التوبة:١٠٧]**. إلى آخر القصة)[١]. وهي صحيحة السند،كما أخرجها الطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، فتح القدير ٢/ ٤٠٤، والبيهقي في الدلائل من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، رضي الله عنه، نحوه. والرواية تزامنت مع النزول، والنص القرآني يستوعبها، ولا تعارض بينها وبين ما هو أقوى منها. وعليه فتعد من روايات أسباب النزول.

ومنها ما نزل في كشف يهود بنو النضير وغيرهم[٢]. ففي غزوة بنو النضير نزلت سورة الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام، ص٥٢٩، ص٥٣٠. القسم الثاني الجزء الرابع، وانظر دلائل النبوة للبيهقي، م٥، ص٢٥٦، وما بعدها. وانظر أسباب النزول للواحدي، ص٢٦٠، ص٢٦٢، وانظر لباب النقول، للسيوطي ، ص١٢٤، ص١٢٥. وانظر تفسير الطبري، ص٢٣، ص٢٦/ م٧، ج١١، طبعة دار الفكر. وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي، ص١٩٢، ج١٥. وانظر تفسير البغوي، ج٢، ص٣٢٦، ص٣٢٧. وتفسير القرطبي، م٨، ص٢٥٣، ص٢٥٤، وتفسير ابن كثير، م٢، ص٣٨٧، ٣٨٩. وغيرها.

(٢) أول من نقض العهد من اليهود **بنو قينقاع** فحاربهم رسول الله،ﷺ، في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه،ﷺ، وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أُبيّ وكانو حلفاءه فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات بالشام. ثم نقض **العهد بنو النضير** فأجلاهم إلى الشام وقد حملوا أمتعتهم وأموالهم على الإبل دون السلاح. وكان ذلك بعد وقعة أُحد. ثم **بنوا قريظة**=

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾. [الحشر].

سبب النزول

قال البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها. قال: قلت سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير(١). وكانت غزوة بني النضير كما أخرج البخاري عن عروة على رأس ستة أشهر من وقعة بدر.(٢)والصواب كما قال ابن إسحاق سنة ٤هـ.(٣) قال الواحدي وابن حجر بسنده حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك، عن رجل، من أصحاب رسول الله،ﷺ، (٤): (أن كفار قريش

=وعلى رأسهم حيي بن أخطب فور انتهائهم من غزوة الأحزاب، وقتلوا وسبوا وغنمت أملاكهم، وأخيراً **يهود خيبر** بعد منقلب الرسول،ﷺ، من الحديبيّة سنة ٦ للهجرة.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، الحديث رقم ٤٨٨٢، كتاب التفسير سورة الحشر ص٦٢٨، المطبعة السلفية، ج٨.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، باب ١٤، كتاب التفسير، حديث بني النضير. وانظر دلائل النبوة للبيهقي، ص ١٧٦، ج٣.

(٣) انظر سيرة ابن هشام، ص١٩٠، القسم الثاني، ج٣، ط٢، ١٩٥٥م، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد، م٢، ص٥٧.

(٤) وقد ذكر هذا السند ابن حجر في فتح الباري في شرح الأحاديث ٤٠٢٨، ٤٠٣٢. وقال: روى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح عن معمر، عن الزهري، أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي،ﷺ، قال: وهو نفس سند الواحدي، وانظر المغازي النبوية تصنيف بن شهاب الزهري، توفي سنة ١٢٤هـ. صـ٧١، تحقيق د. سهيل=

كتبوا بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم، وهي الخلاخل، شيء فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير (على) الغدر، وأرسلوا إلى النبي،ﷺ، أن اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فإن آمنوا بك اتبعناك. ففعل. فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخيها- وهو رجل مسلم من الأنصار- فأخبرته ما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله،ﷺ، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي،ﷺ، فسارّه بخبرهم فرجع النبي،ﷺ. فلما كان من الغد غدا عليهم بالكتائب، فحاصرهم وقاتلهم. حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل إلاّ السلاح فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها، ويحملون ما يوافقهم من خشبها). وكذا أخرج عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق، وفي ذلك ردٌّ على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت: (والقول لابن حجر) فهذا أقوى مما ذكر ابن اسحق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه،ﷺ، أن يعينوه في دية الرجلين لكن وافق ابن اسحاق جُلّ أهل المغازي فالله أعلم).(1) ومهما يكن من سبب في إخلال بني النضير العهد مع رسول الله،ﷺ، فالمهم أن الآية نزلت في بني النضير وإجلائهم عن المدينة لنقضهم العهد(2).

=زكّار، ط١٤٠١. طبعة دار الفكر دمشق. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، ٢/ ٤٨٣، والبيهقي في الدلائل ٣/ ١٧٨. عن عائشة عنها بمعناه.

(١) فتح الباري، ص٣٣١، ص٣٣٢، م٧، كتاب المغازي، وانظر المغازي النبوية تصنيف ابن شهاب الزهري ت ١٢٤هـ، تحقيق سهيل زكّار، طبعة ١٤٠١هـ دار الفكر بدمشق، باب حديث بني النضير.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤٤١، ص٤٤٢.وانظر دلائل النبوة للبيهقي ج٣، ص١٧٨، ص١٨٤ . وفيه رواية الواحدي نفسها. وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد م٢، ص٥٧. وفيه ذكر طلب الرسول،ﷺ، مساعدة يهود بني النضير في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أُمية الضمري، وانظر سيرة ابن هشام ص١٩٠، م٢، الجزء الثالث. وانظر تفسير=

فتكون الرواية والآيات متزامنات في الحدوث، وهي صحيحة السند، وتتفق مع المنطوق والمفهوم والسياق القرآني، ولا تعارض بينها وبين نصوص أخرى. وعليه فهي من روايات أسباب النزول، والله أعلم.

٣. **الحظر على المسلمين من استعمال مصطلحات الكفار التي تنبع من وجهة النظر في الحياة.** فلا يجوز أن نقول الاشتراكية الإسلامية، أو الديمقراطية في الإسلام، أو الجمهورية الإسلامية، أو المملكة الإسلامية، أو الحريات العامة، إلى غير ذلك مما له مفهوم معين عند الكفار، ويتعلق بوجهة النظر في الحياة. قال تعالى في ذلك عن اليهود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾. **[البقرة]**، فلفظ (راعنا) وإن كان عربياً إلاّ أن له معنى معيناً عند اليهود وهو السب القبيح، فكانوا يستعملون التورية مع المسلمين فنهى الله تعالى المسلمين عن استعمال هذا اللفظ لأنه مصطلح ذا معنى معين عند اليهود.

سبب التنزيل:

روى الواحدي: (قال ابن عباس في رواية عطاء: وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ، أعجبهم ذلك، وكان (راعنا) في كلام اليهود السب القبيح، فقالوا: إنا كنّا نسب محمداً سراً فالآن أعلنوا السب لمحمد لأنه من كلامهم، فكانوا يأتون نبي الله ﷺ، فيقولون يا محمد، راعنا ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة وكان عارفاً بلغة اليهود فقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذي نفسُ محمدٍ بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه.

=الطبري، م١٤، ج٢٨، تفسير سورة الحشر، تفسير البغوي، م٤، ص٣١٣، الفخر الرازي، ص٢٧٨، ج٢٩. تفسير الخازن ج٤، ص٢٦٢، تفسير ابن كثير ص٣٣٠، ج٣. الفتح الرباني ج٢١، ص٦٥. وانظر المغازي، النبوية للإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ت١٢٤هـ، ص٧١، ص٧٥. تحقيق سهيل زكّار، طبعة دار الفكر، ١٤٠١هـ.

فقالوا: ألستم تقولونها (له؟) فأنزل الله الآية) [1]، الحديث مرسل وهو صحيح الإسناد، قوّاه الحافظ ابن حجر في مخطوط العُجاب ورقة ١٣٥أ، وتتزامن الرواية مع نزول الآيات في المدينة. والنص القرآني يستوعب الرواية، ولا تعارض بين الروايات وبين نصوص أخرى. وعليه فهي من روايات أسباب النزول. والله أعلم.

٤. **خرق بعض الأعراف الدولية السائدة آنذاك عند تعارضها مع مصلحة حمل الدعوة.** قال الله تبارك تعالى في سورة البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾. [البقرة].

سبب التنزيل:

قال الواحدي بسنده عن الزهري قال:

(أخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ، بعث سرية من المسلمين وأمّر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في عير تجارة لقريش، في يوم بقي من الشهر الحرام؛ فاختصم المسلمون فقال قائل منهم: لا نعلم هذا اليوم إلاّ من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلوه لطمع أَشْفَيْتُمْ عليه. فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا، فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره، فبلغ ذلك كفار قريش، وكان ابن الحضرمي أوّل قتيل قُتل بين المسلمين وبين المشركين، فركب وفد من كفار قريش حتى قدموا على النبي ﷺ، فقالوا: أَتُحِلُّ القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ

---

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣١، وقد سبق تخريج الرواية في الفصل الثالث فليرجع إليها. أخرجه ابن جرير عن قتادة ٢/ ٣٧٤، وابن أبي حاتم في العُجاب عن عطاء.

ﭐلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾، إلى آخر الآية [1]. ورواه البيهقي في الدلائل ٣/ ١٧، ١٨. عن عروة مرسلاً. وفي رواية أسروا أسيرين واستاقوا العير فوقف على ذلك النبي،ﷺ، وقال: (لم آمركم بالقتال في الشهر الحرام). فقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام، فنزلت الآية. أي قد كانوا يفتنونكم وأنتم في حرم الله بعد إيمانكم، وهذا أكبر عند الله أن تقتلوهم في الشهر الحرام مع كفرهم بالله..) قال الزهري: (لما نزل هذا قبض رسول الله،ﷺ، العير وفادى الأسيرين. ولما فرّج الله تعالى عن أهل تلك السرية ما كانوا فيه من غم، طمعوا فيما عند الله من ثوابه، فقالوا: يا نبي الله أنطمع أن تكون غزوة ولا نعطى فيها أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله الآيات التالية)[2]. وإسناده صحيح ويشهد للروايتين ما أخرجه الطبري ٢/ ٢٠٤، والطبراني (المعجم الكبير) ٢/ ١٧٤ حديث ١٦٧٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم (فتح القدير) للشوكاني ١/ ٢١٨ عن جُندب بن عبد الله، رضي الله عنه، بمعناه وقد صححه الشوكاني. والروايات تزامنت مع نزول الآيات وهو بداية العهد المدني. وقبل غزوة بدر الكبرى. والنص يحتمل الروايات، ولا يتعارض مع ما هو أقوى منه، فهي من أسباب النزول، والله أعلم.

ويجب علينا أن نهاجم في وقتنا الحاضر الأعراف الدولية السائدة التي تضر بالمسلمين كإنشاء هيئة الأُمم، وما ينجم عنها من مؤسسات استعمارية، كصندوق النقد الدولي، وعدم الاعتراف بأي دولة إلاّ إذا اعترفت بها هيئة الأمم، والتي هي في

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٦٠، ٦١. وقد أخرجه الطبري ٢/ ٢٠٢، وابن اسحق في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٧٨.

(٢) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٦١، ص٦٢، وانظر أحكام القرآن للشافعي ج٢. وسند الرواية أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحارثي، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن محمد الرازي، قال: حدّثنا سهل بن عثمان، قال: حدّثنا يحيى بن زائدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: بعث رسول الله،ﷺ، عبد الله بن جحش، ومعه نفر من المهاجرين فقتل عبد الله بن واقد الليثي عمرو بن الحضرمي في آخر يوم من رجب...إلى آخر القصة.

واقعها مؤسسة للاستعمار الأمريكي ليكون استعماراً شرعياً من وجهة النظر الدولية، ومنها عدم البدء بالقتال حتى لو كان المقاتل معتدياً وظالماً، كما يجري الآن في فلسطين. حيث استولى اليهود على نصفها عام ١٩٤٨م بتسليم من الإنجليز. ثم استولوا على بقيتها عام ١٩٦٧م بمسرحية لم تخف على الناس. ومع ذلك فأي اعتداء على أي دولة شعبها من المسلمين قريبة كانت أو بعيدة فإنه يُبرر لها، فهيئة الأُمم هي المظلة الدولية لحماية إسرائيل ربيبة بريطانيا وأمريكا (الدول الكافرة المستعمرة للعالم). وهكذا فيجب العمل على تعرية الأعراف الدولية السيئة التي تعرقل مصالح المسلمين في الحياة.

ومن الآيات التي نزلت لتحارب الأعراف الدولية التي كانت سائدة آنذاك قوله تعالى في نفس سورة الحشر: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ فقد شن اليهود على الرسول، ﷺ، وعلى المسلمين حملة لأن المسلمين بادروا بقطع النخيل المحيط بحصن يهود بني النضير، والذي اعترض سبيل فتح حصنهم، وكانت المحافظة على الشجر المثمر من الأعراف المتفق عليها. فقطعه منكر حتى أن الرسول، ﷺ، كان يوصي الجيش في غزواته بعدم قطع الشجر، أو قتل الطفل، أو المرأة..(غير المحاربين) إلخ. ولكن إذا كان العرف الدولي يحول دون تحقيق مصلحة المسلمين من فتح حصن، أو غيره، فإنه يهمل ويعمل على تحقيق هدف المسلمين[1]. والحديث صحيح رواه البخاري، ومسلم، وأصحاب السنن. وقد تزامنت الروايات ونزول الآيات. ويندرج المعنى في المنطوق والمفهوم للآيات، فتصلح أن تكون سبب نزول.

٥. **وجوب التحاكم إلى الإسلام وتحريم التحاكم لغيره**. فقد نزلت في اليهود وفي

---

(١) والحديث أخرجه البخاري، عن ابن عمر في رواية ثانية، انظر فتح الباري ٨/ ٦٢٩. حديث ٤٨٨٤، ومسلم ٣/ ١٢٦٥. حديث ١٧٤٦، وأبو داود ٣/ ٨٧، حديث ٢٦١٥، الترمذي ٥/ ٤٠٨، حديث ٣٣٠٢، والإمام أحمد الفتح الرباني ١٨/ ٣٠١. حديث ٤٦١.

النصارى وفي المنافقين على حد سواء **ففي حق المنافقين** نزل قوله تعالى في سورة النساء[1]: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

سبب التنزيل:

نزلت في المنافقين. والسياق القرآني يشهد بذلك. أما ما رواه البخاري فهو تفسير: (حدّثنا علي بن عبد الله، حدّثنا محمد بن جعفر، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة فقال النبي ﷺ: (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك). فقال الأنصاري: يا رسول الله، أنْ كان ابن عمتك؟ فتلّون وجهه، ثم قال: (اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر. ثم أرسل الماء إلى جارك).واستوفى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلاّ في ذلك[2]: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وتنطبق الآيات على النص، وليس سبب نزول. فالرواية وإن كانت صحيحة إلاّ أن السياق القرآني يعارض أنها نزلت في مسلم من الأنصار. حيث إن الآيات التي قبلها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾. [النساء]. إلى الآية ٦٥ التي نحن بصددها، فالآيات تتحدث عن المنافقين، وليس عن المسلمين، فلا تكون رواية البخاري سبباً في

(١) لقد نزلت سورة النساء قبل سورة المائدة بعدة سنوات، انظر فضائل القرآن لابن الضريْس، ص٣٤، تحقيق غزوة بدير.

(٢) انظر فتح الباري، الحديث ٢٣٥٩، ٢٣٦٠. كتاب الأشربة والمساقاة، باب ٦ سَكْرِ الأنهار، م٥، ص٣٤، وانظر كتاب أحكام القرآن للشافعي. ص٣٠.

النزول. وإنما تكون تفسيراً للآية ليس غير. وسبب النزول ينبغي أن يكون في المنافقين، فقد وردت في سبب نزول هذه الآيات ٦٠-٦٥ روايات متعددة:

١. رجل من المنافقين دعا رجلاً من اليهود في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهان، ليحكم بينهم. ورسول الله، ﷺ، بين أظهرهم. (الطبري ص١٥٢، ج٥، دار الفكر).

وفي رواية كان المنافق يدعو إلى تحكيم اليهود لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة, وكان اليهودي يدعو إلى تحكيم المسلمين. لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة. فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.. حتى بلغ: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾. (الطبري، ص١٥٣، ج٥، دار الفكر).

٢. رجل من الأنصار يُقال له بشر، وفي رجل من اليهود في مدارأة كانت بينهما في حق، تدارءا فيه، فتنافرا إلى كاهن بالمدينة ليحكم بينهما، وتركا نبي الله، ﷺ، فعاب الله عز وجل ذلك... وقيل إن اليهودي كان يدعوه إلى النبي، ﷺ، ليحكم بينهما. والأنصاري يأبى ذلك ويريد الكاهن[١]. والمدارأة: التدافع في الخصومة.

٣. ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم، وكانت بنو قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل الرجل من بني النضير، قتلته بنو قريظة، قتلوا به منهم، فإذا قتل الرجل من بني قريظة قتلته النضير، أعطو ديته ستين وسقاً من تمر، فلما أسلم ناس من بني قريظة والنضير، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة،...إلخ[٢].

وفي رواية بين منافقين ومسلمين من قريظة والنضير، وانطلقوا إلى أبي برزة الأسلمي، وهو كاهن.

٤. رجل من المنافقين ورجل من اليهود. فقال المنافق: أذهب إلى كعب بن الأشرف، وقال اليهودي: إذهب بنا إلى النبي، ﷺ، فنزلت الآيات.

---

(١) انظر تفسير الطبري، ج٥، ص١٥٣، طبعة دار الفكر.

(٢) انظر تفسير الطبري، ج٥، ص١٥٣، طبعة دار الفكر.

٥. رجل من المؤمنين ورجل من اليهود. وقال المؤمن: اذهب بنا إلى النبي ﷺ، وقال اليهودي: اذهب بنا إلى كعب بن الأشرف.

٦. الزبير بن العوام وخصم له من الأنصار اختصما في شراج الحرّة كانا يسقيان به كلاهما النخل..

وقد رجح الطبري رواية المنافق واليهودي، فقال: (وهذا القول: أعني قول من قال: عنى به المحتكمين إلى الطاغوت اللذينْ وصف الله شأنهما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾. أولى بالصواب. لأن قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. في سياق قصة الذين أسدى الله الخبر عنهم بقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾. ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى[(١)].

وقال ابن العربي بعد أن ذكر الروايات في المنافق واليهودي: رواية صحيح البخاري في خصومة الأنصاري مع الزبير في شراج الحرّة:

(المسألة الثانية- اختار الطبري أن يكون نزول الآية في المنافق واليهودي، ثم تتناول بعمومها قصة الزبير وهو الصحيح. وكل من اتهم رسول الله ﷺ في الحكم فهو كافر، لكن الأنصاري زلّ زلّةً فأعرض عنه النبي ﷺ، وأقال عثرته لعلمه بصحة يقينه وأنها كانت فَلْتة، وليس ذلك لأحد بعد النبي ﷺ، وكل من لم يرض بحكم الحاكم بعده فهو عاصٍ آثم)[(٢)].

وعليه وعند تطبيق الأُطر لروايات أسباب النزول نُرجِّح أنها نزلت في خصومة بين منافق ويهودي بالإفراد أو الجمع، وليس في الزبير بن العوام وأنصاري لأن

---

(١) تفسير الطبري، ج٥، ص١٥٩، طبعة دار الفكر.

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي، م١، ص٤٥٦، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت. وانظر تفسير القرطبي، م٥، ص٢٦٧، وقد رجح ما ذكره الطبري وابن العربي.

السياق القرآني يأبى هذا، ويؤدي إلى انقطاع السياق، وضياع ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾. وعليه تكون الآيات من ٦٠-٦٥ من سورة النساء نزلت في المنافقين، وليس في المسلمين. وتكون رواية الزبير والأنصاري تنطبق عليه الآية. أي أنها تفسيرية لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ففي الآية الكريمة تبيّن أنه لا يكفي أن ينزل المسلم عند حكم الشرع فحسب، بل لا بد من القبول والرضا بهذا الحكم، فلا يوجد في النفس فيه أي شيء، بل أكثر من ذلك ويسلموا تسليماً مطلقاً عن رضا وقناعة بهذا الحكم الشرعي. فقد يخضع المرء إلى حكم شرعي ولكنه في قرارة نفسه غير راض، فهذا غير مقبول منه عند الله. بل لا بد من الرضا والتسليم بهذا الحكم وبهذه النتيجة.

وأما في حق اليهود فقد وردت آيتان في سورة المائدة متتاليتين وهما:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولم تنزل هذه الآيات بهذا التحديد، بل كانت كل آية تنتهي بهذا المقطع من الآية والآيات كاملة هي: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾. والآيات من ٤١-٤٥ جاءت تتحدث عن الموضوع نفسه. وسبب التنزيل فيها جميعاً هو:

روى مسلم عن البراء بن عازب، قال: مَرَّ على النبي ﷺ، بيهودي مُحَمَماً مجلوداً فدعاهم ﷺ، فقال: (هكذا تجدون حَدَّ الزاني في كتابكم؟) قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: (أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون

حدَّ الزاني في كتابكم؟) قال: لا، ولولا إنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنّا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا تَعالَوْا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله،ﷺ،: (اللهم إني أوّل من أحيا أمرك إذْ أماتوه). فأمر به فرُجم. فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾. [المائدة:٤١]. إلى قوله: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول ائتوا محمداً،ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم. ﴿فَٱحۡذَرُواْ﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]. وهذه الرواية أرى أنها تفسيرية. وأن رواية سبب التنزيل هي ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر: (أن رسول الله،ﷺ، أُتِيَ بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله،ﷺ، حتى جاء يهود، فقال: (ما تجدون في التوراة على من زنى) قالوا: نسوّد وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويُطاف بهما. قال: (فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين) فجاءوا بها فقرأوها، حتى إذا مروا بآية الرجم، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال له عبد الله بن سلاّم، وهو مع رسول الله،ﷺ، مُرْهُ فليرفع يده فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم فأمر برجمهما. فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه)[2].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، م٦، ج١١، كتاب الحدود، حد الزنا، ص٢١٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ص٢٠٨، م٦، ج١١. كتاب الحدود، حد الزنا، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب الحدود، ٨٦، باب ٣٧. أحكام أهل الذمة وإحصانهم، ص١٦٦، م١٢. الحديث رقم ٦٨٤١، انظر تفسير ابن كثير، ص٥٨، ص٥٩، م٢، أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٨٨، ١٨٩، لباب النقول للسيوطي ص٨٩، وانظر تفسير الطبري ص٢٣٢، م٤، ج٦، طبعة دار الفكر، وانظر ص٢٥٣، وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم أبادي، م١٢، كتاب الحدود باب ٢٦، باب في رجم اليهوديين الأحاديث ٤٤٢٢، ٤٤٣١، من ص١٣١، ص١٤٥. ط٣، ١٩٧٩م، طبعة دار الفكر بيروت،=

فقول من شهد الواقعة وهو عبد الله بن عمر يرجح على قول من نقلت إليه (البراء بن عازب). وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره سبباً آخر في تنزيل هذه الآيات (٤١-٤٥).

(وقال الإمام أحمد: حدّثنا إبراهيم بن العباس، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الله عن ابن عباس قال: إن الله أنزل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. قال: قال ابن عبّاس: أنزلها الله في الطائفتين من اليهود، وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قاتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقاً، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم النبي،ﷺ، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا لنا بمائة وسق. فقالت الذليلة: وهل كان في حيين دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبلدهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض. إنما أعطيناكم هذا ضيماً منكم لنا، وفرقاً منكم. فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله،ﷺ، بينهم. ثم ذكرت العزيزة فقالت: والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيماً منّا، وقهراً لهم. فدسوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه إن أعطاكم ما تريدون حكّمتموه. وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه. فدسوا على رسول الله،ﷺ، ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله،ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي

=قال المنذري في حديث البراء بن عازب: وأخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي، ص٢٣٢، ج١٢. وانظر تفسير القرطبي م٦، ص١٧٦. وذكر ثلاثة أقوال في أسباب التنزيل وقال: (وقيل إنها نزلت في زنى اليهوديين وقصة الرجم، وهذا أصح الأقوال، رواه الأئمة مالك والبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود...)إلخ. ثم ذكر الروايات عند الأئمة الذين ذكرهم ص١٧٧، م٦.

﴿ٱلۡكُفۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ففيهم والله أنزل، وإياهم عنى الله عز وجل. ورواه أبو داود من حديث أبي الزناد عن أبيه بنحوه)[١]. وذكر أن ابن جرير ذكر بسنده: (إنما أُنزلت في المدينة في بني النضير وبني قريظة وقال: رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبّان، والحاكم في المستدرك، من حديث عبد الله بن موسى بنحوه. وهكذا قال قتادة، ومقاتل بن حبان، وابن زيد، وغير واحد. وقد روى العوفي، وعلي بن أبي طلحة الوالبي، عن ابن عباس، أن هذه الآيات نزلت في اليهود بين اللذين زنيا، كما تقدمت الأحاديث بذلك. وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله، والله أعلم. ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾. إلى آخرها وهذا يقوي أن سبب النزول قضية القصاص. والله سبحانه وتعالى أعلم)[٢].

وروى ابن جرير بسنده عن الشعبي: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾. قال هذا في المسلمين: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. قال هذا في اليهود: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾. قال هذا في النصارى)[٣]. ولا يخفى أن هذا تفسير من الشعبي إن صح النقل عنه، لأن سياق الآيات لا يسعفه. والصواب كما يدل عليه السياق القرآني إن: ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ نزلت في حق اليهود و﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ نزلت في حق النصارى. وإن كان كما يقول الأصوليون: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ص٦٠، م٢. لباب النقول للسيوطي، ص٨٨، تفسير الطبري، ص٢٥٤، م٤، ج٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ص٦١، م٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ص٦١، م٢.

وقد رجحت رواية عبد الله بن عمر، وهي في الزنا، لأن عبد الله بن عمر كان شاهداً في القصة؛ وهو أحد الذين رجموا. وأرجحها كذلك على قصة القتل والحيين من اليهود لأن الراوي هو عبد الله بن عباس. وعند نزول الآية كان صغيراً. والتفسير فيها واضح لقوله: إن الآيات الكافرون، والظالمون، والفاسقون، نزلت في الطائفتين من اليهود. وساق الخبر مع أن الفاسقين لم تنزل في حق اليهود، بل نزلت في حق النصارى. والسياق يدل على ذلك. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. وفوق ذلك فإن قصة الرجم حدثت في السنة الرابعة، في ذي القعدة.[1] كما قال القسطلاني فيتوافق هذا مع نزول السورة.

وأما كون الرواية تتعلق بالقتل والآيات فيها النفس بالنفس.. إلخ فالخلاف في الرواية على الدية هل هي خمسون وسقاً، أو مائة وسق. وليس في عقوبة القتل أو غير القتل، ووجود مواضيع جديدة في الجواب زيادة عمّا في السؤال أمرُ مألوف في القرآن وفي الحديث. فلا تُعد هذه من المرجحات على رواية ابن عمر الذي شهد الواقعة. وهي وحدها سبب تنزيل وما عداها يعد تفسيراً. والله أعلم.

أما في النصارى فقد ورد وجوب التحاكم بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. والسياق القرآني يعين على ذلك. إلاّ أنني لم أعثر على سبب لتنزيل هذه الآية. والسياق القرآني يفيد كذلك أنه ينبغي أن لا يكون سبب تنزيل في حق النصارى، لأن الحديث عن أهل الكتاب اليهود منهم، ثم تحدث بطريق الالتفات إلى الماضي عن النصارى بمجيء عيسى، عليه السلام، بعد انتهاء نبوة موسى، عليه السلام، وهذا يقتضي أن لا يكون سبب نزول لهذه الآية. والله أعلم.

٦. في مجال محاربة الإشاعات الكاذبة وكيف ينبغي أن تجابه نزلت الآيات ١١-٢٦ من سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ

---

(١) انظر عون المعبود، ص١٣١، م١٢، لشمس الحق العظيم أبادي.

﴿أَمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

روى البخاري قال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقّاص،

وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي،ﷺ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا- وكلٌّ حدّثني طائفةً من الحديث، وبعض حديثهم يُصدّقُ بعضاً، وإن كان بعضُهم أوعى له من بعض- الذي حدّثني عروةُ عن عائشة، رضي الله عنها، أن عائشة، رضي الله عنها، زوجَ النبي،ﷺ، قالت: (كان رسول الله،ﷺ، إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول الله،ﷺ، معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله،ﷺ، بعدما نزل الحجاب، فأنا أُحملُ في هودجي وأُنْزَلُ فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله،ﷺ، من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلةً بالرّحيل، فقمت حين آذنوا بالرّحيل فمشيتُ حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقْد لي مِنْ جَزْعِ أَظَفَارِ قد انقطع، فالتمست عقدي، وحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فَرَحَلُوهُ على بعيري الذي كنتُ ركبتُ وهم يحسبون أنّي فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما يأكلن العُلْقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القومُ خفة الهودج حين رفعوه، وكنْتُ جاريةً حديثةَ السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عِقْدي بعد ما استمرَّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مُجيب، فأممت منزلي الذي كنتُ به، وظننتُ أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوانُ بن المُعطَّلِ السُّلَمِيُّ ثم الذّكْواني من وراء الجيش فَأَدَّلَجَ، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان

يراني قبل الحجابُ، فاستيقظت باسترجاعه حين عـرفني، فخمـرت وجهـي بجلبـابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطيء على يديها فَرَكِبْتُها، فانطلق يقود بي الراحلةَ حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نَحْرِ الظهيرةِ، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بـن أبـيٍّ بـن سـلول؛ فقدمنا المدينة، فاشتكيتُ حـين قـدمت شـهراً، والنـاس يفيضـون في قـول أصـحاب الإفك، ولا أَشْعُرُ بشيء من ذلك. وهو يَريبُني في وجعي أنـي لا أعـرف مـن رسـول الله،ﷺ، اللطفَ الذي كنت أرى منه حين أشـتكي، إنمـا يـدخل علـيّ رسـول الله،ﷺ، فَيُسَلِّمُ، ثم يقول: كيف تِيكُمْ، ثم ينصرف، فذاك الذي يَريبُني ولا أشعر بالشر، حتـى خرجتُ بعد ما نَقَهْتُ فخرجتْ معي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المناصع، وهـو متبرزنـا، وكنـا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تُتَّخَذَ الكنف قريباً من بيوتنا، وأَمْرُنا أَمْرُ العربِ الأُوَلِ في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقـتُ أنـا وأمُّ مِسْطَحٍ وهي ابنة أبي رُهْم بنِ عبد مناف، وَأَمُّها بنت صخر بن عـامرٍ خالـةُ أبـي بكر الصديق، وابنُها مِسْطَحُ بنُ أُثاثَةَ، فأقبلتُ أنا وأمُّ مسطح قَبِلَ بيتي وقد فرغنـا مـن شأننا. فعثرتْ أمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِهَا، فقالت: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فقلتُ لها: بـئس مـا قلـت أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاهُ (يا امرأة) أو لم تسمعي ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلمـا رجعـتُ إلى بيتي، ودخل عليَّ رسولُ الله،ﷺ، تعني سَلَّمَ، ثم قال: 'كيف تِيكُم؟'. فقلت: أتـأذن لـي أن آتي أبويَّ؟- قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما- قالت: فأذن لـي رسول الله،ﷺ، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أُمَّتَاه ما يتحدث الناس؟ قالـت: يـا بنيـةُ هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأةٌ قط وضـيئةٌ عنـد رجـل يحبهـا ولهـا ضـرائر إلا أكْثَرْنَ عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهـذا؟! قالـت: فبكيـت تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأُ لي دمع، ولا أَكْتَحِلُ بنوم، ثم أصبحتُ أبكي، فدعا رسول الله،ﷺ، علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيدٍ، رضي الله عنهما، حـين اسـتلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسـامةُ بـنُ زيـد فأشـار علـى رسـول

الله،ﷺ، بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود. فقال: يا رسول الله، أهلُك، ولا نعلم إلا خيراً. وأما عليٌّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يُضَيِّقِ الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تَصْدُقْكَ، قالت: فدعا رسول الله،ﷺ، بريرة، فقال: أَيْ بريرةُ هل رأيتِ من شيء يَريبُك قالت بريرةُ: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيتُ عليها أمراً أَغْمِصُهُ عليها أكثر من أنها جاريةٌ حديثةُ السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجنُ فتأكُلُهُ. فقام رسول الله،ﷺ، فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقال رسول الله،ﷺ، وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين من يَعْذِرُني مِنْ رَجُلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فو الله، ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً. وما كان يدخل على أهلي إلا معي؟ فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أَعْذُرُك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة- وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملَتْه الحميةُ- فقال لسعد: كذبتَ لعمرُ الله، لا تَقْتُلُهُ، ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال لسعدِ بنِ عبادة: كذبتَ لعمرُ الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتساور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله،ﷺ، قائمٌ على المنبر، فلم يزل رسول الله،ﷺ، يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فمكثت يومي ذلك لا يَرْقَأُ لي دمع ولا أَكْتَحِلُ بنوم. قالت فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا اكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي. قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت على امرأةٌ من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، قالت، فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله،ﷺ، فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني. قالت: فتشهد رسول الله،ﷺ، حين جلس ثم قال: (أما بعدُ يا عائشةُ- فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فَسَيُبَرِّؤُك الله، وإن كنت أَلْمَمْتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم

تاب إلى الله تاب الله عليه). قالت: فلما قضى رسولُ الله،ﷺ، مقالته: قلص دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، فقلتُ لأبي: أَجِبْ رسولَ الله،ﷺ، فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله،ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله،ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله،ﷺ، قالت فقلت: وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِ، لا أقرأُ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلتُ لكم: إنيِّ بريئةٌ- واللهُ يعلم أنّي بريئةٌ- لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ- واللهُ يعلمُ أَني منه بريئةٌ- لَتُصَدِّقُنِّي. والله ما أجد لكم مَثَلاً إلا قول أبي يوسف، قال: (فصبرٌ جميلٌ، والله المستعان على ما تصفون). قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا حينئذ أعلم أَني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنَزِّلٌ في شأني وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله،ﷺ، في النوم رؤيا يُبَرِّئُني الله بها. قالت: فو الله ما رام رسول الله،ﷺ، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أُنْزَلَ عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاءِ، (الشدة) عند الوحي، حتى إنه لَيَتَحَدَّرُ منه مثلُ الجمان من العرق وهو في يومٍ شات من ثقل القول الذي يُنْزَلُ عليه. قالت: فلما سُرِّيَ عن رسول الله،ﷺ، سُرّيَ عنه وهو يضحك، فكانت أَوَّلُ كلمةٍ تكلم بها (يا عائشةُ أَمَّا اللهُ عز وجل فقد بَرَّأَكِ)، فقالت أمي: قومي إليه، قالت فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمدُ إلا اللهَ عز وجل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ العَشْرَ الآيات كلها(1). فلما أنزل الله في

---

(1) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، م٨، كتاب التفسير، ٦٥، باب ٦، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾. ص٤٥٢، ٤٥٥، الحديث ٤٧٥٠، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٣٠، ص٣٣٥. وقال: رواه البخاري، ومسلم كلاهما عن أبي الربيع عن الزهري، وانظر لباب النقول للسيوطي ص١٥٧، ١٦٠. وانظر تفسير الطبري ص٩٠-٩٥، م١٠، ج١٨. وانظر تفسير القرطبي=

برائتي. قال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وكان ينفق على مِسْطَح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-: والله لا أُنْفِقُ على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾. إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. قال أبو بكر: بلى والله، إني أحبُّ أن يغفر الله لي. فرجع إلي النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله، ﷺ، يسأل زَيْنَبَ ابنة جحش عن أمري فقال: يا زَيْنَبَ ماذا علمتِ أو رأيت؟). فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمتُ إلا خيراً. قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله، ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختُها حمنةُ تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك) (1).

هذه الرواية وقعت أحداثها في المدينة، والآيات مدنية في سورة النور، والسند صحيح حيث وردت في الصحيحين، والسياق القرآني ومنطوق الآيات ومفهومها تستوعب هذه الرواية، ولا تعارض بين هذه الرواية وبين ما هو أقوى منها. وعليه فتعد بحق من أسباب النزول.

٧. **وفي مجال الإحسان لمن أساء إليك** نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾. [النور].

سبب التنزيل:

روى البخاري في حديث عائشة السابق: (فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا

=ص١٩٧، ص١٩٨، ج١٢. تفسير البغوي ص٣٢٨، ص٣٣١، ج٣. تفسير الخازن ص٣٣٩، ص٣٤١، ج٣. وغيرها من مصادر السيرة والتفسير والحديث.

(1) الرواية بطولها من فتح الباري، شرح صحيح البخاري، الحديث٤٧٥٠.

أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله (الآية) قال أبو بكر: بلى والله، إني أحبّ أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً)[1]. فهذه الرواية متزامنة مع نزول الآيات، وهي صحيحة السند، ونص الآيات يستوعب الرواية، وتنسجم مع السياق في السورة، ولا تعارض ما هو أقوى منها. فهي من أسباب النزول بلا ريب.

٨. **وفي الملاعنة** لمن اتهم زوجته ولم يكن له شهود نزلت الآيات ٦-١٠ من سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾. [النور].

سبب التنزيل:

روى مسلم عن أنس بن مالك فقال: (إنّ هلال بن أميّة قذف امرأته بشريك بن سحماء- وكان أخا البراء بن مالك لأمه، وكان أوّل رجل لاعن في الإسلام- قال فلاعنها فقال رسول الله ﷺ: (أبصروها فإن جاءت به أبيض سبط قَضِيء العينين فهو لهلال بن أُميّة وإن جاءت به أكْحَل جعداً حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء) قال: فأنْبِئْتُ أنها جاءت به أكحل حمش الساقين)[2]. وقد روى البخاري[3] ومسلم[4]،

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، م٨، كتاب التفسير، ٦٥، باب ٦، ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾. ص٤٥٥، الحديث ٤٧٥٠، وانظر المصادر السابقة كلها. فهي متصلة الحديث، وقد سبق تخريج سبب التنزيل هذا.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللعان، ص١٢٨، ص١٢٩، م٥، ج١٠.

(٣) فتح الباري الحديث ٤٨٤٧، وأطرافه في ٥٣٠٦، ٥٣١٣، ٥٣١٤، ٥٣١٥، ٦٧٤٨. الأول في كتاب التفسير، والباقي في كتاب الطلاق، والأخير في كتاب الفرائض، باب ميراث الملاعنة ١٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللعان، ص١١٩، ١٣٤، م٥، ج١٠.

قصة اللعان في عويمر العجلاني. وقد سبق أن حققنا هذا من أنها نزلت أولاً في هلال بن أُمية ولمزيد من التأكيد أنقل ما قاله النووي في شرح صحيح مسلم في كتاب اللعان.

(واختلف العلماء في نزول آية اللعان هل هو بسبب عويمر العجلاني أم بسبب هلال بن أُمية، فقال: بعضهم بسبب عويمر العجلاني، واستدل بقوله،ﷺ، في الحديث الذي ذكره مسلم في الباب أولاً لعويمر (وقد أنزل الله فيك وفي صاحبتك). وقال جمهور العلماء: سبب نزولها قصة هلال بن أُميّة واستدلوا بالحديث الذي ذكره مسلم بعد هذا في قصة هلال. قال: وكان أوّل رجل لاعن في الإسلام. قال الماوردي من أصحابنا في كتابه الحاوي، قال الأكثرون: قصة هلال بن أُميّة أسبق من قصة العجلاني. قال: والنقل فيهما مشتبه ومختلف. وقال ابن الصباغ من أصحابنا في كتابه الشامل: قصة هلال تبيّن أن الآية نزلت فيه أولاً. قال: وأما قوله،ﷺ، لعويمر أن الله قد أنزل فيك وفي صاحبتك فمعناه: ما نزل في قصة هلال لأن ذلك حكم عام لجميع الناس. قلت (والقول للنووي): ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً، فلعلهما سألا في وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما، وسبق هلال باللعان فيصدق أنها نزلت في ذا وفي ذاك، وإن هلالاً أول من لاعن. والله أعلم. قالوا وكانت قصة اللعان في شعبان سنة تسع من الهجرة، وممن نقله القاضي عياض عن ابن جرير الطبري)[١]. ونحن نرجح قصة هلال للنصوص الواردة والتي بيّنها الجمهور. أمّا رأي النووي وغيره بالتوفيق فهو احتمال، والاحتمال لا يقوى أمام النصوص. والله أعلم. وعليه فالرواية متزامنة مع نزول الآيات في المدينة، والنص القرآني ينطبق عليها تمام الانطباق، ولا تعارض مع السياق القرآني، ولا مع ما هو أقوى منها، فهي من أسباب النزول.

٩. **في الظهار وهو أن يقول الرجل لزوجته:** أنت عليَّ حرام كظهر أُمي. نزل في ذلك قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي هامش ص١١٩، ص١٢٠، م٥، ج١٠.

﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾.

سبب التنزيل:

قال القرطبي: (التي اشتكت إلى الله هي خولة بنت ثعلبة، وقيل بنت حكيم، وقيل اسمها جميلة. وخولة أصح، وزوجها أوْس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وقد مرّ بها عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عُمَيراً، ثم قيل لك عمر، ثم قيل لك يا أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر؛ فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلاّ للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع ربّ العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟ وقالت عائشة، رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله،ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله! أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سنّي وانقطع ولدي ظاهر منّي، اللهم إني أشكو إليك! فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية. خرّجه ابن ماجة في السنن. والذي في البخاري من هذا عن عائشة قالت: الحمد الله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المُجادلةُ تشكو إلى رسول الله،ﷺ، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول: فأنزل الله عز وجل الآية، وقال الماوردي: هي خولة بنت ثعلبة، وقيل بنت

خويلد، وليس هذا بمختلف؛ لأن أحدهما أبوها والآخر جدّها فنسبت إلى كل واحد منهما؟ وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت)[1].

وهذه الروايات صحيحة السند متزامنة مع نزول الآيات في المدينة، وينطبق النص عليها، ولا تعارض مع السياق، ولا مع ما هو أقوى منها من الروايات، فهي من أسباب النزول.

١٠. **في إلغاء حكم التبني الذي كان سائداً في الجاهلية، وما يترتب عليه من أحكام،** سورة الأحزاب الآيات ٣٦-٣٧. ومنها قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾. الآيات.

سبب التنزيل:

قال ابن حجر في فتح الباري: (وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدّي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ، أراد

(١) تفسير القرطبي ص٢٦٩، ص٢٧٠، م١٧. وانظر تفسير الطبري، م١٤، ص٢٨، ص٣. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤٣٣، ص٤٣٥. وانظر لباب النقول للسيوطي ص٢٢١، ص٢١٢. وقال أخرج الحاكم وصححه، وقال ابن حجر في فتح الباري، وإن الراجح أنها خولة بنت ثعلبة، وأنه أول ظهار كان في الإسلام كما أخرجه الطبراني وابن مردويه من حديث ابن عباس قال: (كان الظهار في الجاهلية يحرم النساء فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت، وكانت امرأته خولة..) الحديث ص٤٣٣. في شرح كتاب الطلاق باب الظهار ٢٣. ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾. وانظر كتاب التوحيد، في فتح الباري، باب ٩ وكان الله سميعاً بصيراً، الحديث ٧٣٨٩، ص٣٧٣. وغيرها.

أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله،ﷺ، فزوّجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيّه،ﷺ، بعد أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله،ﷺ، أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً. ولا يخفى أن هذه الرواية بالمعنى فهي من باب التفسير. وقد ورد السبب مختصراً عند البخاري[1]، ومسلم[2]، والترمذي[3]: (هذا وقد وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردته منها هو المعتمد)[4]. وقال ابن حجر: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي،ﷺ، هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوّج امرأة ابنه. وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدّعيه ابناً.

ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم[5]. والروايات الصحيحة المشار إليها عند البخاري، ومسلم، والترمذي تكفي للدلالة على أن الآيات نزلت في زينب بنت جحش، رضي الله عنها، وفي قصة زواجها من زيد مولى رسول الله،ﷺ، بأمر من الله تعالى، ثم طلاقها منه بعدما كرهته، وباستجابة من الله تعالى لها، ثم يأمر الله لرسوله أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها. وبذلك أُبطل حكم التبني الذي كان سائداً

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، الحديث ٤٧٨٧، وطرفه في كتاب التوحيد برقم ٧٤٢٠، وقال: نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، باب مناقب الصحابة، مناقب زيد بن حارثة، ص١٩٥، ج١٥.

(٣) ورواه الترمذي في الآثار٣٢٦٠، ٣٢٦٣. ص٣١-٣٢، م٥، تفسير سورة الأحزاب.

(٤) انظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص٥٢٤، ج٨، كتاب التفسير شرح الحديث ٤٧٨٧، باب وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

(٥) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

في الجاهلية وما يترتب عليه[1]. فالتزامن بين الرواية والنص حاصل، والمفهوم والمنطوق ينطبق على الرواية، ولا تعارض مع السياق، فهي من روايات أسباب النزول. والله أعلم.

١١. **فرض لباس الجلباب على المؤمنين** وهو من موافقات عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال تعالى في سورة الأحزاب آية٥٩: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾. لغاية الآية ٦٢.

سبب التنزيل:

روى البخاري عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: (أن أزواج النبي،ﷺ، كُنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى المناصع، وهو صعيدٌ أَفْيَحُ، فكان عمر يقول للنبي،ﷺ، احجُبْ نساءَك. فلم يكن رسول الله،ﷺ، يفعلُ. فخرجت سودة بنتُ زمعة، زوج النبي،ﷺ، ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر؛ ألا قد عرفناك يا سودة. حرصاً على أن ينزلَ الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب)[2]. الرواية صحيحة السند، متناسقة مع النص، ومتزامنة مع النزول، ولا تعارض ما هو أقوى منها، ولا تتناقض مع السياق، فهي من روايات أسباب النزول، والله أعلم.

---

(١) انظر تفسير الطبري، ص١١، وما بعدها ج٢٢، م١٢، وانظر تفسير القرطبي ص١٨٨، وما بعدهام١٤، وتفسير ابن كثير ص٤٨٩، م٣، وغيرها.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب١٣، خروج النساء إلى التبرز، الحديث رقم ١٤٦، وأطرافه في١٤٧، ٤٧٩٥، ٥٢٣٧، ٦٢٤٠. أي في كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، باب قوله تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾. **[الأحزاب:٥٣]**، وفي الاستئذان، باب آية الحجاب. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان ص١٥٠، ١٥٢، م٧، ج١٤. ورواية مسلم فيها تفصيل أكثر. وانظر لباب النقول للسيوطي، ١٨٤، وانظر كتب التفسير المتعددة.

١٢. **وفي مجال العقوبات**، نزل في قضية قطّاع الطرق قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾.

سبب التنزيل:

روى أبو داود عن أنس بن مالك قال: إنَّ قوماً من عُكْلٍ أو قال[1] من عُرَيْنة قدموا على رسول الله،ﷺ، فاجتووا المدينة فأمر لهم رسول الله ،ﷺ، بلقاح وأمرهم أن يَشْرَبُوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صَحّوا قتلوا راعي رسول الله،ﷺ، واستاقوا النَّعَم، فبلغ النبي،ﷺ، خبرهم من أوَّل النهار، فأرسل النبي،ﷺ، في آثارهم، فما ارتفع النهارُ حتى جيء بهم، فأمر بهم فَقُطعَت أيديهم وأرجلُهُم وَسُمِّرَن أعيُنُهمْ وأُلْقوا في الحرّة يستسقون فلا يُسْقون)[2]. وظاهر الرواية أنهم أسلموا ثم ارتدّوا بعدما شفوا من مرضهم. وهذا يرد على من قال إن الآية في المشركين فهي وإن كانت يدخل فيها المشركون من باب أولى إلاّ أن سبب التنزيل كان في المسلمين الذين غدروا بالراعي وفعلوا فعلتهم. وهي رواية صحيحة السند، متزامنة مع النزول في المدينة، يحتملها

---

(١) رواية مسلم عن أنس أن رهطاً من عكل وعرينة أتوا رسول الله..

(٢) الحديث٤٣٤٢، باب ٣، ما جاء في المحاربة. كتاب الحدود، م١٢، عون المعبود شرح سنن بي داود، لشمس الحق العظيم أبادي، وانظر سنن النسائي بتفصيل أكثر م٤، ج٧، كتاب تحريم الدم، تأويل قول الله عزو جل: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ واختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أنس بن مالك فيه ص٩٣-ص٩٨. وسنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الكتاب العربي، بيروت. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٨٧، لباب النقول للسيوطي، ص٨٨، تفسير الطبري، ص٢٠٧، م٤، ج٦، وانظر تفسير القرطبي ص١٤٨. ج٦. وغيرها.

النص، ومنسجمة مع السياق، ولا تعارض ما هو أقوى منها، فهي من أسباب النزول. والله أعلم.

١٣. **وفي مجال البذل والإنفاق في الجهاد** نزل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

سبب التنزيل:

قال السيوطي: وأخرج أبو داود، والترمذي، وصححه، ابن حبّان والحاكم وغيرهم، عن أبي أيوب الأنصاريّ.

قال: (نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعزّ الله الإسلام، وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سرّاً: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد الله علينا ما قلنا (الآية) فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو)[1]. والرواية قد صححها الترمذي، والحاكم ووافقه الذهبي، وله شواهد في البخاري)[2]، وتنسجم مع النص، ومتزامنة في النزول في المدينة حسب قول أبي أيوب، رضي الله عنه، فهي من أسباب النزول. والله أعلم.

١٤. **وفي مجال المحافظة على أسرار الدولة الإسلامية** نزل قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾. إلى الآية ٩.

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي، ص١٨٧. وقد سبق تحقيق هذا السبب فليرجع إليه وانظر لباب النقول للسيوطي٨٨.

(٢) انظر فتح الباري، ٨/ ١٨٥. حديث ٤٥١٦.

سبب التنزيل:

روى البخاري عن الحميدي بسنده، عن كاتب علي، يقول: سمعتُ علياً، رضي الله عنه، يقول: (بعثني رسول الله،ﷺ، أنا والزبير والمقداد قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنّ بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها. فذهبنا تعادي بنا خيلُنا حتى أتينا الرّوضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لُتخرجَنَّ الكتاب أو لنُلْقِيَّن الثياب، فأخرجته من عقاصها. فأتينا به النبي،ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أُناس من المشركين ممن كانوا بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي،ﷺ، فقال النبي،ﷺ،: (ما هذا يا حاطب؟) قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنتُ امرءاً من قريش ولم أكن من أنفُسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يَحمُون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببتُ إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلتُ ذلك كُفراً، ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبي،ﷺ،: (إنه قد صدقكم). فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضربُ عنقه. فقال: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله عز وجل اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1].

والرواية مدنية، والآيات مدنية كذلك، وتتناسق الرواية مع منطوق ومفهوم الآيات، وتنسجم مع السياق، ولا تتناقض مع روايات أقوى منها. فهي من أسباب النزول بلا ريب.

١٥ . وفي مجال حمل الدعوة، وبيان وجوب حملها بقوة، وأنه لا طاعة لمخلوق في

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحديث ٤٨٩٠، كتاب التفسير، ص٦٣٣، ص٦٣٤، م٨. وانظر كتاب الجهاد باب الجاسوس، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤٤٧، ص٤٤٨، وانظر لباب النقول للسيوطي ص٢١٦. وقال أخرج الشيخان عن علي.. وانظر تفسير الطبري ص٥٨. م١٤، ج٢٨. وانظر تفسير القرطبي، ص٥٠، م١٨ وقد ساق رواية مسلم. وقال: لقد روى الحديث الأربعة، وانظر أحكام القرآن للشافعي، ج٢، ص٢٦.

معصية الخالق. قال تعالى في سورة العنكبوت. ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

سبب التنزيل:

روى مسلم عن سعد بن مالك بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حَلَفَتْ أُمُّ سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت: زعمت أنّ الله وصاك بوالديك وأنا أُمّك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غُشِيَ عليها من الجَهْدِ، فقام ابنٌ لها يقال له عُمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية)[1].

وسعد هو ابن مالك بن أُهيب أبو إسحاق بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنّة، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام، وهو أحد الستة من أهل الشورى. وقال عمر: إن أصابته الإمرة فذاك وإلاّ فليستعن به الوالي. وكان رأس من فتح الطرق، وولّى الكوفة لعمر وهو الذي بناها، وكان مجاب الدعوة مشهوراً. وهو ثالث من أسلم كما وقع في صحيح البخاري. توفي سنة ٥٥هـ. وقد اعتزل الفتنة[2]. قال لأمه بعدما رأى منها الجَهْد: تعلمين والله يا أمّه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي. فلما يئست من ذلك أكلت فنزلت هذه الآية..)[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة باب فضل سعد بن أبي وقاص، ص١٨٥، ج١٥، م٨. وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٥٧. ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص١٧٩، وقال: أخرج مسلم والترمذي.. وانظر تفسير البغوي ص٤٦١، م٣. وانظر تفسير الخازن، م٣، ص٤٤٦. وانظر تفسير القرطبي، م١٣، ص٣٢٨. وغيرها.
(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، القسم الثالث، ص٧٣، ص٧٧. ترجمة ٣١٩٦.
(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص٣٥٧، تحقيق سيّد صقر.

قال الواحدي: قال المفسرون وذكروا الرواية..فأنزل الله هذه الآية والتي في لقمان، والأحقاف.

وبالنظر في آية لقمان نجد أنها من ضمن وصية لقمان لابنه فلا تكون الآية نزلت بسبب في سورة لقمان. ولتشابه الآيات قيل فأنزل الله هذه الآية التي في لقمان. ومن يقرأ سبب النزول في كتاب الواحدي لآية الأحقاف ير أنه يقول إنها نزلت في أبي بكر الصديق. ولم يذكر سعد بن مالك مما يؤكد أن الأمر تفسير في سورة الأحقاف ليس غير. وآية العنكبوت مكية، والرواية صحيحة السند فهي في صحيح مسلم، ومتزامنة مع النزول في مكة فتصلح أن تكون سبب نزول، وتندرج تحت النص القرآني، وتنسجم مع السياق وعليه فيمكن أن تعد هذه الرواية سبباً لنزول آية العنكبوت. والله أعلم.

وكما نزل في أمر الدعوة، **أن الأولى حملها لمن يسعى إليها لا للمتمنّعين** ولو كانوا أهل جاه وسلطان. فنزلت سورة عبس. الآيات الستة عشر الأولى فقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦﴾.

سبب التنزيل:

نزلت هذه السورة في ابن أم مكتوم، واسمه عمرو، وقيل عبد الله بن قيس بن زائدة الأصم، من قريش واسم أُمُّهُ عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة من مخزوم. وهو ابن خالة خديجة أم المؤمنين، كان من المهاجرين الأولين، هاجر قبل الرسول،ﷺ، إلى المدينة. وكان رسول الله،ﷺ، يستخلفه على المدينة في كافة غزواته ليصلّي بالناس، وهو المذكور في سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[1]، روى الترمذي عن هشام بن عروة، عن أبيه،

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، القسم الرابع، ترجمة ٥٧٦٨، ص٦٠٠، ص٦٠٢.

عن عائشة قالت: (أُنزِلَ عبس وتولّى في ابن أُمِّ مكتوم الأعمى أتى رسول الله،ﷺ، فجعل يقولُ: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله،ﷺ، رَجُلٌ من عظماء المشركين فجعل رسول الله،ﷺ، يُعْرِضُ عنه ويُقْبِلُ على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقولُ: لا، ففي هذا أنزل). هذا حديث حَسَنٌ غريب. وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة، عن أبيه، ولم يذكر فيه عائشة)[١].

١٦. **وفي مجال حسم الخلاف بين المؤمنين بشأن الغنائم** نزلت سورة الأنفال:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾.

سبب التنزيل:

روى أحمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت، قال: (خرجنا مع النبي،ﷺ، فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله،ﷺ، لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض. قال الذين جمعوا الغنائم: نحن الذين حويناها وجمعناها فليس لأحد منها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منّا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول،ﷺ،: (لستم بأحق بها منّا، نحن أحدقنا

---

(١) انظر الحديث ٣٣٨٧، من سنن الترمذي، ص١٠٣، ص١٠٤، ج٥، كتاب التفسير، سورة عبس، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٧٩، ٤٨٠. ولباب النقول للسيوطي ص٢٣٣، وقال: أخرجه الترمذي والحاكم عن عائشة. وانظر تفسير القرطبي، ص٢١١، ج١٩، وانظر تفسير الطبري، م١٥، ج٣، ص٥٠، ص٥١ وغيرها.

وانظر سبب نزول آية ٥٢، من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ انظر رواية مسلم، ج٧، ص١٢٧.

برسول الله،ﷺ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾. فقسمها رسول الله،ﷺ، على فواق (يعني على سواء) بين المسلمين)[1].

جاءت الآيات متزامنة مع الرواية في المدينة، وسندها صحيح، وقد وردت عمن كان شاهداً الغزو، وأحاط بما جرى فيها من أحداث، وينطبق النص القرآني عليها، ويستوعبها السياق القرآني، ولا تعارض بينها وبين غيرها من روايات أقوى منها فتعد بحق من أسباب النزول. والله أعلم.

١٧. **في مجال المعارك والحروب:** فقد نزلت سورة الأحزاب في غزوة الأحزاب وما نجم عنها من غزو بني قريظة.

ونزلت سورة الفتح على أثر توقيع معاهدة الحديبيّة، وبيان النتائج التي أسفرت عنها هذه الاتفاقية، وما ترتب عليها من غزو خيبر.

ونزلت سورة الأنفال في غزوة بدر.

ونزلت سورة آل عمران في غزوة أُحد الآيات ١٣٩، وما بعدها لغاية ١٤٨.

ونزلت سورة التوبة في غزوة تبوك.

ونزلت سورة الحشر في غزوة بني النضير وهكذا[2].

١٨. **وفي مجال تأييد تغيير المنكر باليد:** نزل قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾**﴾.

سبب التنزيل:

عن الواحدي: قال عكرمة، والسدّي، ومقاتل، ومحمد بن إسحاق: (دخل أبو

---

(١) انظر الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد، كتاب التفسير، سورة الأنفال، ص١٤٧، ج١٨، وقد سبق ذكر هذا السبب وتم تحقيقه فليرجع إليه في فصل الإشكالات، يسألونك.

(٢) ليرجع على أسباب تنزيل كل منها في موضعه لمن شاء التوسع.

بكر الصديق، رضي الله عنه، ذات يوم بيت مدراس اليهود، فوجد ناساً من اليهود قد اجتمعوا على رجل منهم يُقال له: فِنْحاص بن عازورا، وكان من علمائهم، فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله واسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، فآمن وصَدِّق، وأقرِضِ الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة، ويُضاعف لك الثواب. فقال فنحاص: يا أبا بكر، تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا، وما يستقرض إلاّ الفقير من الغني، فإن كان ما تقول حقاً فإن الله إذاً لفقير ونحن أغنياء، ولو كان غنياً ما استقرضنا أموالنا، فغضب أبو بكر، رضي الله عنه، وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله،ﷺ، فقال: يا محمد انظر إلى ما صنع بي صاحبك؟ فقال رسول الله،ﷺ، لأبي بكر: (ما الذي حملك على ما صنعت؟) فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً، زعم أن الله فقيرٌ وأنهم (عنه) أغنياء، فغضبت لله وضربت وجهه، فجحد ذلك فنحاص، فأنزل الله عز وجل رداً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر) (1).

هذه الرواية متزامنة مع نزول الآيات في المدينة، وينطبق النص القرآني عليها، وتنسجم مع السياق القرآني ويستوعبها، ولا نعلم ما يعارضها، لهذا فإنني أرى أن تسجل في روايات أسباب النزول. والله أعلم.

١٩. **رسم الخط المستقيم بجانب الخط الأعوج (وفي هدم عبادة أهل الجاهلية ووضع العبادة الصحيحة بدلها)** نزل قوله تعالى في سورة الأعراف.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

---

(1) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٢٨، وانظر مخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر، ورقة ١٧٠، أ،ب، ص١٧١أ، وانظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص٥٥، وانظر تفسير القرطبي، ص٢٩٤، م٤، وانظر تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٣٤، تفسير الطبري، ص١٩٤، م٣، ج٣، وغيرها.

سبب التنزيل:

روى مسلم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يُعيرني تِطْوافاً تجعلُهُ على فَرْجها وتقول:

اليوم يبدو بعضُهُ أو كُلُّهُ فما بدا مِنْهُ فلاأُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية) (١).

وانظر سبب نزول آية ١٥٨ من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.. رواه البخاري ومسلم، عن عائشة، رضي الله عنها: (أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله، ﷺ، عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية) (٢).

٢٠. وفي مجال الأسئلة والاستفتاءات: نزلت في سورة النساء آيتان في الاستفتاء هما: الآية ١٢٧: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ والآية ١٧٦: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾. وقد سبق ذكر أسباب نزولهما في باب إشكالات يسألونك ويستفتونك ويقولون..

وفي سورة البقرة نزلت الآيات الآتية وكلها لها أسباب نزول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [١٨٩].

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التفسير، ص١٦٢، ج٨، م٩. وانظر لباب النقول للسيوطي، ص١٠٣، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٢٢١، وانظر تفسير الطبري، ص١٥٩، ص١٦٠، م٥، ج٨. وغيرها.

(٢) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك، فتح الباري ٣/ ٦١٤، حديث١٧٩٠، ٣/ ٤٩٧، حديث ١٦٤٣، ومسلم ٢/ ٩٢٨. حديث ٢٦٠، ٢/ ٩٢٩. حديث ٢٦١، ٢/ ٩٣٠. حديث ٢٦٣. ورواه مالك في الموطأ، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة كلهم عن عائشة،رضي الله عنها، وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٤١.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[٢١٧].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[٢١٩].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾[٢٢٠].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[٢٢٢]. والآية التي تليها: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[٢٢٣].

٢١. تتبع الأحداث السياسية الجارية: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾. [الروم].

سبب النزول:

قال السيوطي في لباب النقول: (أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر انتصرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني بفتح الغين[١]، وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه). ويلاحظ أن الرواية لا تنسجم مع سياق الآيات.

(وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة، قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أُنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب فسنغلبكم كما غلب فارس الروم فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾[٢]. ويلاحظ انسجام الرواية ومفهوم الآيات.

وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يعمر وقتادة.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٦١، وانظر لباب النقول، للسيوطي، ص١٧١.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٦١، وانظر لباب النقول، للسيوطي، ص١٧١.

فالرواية الأولى على قراءة غَلَبَتْ بالفتح، لأنها نزلت يوم غلبهم يوم بدر وهي قراءة تتعارض مع منطوق ومفهوم الآيات. والثانية على قراءة الضم[(١)]. غُلبت الروم. وتنسجم مع نص الآيات، وتتزامن معها.

يتضح مما نقله السيوطي أن الروايات صيغت حسب القراءات (وبغض النظر عن تواترها) لأن نقل أسباب النزول غالباً بالمعنى خاصة إذا لم ترفع كلفظ إلى رسول الله، ﷺ، وهناك روايات كثيرة ذكرها أحمد بن حنبل في مسنده[(٢)]، والترمذي في سننه[(٣)]، والحاكم في مستدركه[(٤)]، إلى جانب روايات كتب التفسير ومنها الطبري[(٥)]، والقرطبي[(٦)]، وابن كثير[(٧)]، والشوكاني[(٨)]، كما ذكرتها كتب السيرة ومنها السيرة النبوية لابن هشام وابن كثير[(٩)]، وذكرها البيهقي في دلائل النبوة[(١٠)]، وغيرهم. وقال ابن العربي في تفسيره بعد أن ذكر عدة روايات: (فهذه أحاديث صحاح حسان غراب)[(١١)].

---

(١) لباب النقول، للسيوطي، ص١٧٢.

(٢) انظر مسند عبد الله بن عباس، من مسند أحمد بن حنبل، ص٥٩٢، ج١، الحديث ٢٤٩٥، طبعة دار الفكر، تحقيق عبدالله محمد الدرويش، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩م.

(٣) انظر سنن الترمذي، م٥، ص٢٣-٢٥، الأحاديث ٣٢٤٤، ٣٢٤٥، ٣٢٤٦. طبعة دار الفكر، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.

(٤) المستدرك للحاكم، م٢، كتاب التفسير، ص٤١٠.

(٥) مطلع تفسير سورة الروم، م١١، ج٢١، ص١٦-٢١،طبعة دار الفكر، بيروت.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١، ص٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم، م٣، ص٤٢٢، ص٤٢٩.طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٨) فتح القدير، م٤، ص٢١٤، ص٢١٦.طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٩) السيرة النبوية، ج٢، ص٩١، ص٩٢. دار الرائد العربي، بيروت.

(١٠) دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، ص٣٣٠، ص٣٣٤،طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(١١) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، م٣، ص١٤٩٠، دار الجيل، تحقيق علي محمد البجاوي.

وذكرت الروايات أن المسلمين والمشركين تخاطروا[(١)]، تراهنوا[(٢)]، تناحبوا[(٣)] وكلها بمعنى واحد وهو المراهنة.

قال الترمذي: (فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾. الآية. وقال حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاّ من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد[(٤)].

قال ابن حجر عن سند رواية أحمد: (وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض)[(٥)]. وهذه الروايات تجمع صحة السند مع انطباق نص الآيات عليها، وانسجامها مع السياق القرآني، وتتزامن في النزول في مكة وليست في معركة بدر، ولم يكن الرهان قد حُرِّم بعد، والروايات تنص على أن الرهان كان بين أبي بكر وأُمية بن خلف.وقد شجع الرسول،ﷺ، أبا بكر على ذلك إلى مائة ناقة. وعليه فإننا نستطيع أن نحكم ونحن مطمئنون أن هذه الروايات في معناها تشكل سبباً لنزول الآيات في مطلع سورة الروم. بعد إقصاء الرواية التي تقول إنها يوم معركة بدر حيث إنها مدنية والآيات والروايات والأخرى كانت بمكة.

ويتضح من الروايات أن المسلمين تتبعوا الأحداث السياسية الجارية بين العملاقين الفرس والروم في ذلك الوقت. وكان النقاش بين المسلمين وبين قريش ضمن الصراع الفكري الدائر بينهما. وهذا مما يزيد الأمر وضوحاً أن ديننا الإسلامي دين سياسي وليس بمعنى الدين عند النصارى الداعي لفصل الدين عن الحياة.

---

(١) تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ص١٠١،ج٢، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، وانظر تفسير القرطبي. ص٣، ج١٤.

(٢) تفسير أبي بكر بن العربي، ص١٤٩٠، ج٣، السيرة النبوية لابن كثير، ص٩١،ج٢.

(٣) تفسير القرطبي،ج١٤، ص٢، تفسير الطبري، ص١٧، ج٢١، م١١.

(٤) سنن الترمذي الحديث، ٣٢٤٦، م٥، ص٢٤، ص٢٥.

(٥) تهذيب التهذيب، ج١/ ٢١٥، رقم ٣٩٥، ١/ ١٥١، رقم ٢٧١، ٢/ ١٨٨، رقم ٣٤٥.

إن الاهتمام بما يجري حول الناس من أحداث أمر فطري، وكلما كانت الأحداث تمس مصالح القوم كان الاهتمام والمتابعة أشد، وبقدر خطورة المسألة يكون التنبه والمتابعة. وقد كان المسلمون كذلك من قبل أن تكون لهم دولة، فقد أوعز الرسول،ﷺ، لمن أسلم من صحابته ولم يتحمل أذى قريش أن يهاجر إلى الحبشة فقال،ﷺ، لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صِدْق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه)[1]. وعندما تعرض النجاشي لخطر يهز ملكه تابع المهاجرون من المسلمين سير المعركة فقالت أُم سلمة، حسبما روى ابن هشام عن ابن اسحق:

(فوالله إنا لعلى ذلك، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، قالت: فوالله ما علمُتنا حَزِنَّا حزْناً قطّ كان أشدَّ (علينا) من حُزْنٍ حَزنّاه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشيّ، فيأتي رجلٌ لا يعرف من حقّنا ما كان النّجاشيُّ يعرف منه.قالت: وسار إليه النجاشي، وبينهما عرضُ النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله،ﷺ،: من رجل يخرج حتى يَحْضُرَ وقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: أفأنت، وكان من أحدث القوم سنّاً. قالت: فنفخوا له قِربةً فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوّه، والتّمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنّا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمح بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكّن له في بلاده. قالت: فوالله ما علمتنا فَرِحنا فرْحة قط مثلها. قالت: ورجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوّه، ومكّن له في بلاده، واستوسق (تتابع واستمر واجتمع) عليه أمر الحبشة، فكنّا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله،ﷺ،

---

(١) سيرة النبي،ﷺ، لابن كثير، ص٤، ج٢، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٣، ١٣٠٧هـ،١٩٨٧م، وقد كانت الهجرة سنة ٥ للبعثة.

وهو بمكة)[1]. فإباحة السياسة للكفار وتحريمها على المسلمين هو لتحريف الإسلام، وأسلوب خبيث لحرب الإسلام، ومحاولة لإطفاء نور الله. والله متمٌ نوره ولو كره الكافرون جميعاً. المستعمرون وعملاؤهم.

وأكتفي بهذا القدر ظناً مني كفاية المطلوب. وهذا لا يعني أنني تقصيت جميع الآيات التي ورد لها سبب تنزيل في القرآن كله، بل أعطيت نماذج وإلاّ فإن سورة التوبة حافلة بأسباب التنزيل سواء ما كان يتعلق بالمنافقين أم بالمؤمنين الذين تخلفوا عن الجهاد بلا عذر شرعي وهم: هلال بن أُميّة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع. وكذلك سورة الأحزاب وما فيها من مواقف نساء الرسول، رضوان الله عليهن، تجاه رسول الله،ﷺ، في طلب النفقة، وما فيها من نهي المسلمين عن المكوث في بيت الرسول،ﷺ، بعد الطعام والحث على الانتشار. وفي سورة النور وما ورد في حق عبد الله بن أُبيّ من إكراه فتياته على البغاء. وسورة الجمعة والانفضاض عن الصلاة من أجل التجارة[2]، وسورة الضحى وما فيها من قصة إبطاء الوحي وقول المرأة من قريش: ما أرى شيطانك يا محمد إلاّ قد قلاك، إلى غير ذلك ما يمكن إثباته بعد التحقق من توفر شروط أسباب التنزيل في رواياته.

ثالثاً: ثوابت في علم أسباب التنزيل.

هذه دراسة لأسباب التنزيل من كتب متخصصة في أسباب التنزيل، ومن كتب التفسير، وكتب السيرة، والحديث، ولا يسع القارئ بعد هذا إلاّ أن يقول إنه لا فرق بين ما قيل عنه كتب متخصصة كأسباب نزول القرآن للواحدي، ولباب النقول في

---

(١) سيرة ابن هشام ص٣٣٨، ج١، ط٢، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، وانظر سيرة النبي،ﷺ، لابن كثير، ص٢٣، ج٢، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٧م، دار الرائد العربي، بيروت.

(٢) قال الشافعي في أحكام القرآن: (ولم أعلم مخالفاً أنها نزلت في خطبة النبي،ﷺ، يوم الجمعة). وفي رواية جابر لم يبق معه،ﷺ، إلا اثنا عشر رجلاً فأنزلت هذه الآية، ص٩٥، وانظر الأم للشافعي كذلك، ج١، ص١٧٧.

أسباب النزول للسيوطي، والعُجاب في الأسباب لابن حجر، وبين كتب التفسير، ومنها تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير. إلاّ أن الكتب المتخصصة، اختصت بآيات معينة، وكتب التفسير شملت جميع آيات القرآن. وإن الكتب المتخصصة اعتمدت على الرواية وحدها. وكتب التفسير ضمت الرواية والدراية معاً. إلاّ كتاب الدر المنثور للسيوطي فقد انفرد بالرواية وحدها.

ومن هذه الدراسة كذلك تبيّن أن كتاب الواحدي هو أوّل كتاب وصل إلينا في هذا الموضوع، وأن كتاب السيوطي لباب النقول مصنوع منه.

والدارس لأسباب التنزيل عليه أن يلاحظ أسباب دخول الدخيل لهذا العلم قبل أن يشرع في دراسته فإنها تحميه من العثار، وتقيه من الانزلاق(١).

كما أن الدارس لهذا العلم عليه أن يضع الثوابت الآتية نصب عينيه لا يحيد عنها أبداً:

١. إن الآية القرآنية الواحدة لم تنزل إلاّ دفعة واحدة سواء كانت منفردة، أو مع طائفة من الآيات، أو في السورة كلها. وأنه لم يثبت قط، بل لا يجوز أن نقول، أن الآية الواحدة نزلت مفككة مجزأة لأن هذا يخالف المتواتر.

٢. أن يكون وقوع الحدث ونزول القرآن بشأنه متزامناً، فهو يشكل المحك الأساسي لمعرفة ارتباط الرواية بالآية كسبب نزول.

٣. إن أقوال الصحابة والتابعين: فأنزل الله، أو فنزلت الآية، أو فيّ نزلت الآية، تحتمل التفسير وتحتمل سبب النزول، ولا تدخل في أحد الموضوعين إلاّ بقرينة.

٤. إن آيات يسألونك ويستفتونك تفيد قطعاً أنها مرتبطة بسؤال وقت التنزيل فهي لا بد أن يكون لها سبب نزول.

٥. إن قرائن أحوال الروايات، والنصوص، والسياق القرآني، هو محور معرفة سبب التنزيل. وليس الألفاظ التي قال عنها بعض العلماء كمادة نزل ومشتقاتها، أو فاء

---

(١) انظر المبحث الثالث من التمهيد من هذا الكتاب.

السببية، أو كلمة سبب.

٦. إن الآية قد تحمل أحكاماً جديدة بالإضافة إلى حكم الواقعة التي نزل بشأنها قرآن. فلا يدل تعدد المواضيع في الآية على عدم كونها سبباً في التنزيل. أو أنه يجب أن تتعدد أسباب التنزيل حسب المواضيع، فزيادة الجواب عمّا في السؤال، أو إضافة أحكام لأمور أخرى غير حكم الواقعة شيء مألوف في القرآن والسُّنَّة، ولا منافاة لكونه سبب تنزيل. أي لا يشترط أن يكون النص مقصوراً على الواقعة فحسب ولا يضم إليه أحكاماً أخرى.

٧. إن بحث الخصوص والعموم، وبحث نزول النص قبل الحكم، أو بالعكس، هي من مواضيع أصول الفقه وليست من أسباب التنزيل.

٨. لا يجوز أخذ أقوال العلماء السابقين مسلمات في الموضوع، فقد ثبت أنهم ذكروا فوائد لأسباب التنزيل وهي ليست كذلك[١]، وقد ثبت أنهم جعلوا سبب نزول وقع بالمدينة لآية مكيّة أو بالعكس، وهذا خطأ، والصواب أن مثل هذه النقول تدخل في التفسير كما ثبت أنّ بعضهم جَرّم بعض أفراد الصحابة كثعلبة بن حاطب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعثمان بن مظعون، وعمر بن معدي كرب، وغيرهم وهم براء مما ألصق بهم. والموقف الصحيح هو التثبت والتحقق مما وصلنا قبل الأخذ به. وأن ننظر إلى أن جميع الصحابة، رضوان الله عليهم، أنهم عدول. وهم الذين نقلوا إلينا الوحي. ولا ندعي لآحادهم العصمة.

٩. إن الآيات التي نزلت بسبب تتعلق بالأحكام، أما الآيات التي نزلت ابتداء فيغلب عليها أن تتحدث عن أُمور العقيدة، ووصف مشاهد القيامة ونعيمها، والنار وأهوالها، كما تحدثت عن الأُمم الغابرة، وما حلّ بها، وتتحدث عن الرسل في أقوامهم، كما تتناول الأمور المستقبلة. كما أن القليل منها تتحدث عن الأحكام الشرعيّة.

---

(١) انظر القضية الثالثة من مقدمة هذا الكتاب.

١٠. إن موضوع أسباب التنزيل لم يخل من الإشكالات فقد رأينا جانباً منها تمثل في تعدد الروايات، وآخر في القول بتكرار نزول القرآن تبعاً لتعدد هذه الروايات، وهذا يقتضي من الباحث في هذا الموضوع أن يتحرى الدقّة في روايات الأسباب بعد أن تتهيأ له سبل الترجيح والقبول[١].

١١. إن القول بتعدد الأسباب غير دقيق والصواب تعدد الوقائع والحوادث وفي هذه الحالة لا بدّ من الترجيح والتغليب.

١٢. إن القول بتعدد النازل والسبب واحد غير ثابت، لأن جلّ القرآن نزل ابتداء فآيات الزكاة والحج مثلاً نزلت في أماكن متعددة وقبل تطبيق هذين الفرضين، وحكم الأسرى والأنفال نزل في سورة محمد (أو سورة القتال) والرسول ﷺ في طريقه للهجرة من مكة إلى المدينة أي قبل سرية عبد الله بن جحش وقبل غزوة بدر، وعليه فتعدد النازل لا يعد لسبب واحد. والقول به ينقصه الدليل. والاستقراء يؤكد عدم صحة القول بتعدد النازل والسبب واحد.

١٣. إن القول بتكرار نزول القرآن، أو الآيات، أو السور، لا سبيل للأخذ به. فهو قول عارٍ عن الدليل، فلا يجوز الأخذ به وهو مبني على الاحتمال، أو على تعدد روايات غير متواترة، أو التي يمكن ترجيح إحداها على غيرها[٢].

١٤. كثر الضعف في أسانيد روايات أسباب التنزيل، وقد اتسع الخرق على الراقع فصعب رتقه، ويحسن بنا أن نسجل الفصل الجامع الذي عقده ابن حجر في مخطوطه العُجاب في الأسباب عن حال من نقل عنه التفسير من التابعين ومن بعدهم، لأنه يفيدنا كثيراً في تمييز الروايات الصحيحة من الضعيفة. قال ابن حجر (من ورقة ٤ إلى ورقة٦).

(ومن قبل الخوض في المقصود أقدم فصلاً جامعاً لبيان حال من نقل عنه

---

(١) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب الإشكالات الواردة على أسباب التنزيل.

(٢) انظر الإشكال الثاني من الفصل الثالث من هذا الكتاب.

التفسير من التابعين، ومن بعدهم، يغني عن التكرار. فالذين اعتنوا بجمع التفسير من طبقة الأئمة الستة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ويليه: أبو بكر: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري. وأبو محمد: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي. ومن طبقة شيوخهم عبد بن حميد الكشي. فهذه التفاسير الأربعة قلّ أن يشذ عنها شيء من التفسير المرفوع والموقوف على الصحابة، والمقطوع عن التابعين. وقد أضاف الطبري إلى النقل المستوعب أشياء لم يشاركوه فيها، كاستيعاب القراءات والإعراب، والكلام في أكثر الآيات على المعاني، والتصدي لترجيح بعض الأقوال على بعض. وكل من صنّف بعده لم يجتمع له ما يجتمع فيه؛ لأنه في هذه الأُمور في مرتبة متقاربة، وغيره يغلب عليه فن من الفنون فيمتاز فيه، ويقصر في غيره.

والذين اشتهر عنهم القول في ذلك من (التابعين) أصحاب (ابن عباس) وفيهم ثقات وضعفاء. فمن(الثقات): (مجاهد بن جبر) ويروى التفسير عنه من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد. والطرق إلى ابن أبي نجيح قوية فإذا ورد في غيره بيّنته. ومنهم (عكرمة) ويروى التفسير عنه من طريق الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عنه. ومن طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير- هكذا بالشك- ولا يضر؛ لكونه على ثقة. ومن: طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. و(علي) صدوق، ولم يلق ابن عباس، ولكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه، فلذلك كان البخاري وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه (النسخة).

ومن طريق ابن جريج، عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عباس لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وما عدا ذلك يكون عطاء هو: الخراساني، وهو لم يسمع من ابن عباس، فيكون منقطعاً. إلاّ إن صرح ابن جريج بأنه عطاء ابن أبي رباح.

ومن روايات (الضعفاء عن ابن عباس): التفسير المنسوب لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي؛ فإنه عن أبي صالح- وهو: مولى أُم هانئ- عن ابن عباس. و(الكلبي)

اتهموه بالكذب. وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح- كذب.

ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره-مثله، أو أشد ضعفاً، وهو: (محمد بن مروان السدّي الصغير) رواه عن محمد بن مروان، مثله، أو أشد ضعفاً، وهو: (صالح بن محمد الترمذي).

وممن روى التفسير عن (الكلبي) من (الثقات): سفيان الثوري، ومحمد ابن فضيل بن غزوان.

ومن (الضعفاء من قبل الحفظ) حِبَّان بكسر المهملة، وتثقيل الموحدة- وهو ابن علي العَنَزي- بفتح المهملة، والنون، بعدها زاي منقوطة.

ومنهم: (جويبر بن سعيد) وهو واه، روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم. وهو صدوق عن ابن عباس، ولم يسمع منه شيئاً.

وممن روى التفسير عن (الضحاك) علي بن الحكم وهو ثقة، وعبيد بن سليمان وهو صدوق. وأبو روق: عطية بن الحارث. وهو لا بأس به.

ومنهم (عثمان بن عطاء الخراساني) يروى التفسير عن أبيه، عن ابن عباس. ولم يسمع أبوه من ابن عباس.

ومنهم: (إسماعيل بن عبد الرحمن السُدّي) بضم المهملة، وتشديد الدال- وهو كوفي صدوق، لكنه جمع التفسير من طرق منها: عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، وعن مرة بن شراحبيل، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة، وغيرهم. وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف. ولم يلق السُدّي من الصحابة إلاّ أنس بن مالك. وربما التبس بالسُدّي الصغير الذي تقدم ذكره.

ومنهم: (إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني) وهو ضعيف، يروي التفسير عن أبيه، عن عكرمة. وإنما ضعفوه لأنه وصل كثيراً من الأحاديث بذكر ابن عباس. وقد روى عنه تفسيره: عبد بن حُميد.

ومنهم: (إسماعيل بن زياد الشامي). وهو ضعيف، جمع تفسيراً كثيراً فيه الصحيح والسقيم. وهو في عصر أتباع التابعين.

ومنهم: (عطاء بن دينار) وفيه لين. روى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس تفسيراً رواه عنه ابن لهيعة. وهو ضعيف.

ومن تفاسير التابعين ما يروى عن (قتادة) وهو من طرق:

منها رواية: عبد الرزاق عن معمر، عنه.

ورواية آدم بن أبي إياس وغيره، عن سفيان عنه.

ورواية يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة عنه.

ومن (تفاسيرهم) تفسير الربيع بن أنس بعضه، عن أبي العالية، واسمه رفيع الرياحي- بالمثناة التحتانية، والحاء المهملة- وبعضهم لا يسمى فوق الربيع أحداً: وهو يروى من طرق منها:

رواية: عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عنه.

ومنها (تفسير مقاتل بن حبان) من طريق: محمد بن مزاحم عن بكير بن معروف عنه. و(مقاتل) هذا صدوق. وهو غير (مقاتل بن سليمان) الآتي ذكره.

ومن (تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم): (تفسير زيد بن أسلم)، من رواية ابنه عبد الرحمن، عنه. وهي (نسخة) كبيرة، يرويها ابن وهب، وغيره، عن عبد الرحمن عن أبيه. وعن غير أبيه. وفيها أشياء كثيرة لا يسندها لأحد. و(عبد الرحمن) من الضعفاء، و(أبوه) من الثقات.

ومنها: (تفسير مقاتل بن سليمان) وقد نسبوه إلى الكذب. وقال (الشافعي) مقاتل قاتله الله تعالى. وإنما قال الشافعي فيه ذلك لأنه اشتهر عنه القول بالتجسيم.

وروى تفسير مقاتل هذا، عنه: أبو عصمة: نوح بن أبي مريم، الجامع، وقد نسبوه إلى الكذب.

ورواه أيضاً عن مقاتل: الحكم بن هذيل. وهو ضعيف، لكنه أصلح حالاً من أبي عصمة. ومنها (تفسير يحيى بن سلام المغربي) وهو كبير في نحو ستة أسفار. أكثر

فيه النقل عن التابعين وغيرهم. وهو لين الحديث.وفيما يرويه مناكير كثيرة. وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ومالك والثوري.

ويقرب منه: (تفسير سنيد) بمهملة، ونون مصغراً. واسمه: الحسين بن داود وهو من طبقة شيوخ الأئمة الستة. يروى عن حجّاج بن محمد المصيصي، كثيراً، وعن أنظاره. وفيه لين. وتفسيره (نحو) تفسير يحيى بن سلام وقد أكثر ابن جريج التخريج منه.

و(من التفاسير الواهية) لوهاء رواتها: (التفسير الذي جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفي، الصنعاني). وهو قدر مجلدين، يسنده إلى ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وقد نسب ابن حبان موسى هذا إلى وضع الحديث. ورواه عن موسى: (عبد الغني بن سعيد الثقفي). وهو ضعيف.

وقد يوجد كثير من (أسباب النزول) في كتب (المغازي): فما كان منها من رواية: معتمر بن سليمان، عن أبيه. أو من رواية: إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه: موسى بن عقبة- فهو أصلح مما فيها من كتاب محمد بن إسحاق. وما كان من رواية ابن إسحاق (أمثل مما فيها من رواية الواقدي). وإنما قدمت هذه المقدمة ليسهل الوقوف على أوصافهم لمن تصدى للتفسير فتقبل من كان أهلاً للقبول ويرد من عداه).

وبهذا أكون قد فرغت من الفصل الرابع والأخير من هذه الرسالة، وأسأل الله أن أكون قد وفقت فيها والحمد الله رب العالمين.

ملحوظات:

١. لقد تعرضت لذكر هذا النوع من روايات أسباب التنزيل دون غيره في هذا الفصل **لأن غاية البحث هو التوصل لقواعد تُعْتمد لفرز الروايات المعتمدة في أسباب التنزيل عن غيرها**. ولأن الفصل عقد من أجل تثبيت نتائج الدراسة، فهو خلاصة لدراسة الروايات.

٢. الروايات التي سبق وأن دُرِسَت في الفصول السابقة اكتفيت بذكرها دون تعليق. أما الروايات الأخرى فقد درستها بإيجاز.

٣. ما ورد في الرسالة من روايات ويبدو فيه أنه مكرر، فقد يكون استشهاداً في كل موطن من زاوية غير الزاوية الأخرى في الموطن الأخر. وقد يكون لتثبيت المفهوم في ذهن القارئ لأنه جديد لم يسبق أن تعرضت له كتب التفسير قاطبة، نحو قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾. **[البقرة:١٠٤]**.

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ ﴾. **[البقرة:٢١٧]**.

﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾. **[الحشر]**.

٤. رقم ٢ من الفصل الرابع (نماذج من المواضيع...) دليل على ما ورد في القضية الثانية من الفقرة الرابعة أن العقيدة الإسلامية عقيدة سياسية حيث لم ترد روايات في هذا الفصل تتعلق بالعبادات المشهورة كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج سوى رقم ١٩ وبقية الروايات تتعلق في شؤون الحياة المختلفة.

خاتمة

الدارس لهذا البحث يدرك أن أسباب النزول ليست وحياً من الله تعالى، وإنما هي مناط تنزل الوحي، فهي وإن كانت تاريخاً إلاّ أنه تاريخ نزل بشأنه قرآن يتلى. فمن هنا اكتسب الموضوع أهمية بالغة يقتضي أن ينظر منها إلى أسباب التنزيل.

كما يلاحظ أن الرسالة اهتمت بنقد متن الرواية إلى جانب الاهتمام بسندها. بل ربما ظهر عليها دراسة المتن، وفاق دراسة السند لأنه كما قال ابن حجر: (فائدة مهمة عزيزة النقل كثيرة الجدوى والنفع، وهي من المقرر عندهم أنه لا تلازم بين الإسناد والمتن، إذ قد يصح السند أو يحسن لاجتماع شروطه من الاتصال والعدالة والضبط، دون المتن لشذوذ أو علّة، وقد لا يصح السند ويصح المتن من طريق أخرى)[1]. وروايات أسباب التنزيل بحاجة ماسة إلى دراسة المتن قبل دراسة السند لتتبدى الصورة الحقيقية لرواية سبب التنزيل عن غيرها.

ويخلص القارئ إلى أن الرسالة ترد على من بالغوا في الإكثار من روايات أسباب التنزيل، فحاولوا جعل جلّ آيات القرآن الكريم تحظى بسبب تنزيل، كما ترد على من يبالغ في الإقلال من عددها لدرجة أنها لم تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة أو اليدين. فذكرنا في الفصل الرابع عدداً، لا بأس به، من الروايات الصحيحة والمعتبرة في أسباب التنزيل في مواضيع شتى. والنتيجة المبنية على الدراسة تقرر أن روايات أسباب التنزيل قليلة إذا ما قيست بعدد آيات القرآن الكريم. وقد خلصت إلى هذه النتيجة بعد أن درست روايات أسباب التنزيل كلها الواردة في كتابي الواحدي والسيوطي وبعد موازنتها بما ورد في كتب التفسير الكثيرة.

---

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الأمير- صاحب كتاب سبل السلام- ص١٩٥، ج١، المطبعة السلفية، المدينة المنورة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

ويلاحظ على روايات أسباب التنزيل أنها بالمعنى فيختلف التعبير عن الواقع، أو الحدث، أو السؤال، من صحابي لآخر، لكن المعنى يظل واحداً. ولذلك يقتضي الاهتمام بالتعليقات والزيادات من الرواة في الرواية. وعلينا أن نُحَكِّمَ النص القرآني، والسياق القرآني، في آراء الرواة ورواياتهم. وهذا يتوقف على مدى إحاطة القارئ بالروايات المتعلقة بالنصوص القرآنية. وقد كثر التساهل في نقل روايات أسباب التنزيل عن أهل الكتاب دون أن يشيروا إلى ذلك. وسببه أن القصص لا تمس جوهر العقائد ولا تتعلق بالأحكام.

وفي مجال الأسئلة. فقد تكون سؤالاً عن الماضي، كما ورد في سورة الكهف، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾. **[الكهف]**. فقد عرف موضوع السؤال أنه عن الماضي من النص القرآني، وقد يعرف السؤال من الرواية نفسها كما حدث في رواية الأسئلة الثلاثة عن أهل الكهف وذي القرنين وعن الروح[1]. وجاءت سورة الكهف تتحدث عن أهل الكهف دون الإشارة إلى سؤال. ولكن قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ﴾. **[الكهف:٨٣]**. بالعطف أفاد وجود سؤال آخر تقدم على هذا السؤال، وهو الجواب المتقدم في السورة عن أهل الكهف. فالأمر يحتاج إلى فقه الروايات وإلى فقه النصوص. وقد يكون السؤال عن الحاضر كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾. **[النساء:١٥٣]**. وكقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾. **[البقرة:٢١٧]**. وقد يكون السؤال مما يتعلق بالمستقبل كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ﴾. **[آل عمران: ١٨٧]**. فيكون سبب التنزيل هو السؤال نفسه، وليس الواقع أو الحدث. فالتزامن المطلوب هنا هو توافق تنزيل القرآن مع طرح السؤال أو حصول الاستفتاء.

---

(١) لباب النقول للسيوطي، ص١٤٤، الدر المنثور، ج٥، ص٣٥٧، وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن الدارس لهذه الرسالة يجد بصمات معالجة الإشكالات في مجموع الرسالة من المقدمة إلى الخاتمة، ولم تقتصر على الفصل الذي عقد لمعالجتها.

كما يرى أن الإسرائيليات لا موقع لها في هذا البحث. إلاّ بالرد عليها وبيان عدم صلاحيتها لما نحن بصدده. وإن رأينا فيها أنها علم لا ينفع وجهل لا يضر.

هذا، وقد قعّدت قواعد، لتمييز رواية سبب التنزيل عن غيرها، وهي المتمثلة بالأُطر الخمسة الواردة في المبحث الثالث من الفصل الأول. كما ذكرنا من الثوابت التي انطلقنا منها في دراسة أسباب التنزيل في نهاية الفصل الرابع لنحمي من ينبري لدراسة هذا العلم من الزلل والعثار. وخلاصة ذلك هو ربط الرواية بالنص الذي أسندت إليه للتأكد من صحة كونها سبباً للآية. ونكون بذلك قد عالجنا الخلط بين الأقوال التي تحكي أسباب التنزيل.

وقد حرصت على تحري الدقة في روايات الأسباب، وعدم التسليم بكل ما ورد في هذا المجال، وكان الترجيح هو السمة الغالبة في تعدد الروايات، وليس الجمع بينها، مما عصمني من الانزلاق وراء من خاضوا في هذا الموضوع. والتقليد الأعمى فيه هو الذي قاد أصحابه إلى كارثة الخلط في روايات أسباب التنزيل، وهو الذي قضى على سمات وقسمات رواية **سبب التنزيل**.

وبعد:

فإنني أُكثر على من يبقى سادراً في غيّه، بعد دراسة هذا البحث، متتبعاً لِسَنَن الخائضين في هذا العلم دون أن يجعل من الأُطر الخمسة مقياساً له، ودون أن يجعل من الثوابت في أسباب النزول نبراساً له يهتدي بها للوصول إلى الرواية الصحيحة في أسباب التنزيل.

والمدقق في الروايات المعتمدة يجد أنها تتعلق في غالبها بآيات الأحكام. وكانت قليلة في آيات العقائد، ومنها ما نزل في قوله تعالى ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ

رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾. [يس]. وأنها نزلت في أُبَيّ بن خلف[1]، ولم تشمل آيات وصف الجنة أو النار، أو الثواب أو العقاب، أو الأخبار التي ستقع في المستقبل، فضلاً عن عدم تعلقها بالآيات التي تحدثت عن الأمم السابقة، والأزمان السالفة لنزول الوحي على سيدنا محمدﷺ.

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون وفيت الموضوع حقه، وإنني توّاق لرؤية بحث آخر يخرج إلى حيّز الوجود يحرر جميع روايات أسباب التنزيل في القرآن كله، مما علق بها. وأحمده تعالى، حمد الشاكرين، حمداً يوازي نعمه علينا، ويكافئ مزيده، فهو تبارك وتعالى سبب كل توفيق.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي، ص٣٨٥، طبعة دار القبلة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: كتب التفسير.

ثانياً: كتب علوم القرآن.

ثالثاً: كتب السيرة والمغازي.

رابعاً: كتب الحديث وعلومه.

خامساً: كتب التراجم والسير.

سادساً: كتب أصول الفقه.

سابعاً: كتب المعاجم.

ثامناً: كتب في مواضيع مختلفة.

ملحوظات:

١. استعملت في الهامش الرموز والاصطلاحات الآتية:

ج= جزء. ص= صفحة. ط= طبعة.

٢. هناك بعض الكتب لم أشر فيها إلى الطبعة نظراً لعدم وجودها.

٣. لم أذكر بعض المراجع مكتفياً بذكرها في مواضع النقل.

٤. لم أتقيد بذكر مصدر النقل في الهامش بحسب الترتيب الذي أسسه علماء البحث في العصر الحديث من ذكر المؤلف ثم الكتاب ثم الصفحة والجزء والطبعة وسنتها ومكانها. أو الكتاب والمؤلف ثم الصفحة والجزء... إلخ مكتفياً بوجود ذلك في المصادر والمراجع العامة. واقتصرت على ما يعرف القارئ بمكان وجود ذلك في المصادر والمراجع العامة، واقتصرت على ما يعرف القارئ بمكان وجود النقل بذكر الجزء والصفحة. ونادراً ما أهمله لبداهة معرفة مكان وجوده في موقع تفسير الآية من الكتاب. أو لأنني أشرت إليه في موضع آخر من نفس الرسالة.

٥. اكتفيت في الهامش بتثبيت بعض المراجع. وغالباً ما توجد في أماكن أخرى تجنبت ذكرها للاختصار.

٦. رتبت المصادر والمراجع حسب الأقدمية في الوفاة.

أولاً: كتب التفسير:

١. الشافعي- ت٢٠٤هـ- محمد بن إدريس الشافعي- أحكام القرآن- دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢. الطبري-ت٣١٠هـ- أبو جعفر محمد بن جرير- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. وطبعة دار المعارف المصرية، ط٢ تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر.

٣. الجصاص، ت٣٨٠هـ- أبو بكر أحمد علي الرازي الجصّاص- أحكام القرآن- دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى المطبوعة بمطابع الأوقاف الإسلامية. في دار الخلافة العلية، ١٣٣٥هـ.

٤. أبو ليث السمرقندي، ت٣٧٥ه نصر أحمد إبراهيم- بحر العلوم. دراسة وتحقيق د. عبد الرحيم الزقة ط١ مطبعة الإرشاد، بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥. الثعلبي، ت٤٢٧هـ- أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي النيسابوري أبو إسحاق، مخطوط الكشف والبيان عن تفسير القرآن، رقمه ٧٨٨١ بمكتبة الأسد- دمشق. وبدار الكتب القومية بالقاهرة ٢٥٦ تفسير، ميكروفيلم ٤٦٩٣٩. وأقتني نسخة مصورة في مكتبتي الخاصة.

٦. البغوي، ت٥١٦هـ- أبو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي- معالم التنزيل- تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٧. الزمخشري، ت٥٣٨هـ- محمود بن عمر الزمخشري- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ويليه الكافي الشافِ في تخريج أحاديث

الكشاف، للحافظ ابن حجر العسقلاني طبعة دار المعرفة بيروت. طبعة مصورة بدون تاريخ.
٨. ابن العربي، ت٥٤٣هـ أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي- أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي ط٢ عيسى البابي الحلبي ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٩. ابن عطية، ت٥٤٦هـ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي الغرناطي المحرر الوجيز.
١٠. الطبرسي، ت٥٤٨هـ- الفضل بن الحسين بن الفضل- مجمع البيان في تفسير القرآن- طبعة دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز، مكة المكرمة ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١١. ابن الجوزي، ت٥٩٦هـ- أبو الفرج، عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي- زاد المسير في علم التفسير. طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط١.
١٢. الرازي، ت٦٠٦هـ- فخر الدين الرازي- محمد بن عمر بن حسين- التفسير الكبير المشهور بمفاتح الغيب. ط٢ دار الكتب العلمية- طهران.
١٣. القرطبي، ت ٦٧١هـ- أبو عبد الله- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- تصوير عن الطبعة الثانية مصححه أحمد عبد العليم البردوني- جهة التصوير غير معروفة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
١٤. البيضاوي، ت ٦٨٥هـ-٦٩٢هـ- ناصر الدين أبي سعيد/ عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. مطبعة العهد الجديد، بالقاهرة، ١٣٨٠هـ.
١٥. النسفي، ت٧٠١هـ- أبو البركات/ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، والشهير بتفسير النسفي. الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.
١٦. الخازن، ت٧٢٥هـ- علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي،

المعروف بالخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، وبهامشه تفسير النسفي. طبعة بالأفست، مكتبة المثنى، ببغداد، عن طبعة دار الكتب العربية الكبرى- مصطفى البابي الحلبي.

١٧. النيسابوري، ٧٢٨هـ- نظام الدين/ الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق إبراهيم عطوه عوض- مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

١٨. أبو حيان الأندلسي، ت٧٥٤هـ- محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي- تفسير البحر المحيط، وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان نفسه، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط، للإمام تاج الدين الحنفي النحوي، تلميذ أبي حيان- ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٩. ابن كثير، ت٧٧٤هـ- أبو الفداء- إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- تفسير القرآن العظيم طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٢٠. السيوطي، ت٩١١هـ- جلال الدين السيوطي/ عبد الرحمن بن الكمال- الدر المنثور في التفسير المأثور- طبعة دار الفكر، بيروت، ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢١. أبو السعود العمادي، ت٩٥١هـ- محمد العمادي- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة بدون تاريخ.

٢٢. العجيلي الشهير بالجمل، ت١٢٠٤هـ-سليمان بن عمر العجيلي- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين. مطبعة عيسى البابي الحلبي، بمصر.

٢٣. الشوكاني، ت١٢٥٥هـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. طبعة دار المعرفة- بيروت. تاريخ الطبع غير معروف.

٢٤. الألوسي، ت ١٢٧٠هـ محمود شكري الألوسي البغدادي- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط٤، مصورة عن الطباعة المنيرية١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٥. اطفيّش الأباضي، ١٣٣٢هـ محمد بن يوسف اطفيّش الوهبي الأباضي- هيميان الزاد إلى دار المعاد. طبعة سلطنة عُمان- وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
٢٦. القاسمي، ت١٣٣٢هـ محمد جمال القاشمي محاسن التأويل طبعة عيسى البابي الحلبي- تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ط٢.
٢٧. محمد رشيد رضا، ت١٩٣٥م- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار- مطبعة محمد علي صبيح، بالقاهرة. ط٣٣، ١٣٩٢هـ/ ١٩٤٨م.
٢٨. دروزة- محمد عزت دروزة- التفسير الحديث- مطبعة عيسى الحلبي.
٢٩. محمد حسن الطباطبائي- الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٣٠. ابن عاشور، ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م محمد الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير. ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وطبعة أخرى للدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.
٣١. تفسير ابن مسعود، وما روي عنه في التفسير، د. محمد أحمد عيسوي، رسالة ماجستير، ١٩٧٨م القاهرة- وقد طبعت على نفقة مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ١٩٨٥م.
٣٢. عبد الله بن مسعود، وما روي عنه في تفسير سورة الزمر إلى نهاية القرآن الكريم/ عبد العزيز سليمان أبو صقر/ ١٤٠٤ هـ رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك سعود/ الرياض- ستانسل.
٣٣. مرويات ابن مسعود في الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد، د. منصور بن عون العبدلي/ ط١، دار الشروق/ جدة. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.
٣٤. تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السُّنَّة. جمع وتحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي. جامعة أم القرى بمكة. الكتاب الثالث والخمسون من التراث الإسلامي.

٣٥. تفسير عائشة جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الله أبو السعود بدر. الجزء الأول، ط١، ١٩٨٤م. والجزء الثاني، ستانسل لنيل درجة الدكتوراه الآداب- القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٦م.
٣٦. تفسير مجاهد- دراسة وتحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام أباد.
٣٧. تفسير مجاهد- دراسة وتحقيق د. أحمد إسماعيل نوفل- رسالة دكتوراه - كلية أصول الدين بالأزهر، ستانسل، ١٩٧٨م.
٣٨. تفسير سعيد بن جبير- جمع وتحقيق د. إبراهيم محمد عوض النجار- رسالة ماجستير، القاهرة، ستانسل، ١٩٧٨م.
٣٩. تفسير سفيان الثوري، ت١٦١هـ، رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدي عنه. دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، وهي نسخة محققة عن نسخة الهند من قبل امتياز علي عرشي١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م..
٤٠. هاشم عبد ياسين المشهداني- سفيان الثوري وأثره في التفسير- رسالة ماجستير في علوم القرآن- جامعة الأزهر، دار الكتاب للطباعة- بغداد، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ثانياً: كتب علوم القرآن:

١. ابن الضُرَيْس، ت٢٩٤هـ- أبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تحقيق غزوة بدير، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م- نسخة أخرى تحقيق مسفر سعيد أحمد دماس- ستانسل، رسالة ماجستير، الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
٢. الباقلاني، ت٤٠٣هـ- أبو بكر محمد بن الطيب. د.محمد بن جعفر البصري البغدادي، نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق د. محمد زغلول سلاّم. الناشر منشأة المعارف، بالإسكندرية، ط١، ١٩٧١م.

٣. الواحدي، ت٤٦٨هـ- أبو الحسن/ علي بن أحمد الواحدي النيسابوري- أسباب نزول القرآن- تحقيق سيّد أحمد صقر- طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدّة، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤. ابن تيمية، ت٧٢٨هـ- مقدمة في أصول التفسير- تحقيق د. عدنان زرزور- طبعة دار القرآن الكريم- الكويت، ط١، سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٥م.
٥. الزركشي، ت٧٩٤هـ- بدر الدين/ محمد بن عبد الله الزركشي- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
٦. ابن حجر العسقلاني، ت٨٢٥هـ- أحمد بن علي بن حجر، مخطوط العُجاب في الأسباب. نسخة مصورة من الجامعة الإسلامية بالمدينة- مصورة عن نسخة خزانة ابن يوسف العمومية بمراكش، رقم ٢٢٨، وهي نسخة قديمة كتبت سنة ٨٨٩هـ. وأقتني نسخة منها بمكتبتي الخاصة.
٧. السيوطي، ت٩١١هـ جلال الدين/ عبد الرحمن بن الكمال.
أ. الإتقان في علوم القرآن، وبأسفل الصحائف إعجاز القرآن للباقلاّني- دار المعرفة، بيروت، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨.
ب. لباب النقول في أسباب النزول- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ط٢.
٨. ابن عطية الأجهوري، ت١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م- مخطوط إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه والتجويد، ومخطوط موجود بدار الكتب القومية، بالقاهرة، تفسير ٤٢، رقم الميكروفيلم ٢٠٩٠، وتوجد منه نسخة أخرى برقم تفسير، تيمور ٤٠٨، ورقم الميكروفيلم ٤٤٨٤.
٩. الزرقاني- محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة- دار العلم للملايين- بيروت، ط٣.

١٠. صبحي الصالح، ت١٤٠٧هـ،١٩٨٧، مباحث في علوم القرآن- دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٦٤م.
١١. غزلان- د. عبد الوهاب عبد المجيد غزلان- البيان في مباحث من علوم القرآن- مطبعة دار التأليف بمصر، ١٣٨٤هـ،١٩٨٣م.
١٢. أمير عبد العزيز- دراسات في علوم القرآن- جامعة النجاح، نابلس، مؤسسة الرسالة- دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م.
١٣. الوادعي- مقبل بن هادي الوادعي- الصحيح المسند من أسباب النزول- دار الأرقم الكويت.
١٤. عبد الفتاح القاضي- أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين. دار الندوة الجديدة- بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
١٥. زرزور- د. عدنان زرزور.
أ. القرآن ونصوصه، مطبعة خالد بن الوليد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
ب. علوم القرآن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨١م.
١٦. الباقوري- الشيخ أحمد حسن الباقوري:
١. معاني القرآن بين الرواية والدراية- مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٤٠٦هـ،١٩٨٦م.
٢. مع القرآن- مكتبة الآداب ومطبعتها، بالقاهرة. ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
١٧. عليوي بن خليفة عليوي- جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها- ط١، مطابع الإشعاع، الرياض، ١٤٠٤هـ،١٩٨٦م.
١٨. زلط- د. قصبي محمود زلط- مباحث في علوم القرآن- دار القلم، ط٢، دولة الإمارات العربية/ دبي، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.
١٩. عناية- غازي حسين عناية- أسباب النزول القرآني- دار الشهاب للطباعة، باتنة- قسنطينة، بالجزائر، ط١، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.

٢٠. حلوة د. حماد عبد الخالق حلوة- أسباب نزول القرآن مصادرها ومناهجها- رسالة دكتوراه، ١٩٨٧م.
٢١. مناع القطان- مباحث في علوم القرآن- مؤسسة الرسالة، ط٢١، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
٢٢. عبد الرحمن عميرة:
١. رجال أنزل الله فيهم قرآناً- دار اللواء للنشر- الرياض، ط٢، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٢. نساء أنزل الله فيهن قرآناً- دار اللواء للنشر- الرياض، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٢٣. أبو شهبة- د. محمد أبو شهبة.
١- المدخل لدراسة القرآن الكريم- دار اللواء للنشر- رياض، ط٣، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.
٢- الإسرائيليات والموضوعات في التفسير.
٢٤. وسيلة بلعيد -وسيلة بلعيد بن حمدة- مباحث في علوم القرآن- علم أسباب النزول- دار الجويني للنشر، تونس، ط١، ١٤٠٤هـ،١٩٨٤م.
٢٥. محمد الفاضل بن عاشور، ت١٣٩٠هـ،١٩٧٠م- التفسير ورجاله. دار الكتب الشرقية- تونس، سلسلة البحوث، الإسلامية، الكتاب الثالث عشر، ط٢، ١٩٦٦م.
٢٦. غانم قدّوري حمد- محاضرات في علوم القرآن. جامعة بغداد- دار الكتاب للطباعة – بغداد، ط١، ١٤٠١هـ،١٩٨١م.
٢٧. سيد أحمد عبد الغفار- قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه- ١٤٠٠هـ،١٩٨٠م.
٢٨. محمد خليفة- مع نزول القرآن، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.
٢٩. كفافي- محمد عبد السلام كفافي، وعبد الله الشريف. في علوم القرآن.

ثالثاً: كتب السيرة والمغازي:

١.ابن شهاب الزهري، ت١٢٤هـ، الإمام محمد بن مسلم بن عبد الله، المغازي النبوية، حققه وقدم له د. سهيل زكّار. طبعة دار الفكر، بدمشق، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢. ابن هشام، ت٢١٣هـ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام). تحقيق وضبط وشرح السقا والأبياري وشلبي، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ،١٩٥٥م.

٣. ابن سعد، ت٢٣٠هـ. محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، تقديم إحسان عباس، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٤. البيهقي، ت ٤٥٨هـ، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، وثّق أُصوله عن عشر نسخ خطية وخرّج أحاديثه وعلّق عليه د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥. السهيلي، ت٥٨١هـ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٦. الكلاعي، ت٦٣٤هـ، أبو الربيع، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، الاكفاء في مغازي رسول الله،ﷺ، والثلاثة الخلفاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، نشر لأول مرة على نسختي طلعت والتيمورية، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.

٧. ابن قيّم الجوزيّة، ت٧٥١هـ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد- زاد المعاد في هدي خير العباد. إحياء التراث العربي، بيروت- راجعه وقدّم له، طه عبد الرؤوف طه، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

٨. ابن الديبع الشيباني، ت٩٤٤هـ، ٩٥٠هـ عبد الرحمن بن علي بن محمد، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، أشرف على طبعه يحيى عبارة، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن محمد آل ثاني أمير دولة قطر، مطبعة محمد هاشم الكتبي، بدمشق، بدون تاريخ.

٩. محمد بن عبد الوهاب، ت١٢٠٦هـ، ١٧٩٢م، محمد بن عبد الوهاب وولده عبد الله، مختصر سيرة الرسول، ﷺ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
١٠. الحلبي، ت١٠٤٤هـ، علي بن برهان الدين الحلبي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهيرة بالسيرة الحلبية. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
١١. دروزة، محمد عزة دروزة، سيرة الرسول،ﷺ، صورة مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلاته ودراسات قرآنية. ط٢، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.

رابعاً: كتب الحديث وعلومه:

أ.كتب مصطلح الحديث:

١. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث/ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، ت٦٤٢هـ، ١٢٤٢م. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٢. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير ت٧٧٤هـ، تأليف أحمد محمود شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٣. فتح المغيث- شرح ألفية الحديث للعراقي، للإمام شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت٩٠٢هـ. ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، بالمدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
٤. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، ت٩١١هـ، دار الكتب الحديثة، تحقيق ومراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، ١٢٨٥هـ، ١٩٦٦م.
٥. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني، صاحب سبل السلام، ت١١٨٢هـ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، بالمدينة المنورة.

٦. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، أبو الحسنات، محمد عبد الحي اللكنوي الهندي. ت١٣٠٤هـ. حققه وخرّج نصوصه عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٧. منهج المحدثين عند علماء الحديث النبوي، د. صلاح الدين بن أحمد الأدلبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

ب.كتب الحديث.

١. مالك، ت١٧٩هـ، مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.
٢. الشافعي، ت٢٠٤هـ، أبو عد لله محمد بن إدريس الشافعي -اختلاف الحديث- تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع دار باز للنشر، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣. الدارمي، ت٢٥٥هـ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، سنن الدارمي، طبعة دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٤. البخاري، ت٢٥٦هـ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية استانبول تركيا، توزيع مكتبة العلم بالسعودية، جدّة. ١٩٨١م.
٥. ابن ماجة، ٢٧٣هـ، محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن المصطفى الشهير بسنن ابن ماجة، دار الفكر العربي، تحقيق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ.
٦. أبو داود، ت٢٧٥هـ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، طبعة دار الفكر، ضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ.
٧. الترمذي، ت٢٧٩هـ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٨. النسائي، ت٢٧٩هـ، أحمد بن شعيب بن دينار، المجتبى المعروف بسنن النسائي.

بشرح السيوطي وحاشية الإمام لسندي. طبعتان بدون تاريخ، دار الكتاب العربي، والثانية دار إحيار التراث العربي، بيروت.

٩. الدارقطني، ت٣٨٥هـ، أبو الحسن علي بن عمر. سنن الدارقطني.

١٠. الحاكم النيسابوري، ت٤٠٥هـ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري الحاكم، المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، وطبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١١. النووي، ت٦٧٦هـ، محيي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف الشافعي، شرح صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر، تصوير بتصريح من محمد عبد اللطيف صاحب المطبعة المصرية. ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٢. ابن حجر ت٨٥١هـ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق وتخريج وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

١٣. السيوطي، ت٩١١هـ، عبد الرحمن بن الكمال، اللمع في أسباب النزول (أسباب ورود الحديث). تحقيق يحيي إسماعيل أحمد- طبعة دار الكتاب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٤. ابن حمزة الحسيني، ت١١٢٠هـ، الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الحسيني، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق د. حسين عبد المجيد هاشم. المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٥. الزرقاني، ت١١٢٢هـ، شرح الإمام محمد عبد الباقي بن يوسف محمد الزرقاني على الموطأ، دار الفكر للطباعة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٦. المباركفوري، ت١٣٥٣هـ، أبو علي محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، صحح أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف، ١٠ مجلدات. طبعة دار الفكر، بيروت، وهي نسخة مصورة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

١٧. شمس الحق العظيم أبادي، ولد سنة ١٢٧٣هـ، ولم يعرف تاريخ وفاته، أبو

الطيب محمد، عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيّم الجوزية. ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٨. أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهيرة بالساعاتي، ت١٣٧٨هـ، ١٩٥٨م، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد مع مختصره شرح بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، مصورة ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

جـ. كتب في الموضوعات وما اشتهر على ألسنة الناس:

١. الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة/ أبو الحسن نور الدين السمهودي، ت٩١١هـ، تحقيق وتخريج محمد إسحاق محمد إبراهيم السلفي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢. اللاليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت٩١١هـ، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣. تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث. عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع الشيباني، ت٩٤٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٤. الأسرار الموفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى)، نور الدين علي بن محمد بن سلطان، ت١٠١٤هـ، المشهور بالمُلا علي القاري- دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، ت١١٦٢هـ. دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦. الآثار المرفوعة من الأخبار الموضوعة. عبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكنوني، ت١٣٠٤هـ، تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

خامساً: كتب التراجم والسير:

أ. المصنفات في معرفة الصحابة:

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، ت٤٦٣هـ، طبعة السعادة، تصوير دار صادر، بيروت
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبو الحسن، علي بن محمد الجزري، ت٦٤٠هـ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور. ط دار الشعب.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، طبعة دار نهضة مصر، بالقاهرة، تحقيق محمد علي البجاوي، مطبعة السّنة المحمدية، بالقاهرة، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

ب. كتب في الطبقات:

١. الطبقات الكبرى لابن سعد، أبو عبد الله بن سعد، كاتب الواقدي، ت٢٣٠هـ.
٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله أبي نعيم الأصفهاني، ت٤٣٠هـ. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، وطبعة مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
٣. طبقات المفسرين، محمد أحمد بن عثمان الذهبي، ت٧٤٨هـ، ط١، القاهرة، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٤. طبقات المفسرين، للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، ت٩٤٥هـ، ط١، القاهرة، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

ج. كتب رواه الحديث عامة:

١. التاريخ الكبير، للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل، ت٢٥٦هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
٢. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي، ت٣٢٧هـ، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر أباد الدكن

الهند، وصورتها دار إحياء التراث العربي بيروت،١٢٧١هـ، ١٩٥٢م.
٣. سـيرة أعـلام النـبلاء للـذهبي، ت٧٤٨هـ، مؤسسـة الرسـالة، تحقيـق شـعيب الأرناؤوط، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٤. شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، عبد الحي بـن عمـاد الحنبلـي، ت١٠٨٩هـ، طبعة دار القاهرة، ١٣٥١هـ.

د. كتب في رجال كتب مخصوصة:

١. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الـذهبي، ت٧٤٨هـ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٢. تهذيب التهذيب، للحافظ بن حجر، ت٨٥٢هـ، طبعة دار الفكـر، بـيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٣. تقريب التهذيب، للحافظ بن حجر، ت٨٥٢هـ، طبعة دار المعرفة، بـيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٤. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعـة، للحـافظ ابـن حجـر، دار الكتـاب العربي، بيروت.

هـ. كتب في الضعفاء خاصة:

١. الضعفاء والمتروكين، للنسائي، أبي عبـد الـرحمن، أحمـد بـن شـعيب، ت٣٠٣هـ، تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بـيروت، ط١، ١٤٨٥هـ، ١٩٨٥م.
٢. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، ت٣٥٤هـ، تحقيق محمود إبراهيم وإسماعيل بن عياش، طبعة دار المعرفة، بيروت.
٣. الضعفاء والمتروكين، للدارقطني، أبي الحسن، علي بن عمر البغدادي، ت٣٥٨هـ، دراسة وتحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر مكتبة المعـارف، بالريـاض، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٤. ميزان الاعتدال، للذهبي، ت٧٤٨هـ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محمد علي البجاوي، مصورة عن طبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٣م.
٥. لسان الميزان، لابن حجر، ت ٨٥٢هـ، ط١، حيدر أباد، ١٣٣١هـ.

و. كتب في العلل والمدلسين والمختلطين:

١. العلل لابن المديني، علي بن عبد الله. ت٢٣٤هـ، شيخ البخاري. تحقيق وتعليق د. عبد المعطي قلعجي، دار الوعي، حلب، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٢. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق. د. عبد الغفار سليمان البنداري ومحمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.
٣. شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، ٧٩٥هـ، تحقيق د. همّام سعيد.

ز. كتب في الثقات الخاصة:

١. كتاب الثقات لابن حبان، محمد بن أحمد بن حبان البُستي، ت٣٥٤هـ.
٢. تذكرة الحفاظ، للذهبي، ت٧٤٨هـ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر أباد الهند، ط٤، ١٩٦٨م.

ح. كتب في التاريخ العام:

١. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الأمم والملوك) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت٣١٠هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بمصر- ذخائر العرب، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

سادساً: كتب أصول الفقه:

١. الشافعي، ت٢٠٤هـ، محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م.

٢. الآمدي، ت٦٣١هـ، سيف الدين أبي الحسن، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.
٣. الشاطبي، ت٧٩٠هـ، أبو إسحق، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، المشهور بالشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٦٩م.

سابعاً: كتب المعاجم:

معجم الآيات

١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي. مطابع الشعب.

معاجم الحديث

١. مفتاح كنوز السُّنَّة نقله إلى العربية، محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ١٣٥٣هـ، ١٩٣٤م.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف. لفيف من المستشرقين.

معاجم الكتب

١. الفهرست، لابن النديم، محمد بن إسحاق الورّاق، ت٤٣٨هـ.
٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطي الشهير بالُملاّ كاتب الجلبي، والمعروف بحاجي خليفة، ت١٠٦٧هـ. طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٣. إيضاح المكنون على ذيل كشف الظنون، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم. الألباني أصلاً والبغدادي مولداً، نفس الطبعة، ت١٣٣٩هـ.
٤. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة، للكتاني ت١٣٤٥هـ، محمد بن جعفر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٥. معجم مصنفات القرآن الكريم، د. علي شواخ إسحاق، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

معاجم المؤلفين

١. هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٢. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، طبعة دار إحياء التراث العربي.
٣. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٢، ١٩٥٩م، مصر.

معجم الموضوعات

١. مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لأحمد بن مصطفى بن خليل الرومي، الشهير بطاش كبرى زادة، ت٩٦٨هـ.

معاجم لغوية

١. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، ت٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران.
٢. أساس البلاغة، للزمخشري، ت٥٢٨هـ، طبعة كتاب الشعب، مصر، ١٩٦٠م.
٣. لسان العرب لابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور المصري، ت٧٧١هـ، ط١، بيروت، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.
٤. القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مجد الدين بن يعقوب، ت٨١٧هـ، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

معجم مفردات القرآن

١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، ت٥٠٢هـ، تحقيق وضبط محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

ثامناً: كتب في مواضيع مختلفة:

٢. فضائل القرآن، للنسائي، ت٢٧٩هـ، تحقيق د. فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ت٣٣٨هـ، ط١، مطبعة السعادة، بمصر، نسخة مصورة، ١٣٢٣هـ.
٤. كتاب العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان، ٣٦٩هـ. دراسة وتحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، طبعة دار العاصمة، الرياض، ط٢، رسالة دكتوراة مطبوعة١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
٥. الأوائل لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، ت٣٨٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٦. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي،ﷺ، لأبي بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي، ت٥٤٣هـ، خرّج أحاديثه محمود مهدي الاستانبولي، حققه وعلّق حواشيه محب الدين الخطيب، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ط٥، ١٤٠٨هـ.
٧. مجموعة فتاوي ابن تيمية، ت٧٢٨هـ، المجلدات ١٤-١٧ مقدمة في التفسير، وأربعة أجزاء في التفسير، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي، تصوير ط١، ١٣٩٨هـ.
٨. التحبير في علم التفسير، للسيوطي، ت٩١١هـ، حققه ووضع فهارسه. د. فتحي عبد القادر فريد. دار المنار، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٩. حياة الصحابة، محمد يوسف كاندهلوي، دار المعرفة، بيروت.
١٠. الإسلام بين العلماء والحكام، عبد العزيز البدري، منشورات المكتبة العلمية، بالمدينة المنورة، ١٩٦٦م.
١١. النظر الفسيح عن مضايق الأنظار في الجامع الصحيح، محمد الطاهر بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
١٢. الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد السيد حسين الذهبي، مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثالثة، الكتاب السابع والثلاثون.

١٣. أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
١٤. ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، عداب محمود الحمش، ط٢، دار بدر للنشر، ١٩٨٥م.
١٥. روايات غزوة بني المصطلق، جمع وتحقيق ودراسة د. إبراهيم بن إبراهيم قريني، رسالة دكتوراه، بالجامعة الأردنية.
١٦. ونزل القرآن، أحمد فرّاج، طبعة دار الشروق، القاهرة وبيروت وجدة، ط١، ١٩٧٥م.
١٧. رجال أنزل الله فيهم قرآناً، عبد الرحمن عميرة، دار اللواء الرياض، ط٤، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.
١٨. نساء أنزل الله فيهن قرآناً، عبد الرحمن عميرة، دار اللواء الرياض، ط٤، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.

الفهرس

مقدمة الطبعة الثالثة ٩
مقدمة الطبعة الثانية. ١١
مقدمة الطبعة الأولى........................ ١٣
مقدمة.. ١٥
المسوغات لاختيار الموضوع ٢١
أهمية أسباب التنزيل........................ ٢٦
القضية الأولى: أقوال بعض العلماء القدامى والمحدثين في بيان أهمية علم أسباب التنزيل ٢٦
القضية الثانية: فوائد معرفة أسباب التنزيل........................ ٢٩
القضية الثالثة: مناقشة بعض الفوائد المنسوبة لأسباب التنزيل........................ ٣١
مناقشة الفائدة الأولى: أسباب التنزيل تفيد وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ٣١
مناقشة الفائدة الثانية: دفع توهم الحصر عمّا يفيد بظاهرة الحصر ٣٣
مناقشة الفائدة الثالثة: تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ. ٣٦
مناقشة الفائدة الرابعة: معرفة سبب التنزيل غير خارج عن حكم الآية إلاّ بورود مخصص لها. ٣٧
التمهيد.. ٣٩
المبحث الأول- بعض جهود القدماء في أسباب النزول. ٤١
١. كتاب الواحدي- أسباب نزول القرآن. ٤٢
٢.مخطوط العُجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ٥٠
٣.كتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي........................ ٥٨

٤.مخطوط إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن للأجهوري ٦٤
المبحث الثاني- بعض جهود المعاصرين ٦٧
١.كتاب مقبل بن هادي الوادعي- الصحيح المسند من أسباب النزول ٦٧
٢.كتاب أسباب نزول القرآن مصادرها ومناهجها للدكتور حمّاد عبد الخالق حلوة ٦٨
٣.كتاب أسباب النزول عند الصحابة والمفسرين للشيخ عبد الفتاح القاضي ٦٩
٤.كتاب جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها- عليوي خليفة عليوي ٧٠
٥.كتاب أسباب النزول القرآني للدكتور غازي عناية.................. ٧١
٦.جهد الدكتور سيّد أحمد صقر في تحقيق كتاب الواحدي ٧٣
٧.جهد السيد عصام بن عبد المحسن الحميدان في تحقيق كتاب الواحدي ٧٣
٨. جهد الباحث في الموضوع ٧٤

الفصل الأول: معنى سبب النزول وتحديد طريقة معرفته

المبحث الأول: أسباب دخول الدخيل إلى أسباب التنزيل. ٧٩
أولاً- الاختلاف في فهم دلالة قول الصحابي نزلت الآية في كذا.......... ٨٠
ثانياً- حذف الأسانيد في فترة من الفترات ودخول الوضع. ٨٣
ثالثاً- دخول الإسرائيليات في أسباب التنزيل. ٨٥
رابعاً- الثقة المفرطة بالعلماء السابقين أدت إلى عدم تحرّي الدقة والركون إلى نقولهم ٩١
خامساً- عدم تقيد فرسان هذا الميدان بحد أسباب التنزيل ١٠٧
المبحث الثاني: معنى سبب النزول لغة واصطلاحاً.................... ١١٠
أسباب التنزيل في الاصطلاح.................................... ١١١
معنى سبب التنزيل عند الصحابة رضوان الله عليهم..................... ١١٣

نماذج من تفسير عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها................ ١١٤
١. ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ ١١٤
٢. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ ١١٦
٣. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ١١٨
٤. ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ ١١٩
٥. ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ ١٢٠
نماذج مختارة من تفسير ابن عباس................................ ١٢٤
١. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ١٢٤
٢. ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ ١٢٧
٣. ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ ١٢٩
٤. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ١٣٠
٥. ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ١٣١
نماذج مختارة من تفسير ابن مسعود.............................. ١٣٥
١. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ١٣٥
٢. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ
ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)﴾ ١٣٨
٣. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾. ١٤١
٤. ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ١٤٢
معنى سبب التنزيل عند التابعين................................ ١٤٤
نماذج مختارة من تفسير مجاهد.................................. ١٤٤

١ .﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ ١٤٤
٢ .﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ١٤٦
٣ .﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ ١٤٧
٤ .﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ١٤٨
٥ .﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ١٥٠
نماذج مختارة من تفسير سعيد بن جبير ١٥١
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ ١٥١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ ١٥٣
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ﴾ ١٥٤
﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ ١٥٥
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ ١٥٦
نماذج مختارة من تفسير سفيان الثوري ١٥٩
١ .﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ١٥٩
٢ .﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ ١٦٠
٣ .﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) ﴾ ١٦٢
٤ .﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ١٦٥
٥ .﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ ١٦٦
معنى سبب التنزيل عند المفسرين. ١٦٧
١ .﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ ١٦٩
٢ .﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ ١٧٠

٣. ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ ١٧٠
المبحث الثالث: تحديد طريقة معرفة أسباب التنزيل ١٧٦
أ- بحث الألفاظ التي قيل أنها تدل على سبب التنزيل ١٧٧
ب- أطر لا بد منها لاعتماد رواية أسباب التنزيل ١٨١
أولاً: تزامن نزول الآية مع وقوع الحدث ١٨١
ثانياً: ضرورة تناسب الرواية مع منطوق ومفهوم النص ١٨٣
ثالثاً: ضرورة تناسب الرواية مع سياق الآية أو الآيات ١٨٤
رابعاً: عدم معارضة الرواية لنص أقوى منها ١٨٦
خامساً: أن نتحقق من صحة الرواية ١٨٧
ج- عموم لفظ الآية وخصوص سببها ١٩٣
المبحث الرابع: أسباب ورود الحديث وصلته بأسباب تنزيل القرآن ١٩٥
معنى سبب ورود الحديث ١٩٥
أسباب ورود الحديث ١٩٦
أهم الإشكالات الواردة على أسباب ورود الحديث ٢٠٢
الإشكال الأول: تحقيق معنى سبب ورود الحديث. ٢٠٢
الإشكال الثاني: تزامن ورود الحديث مع وقوع سببه ٢٠٣
موازنة بين أسباب نزول القرآن وبين أسباب ورود الحديث ٢٠٣
المبحث الخامس: الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات والعلاقة بينهما ٢٠٥

الفصل الثاني دراسة تطبيقية لبعض مرويات أسباب التنزيل

١. ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ ٢٠٩
٢. سورة المسد ٢١٥
٣. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ ٢١٩

٤. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ ٢٢٢
٥. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ٢٢٦
٦. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ ٢٢٨
٧. ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ٢٣٢
٨. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ٢٣٥
٩. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾........... ٢٥٠
١٠. ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ... وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ ... ٢٥٨
الفصل الثالث: معالجة الإشكالات الواردة على أسباب التنزيل
الإشكال الأول: عدم المزامنة. ٢٧٣
الإشكال الثاني: القول بتكرار نزول الآية أو الآيات أو السورة............ ٢٨٦
الأسباب التي أدت إلى القول بتكرار التنزيل ٢٩٥
إشكال القول بتجزئه نزول الآية الواحدة ٢٩٧
الإشكال الثالث: تعدد روايات أسباب التنزيل ٣٠١
الصورة الأولى- تعميم سبب التنزيل في الآية على آيات مشابهة لها ٣٠١
الصورة الثانية-ذكر أسباب تنزيل مختلفة لآية واحدة........................... ٣٠٣
الصورة الثالثة-اختلاف موضوع الروايات في سبب تنزيل الآية ٣٠٥
الصورة الرابعة-جعل كل جزء من الآية له سبب خاص........................ ٣٠٦
الصورة الخامسة-توالي ذكر أسباب التنزيل في آيات متتالية..................... ٣١٠
الصورة السادسة-تعدد النازل والسبب واحد.. ٣١٢
الصورة السابعة-تركيب آية كسبب تنزيل لآية تليها أو لآيات في سورة أخرى ٣١٥
الإشكال الرابع: أسباب نزول الآيات المصدرة بـ:.. ٣١٩

أ. يسألونك ٣١٩

آيات مصدرة بالسؤال: ١. ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ ٣٢٠

٢. ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ ٣٢٢

٣. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ ٣٢٣

٤. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ ٣٢٤

٥. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ
وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ ٣٢٦

ب. يستفتونك ٣٢٨

١. ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ ٣٢٨

٢. ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ ٣٢٩

ج. يقولون ٣٣٠

١. ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ ٣٣١

٢. ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ ٣٣١

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ ٣٣١

٣. ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧﴾ ٣٣٣

صيغة (سيقول): ٣٣٤

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾ ٣٣٤

صيغة الماضي (قال): ٣٣٥

١. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ ٣٣٥

٢. ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ ٣٣٥

صيغة الأمر (قل): ٣٣٨
١. ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ ٣٣٨
٢. ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ﴾ ٣٣٨
٣. ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ ٣٣٨
الإشكال الخامس: تقدم نزول الآية على الحكم، وتقدم الحكم وتأخر النزول ٣٣٩

الفصل الرابع: نتائج الدراسة

أولاً: خلاصة دراسة الروايات ٣٤٢
ثانياً: نماذج من المواضيع التي ثبت لها سبب تنزيل وقد توافرت في رواياتها الأطر الخمسة ٣٤٥
١. الآيات التي تتعلق بكشف أكابر المجرمين الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية ٣٤٥
ما ذكر بالوصف- سورة المدثر- الوليد بن المغيرة. ٣٤٥
ما ذكر بالاسم- سورة المسد- أبو لهب وامرأته.. ٣٤٧
ذكر القوم- المنافقون: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ ٣٤٨
نصارى نجران: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ﴾ ٣٤٩
٢. كشف المؤامرات التي حيكت ضد المسلمين ٣٥١
فضح مؤامرة أبي عامر الراهب والمنافقين في بناء مسجد الضرار. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ٣٥١
فضح أمر يهود بني النضير-سورة الحشر- سورة بني النضير ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ ٣٥٢

٣. الحظر على المسلمين من استعمال مصطلحات الكفار التي تتعلق بوجهة النظر في الحياة ٣٥٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ ٣٥٥
٤. خرق بعض الأعراف الدولية السائدة آنذاك عند تعارضها مع مصلحة حمل الدعوة القتال في الأشهر الحرم- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ ... ٣٥٦
قطع الشجر المثمر- ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ٣٥٨
٥. وجوب التحاكم إلى الإسلام وتحريم التحاكم لغيره.................. ٣٥٨
ما نزل في حق المنافقين- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ٣٥٩
ما نزل في حق اليهود- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ٣٦٢
ما نزل في حق النصارى- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ٣٦٢
٦. كيف ينبغي أن تجابه الإشاعات الكاذبة ٣٦٦
حادثة الإفك- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ ٣٦٦
٧. الإحسان لمن أساء إليك- ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ٣٧١
٨. في الملاعنة- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ ٣٧٢
٩. في الظهار- ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ٣٧٣

١٠ .إلغاء حكم التبني -﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ٣٧٥

١١. فرض لباس الجلبات على جميع النساء في الدولة الإسلامية -﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ ٣٧٧

١٢. مجال العقوبات- قطاع الطرق-﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ ٣٧٨

١٣. البذل والإنفاق في الجهاد-﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ ٣٧٩

١٤ .وجوب المحافظة على أسرار دولة الإسلام-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ ٣٧٩

١٥ .وجوب حمل الدعوة بقوة-﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ٣٨٠

الأولى حمل الدعوة لمن يسعى إليها لا للمتمنعين بغض النظر عن مكانتهم- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ ٣٨٢

١٦. حسم الخلاف بين المؤمنين-﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ٣٨٣

١٧. مجال المعارك والحروب- سورة الأحزاب- بني قريظة. ٣٨٤

سورة الفتح- معاهدة الحديبية- غزوة خيبر. ٣٨٤

سورة الأنفال- غزوة بدر. ٣٨٤

سورة آل عمران- غزوة أحد. ٣٨٤

سورة التوبة- غزوة تبوك. ٣٨٤

سورة الحشر- غزوة بني النضير. ٣٨٤

١٨.تغيير المنكر باليد-﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ ... ٣٨٤
١٩. رسم الخط المستقيم بجانب الخط الأعوج(هدم عبادة أهل الجاهلية
ووضع العبادة الصحيحة بدلها)﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ٣٨٥
٢٠. مجال الأسئلة والاستفتاءات.. ٣٨٦
﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ ٣٨٦
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ ٣٨٦
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾ ٣٨٧
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ ٣٨٧
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ ٣٨٧
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ ٣٨٧
٢١. تتبع الأحداث السياسية الجارية-﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى
ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ ٣٨٧
ثالثاً: ثوابت في علم أسباب التنزيل.. ٣٩١
١-٥.. ٣٩٢
٦-٩.. ٣٩٣
١٠-١٤.. ٣٩٤
خاتمة.. ٤٠١
المصادر والمراجع.. ٤٠٥

كتب للمؤلف

١- تفسير سورة النور.
٢- أسباب نزول القرآن دراسة وتحليل.
٣- موسوعة الدخيل في التفسير في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي).
٤- رموز الإصلاح الحديث مأساة الماضي ومشكلة الحاضر والمستقبل.
٥- ماسونية حسن البنا في نشأته ودعوته.
٦- شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري.
٧- حزب التحرير إلى أين.
٨- فروض (واجبات) شرعية يستهين بها كثير من الناس.
٩- محظورات (محرمات) شرعية يستهين بها كثير من النّاس.
١٠- حمل الدعوة الإسلاميّة لماذا؟.. وكيف؟.. وأين... ومتى... ولمن... وإذا؟
١١- أدبيات دعوتنا.

عنوان المؤلف
الأردن- عمان
٠٧٩٥٠٢٠٨٨٦
https://mudawaneh-web.appl